

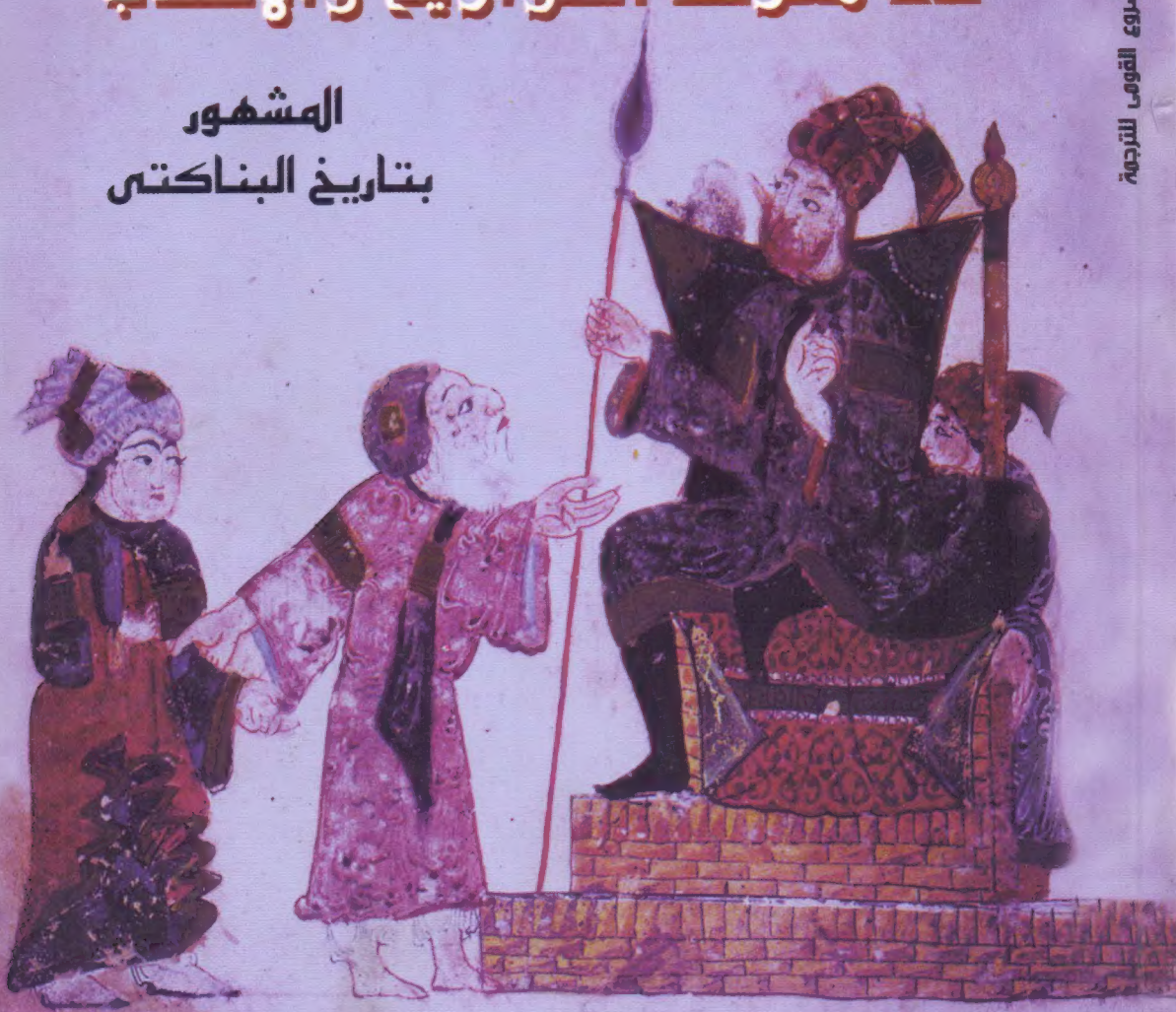
من المصادر الفارسية
في التاريخ العام والإسلامي



روضة أولى الألباب

في معرفة التواريخ والأنساب

المشهور
بتاريخ البناكتي



تأليف: أبو سليمان البناكتي
ترجمة وتقديم: محمود عبد الكريم علي



هذا الكتاب ترجمة لمصدر مهم من المصادر الفارسية في التاريخ العام للعالم والتاريخ الإسلامي، قسمه مؤلفه إلى تسعة أقسام أرّخ فيها منذ بدء الخليقة حتى الثلث الأول من القرن الثامن الهجري - الرابع عشر الميلادي.

وقد اكتسب مؤلفه معلومات كثيرة من البلاط المغولي؛ حيث كان له منصب ملك الشعراء، والكتاب يحتوي بلا شك على معلومات قيمة خاصة ما تحدث عنه بعد أن رآه رأى العين. والكتاب يتضمن شروحا وتأريخا عن الأمم غير الإسلامية مثل: اليهود والقيصرة والبابوات والمسيحيين والهنود والمغول والنصارى والفرنجة وغيرهم إلى جانب الدول الإسلامية، وقد أحسن المؤلف في اختيار مصادر كتابه، فمعظمها من المصادر الأمهات؛ حيث يقول: "سنؤرخ تاريخ كل أمة وطائفة وشعب وفق معتقداتهم كما هو مسطر بحذافيره في كتبهم".

وتهدف هذه الترجمة إلى تعريف القارئ العربى ما لم يكن يعرف من تاريخ شعوب المشرق الإسلامى من خلال متخصصين فى هذه اللغات؛ لأنه يجب معرفة تاريخهم من كتبهم التى ألفت بلغتهم ومصادره التى سطوروا بها حضاراتهم.

روضة أولى الألباب فى معرفة التواريخ والأنساب

المركز القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ١١٥٦ -

- روضة أولى الألباب فى معرفة التواريخ والأنساب المشهور بتاريخ البناكتى

- أبو سليمان داود بن أبى الفضل محمد البناكتى

- محمود عبد الكريم على

- الطبعة الأولى ٢٠٠٧

هذه ترجمة كتاب :

روضة أولى الألباب فى معرفة التواريخ والأنساب مشهور به تاريخ بناكتى

تأليف : أبو سليمان داود بن أبى الفضل محمد البناكتى

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة .

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت : ٢٧٢٥٤٥٢٤ - ٢٧٢٥٤٥٢٦

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

e.mail:egyptcouncil@yahoo.com

من المصادر الفارسية في التاريخ العام والإسلامي

روضة أولى الألباب في معرفة التواريخ والأنساب

المشهور

بتاريخ البناكتي

تأليف : أبو سليمان داود بن أبي الفضل محمد البناكتي
ترجمة وتقديم : محمود عبد الكريم على



٢٠٠٧

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

البناتكى ، داود بن محمد ، . . . - ١٣٣٠ م
روضة أولى الألباب فى معرفة التواريخ والأنساب ، المشهور ،
بتاريخ البناتكى / تأليف : أبو سليمان داود بن أبى الفضل
محمد البناتكى ؛ ترجمة : محمود عبد الكريم على .
القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠٠٨
٥٠٨ ص ، ٢٤ سم
من المصادر الفارسية فى التاريخ العام والإسلامى
١ - الأنساب ، علم
(أ) العنوان
(ب) على ، محمود عبد الكريم (مترجم)
٩٢٩

رقم الإيداع ٢٠٠٨/٢٧٥٠
الترقيم الدولى 5 - 595 - 437 - 977 I.S.BN.
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة
للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها
فى ثقافتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

المحتويات

9 مقدمة المترجم

19 مقدمة المؤلف

(القسم الأول)

فى معرفة أنساب وتواريخ وشعب الأنبياء والأوصياء والحكماء بداية من
عهد آدم (عليه السلام) إلى آخر أيام إبراهيم الخليل (صلوات الرحمن عليه) ،
وكانوا طبقتين وعددهم عشرون، ومدة أعمارهم أربعة آلاف وثمانمائة
وثمانية وثلاثون عاماً 21

(القسم الثانى)

فى ذكر ملوك الفرس ومشاهير من الأنبياء والحكماء ، الذين كانوا
فى أيامهم بداية من عهد كيومرث إلى آخر أيام يزيدجرد بن شهريار الذى كان
آخر ملوك العجم 45

(القسم الثالث)

فى بيان النسب المطهر لسيد المرسلين وخاتم النبيين محمد المصطفى
(عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات)، حتى إبراهيم الخليل (صلوات الرحمن عليه)،
وشرح أحوال وشعب الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين حتى المستعصم
الذى كان آخر خلفاء بنى العباس 85

(القسم الرابع)

فى أخبار السلاطين العظام والملوك الكرام الذين كانوا فى أيام خلفاء

227 بنى العباس ، وكان لهم الملك فى إيران

(القسم الخامس)

فى ذكر ملوك بنى إسرائيل من عهد موسى (عليه السلام) حتى آخر ملوكهم

متنيا الذى سماه بختنصر صدقيا ، وهم ثلاث طوائف ، وعددهم تسعة وخمسون ،

259 ومدة حكمهم تسعمائة وإحدى وأربعون سنة وستة أشهر

(القسم السادس)

فى تاريخ النصرانى والإفرنج ، ونسب مريم أم عيسى إلى داود

(عليهما السلام)، وذكر مملكة الفرنجة والقياصرة والباباوات ، وهم خلفاء

المسيح (عليه السلام) إلى يومنا هذا . وهى شهور سنة سبعمائة وسبع عشرة

285 من الهجرة

(القسم السابع)

فى تاريخ الهنود ، وصور الأقاليم ، وذكر ممالك الهند وملوكهم من عهد

337 باسديو حتى السلطان علاء الدين

(القسم الثامن)

فى تاريخ الخطا من عهد نيكو^(١) ملكهم الأول إلى آخر ملوكهم شودى شو

وسونام الذى يسمونه التان خان ، وحاربه جنكيز خان وأولاده ، وهم ست

وثلاثون طبقة ، وعددهم خمس وثلاثمائة ، ومدة ملكهم كما يزعم أهل الصين

371 اثنان وأربعون ألفاً وثمانمائة وخمسة وسبعون عاماً

(القسم التاسع)

فى تاريخ المغول، ونسب جنكيز خان حتى دو والآن قوا، وشرح ظهور
جنكيز خان، والاستيلاء على بلاد إيران، وشعب أبنائه إلى يومنا هذا وهو الخامس
والعشرون من شوال سنة سبع عشرة وسبعمائة، وهم أربع طوائف من نسل واحد،
وعدددهم ست وثلاثون، ومدة ملكهم فى أطراف الدنيا مائة عام وواحد 399

مقدمة المترجم

الكتاب الذى بين أيدينا هو ترجمة للنص الفارسى لكتاب "روضة أولى الألباب فى معرفة التواريخ والأنساب المشهور بتاريخ البناكتى"، ألفه أبو سليمان داود بن أبى الفضل محمد البناكتى المتوفى سنة ٧٣٠هـ. واشتهر الكتاب باسم مؤلفه الذى ينسب إلى مدينة بناكت التى تقع فى بلاد ما وراء النهر، وقد تبدل اسمها مع مرور الزمان، وتعرف الآن باسم مدينة طشقند عاصمة دولة أوزبكستان، إحدى الدول المستقلة عن الاتحاد السوفيتى.

والكتاب فى التاريخ العام للعالم منذ بدء الخليقة بصفة عامة، وفى التاريخ الإسلامى بصفة خاصة، وتنتهى أحداثه فى ٧١٧هـ، ولم يكتفِ صاحبه بالتأريخ للشعوب الإسلامية فقط، لكنه تطرق إلى عرض تاريخ الكثير من الأمم غير الإسلامية مثل اليهود والنصارى والقياصرة والباباوات والهنود والخطا والإفرنج، إضافة إلى المغول الذين كان يعيش فى عصرهم وبلادهم.

وتعتبر حملات المغول فى القرنين السابع والثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) على مراكز الحضارة الإسلامية، وقيام إمبراطوريتهم التى كانت تضم إيران والصين وما بين النهرين وآسيا الصغرى وشرق أوروبا، ولاشك أن استيلائهم على هذه البقاع من العالم، وما تبع ذلك من سقوط دول وعروش، وقتل لآلاف من السكان، وحرق وتخريب لبلاد؛ مالفت نظر المؤرخين فى هذه الفترة، وحفزهم على التأريخ لها.

ومعلوم أنه عن طريق التأريخ يعرف ابتداء كل ملة، وأول كل دولة، وأن ظهور الإمبراطورية المغولية بقيادة چنكيزخان كان أكبر حدث فى تلك الفترة، فكان جديراً

بالتاريخ، حيث إنه فى زمن قليل فتح بلاداً كثيرة، وأسقط عروشاً عديدة، وقهر كل من وقف فى طريقه، وورث أولاده وأحفاده هذه الإمبراطورية من بعده، وكان المؤرخون والعلماء يؤرخون هذه الأحداث بحلوها ومرها فى كل وقت؛ حتى يعتبر بها من سيائى بعدهم. ومن الأهمية بمكان أن أذكر أننى سافرت إلى أوروبا الغربية فى بعثة للحصول على درجة الدكتوراه، فوجدت البيئة العلمية هناك تهتم بدراسة لغات الشعوب الإسلامية وتاريخها أكثر من اهتمام أهل الشرق بها بصفة عامة، كما يهتمون بالحقب التاريخية لهذه الشعوب وخاصة تاريخ الإمبراطورية المغولية التى امتدت من أقصى الصين فى الشرق، حتى قرب حدود مصر فى الغرب بالنسبة للعالم الإسلامى. وقد شبه أحدُ المستشرقين الغزو المغولى بأنه أشبه شىء بسرطانٍ انتشر على وجه الأرض بداية من أقاصى الشرق حتى حدود برلين فى الغرب.

ولا يفوتنا أن ننوه أن هذا الكتاب تُرجم إلى لغات عديدة نذكر منها، الإنجليزية والصينية والروسية والألمانية واللاتينية والفرنسية والأردية.

قسّم البناكى كتابه إلى تسعة أقسام يتحدث فى كل قسم منها عن موضوع جديد لم يرد فى القسم السابق، ولا القسم اللاحق، وقد مهد لكتابه بمقدمة.

القسم الأول : فى معرفة أنساب وشعب وتواريخ الأنبياء والأوصياء والحكماء، بداية من آدم (عليه السلام) إلى آخر أيام إبراهيم الخليل (صلوات الرحمن عليه) وعددهم عشرون، ومدة أعمارهم أربعة آلاف سنة وثمانمائة وثمانٍ وثلاثون. وهذا القسم قسمه البناكى إلى طبقات :

الطبقة الأولى : تحت عنوان (آدم وحواء وأبناؤهم)، إلى نوح (عليه السلام) وهم عشرة ومدة أعمارهم ألفان وثلاثمائة وستون سنة، ويقال: ألفان وخمسمائة واثنان وتسعون سنة، ويبدأ البناكى تأريخه لهذه الطبقة بآدم (عليه السلام) وآخرها نوح بن لامك. وقد أرخ لهذه الطبقة، ورجع إلى مصادر كثيرة، كان يذكرها أثناء حديثه.

الطبقة الثانية : وتبدأ هذه الطبقة بسام بن نوح (عليه السلام) وتنتهى بإبراهيم الخليل (صلوات الرحمن عليه) وهم عشرة أشخاص، ومدة أعمارهم ألف عام وأربعمائة وثمانية وسبعون. بعد ذلك يلحق البناكتى فصلاً بهذه الطبقة يتحدث فيه عن بيان التواريخ وأنواعها التى اعتمد المنجمون عليها فى عمل الرصد والزيج وغير ذلك، وهى سبعة تواريخ.

القسم الثانى : من أقسام الكتاب يتضمن ذكر ملوك الفرس والمشاهير من الأنبياء والحكماء الذين كانوا فى أيام هؤلاء الأنبياء السالف ذكرهم، بداية من عهد كيومرث، إلى آخر أيام يزجرد بن شهريار الذى كان آخر ملوك العجم، وقسم البناكتى هؤلاء الملوك إلى أربع طبقات، وعددهم ثمانية وستون، ومدة حكمهم ثلاثة آلاف وستمائة وأربعة وأربعون عاماً وأربعة أشهر وثلاثة أيام.

الطبقة الأولى، طبقة اليشدانيين: وهم أحد عشر ملكاً، ومدة ملكهم ألفان وأربعمائة وخمسة وثمانون عاماً، ويعرف البناكتى بكل واحد منهم بداية من كيومرث، وتنتهى هذه الطبقة بكرشاسف بن إشتاسف.

الطبقة الثانية من القسم الثانى: فهى طبقة الكيانيين، وهم تسعة ملوك، وجاء بعدهم الإسكندر الرومى، ومدة ملكهم سبعمائة عام وسبعة. أولهم كيقباد، وآخرهم الإسكندر بن فيلاقوس.

والطبقة الثالثة من القسم الثانى: طبقة الأشكانيين، وعددهم ستة عشر، ومدة ملكهم ثلاثمائة وأربعون سنة، ويقال: ثلاثمائة واثنان وستون سنة. وأولهم ذو القرنين، وآخرهم أردوان بن بلاش.

والطبقة الرابعة من القسم الثانى: طبقة الساسانيين، وعددهم ثمانية وعشرون ملكاً، وحكموا خمسمائة وإحدى وخمسين سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام. أولهم أردشير بن بابك، ويلحظ عليه أنه بسط القول فيه طويلاً، وتنتهى هذه الطبقة بيزجرد بن شهريار، وختم تأريخه لهذه الطبقة بأربعة أبيات فى زوال ملكهم، ولم ينسبها إلى أحد.

القسم الثالث من الكتاب : فى بيان النسب المطهر لسيد المرسلين وخاتم النبيين محمد المصطفى (عليه أفضل الصلوات و أكمل التحيات)، حتى إبراهيم الخليل (صلوات الرحمن عليه). وشرح حال وشعب الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين حتى المستعصم الذى كان آخر الخلفاء العباسيين. وهم ثلاث طبقات، وعددهم سبعة وخمسون شخصاً ومدة ملكهم ثلاثمائة وستة وخمسون عاماً.

الطبقة الأولى: محمد المصطفى (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدون، حتى الحسين بن على (رضى الله عنهم) وهم سبعة أشخاص، ومدة خلافتهم واحد وأربعون عاماً وشهران وخمسة أيام، إلا أنه ذكر بعد ذلك غيرهم وألحقهم بالطبقة نفسها، وذكر فى الطبقة نفسها تاريخ القرامطة، كما ذكر تقريراً كتب فى عهد الحاكم فى بطلان نسبهم، ثم ذكر بعدهم الحسن بن الصباح وغيره، كما ألحق بهذه الطبقة التى خصصها لذكر الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين، أئمة الشيعة الإثنى عشرية، وهذا دليل على أنه كان شيعياً.

والطبقة الثانية من القسم الثالث: أمراء بنى أمية، وعددهم أربعة عشر، ومدة إمارتهم إحدى وتسعون سنة وشهر واثنان وعشرون يوماً. وتبدأ هذه الطبقة بمعاوية (رضى الله عنه)، وتنتهى بأبى عبد الملك بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، ويلحظ على تأريخه عنهم أنه يسهب أحياناً، ويوجز أحياناً أخرى.

والطبقة الثالثة من القسم الثالث: طبقة خلفاء بنى العباس، وهم سبعة وثلاثون، ومدة خلافتهم خمسمائة وثلاثة وعشرون عاماً وأحد عشر شهراً ويوم واحد. وتبدأ هذه الطبقة بأبى العباس السفاح، وتنتهى بالمستعصم بالله أبى أحمد.

والقسم الرابع من الكتاب: فى أخبار السلاطين العظام والملوك الكرام الذين كانوا فى أيام خلفاء بنى العباس، وكان لهم الملك فى إيران مستقلين عنهم، وهم سبع طبقات، وعددهم تسعة وستون، ومدة حكمهم منذ خروج يعقوب بن الليث الصفار حتى آخر أيام خور شاه ملك الملاحدة أربعمائة عام.

الطبقة الأولى: طبقة الصفاريين، وهم ثلاثة، وحكموا أربعين عاماً وخمسة أشهر. وأولهم يعقوب بن الليث الصفار، وآخرهم طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث.

الطبقة الثانية، طبقة السامانيين: وهم عشرة، ومدة ملكهم مائة وثلاثة أعوام وشهران وخمسة عشر يوماً. أولهم الأمير إسماعيل بن أحمد الساماني، وآخرهم المنتصر إسماعيل بن نوح.

الطبقة الثالثة: طبقة الديلمية، وهم خمسة عشر، ومدة ملكهم مائة وخمس وثمانون سنة وثلاثة أشهر. أولهم الأمير عماد الدولة أبو الحسن علي بن بويه الديلمي، وآخرهم الأمير فخر الدولة أبو الحسن علي بن حسن.

الطبقة الرابعة: طبقة الغزنويين، وعددهم ستة عشر، ومدة حكمهم مائة وأربعون عاماً وستة أشهر. أولهم السلطان يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين، وآخرهم خسرو شاه بن بهرام شاه.

الطبقة الخامسة: طبقة السلاجقة، وهم أربعة عشر، ومدة ملكهم مائة وتسعة وثلاثون عاماً وسبعة أشهر. أولهم السلطان ركن الدين أبو طالب طغرل بك بن محمد، وآخرهم أرسلان بن طغرل.

الطبقة السادسة: طبقة الخوارزميين، وهم ثمانية، ومدة ملكهم مائة وثمانية وثلاثون عاماً. أولهم خوارزم شاه بن محمد بن بيلكاتكين، وآخرهم السلطان غياث الدين.

الطبقة السابعة والأخيرة من القسم الرابع: طبقة ملوك قهستان، الذين يسمون بالملاحدة، وهم ثمانية، ومدة ملكهم مائة وسبعة وسبعون عاماً. أولهم الحسن الصباح، وآخرهم ركن الدين خور شاه، وأورد البناكتي بيتين من الشعر لنصير الدين الطوسي في انقراض دولتهم. أولهم الحسن الصباح، وآخرهم ركن الدين خور شاه.

القسم الخامس من الكتاب: في تاريخ اليهود، وذكر ملوك بني إسرائيل من عهد موسى (عليه السلام)، إلى آخر ملوكهم متنيا الذي سماه بختنصر صدقيا، وهم ثلاث طوائف، وعددهم تسعة وخمسون، ومدة حكمهم تسعمائة وإحدى وأربعون سنة وستة أشهر.

الطائفة الأولى من القسم الخامس: تبدأ من موسى كليم الله (ﷺ) إلى ايشوشث بن شاول الذي يسمونه في العربية طالوت، وهم تسعة عشر، ومدة حكمهم خمسمائة عام، أولهم موسى (ﷺ)، وآخرهم طالوت.

يقول البناكتي : لما وجب على المؤرخ أن يكتب تاريخ وشعب كل طائفة وفق اعتقادها، وجب عليه أن يتحرز من تناول معتقداتهم بالتجريح والتزيف والتبديل والتغيير، ومما لاشك فيه أن كثيراً من بعض تواريخهم ومعتقداتهم لن تكون صحيحة، إذ إن الله عز وجل يقول: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾^(١)، فإننا سوف نؤرخ المسمطور في كتبهم طبق معتقداتهم بحذاقيره، والعهد على الراوى، وكذلك سوف نؤرخ للنصارى والهنود وأهل الصين والمغول وفق ما جاء فى كتبهم وطبق معتقداتهم، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً^(٢)،^(٣).

الطائفة الثانية: داود (عليه السلام) وأبناؤه، إلى متنيا الذى قتله بختنصر، وهم واحد وعشرون، ومدة ملكهم أربعمئة وواحد وأربعون عاماً ونصف، أولهم داود (عليه السلام) وآخرهم متنيا بن يوشياهو.

الطائفة الثالثة : وهم تسعة عشر، ومدة ملكهم مائتان وإحدى وستون سنة وتسعة أشهر وسبعة أيام. أولهم يروعام بن نواطو، وآخرهم هوشيع بن إيلاء.

القسم السادس من الكتاب: فى تاريخ النصارى والفرنجة ونسب مريم أم عيسى (عليه السلام) إلى داود (عليه السلام)، وذكر مملكة الفرنجة والقياصرة والباباوات، وهم خلفاء المسيح (عليه السلام) إلى يومنا هذا وهى شهور سنة سبع عشرة وسبعمئة من الهجرة المباركة، وهم طائفتان: القياصرة والباباوات، وعدد القياصرة مائة وواحد، وعدد الباباوات مائتان واثنان، ومدة ملكهم ألف وثلاثمئة وسبعة وثلاثون عاماً، وينقسم هذا القسم إلى بابين، ويندرج تحت كل باب فصول.

الباب الأول : فى معرفة بلاد الأرمن والفرنجة وملوكهم، وينقسم هذا إلى ثلاثة فصول. **الأول :** فى بيان حدود بلاد الأرمن من المدن والضياع. **الثانى :** فى معرفة الفرنجة وبحارهم وجزرهم. **الثالث :** فى ذكر القياصرة وملوكهم، منذ عهد روملوس مؤسس روما الكبرى، إلى عهد أغسطس القيصر، ومدتهم أربعمئة واثنان وعشرون عاماً.

الباب الثانى : فى معتقدات أقوام النصارى فيما يختص بالمسيح (عليه السلام)، وذكر الباباوات وهم خلفاؤه، وينقسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول. **الأول :** فى ذكر

معتقدات أقوام النصراني فيما يختص بالمسيح (ﷺ). **الثاني** : في مراتب ملوك ورؤساء الفرنجة. **الثالث** : في مولد المسيح (ﷺ) ونسب أمه مريم مع داود (ﷺ) وخبر حادثته، وذكر جلوس الباباوات وهم خلفاء المسيح.

القسم السابع من الكتاب: في تاريخ الهنود وصور الأقاليم وذكر ممالك الهند وملوكهم من عهد باسديو حتى السلطان علاء الدين، وهم طائفتان: هنود ومسلمون، وعددهم ثلاثة وعشرون، ومدة ملكهم ألف ومائتا عام، وينقسم هذا القسم إلى ثلاثة أبواب. **الأول** : في حساب الأعوام والقرون وصور الأقاليم وذكر ممالك الهند. ويندرج تحت هذا الباب أربعة فصول. **الأول** : في معرفة العصور والقرون وكتب وجتروجوك وغيرهم. **الثاني** : في معرفة مساحة الأرض المعمورة وصور الأقاليم. **الثالث** : في ذكر الأقاليم السبعة. **الرابع**: في معرفة أرض الهند.

الباب الثاني : في تاريخ ولادة شامكونى وأحواله، ووضع دين التناسخ من حيث النسخ والمسح والرسخ والفسخ. ويندرج تحت هذا الباب أربعة فصول. **الأول**: في ذكر أنبياء الهنود. **الثاني**: في مولد شامكونى. **الثالث**: في حالات شامكونى ومقالاته. **الرابع**: في وفاة شامكونى.

الباب الثالث من القسم السابع من الكتاب: في تاريخ ملوك الهند، وهم طائفتان: هنود ومسلمون، وعددهم ثلاثة وعشرون، ومدة حكمهم ألف ومائتا عام. **الطائفة الأولى**: الهنود، وعددهم عشرة، ومدة ملكهم تسعمائة عام. أولهم أواذى، وآخرهم بهيم بال. **الطائفة الثانية**: المسلمون، وهم ثلاثة عشر، ومدة ملكهم ثلاثمائة عام. أولهم محمود بن القاسم بن ميمنة، وآخرهم الملك فيروز ملك المولتان.

القسم الثامن من الكتاب: في تاريخ الصين من عهد نيكو ملكهم الأول، إلى آخر ملوكهم شوى شوىسونام، الذى يسمونه التان خان وحاربه جنكيز خان وأولاده، وهم ست وثلاثون طبقة، وعددهم ثلاثمائة وخمسة، ومدة ملكهم كما يزعم أهل الصين أربعون ألفاً وألفان وثمانمائة وخمسة وسبعون عاماً، وينقسم هذا القسم إلى بابين. **الباب الأول**: في ذكر بلاد الصين وحساب عصورهم وأزمانهم ومعتقداتهم، ويندرج

تحت هذا الباب مقدمة وفصلان. المقدمة والفصل الأول: فى تاريخ الصين.
الفصل الثانى: فى ذكر ولايات الصين.

الباب الثانى: فى ذكر ملوك الصين، وهم ست وثلاثون طبقة، ويلاحظ أن المؤلف دمج ست طبقات مع الطبقة الثانية والعشرين، حتى وصل إلى الطبقة الثامنة والعشرين، وينتهى ذكر الطبقات بالطبقة السادسة والثلاثين.

القسم التاسع والأخير من أقسام الكتاب: فى تاريخ المغول، ونسب جنكيز خان حتى دويان^(٤)، ولأن قوا، وشرح ظهور جنكيز خان، والاستيلاء على بلاد إيران، وشعب أبنائه إلى يومنا هذا وهو الخامس والعشرون من شوال سنة سبع عشرة وسبعمائة.

وهم أربع طوائف من نسل واحد، وعددهم ستة وثلاثون، ومدة ملكهم فى أطراف الدنيا مائة عام وواحد.

الطائفة الأولى: جنكيز خان مع ابنه الثالث أوكتاي قان الذى أصبح من بعده ملكاً وأبنائه. الطائفة الثانية: جوجى خان بن جنكيز خان وأبنائه. الطائفة الثالثة: جفتاي بن جنكيز خان والخواتين والأبناء. الطائفة الرابعة: تولوى خان بن جنكيز خان وخواتينه وأبنائه.

ولكن البناكتي يذكر بعض الوقائع المهمة، منها على سبيل المثال لا الحصر: تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك الذين عاصروا منكوخان، قصة قوبيلاي قان وخواتينه وأبنائه، قصة تيمور قان بن جينكيم بن قوبيلاي قان، قصة هولاكو خان وخواتينه وأبنائه، خبر توجه هولاكو خان إلى إيران، وبداية تربيعة على العرش الإيلخاني، خبر توجه هولاكو إلى بلاد الشام، خبر حرب هولاكو خان مع بركاى، خبر إسناد الولايات إلى الولاة ووفاء هولاكو خان، قصة أباقا خان بن هولاكو خان وخواتينه وأبنائه، خبر جيش أباقا خان مع بوقاي وبركاى خان، خبر قنوم البندقدار إلى بلاد الروم ومضى أباقا خان لهذه الجهة، وفاة أباقا خان، قصة السلطان أحمد تكودار ونسائه وأبنائه، قصة أرغون ونسائه وأبنائه، حكاية عصيان بايدو فى بغداد والخلاف بين الأمراء، قصة غازان خان وخواتينه وأبنائه، خبر ركوب غازان إلى أندريجان وما وقع من أمور له مع

بايدو، قصة إسلام غازان خان، خبر جلوس السلطان محمود غازان، خبر حال نوروز واستشهاده، خبر مضى غازان خان إلى ديار الشام، قصيدة في مدح غازان خان، خبر وفاة غازان خان، قصيدة في رثاء غازان خان، خبر السلطان محمد أولجايتو وخواتينه وأبنائه، خبر السلطان علاء الدنيا والدين أبى سعيد، خبر رحيل سلطان الإسلام أبى سعيد من خراسان إلى العراق ودار الملك السلطانية، خاتمة الكتاب وهى عبارة عن قصيدة من الشعر.

ومن مميزات هذا الكتاب أن مؤلفه عاصر ثلاثة من سلاطين المغول العظام، وكان مقرباً إليهم، وهم غازان خان و أولجايتو و أبو سعيد، كما أحسن المؤلف فى اختيار مصادر كتابه، فكلها من المصادر الأمهات مثل: تاريخ الطبرى، والمغازى للواقدي، وجامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله، والكامل فى التاريخ لابن الأثير، وغيرهم كثير مما ورد فى الكتاب. إضافة إلى مُعَايَشَتِهِ لرجال البلاط ومن وفدوا عليه وما وقع بمراى منه، كذلك إيجاز ذكره للخبر بشرط ألا يخل هذا الإيجاز بمضمون الخبر.

ومما لا شك فيه أن الكتاب فى التاريخ العام للعالم من ناحية، وتاريخ المغول من ناحية أخرى، وما يحويه يعد بلا شك معلومات لها قيمتها، خاصة ما تحدث عنه بعد أن رآه رأى العين، ومن رأى ليس كمن سمع.

وأتركك أيها القارئ الكريم كى تتصفح ترجمة هذا الكتاب، الذى يعد فى التاريخ العام للعالم منذ بدء الخليقة حتى ٧١٧هـ، ولم يكتفِ مؤلف الكتاب بالتأريخ للشعوب الإسلامية فقط، لكنه تطرق إلى عرض تاريخ الكثير من الأمم غير الإسلامية مثل: اليهود والنصارى والقياصرة والباباوات والهنود والخطا والإفرنج، إضافة إلى المغول الذين كان يعيش فى عصرهم وبلاطهم، وبذلك يعد الكتاب جامعاً مانعاً.

وأرجو أن أكون قد وفقت فى ترجمتى لهذا الكتاب ذى الفائدة الكبيرة، للمهتمين بالتاريخ العام للعالم بصفة عامة، وللمهتمين كذلك بالتاريخ الإسلامى بصفة خاصة، وأن تعم فائدته الجميع، والله الهادى إلى الصراط المستقيم.

محمود عبد الكريم على

هوامش المقدمة

(١) سورة المائدة : آية ١٢ .

(٢) المؤلف متأثر بالقرآن في هذا الموضع، وهذا المعنى قريب من قوله تعالى ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ

عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ - سورة الإسراء، آية ٤٢ .

(٣) البناكتي : تاريخ البناكتي، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٤) هكذا في الأصل .

مقدمة المؤلف

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وأهله وأصحابه وخلفائه أجمعين، أما بعد:

لما جعل الحق جل وعلا التوفيق رفيقاً لهذا الضعيف، وهو أضعف خلق الله تعالى أبو سليمان داود بن أبي الفضل محمد بن محمد بن داود البناكتي أحسن الله عاقبته، حتى ألف كتاباً في كل فن من أنواع العلوم. وخطر لى أن أكتب كتاباً في علم التواريخ والأنساب التى اكتظت بذكرها الكتب الإلهية والصحف السماوية فى جميع الأديان، وأن أجعله مشتملاً على أنساب وتواريخ كل طوائف أهل العالم، وبيان اختلاف تاريخ كل قوم من الأديان المختلفة، وكذلك أنساب مشاهير الأنبياء والأولياء خصوصاً سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد المصطفى (عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات) وشعب الأولاد والأئمة المهديين والخلفاء والسلاطين ومشاهير الصحابة والتابعين ومشايخ الطبقات وأصحاب الحديث والقراء وعلماء الدين والملوك والخواقين والأمراء وسائر أقوام بنى آدم، وأن يتضمن طائفة من أقوالهم وأحوالهم وحكاياتهم التى شُوهدت فى كل كتاب من الكتب، وسمعت من كل مؤرخ ونسابة، وفحصت فحصاً بارعاً خصوصاً من كتاب جامع التواريخ الذى جمع مادته رشيد الدين الوزير (طاب ثراه) من كتب تواريخ أقوام العالم من الهند والصين والمغول والإفرنج وغيرهم بأمر من سلطان الإسلام غازان خان (نور الله مضجعه) وكان على أن أعرض هذا على وجه الإيجاز، وقد بدأت كتابى مستعيناً بالله تعالى منذ بداية عهد آدم وحتى يومنا هذا؛ أى متصلاً إلى أيام دولة الشاهنشاه الأعظم مالك رقاب الأمم، محرز ممالك العالم، مولى سلاطين

العرب والعجم السلطان علاء الدنيا والدين أبى سعيد بن السلطان محمد الجايتو خان
بن أرغون خان بن أباقا خان بن هولاكو خان بن تولولاي خان بن جنكيز خان.
وهو الخامس والعشرون من شهر الله المبارك شوال سنة سبع عشرة وسبعمائة من الهجرة،
وقسمته إلى تسعة أقسام وسميته "روضة أولى الألباب في معرفة التواريخ والأنساب".
والعلم عند الله تعالى.

القسم الأول

فى معرفة أنساب وشعب وتواريخ الأنبياء والأوصياء
والحكماء بداية من عهد آدم (عليه السلام) إلى آخر أيام إبراهيم الخليل
(صلوات الرحمن عليه)، وعددهم عشرون، ومدة أعمارهم أربعة
آلاف وثمانمائة وثمانية وثلاثون عاماً^(١).

الطبقة الأولى

آدم وحواء وأبناؤهم، حتى نوح (عليه السلام)، وهم عشرة، ومدة أعمارهم ألفان
وثلاثمائة وستون سنة، ويقال: ألفان وخمسمائة واثنان وتسعون سنة.

فى بيان خلق آدم (عليه السلام) :

قال علماء الدين وأئمة التفسير: إن الله تعالى أمر جبريل أن يرفع التراب كله عن
وجه الأرض، وأن يضعه بين مكة والطائف، فعجن الله تعالى هذا التراب بماء المطر
وفى ذلك يقول : خمرت طينة آدم بيدي أربعين صباحاً، ورسم صورة آدم وجعل رأسه
نحو الطائف، وبقي على ذلك أربعين يوماً، قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ
الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً ﴾^(٢)؛ أى لم يدر ما اسمه وما يراد به، ولما رأى إبليس
والملائكة هذا قالوا: نحن نصنع بهذا الشخص ما يأمر به الله، فقال إبليس: إذا كان
أضعف منى أهلكته، ولو كان أقوى منى فلن أطيعه، ولما دخلت روح آدم فى رأسه

عطس وحمد وسمع جواب الرحمة، ولما وصلت إلى صدره أراد أن ينهض فسقط ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾^(٣)، ثم بقي في مكة سبعة أيام حتى زينوا العرش، وأحضروا له ثياباً حسنة من الجنة، واصطف الملائكة، واعتلى آدم العرش الذي كان في ذلك الموضع الموجودة به الكعبة، فجاء الأمر ﴿اسْجُدُوا﴾، فتمرد إبليس وسجد الملائكة، ثم جاء الأمر أن أدخلوه الجنة فأدخلوه، فمكث خمسمائة عام هناك؛ أي نصف يوم من أيام ذلك العالم، ويقولون: منذ دخوله الجنة ونزوله إلى الأرض كان ألفاً ومائتين وأربعين عاماً. واختلفوا هل خلقت حواء في الدنيا أم في الجنة؟ والأصح أنها خلقت في الدنيا لقوله تعالى: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾^(٤)، وكان ذلك بين النوم واليقظة، ولما لعن إبليس وبخل آدم الجنة، جاء الأمر: ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾. فبحث إبليس عن الطريق وبخل في فم الأفعى^(٥)، قال تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَنَاصِحٍ﴾^(٦)، وأقسم أن كل من أكل من هذه الشجرة؛ فسوف يخلد في الجنة، فلما أكلا سقطت عنهما حلتهمما، فجاء الخطاب: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾^(٧)، ثم جاء الأمر أن اخرجوا فخرجوا، وكان معهما ورقتان من ورق التوت وقد سترت عورتيهما، وعُود كان آدم يستعمله لتخليل أسنانه، وفص الخاتم الذي وصل سليمان، والجوهرة التي صارت الحجر الأسود، وصار فص الخاتم هو سبب ملك سليمان، وأثر الورق هو العسل والحريير والعنبر، ويقولون: إن آدم وحواء هبطا إلى الدنيا في أرض الهند وانفصلا، فقدم آدم (عليه السلام) إلى مكة، وطلب حواء فوجدها على جبل عرفات، ولذلك يسمى هذا المكان بعرفات، وبني الكعبة، وأحضر لهما جبريل الحب وعلمهما الزرع والغرس والحصاد والطهو والطحن، ثم زرعاً وجنياً وأكلاً في اليوم الرابع، وحملت حواء من آدم خمس عشرة مرة، وفي كل مرة كانت تلد ولداً وبناتاً، وكان آدم يزوج كل أنثى للذكر من الحمل الآخر، ثم أراد أن يزوج إقليما توأم قابيل إلى هابيل وتوأم هابيل لنودا إلى قابيل، وكان قابيل يميل إلى توأمه، وبذلك عادى هابيل فقتله، وهو الذي أرسى أساس الظلم والعدوان، وحزن آدم على فراقه حتى وهبه الحق تعالى شيث، فوجد العزاء به.

ولما بلغ آدم تسعمائة وثلاثين عاماً توفي ولحق بالرفيق الأعلى، وعاشت حواء بعده عاماً واحداً وقيل سبعة أعوام، ودفن كلاهما في أرض الهند، ويقال: في جبل بوقبيس،

ويقال: فى النجف، ويقال: إنه فى أثناء الطوفان حمل نوح (عليه السلام) رفاتهما معه ودفنه بعد ذلك فى أرض بيت المقدس.

شيث بن آدم (عليه السلام) :

كان ابناً لآدم، ويقال: إنه كان ابن ابن آدم وأبوه يسمى صلحا، والأصح أنه ابن آدم^(٨)، ولما بلغ آدم (عليه السلام) مائة وثلاثين عاماً ولد شيث، وعلى حد قول النصارى، كان آدم يبلغ فى هذا الوقت من العمر مائتين وثلاثين عاماً، أما اليهود فيقولون: مائة وثلاثين، وتتفق الآراء على أنه عاش تسعمائة وثلاثين عاماً، وفى آخر أيامه أوصى بولاية العهد إلى شيث، وبنى شيث الكعبة بالحجر والطين فى ذلك المكان الذى سبق لآدم أن أقام فيه الكعبة، وسلمه البارئ تعالى خلعة الرسالة، ونزلت عليه خمسون صحيفة فى مدة أربعين سنة، ودعا الخلق لعبادة الله تعالى مدة مائتين وثمانين عاماً ولما بلغ شيث مائة عام وخمسة، ولد أنوش، وعند النصارى أنه ولد له وهو فى الخامسة والستين بعد المائتين، وعند اليهود أنه كان فى الخامسة والستين بعد المائة^(٩)، وبعد ذلك ولد له أولاد كثيرون، وعاش بعد آدم مائة واثنى عشرة سنة، والإجماع على أنه توفى عندما بلغ تسعمائة عام واثنى عشرة، ودفنوه بجوار أبيه.

أنوش بن شيث (عليه السلام) :

كان ولياً لعهد أبيه وهو أول من غرس النخيل، ولما بلغ التسعين ولد له قينان، ويرى النصارى أن عمره كان مائة وتسعين، وعند اليهود وهو فى التسعين، وفى أوائل هذه الأعوام بدأ بعض الناس فى الكفر وعبادة الأصنام، وفى أواسطها ظهرت الحرف، وكان له أبناء كثيرون، وعاش تسعمائة وخمسة وعشرين عاماً، ويتفق اليهود والنصارى على أنه عاش تسعمائة وخمسة وستين عاماً.

قينان بن أنوش :

كان ولياً لعهد أبيه وأصبح خليفته بناء على وصيته، ولما بلغ السبعين ولد له مهلائيل، وكان له أبناء آخرون، ومدة عمره تسعمائة عام وعشرة، وعند اليهود والنصارى أنه عاش ثمانمائة وخمسة وستين عاماً.

مهلائيل بن قينان :

خلف أباه، وفي زمانه كثر بنو آدم، وفرقهم في أرجاء الأرض، وقدم بنفسه مع أولاد شيث إلى أرض الروم، وبنى مدينة سوس وبابل، ولم تبن مدن قبل هذا، ولما بلغ الخامسة والستين ولد له يرد، وكان عمره بإجماع الآراء ثمانمائة وخمسة وتسعين عاماً.

يرد بن مهلائيل :

خلف أباه، وكان له أبناء كثيرون، ولما بلغ من العمر مائة واثنين وستين عاماً ولد له أخنوخ، وكان عمره بإجماع الآراء تسعمائة واثنين وستين عاماً.

أخنوخ بن يرد :

يقال: إنه هو إدريس (عليه السلام) ولما كانوا قد صنعوا الأصنام في عهد يرد واشتغلوا بعبادتها، أرسل الحق تعالى الوحي إلى إدريس حتى يدعوهم ليكفوا عن عبادة الأصنام، وكان نبياً سريانياً، يسمونه المثلث بالنعمة بسبب أنه النبی الثالث والحكيم الثالث والملك الثالث، وهو الذي استن سنة الجهاد والسبي؛ لأنه حارب القابليين وأسر أبناءهم، وهو الذي استنبط الخياطة والخط وعلم النجوم، ونزلت عليه ثلاثون صحيفة،

وفى زعم اليونانيين أن هرمس كان حكيمة، ويقال: إنه من أبناء هابيل وكان بينه وبين عهد نوح أربعمئة وأربعة وثلاثون عاماً، والأصح ثبوت مقامه فى صعيد مصر الأعلى، وهو الذى بنى الأهرام وأنذر الناس بالطوفان، ولما بلغ الخامسة والستين ولد له متوشلخ، ولم يشهد أحد وفاته، وحمله الله تعالى إلى الجنة عندما كان عمره ثلاثمئة وخمسة وستين عاماً، وفى قول اليهود والنصارى: ثلاثمئة عام.

متوشلخ بن أخنوخ :

كان له أبناء كثيرون، ولما بلغ من العمر مائة وسبعة وثمانين ولد له لامك، ويقال: بعد تسعمئة عام، وكان عمره أطول من الجميع، ومدة عمره تسعمئة وتسعة وستون عاماً، ويقال: ألف وتسعون عاماً، وعند اليهود والنصارى تسعمئة واثنان وستون عاماً.

لامك بن متوشلخ :

كان رجلاً موحداً وبواسطته كَفَّ الكثير من الناس عن عبادة الأصنام، ومن جملة أبنائه الصابى، وتتنسب إليه الجماعة التى تعرف بالصابئة^(١٠) ولذهبهم شهرة واسعة. ولما بلغ لامك من العمر مائة واثنين وثمانين سنة، ولد له نوح. وتوفى لامك قبل أبيه وكان عمره سبعمئة وسبعة وسبعين عاماً، وعند اليهود والنصارى سبعمئة وثلاثة وسبعين عاماً.

نوح بن لامك :

قالوا: إنه من أبناء هابيل، والأصح المثبت هنا أن ابن عباس (رضى الله عنهما) يقول: لما بلغ نوح أربعمئة وثمانين عاماً من العمر نزل عليه الوحى، وكانت دعوته مائة وعشرين عاماً فأمّن ثمانون شخصاً، فأرسل الله تعالى الطوفان: فركب نوح مع هؤلاء

الثمانين في السفينة ونجوا، وعاش نوح بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين عاماً أخرى^(١١).

وذكر الواقدي^(١٢) في كتابه: أن بين آدم ونوح عشرة قرون، وكل قرن مائة عام، وذكر أبو الفتح ناصر بن محمد الحصيني في جامع المعارف أن عمر آدم كان تسعمائة وثلاثين عاماً وبينه وبين الطوفان ألفان ومائتان واثنان وأربعون عاماً ومن الطوفان حتى وفاة نوح ثلاثمائة وخمسون عاماً، ومن نوح إلى إبراهيم ألفان ومائتان وست وأربعون سنة^(١٣)، ومن إبراهيم لموسى سبعمائة عام، ومن موسى لداود خمسمائة عام، ومن داود لعيسى ألف ومائة عام، ومن عيسى إلى محمد (ﷺ) على حد قول الحصيني وعشرون عاماً، ومن بدء عهد آدم حتى زمان محمد (ﷺ) على حد قول الحصيني ثمانية آلاف وستمائة وثمانية وثمانون عاماً.

وجاء في تاريخ اليهود، أن من آدم حتى نوح ألفاً وخمسمائة عام، ومن نوح حتى إبراهيم ثمانمائة وأربعة وتسعين عاماً، ومن إبراهيم حتى موسى خمسمائة عام، ومن موسى حتى سليمان أربعمائة وثمانين عاماً، ومن سليمان حتى الإسكندر خمسمائة وأربعة وعشرين عاماً، ومن الإسكندر إلى يومنا هذا الذي يوافق عام سبعمائة وسبع عشرة من الهجرة ألفاً وستمائة وثمانية وعشرين عاماً، وعلى قول اليهود: يكون من آدم إلى يومنا هذا خمسة آلاف وسبعة وسبعون عاماً.

وذكر أبو الحسن علي بن الحسين بن عبد الله المسعودي^(١٤) في كتابه: أن من هبوط آدم حتى عصر مولد المصطفى (ﷺ) ستة آلاف ومائة وخمسة وأربعين عاماً، ومن هبوط آدم حتى الطوفان ألفين ومائتين وستة وخمسين عاماً، ومن الطوفان حتى مولد إبراهيم ألفاً وتسعة وسبعين عاماً، ومن مولد إبراهيم حتى وقت خروج بني إسرائيل من التيه كان موسى في الثمانين من عمره، ومن خروج بني إسرائيل حتى السنة الرابعة من ملك داود (ﷺ) ستمائة وستة وثلاثين عاماً، وهو الذي بني بيت المقدس^(١٥)، ومن بداية بناء بيت المقدس حتى مولد الإسكندر سبعمائة وتسعة عشر عاماً، ومن مولد الإسكندر حتى مولد المسيح (ﷺ) ثلاثمائة وتسعة وستين عاماً،

ومن مولد المسيح حتى زمان ولادة المصطفى (ﷺ) خمسمائة وواحداً وعشرين عاماً، ومن وقت ارتفاع المسيح حتى وفاة المصطفى (ﷺ) خمسمائة وأربعة وتسعين عاماً، ومن مبعث المسيح حتى هجرة رسول الله (ﷺ) خمسمائة وستة وأربعين عاماً، وكانت وفاة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) فى سنة تسعمائة وخمسة وثلاثين بالتقويم الإسكندري، ومن داود حتى محمد رسول الله ألفاً وعامين وستة أشهر وعشرة أيام، ومن موسى حتى محمد (ﷺ) ألفين وثمانية وثمانين عاماً وستة أشهر وعشرة أيام، ومن إبراهيم حتى محمد المصطفى ألفين وسبعمائة وثمانية وعشرين عاماً وستة أشهر وعشرة أيام، ومن نوح حتى محمد (عليهما السلام) ثلاثة آلاف وسبعمائة وإحدى وعشرين عاماً وستة أشهر وعشرة أيام، وبعد هذا القول من رواية المسعودى عن هبوط آدم حتى مبعث محمد (ﷺ) ستة آلاف ومائة عام واثنان وستة أشهر وعشرة أيام.

وجاء فى ديوان النسب أنه كان لنوح أربعة أبناء هم: سام وحام ويافث وياهم، ويقال: إن له ولداً آخرأ اسمه يوناظل، وكان له أربعة أبناء هم: دمس وأذعار ومعاس وكايل، ومنهم كانت أمم كثيرة؛ منها أهل الصين والماجين، وياهم هو من جاء فى شأنه ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾^(١٦)، وهلك فى الطوفان، وكان لحام عشرة أولاد هم: كوش وقوط وكنعان وزنج وزعادة وهند وسند ومصررايم وسقحشا ونوبا، وكان حام أسوداً، وسبب سواد وجهه أنه كان قد ارتكب حماقة مع أبيه فقد رأى عورته بفتة، فلا جرم أن اسود وجهه، ويقال: إن سام و يافث أبعداه فى ذلك الوقت، ومن هنا فإن الأتراك من نسلهما أعزة، والسود فى الجملة أذلة، ويختنصر ونمرود من نسل كوش. يختنصر بن نيزورادان ابن سناريب بن زنج بن بالغ بن مسلم كوش، والنمرود بن كوش.

وقال أبو محمد عبد الله بن مسلم القتيبى^(١٧): أن النمرود بن ماش بن إرم بن سام، و الأقباط من نسل قبط بن مضر بن قوط بن حام، و تمناع بنت شومال أم عمليق بن لاود بن حام، وإمليفانا بنت عنا وهى زوجة عيص بن إسحاق من نسل الكنعانيين، وهو الذى أظهر البغل فى الدنيا، وكان ليافث ثلاثة وعشرون ابناً، و جومر كيومرث هو الذى عمر ولاية التركستان، وعمر ماغوغ مدينة همدان ومهمات، وعمر جوان مدينة

باتونيه وهي من بلاد اليونان، وعمر ثوبان الصين، وعمر خراسان ولاية خراسان،
وتيراس ولاية فارس، وخوار وسوسل وقارح ويانل وأدنه وداران وعامور وبرحام
ومصصه ينسب إليهم بحر الخزر وكيلان وقبرس ومردى وكماسخ وكمادى وطيلسان،
وكان لكمادى ابن اسمه كرد وهو والد الأكراد، وتالش من نسل الطلاسنة والأتراك
والصقالبة، ومأجوج ويأجوج من نسل جومر وماغوغ، ويقولون: إن نوحاً أعطى حام
بلاد السود، وبلاد السمر إلى سام، وبلاد الشقر إلى يافث، وكان عمر نوح تسعمائة
وخمسين عاماً.

الطبقة الثانية

من سام بن نوح حتى إبراهيم الخليل (صلوات الرحمن عليه) وهم عشرة أشخاص، ومدة أعمارهم ألف عام وأربعمائة وثمانية وسبعون، وقيل: ألف ومائتان وستة وأربعون عاماً، ويقال: ألف وتسعمائة وستة وتسعون عاماً، وكان لسام بن نوح خمسة أبناء، هم: أرفخشذ، إرم، لاود، غيلام، أشود، وعمر غيلام خورستان، وكان لأشود مدينة نينوا ورحبه و المدائن، كما كانت بلاد الأرمن لإرم، وجاء في ديوان النسب أنه كان لإرم خمسة عشر ابناً هم: عييل، طسم، جديس، عمليق، جره، بارجاسم، صحرار اميماً، ثمود، عاد، عنبرحول^(١٨)، عوص^(١٩) ومنه عاد الذي ولد له شداد، وموش داد بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح (عليه السلام).

وقال أبو على فضل بن الحسين الطبرسي^(٢٠) في تفسير مجمع البيان في علوم القرآن: إنهم اختلفوا في إرم، يقال: إنها اسم قبيلة، وقال أبو عبيد: إن عاداً رجلاً؛ فعاد الأول إرم، وهو الذي قال فيه الحق تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾^(٢١) ويقولون: إنه جد عاد وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وهذا نقلاً عن محمد بن إسحاق، وقيل: هو سام بن نوح نسب عاد إليه وهذا عن الكلبي، ويقال: إنها اسم مدينة وهي الآن دمشق وهذا عن سعيد بن المسيب وعكرمة، ويقول محمد بن كعب: إنها مدينة الإسكندرية، ويقال إنها مدينة بناها شداد بن عاد، ويقول الجبائي: إنها لقب عاد.

حكاية إرم ذات العماد : قال وهب بن منبه: إنه في عهد معاوية، خرج عبد الله بن قلابة من اليمن يطلب جمالاً في صحراء عدن فنزل وادياً، فوصل فجأة إلى مدينة ذات أسوار عظيمة داخلها كثير من القصور، ويرتفع على كل قصر علم، ولم ير أحداً، وقال: أدخل المدينة، فدخلها وترجل من على جملة واستل سيفه من غمده، فرأى حصناً له

بابان عظيمان: مرصعان بالياقوت الأبيض والأحمر، فتملكته الحيرة، ولما سار فيها رأى قصوراً متقابلة من الذهب والفضة مرصعة باللآلئ والياقوت، وقد انتشرت على بساطها كرات من المسك والزعفران واللآلئ، وأشجار مثمرة ومياه جارية فى جداول من فضة ولا وجود لأحد قط، فقال: قسماً بالله الذى بعث محمداً بالحق إلى الخلق أن الله عز وجل لم يخلق فى الدنيا مثل هذا، إن هذا من الجنة التى وصفها القرآن، ثم حمل ما استطاع حمله من اللآلئ والمسك والزعفران، وقدم اليمن وأطلع الناس عليها وصار عظيم الثراء.

ولما بلغ هذا الخبر معاوية طلبه، فقدم وقص عليه القصة، فأحضر معاوية كعب الأحبار وقال: يا أبا إسحاق هل فى الدنيا مدينة من ذهب وفضة؟ قال: نعم أنا أخبرك عنها وعمن بناها، شيدها شداد بن عاد، وهى المدينة التى وصفها الله تعالى فى القرآن بقوله: ﴿إِرمَ ذاتِ العمادِ الّتى لمْ يَخْلُقْ مِثْلُها فى البلادِ﴾^(٢٢) قال معاوية: أخبرنى عنها، قال: اعلم إنهم عاد الأولى وليسوا عاداً قوم هود، وكلا القومين من أبناء هود أبناء عاد الأولى، وبقي له ولدان هما شداد وشديد، فهلك شديد واستأثر شداد بالملك على جميع الأرض، وتغلب على نفسه التكبر والتجبر بأن يصنع جنة فى الدنيا^(٢٣)، فأمر مائة بطل لبناء هذه المدينة مع كل منهم ألف أراعون^(٢٤)، وكتب إلى كل ملك من ملوك زمانه لى يجمعوا من أجل ذلك كل جوهر فى بلادهم، وقام هؤلاء المهندسون والأساتذة ببناء هذه المدينة، ولما فرغوا من بنائها بعد مدة، أقاموا حولها سوراً عظيماً يضم ألف قصر.

ثم توجه شداد مع الوزراء وأركان الدولة وأعيان حاشيته وجيشه العظيم إليها، ولما اقتربوا منها أرسل الحق سبحانه وتعالى عليهم صيحة من السماء؛ فهلكوا جميعاً بحيث لم يبقَ منهم أحدٌ، وفى زمانك ذهب مسلم أحمر أشقر قصير ذو خال على حاجبه، وآخر على رقبتة يطلب شيئاً فى تلك الصحراء، وكان ذلك الشخص جالساً أمام معاوية، وعندما نظر إليه كعب الأحبار قال: ليس سوى هذا الرجل.

وفراغة مصر من أبناء لاودند الذى كان فرعوناً فى عهد إبراهيم (عليه السلام)، وهو سنان بن علوان بن عبيد بن عولج بن يلعم بن إشليخا بن لاود بن سام،

وفرعون يوسف (عليه السلام) هو ريان بن الوليد بن هرواخ بن أراشة بن فاران بن عمرو بن يلمع بن إشليخا بن لاود، وفرعون موسى (عليه السلام) هو وليد بن مصعب بن معاوية بن أبي شمر بن هلوان بن ليث بن فاران بن عمرو بن يلمع بن إشليخا بن لاود بن سام. وجاء في جامع المعارف للحصيني أنه من نسل آدم بن سام وهو وليد بن مصعب بن ريان عزيز مصر الوليد بن ريان بن عاد بن إرم بن سام الذي امتلأ وسط العالم من أبنائه ومدة عمره مائتا عام، وفي قول اليهود: إنه لما بلغ سام مائة عام ولد له أرفخشذ وذلك بعد الطوفان بعامين، وكان عمره ستمائة عام، ولأرفخشذ بن سام ولدان هما: شالح و قينان، واخترع علم الفلك بعد الطوفان، وصنع له أولاده من بعده تمثالاً لوجهه من الذهب، كانوا يسجدون له، وهو الذي بنى مدينة حران، وكانت مدة عمره أربعمائة وخمسة وستين عاماً، وفي قول اليهود: إنه لما بلغ أرفخشذ الخامسة والثلاثين ولد شولح، ومدة عمره أربعمائة وثمانية وثلاثون عاماً، ويسمون شالح بن أرفخشذ في العبرية شولح، ولما بلغ الثلاثين ولد له عابر، ومدة عمره أربعمائة وثمانية وثلاثون، وفي قول اليهود: أربعمائة وثلاثة وثلاثون عاماً.

عابر بن شالح :

هو النبي هود (عليه السلام) واسمه في العبرية عبور، والعبري مشتق من عابر، وكانت لغة الناس قبله هي السريانية، وبعد ذلك انقسمت إلى ثلاث لغات أفصحها الأرمنية التي كانت لغة الرها والشام والخارجة وحران، والفلسطينية التي كانت لغة دمشق وجبل لبنان، و الكلدانية التي كانت لغة الجبال وسواد العراق.

وذكر أبو الفتح الحصيني في جامع المعارف: أن هوداً من أبناء عاد، وهو هود بن عبد الله بن رياح بن خلود بن عاد، وكان عمره أربعمائة وأربعاً وستين سنة، ثم بعث صالح وهو صالح بن عبيد بن عاد إلى قوم ثمود، وكان بين هود وصالح من المدة خمسماية عام، وكان عمره مائتين وثمانين سنة ودفن بمكة.

وذكر فى تاريخ النصارى والإفرنج أن هوداً بن شالح وعمره ثلاثمائة وأربعون عاماً، وجاء فى تاريخ اليهود أنه عندما بلغ عابر الرابعة والثلاثين ولد فالغ، ومدة عمره أربعمائة وأربعة وستون عاماً.

وجاء فى ديوان النسب، أنه كان لهود بن شالح ولدان هما: قحطان وفالغ، فعمر قحطان بلاد اليمن، وكان له ولد يسمى يعرب، وهو أول شخص تحدث باللغة العربية، ونزل فى اليمن ويسمونه أبا اليمن، وكان ليعرب ابن يسمى يشجب ولد ابنأ يسمى سبأ ونشأ العرب من سبأ لأنه أول شخص سبى من العرب، ولذلك سموه سبأ، وكان له ثلاثة أولاد كهلان و مر و حمير، وكانوا يقولون لحمير عز لحج أيضاً، وحاطب بن سعد رهطه نو الكلاع و بنو حيوان رهط شعبى و هوزن من أبنائه، وحكم العرب من نسله خمسة وعشرين ملكاً على النحو التالى: أولهم الحارث وهو الحارث بن شداد بن ملطاط بن عمرو بن قيس بن معاوية بن حشم بن عبد شمس بن موايل بن غوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن هميسع بن حمير، وهذا الحارث تبع للأول ولقبه الرايش، وتفسير رايش بالفارسية العطاء وكان كريماً، وكان لقمان الحكيم فى زمانه، ويقولون: إنه كان للقمان من العمر ألفان وأربعمائة وخمسون عاماً.

وكان للحارث ابن يسمى أبرهة، وصار من بعده ملكاً، ولقبوه بذى المنار؛ لأنه مضى لحرب المغرب، وشيد المنائر فى الطريق حتى لا يضل فى العودة، وهو الذى مهد الطريق من المغرب إلى اليمن، وكان له ولد يسمى أفريقيس وصار من بعده ملكاً وعمر أفريقيا حتى حدود المغرب، وكان له ولد يسمى العيد وخلفه فى الملك ولقب بذى الأذعار، والأذعر فى الفارسية (ترس) أى الخوف، وهو الذى جاء بالنسناس إلى بلاد اليمن، وكان الناس يخشونه ولذلك السبب لقبوه بهذا الاسم، ثم وصل الملك من بعده إلى هدهاد، ومن بعده إلى بلقيس زوجة سليمان النبى (عليه السلام)، وكانت بلقيس بنت هدهاد بن شرحبيل بن أبرهة بن الحارث، ولما أقامت بلقيس ملك اليمن واتصلت بسليمان أصبح الملك لعمها باشر ينعم الذى كان كريماً، وبعده وصل الملك إلى أبى كرت شمر بن عبيد بن أفريقيس بن أبرهة بن الحارث، وكان يلقب بذى القرنين، وهو الذى أحضر جيش العرب إلى العراق.

وجاء فى كتاب حمير، أنه هو الذى قتل كشتاسب وهو تبع الثانى، ويعدده أفضى الملك لابنه أقرن ويعدده لابنه ذى الجيشان ويعدده لأخيه كرب ومنه إلى ابنه أسعد ومن بعده إلى أخيه حسان ومنه إلى أخيه عمرو، ويعدده وصل الملك إلى عبد كلال وهو ابن عمر بن زهران أخو ملطاط الذى كان جد الحارث، ومنه لابنه مرثد ومنه لابنه وليعة ومنه إلى ذى جدن بن حجر بن ربيعة بن مرة بن حارث بن عوف بن زهران جد عبد كلال، ومنه إلى أبرهة الصباح أخو عبد كلال ومنه إلى صهبان بن محرث عم أخ أبرهة، ومنه إلى ابنه الصباح ومنه إلى حان بن عمرو بن أقرن، ومنه إلى تبع الأصغر الذى قدم يثرب وأصبح يهودياً، وأساء إلى سمعته، وأصبح ابن أخته عمر بن عمرو بن حجر ملكاً لعدن، وأمرؤ القيس الشاعر بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر، ومنه وصل إلى عريب، وكان ملكاً عظيماً وتهود، واستولت الحبشة على ملكه وأغرق نفسه فى البحر، وبقي ملك اليمن فى يد الحبشة حتى عصر سيف ذى يزن، وانتقل الملك إلى أربعة ملوك كان آخرهم مسروق بن أبرهة الذى نزلت سورة الفيل فى شأن أبيه، وقتل بيد معدى كرب بن سيف يزن، وهو سيف بن ذى يزن بن أسلم بن أسلم بن زيد بن عوث بن سعد بن عوث بن عدى بن مالك بن زيد بن سدو بن زرعة بن صيفى بن قيس بن معاوية بن سبأ الأصغر بن كعب بن ذى الكلال زيد بن سهل بن عمر بن قيس بن معاوية بن حشم بن عبد شمس بن وائل بن عوث بن قطب بن عريب بن زهير بن أيمن بن هميسع بن حمير، ومدة ملكهم ألف وسبعمائة عام.

حكاية : لما رأى سيف أن الحبشة استولت على بلاد اليمن، مضى لخدمة قيصر الروم، وطلب منه العون، ولأن الحبشة لم تكن على دين القيصر فلم يمدّه بجيش، وأمر بإعطائه عشرين ألف دينار من الذهب، فغضب سيف ونثر هذا الذهب على بابيه وعاد، ومضى إلى حضرة أنوشيروان ويكى وتذلل، فقبل أنوشيروان أن يمدّه بالعون، وتوفى سيف فى قريب من هذا الوقت، وقدم ابنه معدى كرب إلى أنوشيروان الذى أمر بإخراج السجناء من سجنهم وقدم لهم المؤن وأرسلهم معه، وركبوا معه فى السفينة ومضوا إلى ساحل عدن، وكان قائدهم وهرز، وقاتلوا الحبشة بالقرب من عدن وقتل مسروق، واستولوا على اليمن، وأصبح معدى كرب ملكاً.

وخرج للصيد ذات يوم أثناء ملكه، فانتهزت الحبيشة الفرصة وقتلوه، وكان انقراض ملك بنى حمير على يديه، ومنه انتقل إلى الفرس، وكان أول ملك لهم وهرز الذى كان يلقب بخره داد وهو ابن واريهان بن نرسى بن جاما سف بن فيروز الملك، وبعده ملك نوشجان، وبعده لداودويه قاتل الأسود العنسى الذى ادعى النبوة فى عهد المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، وبعده إلى فيروز الديلمى، وبعده انتقل ملك اليمن من الفرس إلى نواب المصطفى (عليه الصلاة والسلام).

وحكم فى العرب واحد وخمسون من بنى كهلان وذلك من ثلاث قبائل هم: بنو غسان وبنو لحم وبنو دوس، وكان من بنى غسان ماء السماء الذى كان أولهم، وآخرهم يسمى جبلة الذى أسلم على يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ولأن عمر قد حكم عليه أن يضرب نفسه بسلاحه؛ لأنه كان قد ضرب أعرابياً ففر إلى الروم خائفاً ليدفع هذا عن نفسه.

نسبه : جبلة بن أيهم بن أبى شمر بن حارث بن حجر بن نعمان بن حارث بن أيهم بن حارث بن جبلة بن حارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة بن عمرو بن ماء السماء.

وكان ماء السماء ملكاً كريماً، ولما كان يقع القحط فى أى وقت كان يعطى الناس الكثير من الذهب والطعام، وبذلك لم يكن هناك قحط ولذلك سموه ماء السماء، وكانوا كلهم ملوكاً منه حتى جبلة، وحكم من إخوته وأبناء إخوته من ماء السماء حتى جبلة خمسة وثلاثون ملكاً، وماء السماء بن حارثة المطريق بن امرئ القيس بن مطريق بن ثعلبة بن مازن، وسموا مازن هذا غسان بسبب أنه كان يقيم على حافة ضفة نهر فى اليمن، ولذلك لقبوه بغسان، ويقال لنسله الغسانيون وهو ابن أزد بن غوث بن بنت بن مالك بن زيد بن كهلان، وكانوا يقولون لبنى لحم أولهم امرئ القيس حتى أبى قابوس النعمان الذى قتله كسرى برويز تحت أقدام الفيلة فى المدائن، وحكم من بعده أربعة عشر ملكاً، وكانوا يلقبون أبا قابوس بن المنذر بن ماء السماء باسم أمه، ولقبوه ببنى القرنين، وفى منتصف فترة ملكه عزله أبو يعفر بن علقمة الديلمى بأمر من ملوك العجم وأصبح ملكاً، وبعده كان الملك للحارث وقبله كانت الشهرة لفارس فى زمن أنوشيروان العادل،

وبعده كان الملك للحارث بن عمر بن حجر، وكان هؤلاء الثلاثة من نسل الملوك وظل ملكهم ثلاثين عاماً، ووصل الملك لابن أبي المنذر بناء على أمر ملوك العجم وهو ابن امرئ القيس بن أسود بن المنذر بن النعمان بن امرئ القيس بن صد بن بدو، وحكمت هذه الجماعة مع أربعة أشخاص آخرين من أبنائهم.

نسبه : بدو بن عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سعوف بن مالك بن غنم بن نماره بن لخم، وكان لخم يسمى مالك وهو من قبيلة كبيرة، وهو ابن عدى بن الحارث بن قرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن غوث بن زيد بن كهلان، وحاتم الطائي من قبيلته، وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن خسر بن امرئ القيس بن عدى بن أحرم بن أبي أحرم مروهة بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن الطائي واسم الطي جديلة لأنه أول من طوى المنازل، وهو ابن أدد بن يشجب بن غوث بن زيد بن كهلان، وكان له ولد هو عدى بن حاتم الصحابي (رضى الله عنه).

وكان من بنى دوس ملكان: مالك بن فهم أول ملوك الحيرة، وكان له ابن في العراق العربى يدعى جذيمة الأبرش، وأصبح ملكاً بعد أبيه، وكان عظيماً متكبراً لدرجة أنه لم يشرب مع أحد قط، وكان يقول: لا ينبغي أن يكون لى نديم سوى الكواكب ولهذا لقبوه بنديم الفرقدين، وقتل على يد زبا التى كانت امرأة يرجع نسبها إلى جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس، وأبوهريرة الصحابي من نسل دوس.

وذكر الحافظ أبو موسى بن محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى المدنى الأصفهاني فى كتاب التتمة: أنهم اختلفوا كثيراً فى اسم أبى هريرة وأبيه، يقول الواقدي: إن اسمه عبدالله بن عمر، وجاء فى كتاب المدخل الحاكم للأبى عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد البيع النيسابورى، أبو هريرة عبدالرحمن ويقال عبد شمس ويقال عمير بن عامر الدوسى، والدوس هو ابن عدنان بن عبدالله بن زهران من الأزد، وأمه أميمة بنت هفث بن الحرث النوسية.

والتحق أبوهريرة فى سنة سبع بخدمة المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، وقدم خيبر وأمن، وكانت وفاته فى صيفين عام تسعة، ويقال: سنة ثمان، ويقال فى سنة سبع

وخمسين، وجاءوا به إلى المدينة ودفنوه، وكان في الثامنة والسبعين من عمره، وروى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً.

ودوس بن عدنان بن عبدالله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن أدد بن غوث بن مالك بن زيد بن كهلان، ومدة ملكهم خمسمائة وخمس وسبعون سنة.

فالغ بن غابر : كان له أربعة أبناء هم: أرغو و فينان و شيرى و مدبر، وفي زمانه قسم أبناء نوح الأرض مرة أخرى، وآل وسط المعمورة لأبناء سام وهى فلسطين والشام والحجاز وسامراء ولأبناء حام جنوب أفريقية وهى زنج ومصر والنوبة والبربر والحبشة والهند والسند، ولأبناء يافث شمال الأندلس والفرجة وبلاد اليونان وصقلية وبلغاريا والتركستان، ولما كان عمر فالغ ثلاثين عاماً ولد له أرغو، ومدة عمره مائتان وتسعة وثلاثون عاماً.

أرغو بن فالغ : كان له خمسة أبناء: ساروغ ويسمونه بالعبرية سرور، و نعمان وبهران وطاشم و طولان، ويسمون أبناء هؤلاء الإخوة الأربعة الجبابرة، وفي عصر أرغو كان غرود بن كوش بن حام ملكاً فى بابل، وبنى صرحاً عظيماً، فاقطلعه ريح عاصف من أصله وخربته ومات غرود، وكان له ولد يسمى نينوس، وشيد له مدينة باسمه على حافة نهر الموصل وهى خربة، وكان قد بلغ من العمر ثلاثمائة وتسعة أعوام، ويسمونه فى العبرية رغو، وجاء فى تاريخ اليهود أنه لما بلغ أرغو من العمر اثنتين وثلاثين سنة، ولد له سرور، ومدة عمره مائتان واثنان وثلاثون سنة^(٢٥).

ساروغ بن أرغو: تم سك الدرهم والدينار فى عصره، وفى هذا الزمان تولى فرعون بن سالس وهو من فراغة مصر الحكم، ومدة عمر ساروغ ثلاثمائة وثلاثون عاماً، ويقول اليهود: لما بلغ سرور سن الثلاثين ولد له ناخور، وكانت مدة عمره مائتين وثلاثين عاماً، وكان لناخور بن ساروغ ابن يسمى تارخ وهو أذر، ويسمونه فى العبرية تورخ، وكانت مدة عمر ناخور واحداً ومائتى عام، ويقول اليهود: لما بلغ ناخور تسعة وعشرين عاماً ولد له تارخ، ومدة عمر ناخور مائة وثمانية وثلاثون عاماً.

تارخ بن ناخور : كان له ثلاثة أبناء: إبراهيم و ناخور و هارون، وكان لوط (عليه السلام) بن هارون، وأيوب (عليه السلام) من أبناء عوض بن ناخور. وجاء فى كتاب مجمع البيان فى علوم القرآن لأبى على الطبرسى أن أيوب بن عوض بن رارخ بن روم بن عيصا بن إسحاق بن إبراهيم (عليه السلام)، ومدة عمره مائة وستة وأربعون عاماً، ويقولون: إن ابنة يعقوب (عليه السلام) إليا التى تسمى بالعبرية دينا كانت حرمه، ولافان النبى (عليه السلام) وأخته روبا كان اسم أم يعقوب (عليه السلام)، وابنتاه ليثا ورحيل أم يوسف (عليه السلام)، وكلتاهما حرم يعقوب (عليه السلام) بن بثوابل بن ناخور، وفى عهد تارخ ملك فلسطين بنى مورقوس مدينة دمشق، وكانت مدة عمر تارخ مائتين وخمسة أعوام، وتوفى فى مدينة حران. وجاء فى تاريخ اليهود أنه عندما بلغ تارخ السبعين ولد له إبراهيم (عليه السلام)، ومدة عمر تارخ مائتان وخمسة أعوام.

إبراهيم (عليه السلام) بن تارخ كان له ثمانية أبناء: إسماعيل وإسحاق وشوح ويشباق ومذان ومديان وزمران ويفشان، وكانت صفورا زوجة موسى (عليه السلام) بنت شعيب (عليه السلام) (٢٦) بن يريت بن غيفا بن مديان، وكانا ملكى صيدق وأبو مليخ نبيين معاصرين لإبراهيم الخليل (عليه السلام)، وأرسل الله تعالى إبراهيم إلى غرود بن كوش ليدعوه، وأنزلت عليه عشرون صحيفة، يقول وهب بن منبه: كان الملك على الأرض لمؤمنين وكافرين، المؤمنان هما: سليمان ونو القرنين، والكافران: نمروود وبختنصر.

وكان لإبراهيم (عليه السلام) سبعة عشر عاماً حينما طرحه نمروود فى النار، ولما ماتت سارة بنت هارون أم إسحاق، تزوج قطور بنت يقطر، وأنجب منها ستة أبناء آخرين، وكان أول أبناء إبراهيم: إسماعيل وأمه هاجر القبطية جارية سارة التى وهبتها لإبراهيم، وكان إسماعيل يكبر إسحاق بثلاثة عشر عاماً، ويقال: إنه بعد ولادة إسحاق عاش إبراهيم عشرين سنة أخرى، وقالوا: خمسة وسبعين عاماً، ويقولون: إن يعقوب ولد فى حياته، وعاش مائة وسبعة وأربعين عاماً، ولما مضى يوسف إلى مصر كان يبلغ من العمر مائة وثلاثين عاماً، وكان يعقوب وعيسى توأمين وماتا فى يوم واحد، ودفنا فى قبر معاً فى بيت المقدس، وعاش يوسف بعد يعقوب أربعة وخمسين عاماً، وجاء فى مجمع

البيان لأبى على الطبرسى أنه عاش بعد أبيه ثلاثة وعشرين عاماً، وهو أول أنبياء بنى إسرائيل، ويَعده وصلت النبوة إلى روبيل بن سهودا . وكان عمر يوسف مائة وعشرة أعوام.

وكانت وفاة إبراهيم فى صلاة العصر فى يوم الخميس الثانى من شهر المحرم، وطال مرضه خمسة وعشرين يوماً، وجعل إسحاق خليفة فى الشام وإسماعيل فى الحجاز، وعاش إسماعيل بعده أربعين عاماً، وعمره مائة وسبعة وثلاثون عاماً، وعاش إسحاق اثنتين وخمسين سنة وكان عمره تسعة وثمانين عاماً، ويقال: إن عمر إبراهيم مائتا عام، وجاء فى جامع المعارف أنه عاش مائة وخمسة وسبعين عاماً وهذا يوافق تاريخ اليهود والنصارى.

ومن عهد إبراهيم إلى يومنا هذا أى شهور سنة سبعمائة وسبع عشرة من الهجرة يبلغ ثلاثة آلاف وستمائة وسبعة وثلاثين عاماً ويقال: ثلاثة آلاف وثمانمائة وتسعة عشر عاماً، ويقرر أبو الحسن على بن عبدالله المسعودى أنه ثلاثة آلاف وأربعمائة وسبعة وتسعون، ويقول اليهود: ثلاثة آلاف ومائة وثلاثة وثلاثون عاماً^(٢٧).

فصل

فى بيان التواريخ وأصنافها التى جعلها المنجمون أساساً للرصد والزيج وغيرها

أفضلها وأهمها تاريخ الطوفان الذى كان فى أول يوم الجمعة، وهذا يوافق إلى يومنا هذا أى شهور سنة ٧١٧ من الهجرة على قول المسعودى أربعة آلاف وستمئة وتسعة وخمسين عاماً.

والآخر: هو تاريخ بختنصر الأول البابلى الذى حدد من زمن تربيعة على العرش، وكان ذلك فى يوم الأربعاء، وحدد تاريخه بطليموس على أصول أوساط حركات الكواكب فى كتابه المجسطى، واستعمل القبط فى بداية أمرهم هذا التاريخ.

والآخر: تاريخ الإسكندر المقدونى المعروف بيلس وقد حسب هذا التاريخ من وقت وفاته وكان ذلك فى يوم الأحد، ووضع ثاون الإسكندرائى أصول أوساط وحركات النجوم فى زيجته المسمى بالقانون بناء على هذا التاريخ، ووضع بطليموس فى المجسطى أصول بعض أرصاده فى أول هذا التاريخ.

وتاريخ آخر هو تاريخ الإسكندر ذى القرنين الرومى، ولما بلغ الإسكندر الشام، أمر أحبار بيت المقدس أن يتركوا التاريخ الذى اتخذوه من زمان موسى (عليه السلام) وأن يجعلوه من تاريخه، فقالوا: لقد تبين لنا من الأخبار الصحيحة أنه بنهاية كل ألف عام من هذا التاريخ يجب علينا أن نتركه، وأن نبدأ بالتاريخ اعتباراً من الألف التالى، وفى هذا العام نهاية ألف سنة، وهذا العام هو السابع والعشرون من عمر الإسكندر وهو الذى جعلوه مبدأ التاريخ، وكان ذلك يوم الإثنين ويبلغ إلى يومنا هذا ألفاً وستمئة

وخمسين عاماً، وعند اليهود ألفاً وستمائة وثمانية وعشرين عاماً، ووضع سامى (٢٨) أصول أوساط حركات الكواكب فى زيجه على هذا التاريخ.

والآخر: تاريخ أغسطوس القيصر الذى كان أول القياصرة، وجعلوه اعتباراً من جلوسه على العرش وكان ذلك يوم الأحد، ويبلغ إلى يومنا هذا ألفاً وثلاثمائة وسبعة وثلاثين عاماً.

وتاريخ آخر: هو أنطينس الرومى وهو من ابتداء دولته وكان ذلك يوم الجمعة، وجعل بطليموس مواضع الكواكب الثابتة فى المجسطى فى أول هذا التاريخ.

وتاريخ آخر: هو تاريخ دقطيانوس ملك الروم والقبط فى مصر، وجعلوا هذا التاريخ اعتباراً من بداية دولته وكان ذلك يوم الجمعة، ومن هذا الوقت يستعمله القبط.

وتاريخ آخر: هو تاريخ هجرة الرسول (ﷺ)، وكان ذلك يوم الإثنين الحادى عشر من ربيع الأول، وكان أول هذه السنة يوم الخميس من شهر المحرم كما استخدمه المسلمون، ووضع عبد الرحمن الخازنى (٢٩) أصول حركات الكواكب فى الزيج السنجرى المعتبر على هذا التاريخ.

وتاريخ آخر: هو تاريخ الفرس، وكانت بدايته من عصر جمشيد (٣٠)، ويعدّه نسبوه إلى كل ملك عظيم، ثم نسب أخيراً إلى يزجرد شهريار، وكان ذلك يوم السبت، ويبلغ إلى يومنا هذا ستمائة وخمسة وتسعين عاماً.

وفى زعم الفرس أن أيام العالم ثلاثمائة وستون ألفاً، ومن هنا يأخذ أصحاب أحكام النجوم مبدأ التسييرات والانتهاات والفرودارات (٣١)، ويقولون: حينما اجتمعت الكواكب فى أول نقطة الحمل إلى أول سنة من الطوفان كان قد انتهت مائة وثمانون ألف سنة شمسية، وجاء فى كتاب الثمرة فى شرح كلمة مائة وثلاثة وثمانين: أن الطوفان جاء بعد عام القران بمائتين وست وستين سنة.

وتاريخ آخر: هو تاريخ الخطا وهو مبنى على ثلاثة عصور، كل عصر يتألف من ستين عاماً، ويقيدون هذه العصور بالأعظم والأوسط والأصغر، ويسمون الدور الأعظم بعصر شانك ون، والأوسط بعصر جويك ون، والأصغر بخارن، ومدة كل عصر من

العصور الثلاثة مائة وثمانون عاماً، وكانت بداية عصر شانك ون يوم الثلاثاء الموافق التاسع والعشرين من ربيع الأول سنة اثنتين وستين وسبعمائة، وفى زعمهم أنه قد مضت على بداية عصور العالم حتى أول عصر شانك ون ثمانية آلاف وثمانمائة وثلاثة وستون عاماً، وعلى جويك كان عشرة آلاف، ويتقص من ون^(٢٢) تسعة آلاف وسبعمائة وأربعون عاماً، وكان العام الواحد والأربعون ابتداء عصر شانك ون، ويقولون: إن عصر العالم ثلاثمائة وستون ألف ون.

وتاريخ آخر: هو تاريخ الهنود، ويبنى على أربعة عصور غير متساوية: الأول كريت يوك، والثانى توتيايوك، والثالث دوابريوك، والرابع كله يوك، ومجموع هذه العصور فى زعم اليهود أنه ثلاثة وأربعون لك وعشرون ألف سنة، ومعنى لك مائة ألف سنة، ويكون قد مضى على العصر الأخير حتى العصر الذى نحن فيه أى شهور سنة ٧١٧ هـ، مدة خمسة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وتسعون عاماً.

وتاريخ آخر: وهو التاريخ الملكى، وأوله كان يوم الثلاثاء الموافق الثالث والعشرين من شهر المحرم سنة أربعمائة وسبع عشرة من الهجرة، وهو منسوب إلى السلطان جلال الدين ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقى، وقد وضعوا هذا التقويم بناء على هذا التاريخ.

وتاريخ آخر: هو التاريخ الجديد (الخانى) وبدايته من عهد سلطان الإسلام غازان خان، وكان سبب ذلك أنه قبل هذا الوضع كانت دفاتر قوانين الممالك مرتبطة بالتاريخ الهجرى، ومعينة بالسنوات القمرية، وتتفاوت السنوات القمرية والشمسية فى مدة الثلاثين عاماً سنة واحدة، ولهذا السبب كان يقع خلل عظيم وفساد ظاهر، حيث إن استحقاق الخراج كان مبنياً على السنوات القمرية، والحصول على الخراج مبنياً على السنوات الشمسية، وبذلك فإنه فى كل إحدى وثلاثين سنة قمرية التى هى ثلاثون سنة شمسية، كان العمال يهتمون بالحصول على خراج إحدى وثلاثين سنة بزيادة سنة، ويطالبون بذلك، وكان ذلك ظلماً عظيماً، فوضع خواجه رشيد الدين الوزير هذا التاريخ بأمر غازان خان، وهو بالسنوات الشمسية الطبيعية، وفى كل عام يوم النوروز، وذلك اليوم كان يوم الثلاثاء فى آخر شهور سنة تسع وتسعين وستمائة هجرية.

هوامش القسم الأول

(١) يبدو من أقسام الكتاب أن مؤلفه يتوخى الدقة حتى فيما لا تمس الحاجة إليه كثيراً، مثال ذلك أنه حين يذكر ملوك عهد من العهود يجمع عدد أعوام عمرهم، ونرى أن هذا لا يهم القارئ في شيء، وكان يكفي ذكر عمر الواحد منهم فذلك أكثر دقة وتحديداً، ولكن يلزم نفسه بجمع أعمارهم فإنه لمن الدليل أنه يريد أن يذكر الحقائق كاملة. (الباحث).

(٢) سورة الدهر (الإنسان) : آية ١ .

(٣) سورة الإسراء: آية ١١ .

(٤) سورة البقرة: آية ٣٥ .

(٥) ذكر ابن كثير في تفسيره أن أخبار دخول إبليس الجنة في فم الأفعى لإغواء آدم (عليه السلام) أخبار إسرائيلية وفيها خلاف. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٨١، (بيروت ١٩٨٤م).

(٦) سورة الأعراف : آية ٢١ .

(٧) سورة الأعراف : آية ٢٢ .

(٨) يذكر البناكتي في بعض المواضع أكثر من رواية، إلا إنه يحاول تمييز الصحيح من الخطأ. (الباحث).

(٩) يلاحظ على البناكتي أنه إذا ذكر حقيقة، التفت إلى ما ذكره اليهود والنصارى فيها، فهو يستشهد بأكثر من رأى يعرضه، كما أن ذكره لما يذهب إليه اليهود والنصارى لدليل على أنه على علم بتاريخهما بصفة خاصة، وعلى علم بالاديان بصفة عامة، وهذا يضيف على تاريخه شمولية عظيمة. (الباحث).

(١٠) لقد اختلف فيها، فقال سفيان الثوري: إن الصابئين قوم من المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين، وقال أبو العالية والربيع بن أنس: إنها فرقة من أهل الكتاب يقرأون الزبور، ولهذا قال أبو حنيفة وإسحاق: لا بأس بذنابهم ومناكحتهم، وقال هشيم: إن الصابئين كالمجوس، وقال عبد الرحمن بن مهدي: إن الصابئين قوم يعبدون الملائكة، وقال أبو جعفر الرازي: بلغنى أن الصابئين قوم يعبدون الملائكة ويقرأون الزبور ويصلون للقبلة.

ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ١٠٤، (حلب ١٩٨٠) .

(١١) ذكر القرطبي في تفسيره عن ابن عباس (رضي الله عنه) أن سيدنا نوح (عليه السلام) بعث لأربعين سنة، وابت في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد الفرق ستين سنة، وفي رواية أخرى عنه أنه بعث لمائتين وخمسين سنة، ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد الفرق مائتين وخمسين سنة.

القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، ج ١٢ ، ص ٢٢٢ ، (بيروت ١٤٢٨هـ).

(١٢) هو أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدى ولد بالمدينة سنة ١٢٠ هـ، اهتم بالعلوم الإسلامية بصفة عامة والتاريخ منها بصفة خاصة، يقول عنه كاتبه وتلميذه ابن سعد: كان عالماً بالمغازي والسيرة والفتوح، واختلاف الناس في الحديث والأحكام، توفي في عام ٢٠٧ هـ.

(١٣) يبدو على البناكتي أنه بذل جهداً كبيراً في إيراد هذه الأرقام المتلاحقة، ولكن إذا احتكنا إلى الذوق العلمى (التاريخى) وجدنا أن كثرة ذكر هذه الأرقام المتوالية يبعث في النفس الملل، ومع توخي الدقة في ذكر هذه الأرقام حين يقول: إن اليهود يقولون في كتاب تاريخ اليهود، فإنه لا يعين هذه الكتب، وكان الأولى به أن يعرف بهذه الكتب أو يذكر أسماء مؤلفيها. (الباحث).

(١٤) هو علي بن الحسين بن علي، من ذرية عبد الله بن مسعود، وذلك قيل له المسعودي، نشأ في بغداد وقدم مصر، ورحل في طلب العلم إلى أقصى البلاد، فطاف فارس وكرمان واستقر مدة في إصطخر، وقصد بعد ذلك الهند والمثلتان وسراندب، ومن هناك ركب البحر إلى بلاد الصين، كما طاف بآثريجان والشام وفلسطين، واستقر أخيراً في مصر، ونزل في الفسطاط سنة ٣٤٥ هـ، وتوفي في السنة التالية، واكتسب في أسفاره العلوم على اختلاف مواضيعها، فجمع من الحقائق التاريخية والجغرافية ما لم يسبقه إليه أحد، وألف الكثير من الكتب المفيدة في مواضيع شتى، أهمها في التاريخ، وأشهر مؤلفاته مروج الذهب ومعادن الجوهر وكتاب ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور والتنبيه والأشرف وكتاب التاريخ في أخبار الأمم من العرب والعجم وغيرهم كثير.

جورجى زيدان: تاريخ اللغة العربية، ج٢، ص٢١٢، (القاهرة ١٩٣٩)

ابن النديم: الفهرست، ص٢١٩، بدون تاريخ.

(١٥) لم يبن سيدنا داود (عليه السلام) بيت المقدس لكنه جده.

(١٦) سورة هود: آية ٤٦ .

(١٧) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ولد سنة ٢١٣ هـ في أواخر خلافة المأمون من أسرة فارسية كانت تقطن مرو، أحد العلماء الأدباء، كان إماماً في اللغة والأدب والأخبار، وقد أخلص نفسه وفكره وعقله لدينه ولغته، تتلمذ على يد طائفة من علماء عصره، ألف مجموعة كبيرة من التصانيف أجمعوا على أنها عظيمة القدر جليلة النفع، قال النووي عنها: له مصنفات كثيرة جداً رأيت فهرسها ونسيت عددها، أظنها تزيد على الستين من أنواع العلوم، وقال أبو العلاء المعري: خمسة وستون مصنفًا، أهمها كتاب الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء وكتاب الوزراء وكتاب صناعة الكتابة وكتاب المعارف وكتاب غريب القرآن وكتاب عيون الأخبار وكتاب جامع اللغة، وتوفي سنة ٢٧٦ هـ.

أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري / الإمامة والسياسة، تحقيق الأستاذ على شيرى، ج١، ص٨٠٧، ٩، (بيروت ١٩٩٠).

(١٨) هكذا في الأصل.

(١٩) ذكر الطبري عوضاً أيضاً، ولكن ابن الأثير ذكره عوض.

(٢٠) هو أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى نسبة إلى طبرستان الذي خرج منها من لا يحصى كثرة من أهل العلم والأدب والفقه، توفي سنة ٥٤٨ هـ.

(٢١) سورة النجم: آية ٥٠ .

(٢٢) سورة الفجر: آية ٧ .

(٢٣) يبدو من السطور السالفة الذكر أن أسلوب البناتكي من السهل الممتنع، الذي لا أثر فيه للصناعات اللفظية والبديع، ومعناه في ظاهر لفظه، مما يجعل الاستفادة منه يسيرة. (الباحث).

(٢٤) هكذا في الأصل.

(٢٥) يلحظ على البناتكي أنه يذكر بعض أسماء الأعلام التي يؤرخ لها باللغة العبرية في بعض الأحيان، وهذا دليل على أنه اطلع على كتب استمدت من العبرية، أو نقل من كتب أخذت عن العبرية. (الباحث).

(٢٦) يذكر ابن كثير أن المرأتين اللتين سقى لهما موسى (عليه السلام)، ليستا بنات شعيب النبي (عليه السلام)، لأن شعيب كان قبل زمان موسى (عليه السلام) بمدة طويلة، لأنه قال لقومه: «وما قوم لوط منكم ببعيد» وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل (عليه السلام) بنص القرآن، وقد علم أنه كان بين الخليل وموسى (عليه السلام) مدة طويلة تزيد على الأربعمئة عام. كما ذكره غير واحد، ويقوى هذا الرأي، أنه لو كان إياه لنص على اسمه في القرآن، وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى لم يصح إسناده. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٢٨٥، ٢٨٦ .

(٢٧) يلحظ على البناتكي في هذا الموضع وغيره تحديد التاريخ، فإذا ذكر تاريخاً عن مؤرخ مثلاً، روى عن مؤرخ آخر ليتين ما إذا كان اتفاقاً أم اختلافاً، ونرى أن هذا منه مبالغة في الدقة ورغبة منه في تحري الصحة. (الباحث).

(٢٨) هكذا في الأصل.

(٢٩) عبد الرحمن الخازني، أبو الفتح، حكيم فلكي مهندس، كان غلاماً رومياً لعلی الخازن المروزي، فنسب إليه، حصل علوم الهندسة والمقولات، وصنف ميزان الحكمة والزيج المسمى بالمعتبر السنجرى، نسبة إلى السلطان سنجر، وكان متقشفاً يلبس ثياب الزهاد، بعث إليه السلطان سنجر ألف دينار فأخذ منها عشرة، ورد بقيتها، وقال: يكفيني كل سنة ثلاثة دنانير.

خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ٢٠٥، (بيروت ١٩٨٤).

(٣٠) اسم ملك من البيشدايين يرجع نسبه إلى هوشنك، ويحكى أنه حكم سبعمائة عام، وتقلب عليه الضحاك، وفر جمشيد إلى سجستان، وتزوج ابنة كورنك، وتتسب إليه رسالة تشير إلى أن الإنسان أشرف الموجودات، وهو أول من نظم الجيش واخترع السلاح وبنى القلاع.

د/ محمد معين: فرهنگ فارسی، ج ٥، ص ٤٣٢، (تهران ١٣٦٢ هـ.ش).

(٣١) هكذا في الأصل.

(٣٢) ون معناها عشرة آلاف عام، كما جاء في الكتاب.

القسم الثاني

فى نكر ملوك الفرس والمشاهير من الأنبياء والحكماء
الذين كانوا فى أيامهم بداية من عهد كيومرث إلى آخر أيام
يزجرد بن شهريار الذى كان آخر ملوك العجم.

وهؤلاء أربع طبقات، وعددهم ثمانية وستون شخصاً، ومدة ملكهم ثلاثة آلاف
وستمئة وأربعة وأربعون عاماً وأربعة أشهر وثلاثة أيام.

الطبقة الأولى، البيشدايين: وهم أحد عشر ملكاً، ومدة ملكهم ألفان وأربعمئة
 وخمسة وثمانون عاماً، وعمر كيومرث بن يافث الذى يلقبونه فى العبرية بكومر وبالعربية
جومر التركستان، وكان له ثلاثة أبناء: ترك وريغات وأشكفار، فعمر ترك بلاد الإفرنج
 وريغات جرجان، ويسميه العجم سيامك، كما عمر أشكفار الصقالبة (الروس).

ويجمع أصحاب التواريخ أن أول من ملك وجاء الدنيا بأصول الحكم كان كيومرث،
 ويعدده المجوس آدم، وذكر الغزالي فى كتاب نصائح الملوك^(١) إنه أخو شيث، والأصح
 ما هو مثبت هنا، ويقولون: إنه هو الذى أرسى أساس المدنية، وبنى إصطخر
 وداوند وعاش ألف سنة، وجعل الملك فى حياته لحفيده هوشنج بن سيامك، ومدة ملكه
 أربعون سنة.

هوشنج بن سيامك : كان ملكاً عالماً عادلاً، ألف كتاباً فى الحكمة يسمى الحكمة
 الخالدة^(٢)، وترجمه الحسن بن سهل الكاتب وزير الخليفة المأمون إلى اللغة العربية
 وقال: العلم والعمل قرينان كمقارنة الروح للجسد لاينفع أحدهما إلا بالآخر،
 وقال: الغنى فى القناعة، والسلامة فى العزلة، والحرية فى رفض الشهوة، ويقول العجم:

إنه كان نبياً وهو أول من استخرج الحديد من الصخر، وصنع السلاح، وسلك طريق الزهد والتجرد، وكان مشغولاً على الدوام بالعبادة، وقتلته الشياطين وهو ساجد، فعرف طهمورث حاله وقتلهم، وأقام مدينة في موطنهم يقال: إنها بلخ، وكانت مدة هوشنج أربعين سنة.

طهمورث بن هوشنج : كان ولي عهد أبيه ملكاً صاحب رأى وعادلاً، يقولون: إنه نظم المعيشة وأسباب الحياة على الوجه الصحيح، وبنى أربع مدن بشاور في فارس وكهرارمرد^(٣) ومهرين^(٤) وسارية في العراق، وعم القحط في زمانه، فأمر أهل البر أن يقدموا الإفطار إلى الفقراء، وأن يقنعوا بطعام العشاء، وظهرت سنة الصوم من ذلك الوقت، وكانت مدة حكمه ثلاثين عاماً.

جمشيد بن طهمورث : صار ملكاً بعد ألف سنة شمسية من تاريخ آدم (عليه السلام)، ويقولون: إنه كان أخا طهمورث كما يقال: إنه ابن أخيه، والأصح المثبت هنا، كان ملكاً ذا جمال وكمال، عالم وعادل، واشتغل بتدبير أمور المملكة والأنوات وآلات الحرب واكتشف الصناعات وعمر مدينة اصطخر، وابتنى له قصراً عظيماً بها ومازالت أعمدته باقية ويسمونها الأربعين منارة، وجلس على العرش في هذا العصر عند تحول الشمس إلى نقطة الحمل، وسموا هذا اليوم بيوم النوروز^(٥).

ولما بلغت مدة حكمه سبعمائة سنة استكبر وادعى الألوهية فسلط الله تعالى شداد بن عاد أن يرسل إليه ابن أخيه الضحاك بن علوان فقتل جمشيد، وكانت مدة ملكه سبعمائة وستة عشر سنة.

الضحاك بن مرداس الحميري : لما أفضى الملك إلى شداد وشديد ابني عاد، أرسل الضحاك إلى فارس وأصبح ملكاً، فوضع أساس الظلم والطغيان، فأرسل الحق تعالى هوداً (عليه السلام) إلى قوم عاد ليدعوهم، فلم يقبل شداد وقصد هوداً، فأهلكهم الله تعالى بريح العقيم، وأصبح مرثد بن شداد ملكاً واتباع هوداً (عليه السلام) وكان معه في حضرموت ومات هناك، وعاش هود (عليه السلام) سبعة وعشرين عاماً أخرى، وكانت مدة ملك الضحاك ألف سنة.

أفريديون بن أثفيان : كان من أبناء جمشيد، ويقولون: إنه ابن أبتين من أبناء طمهورث، وكان قد هرب أبأوه من الضحاك واستقروا في الصحراء، ولما كان الضحاك يظلم الرعية على الدوام خرجت شعلتان من كتفه في آخر عمره على هيئة ثعبانين، وكان ألمه لا يسكن إلا بمخ رأس إنسان، ومن أجل طلائهما قتل خلقاً كثيراً، وظهر حداد في أصفهان يسمى كاوه فرفع جلدة الحدادين على طرف قطعة خشب، بسبب أن ولدين له كانا قد قتلا، فاجتمع له خلق كثير، وخرجوا إلى الضحاك فهرب منهم، فأجلسوا أفريديون^(٦) على عرش الملك وسلموه الضحاك وقتلوه، وقد رصعوا هذه القطعة من الخشب، وسموها العلم الكاوياني.

وأصبح أفريديون ملكاً واستولى على أراضي الأعداء وسيطر على معظم المناطق المعمورة بالعالم، وقسم مملكته بين أبنائه الثلاثة: سلم وتور وإيرج، فكانت بلاد الروم والمغرب لسلم، والتركستان لتور، ووسط المعمورة لإيرج، فاتفق يلم وتور وقتلا إيرج، وبعد ذلك طلب منوچهر دم جده وانتقم له، وتوفي أفريديون، وكانت مدة حكمه خمسمائة عام.

منوچهر بن شحوب بار: ابن بنت إيرج التي تسمى ماه أفريد، وصار ملكاً تنفيذاً لوصيته، وحفر نهر الفرات وأجرى الماء إلى العراق، ونقل أنواع الأشجار والرياحين من الجبال والغابات، وأقام الحدائق والبساتين، وكان أمير جيشه سام بن نريمان، وفي هذا الزمان قصده أفراسياب الذي كان من نسل تور وتصالحا على أن يكون ما وراء نهر جيحون لأفراسياب، وفي زمانه أرسل الله تعالى موسى وهارون إلى الفرعون وليد بن مصعب الذي كان من أولاد لاود بن سام الذي كان قد أرسله شداد لحكم مصر، وكانت مدة حكم منوچهر مائة وعشرين عاماً.

نودر بن منوچهر : وصار ملكاً بعد أبيه، وفي أيامه ظهر الفساد في الأطراف وابتعدت الأمور عن القواعد والأصول وثارت الفتن، وثار عليه أفراسياب وأسره مع ألف شخص من أعيان البلاد وعظمائها وقتله، وكانت مدة ملكه عامين.

أفراسياب بن يشتك بن تور: جاء في ديوان النسب أنه ابن تورك بن كيومرث، قدم فارس بعد وفاة منوچهر وأهلك نودر، وشغل نفسه بالقتل والتخريب، وكانت مدة ملكه اثنتي عشر عاماً.

زوين طهماسب : كان من أبناء منوچهر، وثار على أفراسياب فهرب منه أفراسياب وتوجه إلى حدوده، وانشغل زال بإصلاح ما خربه أفراسياب، وأجرى إلى العراق نهريّن يطلق عليهما الزابين، وكانت مدة ملكه خمسة أعوام.

كرشاسف بن أستاسف : كان ابن أخى زاب وصار خليفة بحكم الوصية، ورستم بن دستان من نسله، وكانت مدة ملكه عشرين عاماً.

الطبقة الثانية

الكيانيون^(٧) وهم تسعة ملوك وجاء بعدهم الإسكندر الرومي
ومدة ملكهم سبعمئة عام وسبع.

كيقباد: أول الكيانيين وهو من أبناء نودر بن منوجهر، وكان على الدوام على ضفة
نهر جيحون وحارب الترك، وكانت أول حرب بين رستم^(٨) وأفراسياب^(٩) في أيامه،
وكان لقمان الحكيم وشموايل النبي وطالوت الذي كان ملك بني إسرائيل من معاصريه،
ومدة ملكه مائة وعشرون عاماً.

كيكاوس بن كيقباد: كان ولي عهد أبيه، وقصد ملك اليمن ذا الأذعار واصطالحا،
وطلب يد بنت ملك اليمن التي تسمى سوداوه، وبعد ذلك أوقع ذو الأذعار الحميري
بحيلة منه كيكاوس مع رجال وعظماء دولته في الأسر، فمضى رستم من إيران إلى
اليمن، فأقدم ذو الأذعار على الصلح وأطلق سراح كيكاوس وجميع الأمراء والحشم،
وسير سوداوه مع ألف جارية مع كيكاوس، وكان له ولد يسمى سياوش من امرأة
أخرى، ورباه رستم دستان بسبب التهمة التي وجهوها إليه، فتمرد على أبيه ومضى
إلى أفراسياب فزوجه ابنته، وقتله بوشاية من كرشيوز أخى أفراسياب، وكانت امرأته
حاملًا، وبعده ولدت ولداً سموه كيخسرو، وظل في التركسان حتى بلغ مبلغ الرجال،
فمضى كيو بن كودرز من أصفهان وأحضره مع أمه إلى فارس، ويقال: إن النساء
نشرن شعورهن حداداً على سياوش، وكان من الأنبياء والحكماء المعاصرين له داود
وسليمان وبيوتون كادنايان ولقمان الحكيم، ومن آثاره أنه أجرى الماء في بلخ، وشيد
سداً في بابل، وكانت مدة حكمه مائة وعشرين عاماً.

كيخسرو بن سياوش: لما قدم إيران كان كيكائوس شيخاً، فأعطاه الملك وحارب أفراسياب وهزمه فهرب أفراسياب وقدم أذربيجان وأسر وقتل، وبعد ذلك جعل كيكسرو ولاية العهد إلى لهراسب واعتزل واختفى، ويقال: إن سليمان (عليه السلام) اتجه إليه، ولكنه هرب ومضى إلى بلخ ومات هناك، ويقال: إنه عاصر سليمان وإخياء شيلوئي من الأنبياء وفيثاغورث ولقمان الحكيم من الحكماء^(١٠)، وكانت مدة ملكه ستين عاماً.

لهراسب: كان ابن حفيد أخى كيكائوس، ولما أصبح ملكاً ضبط أمور المملكة ووضع النظم، وعين أصحابه فى الديوان، وكان له ولدان: كشتاسف وزير وقد تحلى بالجمال والحسن والزينة، لكنه أخطأ فى تفضيله لأبناء كيكائوس على أبنائه، ووكّل إليهم الولايات والأعمال العظيمة، ولم يعلم أن الاستعانة بالغرباء مع وجود الأبناء وذوى القربى يتجافى عن الحزم، وبعد ذلك استاء كشتاسف من أبيه وتمرد عليه، ومضى إلى بلاد الروم وطلب يد بنت القيصر، وكان لهراسب فى بلخ ولما علم بخبر ابنه أسند إليه ولاية العهد وفى آخر عمره جعله خليفة له، ومن معاصريه ملوك دانيال وأرمينيا وعزير (عليهم السلام) وبختنصر.

وجاء فى جامع المعارف للحصينى أن بختنصر^(١١) أسر عزير ودانيال، فرأى بختنصر رؤيا وفسرها دانيال ولهذا السبب وجد العزة، وتوفى دانيال فى ناحية سوس من خوزستان، وفى خلافة أمير المؤمنين عمر (رضى الله عنه) وجد أبو موسى الأشعرى قبره فأخرجه وكفنه وصلى عليه ودفنه فى نفس الموضع، وسيأتى نسبه إلى داود (عليه السلام) فى تاريخ النصارى فى القسم السادس، وعزير بن سرايا ويقال ابن سرحنا^(١٢) من أبناء فنحاص بن العازر بن هارون (عليه السلام)، وجاء فى تاريخ بنى إسرائيل أن عزير كان فى زمن أرتخشاسا بن كتنوش بن أردشير بابك، وأنه حكم بنى إسرائيل مع بنيامين آخرين هما: حكاى وزخرتا أربعين سنة، ومن ولادة داود حتى آخر أيام عزير أربع مائة وخمسة وتسعون عاماً، ومدة ملك لهراسب مائة وعشرون سنة.

كشتاسب بن لهراسب: كان ملكاً سديد الرأى صائب القول، ولكن وقع فى أيام دولته خطأ، وكان ظهور زردشت^(١٣) الحكيم فى عهده، وكان رجلاً من أهل فلسطين،

ولحق بخدمة أحد تلاميذ أرميا النبي وتعلم منه علوماً غير معروفة، ويقال: إنه كان من أذربيجان وعرف علوم أحكام النجوم، وقال: إنه سيظهر شخص مثل موسى يتجلى له الخالق بسبب نور النار وهذا هو سبب دعوته، فكانت له الدعوة أملاً أن يكون هو هذا الشخص، واشتغل بالرياضة والمجاهدة والخلوة والعزلة، فظهر له النور بسبب تلك الخلوة والرياضة، وبسبب عدم وجود المرشد أصبح هذا النور فتحاً لباب الشيطان، وظهر له في صورة نار ومن بينها كان يخاطبه، وجمع هذه المخاطبات، وسماها كتاب الزند، وعد نفسه نبياً، وصد الناس عن الدين الصابئي، ودعا إلى الدين المجوسي وأصبح كشتاسف مجوسياً، وقتل شخصاً في مدينة "فسا" فجأة، وكان عمر زردشت سبعة وسبعين عاماً وإلى يومنا هذا ألقاً وتسعمائة وخمسين عاماً، واعتقل كشتاسف قاتله وقتله ونصب جاماسب مكانه، وقدم إصطخر وشيد بيوت النار، وكان أبوه لهراسب في بلخ.

ومضى ملك التركستان أرجاسف إلى بلخ، وقتل لهراسب وأسر بنات كشتاسف، فأرسل كشتاسف ابنه إسفنديار^(١٤) ليهلك أرجاسف فقتله واسترد إخوته، وبعد ذلك أرسله لمحاربة رستم في زاوستان، ووقعت بينهما حرب ضروس وقتله رستم بحيلة، وجعل كشتاسف ولاية العهد لابنه بهمن، ويقال: إن أبا كرب شمر تبع الثاني كان الملك الثامن من ملوك بني حمير وقتله.

حكاية - قال كشتاسف: كل من يغتر بالاسم يعجز عن الخبر، وكل من يخون الخبز يبقى مسكيناً في روحه، وكان سبب هذا الكلام، أنه كان له وزير مستقيم يسمى روشن، وكان قد انخدع في اسمه ويثق فيه ثقة عظيمة، وعزل الوزير الذي كان قبله بناءً على كلامه، ولم يكن يعرف شيئاً عن شأنه، ولم يعلم أى بذرة خبيثة كان يزرع، فثار عليه ملك الهند فجأة، فمسته الحاجة إلى المال ليجهز الجيش ولم يكن في الخزانة شيء قط، فاستشار الوزير فقال: المال على الرعية وإذا ما أمرت أرسل الجباة ليحصلوا المال، ولم يرَ الملك مصلحة في هذا، فعلم أن ذلك لا يأتي منه أى خير ويتسبب في فساد المملكة، فخرج إلى الصحراء وهو في هذه الحيرة ليدفع عن نفسه هذا الحزن، فوصل فجأة إلى بيت راعٍ فنظر فرأى كلباً مصلوباً، فسأله ما هذا؟ فقال الراعي: إن

هذا الكلب كان موضع ثقتي وسلمته القطيع، وبعد مدة نقص هذا القطيع، ولما تفحصت الأمر وجدت أن الكلب خانتني وعشق ذئبة فأطلق القطيع حتى تأتى وتفترس من هذه الخراف الواحد تلو الآخر، فعلمت أن نقص القطيع من هذا الكلب فصلبته، فانتبه كشتاسف وقال: إن الرعية مثل القطيع وعلى أن أتعرف على أحوالها، فعاد وطلب من الرعية دفاتر الأحوال فوجدتها جميعاً باسم راست روشن، فعرف أن الفساد منه فصلبه وضرب هذا المثل وجعله تذكرة.

لاأعتر باسمك الحسن أيها السيد فإن اسمك الجميل شبكة الرجال
من يبسط شبكة الاسم الحسن من أجل الخبز أعلم يقيناً أنه بهيمة تسمى مرجان

وبعد ذلك طلب الوزير السابق وتشاور معه فى إخمد الثورة، وكان الوزير رجلاً عاقلاً وقال: ماذا يقصد الملك؟ فقال الملك: لابد لى من خمسمائة دينار من الذهب لأجهز الجيش، فقال الوزير: كم خراج المملكة؟ قال: ألف تومان، قال الوزير: إذا أعطيتنى الممالك ثلاث سنوات فى كل سنة خمسمائة تومان يدفعها عبدكم، وبعد عشرة أيام أودع فى الخزانة خمسمائة تومان، وللك الممالك فى الثلاث سنوات أعطيه فى كل عام ألف تومان، فأعطاهم للوزير بشرط أن يقدم له المال مرتين فى السنة، ولا يذهب إلى الممالك أى محصل.

فعاد الوزير إلى بيته، وحصل هذا المبلغ من خواصه ونوابه وأودعه فى الخزانة، وفى تلك الحال بشروا بهدوء الثورة، فسر الملك وبارك مقدم الوزير، فجمع الوزير الملوك والرؤساء وخلع عليهم جميعاً وراعاهم وقال: تناصفوا خراج الممالك والشكر لله الذى أرجعنا إلى هذه الدولة وقد منحت الرعية نصف الخراج على أنها صدقة من الملك، ولا يمض أى محصل إلى الممالك حتى لا تلتزم الرعية بالإنفاق، وفى نهاية العام يرسل الرعايا الخراج إلى الرؤساء ويرسلها الرؤساء بعد ذلك إلى الملوك ويرسلها الملوك إلى الحضرة، وفى هذا العام وكل عام جديد لا يؤدى الخراج وهو معاف ومسلم.

فعاد الناس جميعاً إلى بلادهم مسرورين، وشغلوا العام كله بالعمارة والزراعة والدعاء بثبات الملك، كما زرعوا المناطق القديمة، وفي نهاية العام قدموا ألف تومان ذهبى مع التحف والهدايا إلى الوزير فأودع الوزير المال المقرر فى الخزانة وقال: فليعلم الرفاق أننى اتفقت مع الملك على أن تكون الممالك لى لمدة ثلاثة أعوام وبقي عام فيجب أن يؤدوا الخراج إلى العمال الجدد وأن يثبتوا هذا فى الدفاتر فبلغ خراج الممالك ألفى تومان، وقدموا فى العام الثالث هذه الأموال على هذا المنوال مع التحف والهدايا الكثيرة إلى الوزير، فأودع الوزير ألف تومان من الذهب فى الخزينة، وقال للملك: إن الرعاية تخففت من الأعباء وهى فى راحة وغنى والممالك معمورة والخزينة عامرة وأصبح خراج الممالك أضعاف ما كان من قبل ووصلنى ألف تومان توفيراً، وأمر الملك صحيح فإما أن يفوضنى أو يفوض غيرى، ويجب على الوزير العاقل أن تعيش الرعاية بفضلها فى رغد وأن يزيد المال، وأن يتحلى بحسن الفعل والشهرة.

حكاية: بعد ذلك أغار ملك الهند بجيش جرار وأقيلة كثيرة على هذه الديار، وكانت جيوش الملك بعيدة عنه، ولم يستطع أن يقاوم العدو بهذا العدد الحاضر من جيوشه، وقد استشار قادة جيشه وأمراء دولته فى دفع التمرد، فرأى البعض المصلحة فى المقاومة، ورأى الآخرون السلامة فى الهزيمة، ولم يكن فى كلا الرأيين المصلحة للممالك والبلاد والعباد، فالتفت الوزير بوجهه للملك وقال: فكرت وأستطيع أن أقول فى الخلاء، فأذن له الملك بالخلوة، فقال الوزير: إذا استصوب الملك رأى فأبنى بكل راحة أهلك الجيش والعدو، فقال الملك: كيف يكون هذا؟ قال: رأى الصواب فى اللحظة التى أغادر فيها حضرتك ويأتى الأمراء فيقول الملك: إن الوزير هو الذى تسبب فى هذه الفتنة ومقدم جيش العدو، وأن تأمر باعتقالى فى الحال وأن تغيروا على ما أملك، وأن تحضروا نساءى وأبنائى وحشمنى وخدمى إلى الملك، وأن تأمر بأن يطوفوا بى حول المدينة وفى أسواقها وأنا عارى الرأس والحبل فى عنقى، وأن ينادى مناد ويقول: هذا جزاء العبد الذى خان سيده، وكان يعيش منافقاً ويقصد الملكة، وأن يحملونى إلى وسط الميدان، ويسملوا كتفى وعينى ويحملونى على محفة ويثبتونى على ناقة ويجرونى أمام المغيرين، وأن ينيخوا الجمل فى مفترق طرقهم فى تلك الصحراء، ويتركونى

ويعودوا، وأن تشقوا من المكان الذى أنا فيه إلى وسط الصحراء طريقاً فى عشرة أيام طوله عشرة أميال، بحيث يكون من الميل ميل آخر، ويكتبوا على الأخير أن كل من وصل إلى هنا مات ولم ينجُ بروحه واحد من مائة ألف، فأسوقهم إلى الصحراء وأهلكهم جميعاً بشرط أن يحسن الملك إلى من تبقى منهم.

فأمر الملك فسمّلوا عيني الوزير وتركوه على رأس طريق الجيش، وشيدوا هذه الأميال، ولما وصلت الجيوش الثائرة، وجدوا الوزير على تلك الحال، فتعجبوا وحملوه إلى حضرة الملك، وكانوا قد سمعوا هذا الخبر من جاسوسهم، فبحث الملك الأمر، فقال الوزير: بعد هذه الخدمات الجليلة التى قدمتها طوال عمرى اتهمنى الملك بما قال العدو عنى كذباً وقالوا: إن لى مراسلات معكم وهذا سبب تلك الفتنة، وابتلانى بمثل تلك العقوبة، وشوى نسانى وأبنائى على النار، ورمانى على رأس هذا الطريق، وطلبت من الحق جل وعلا أن أصل إلى تلك الحضرة حياً حتى أنصف نفسى منهم، ولما وصلت إلى هذه السعادة، أمل أن يكون الأمر هكذا وسوف يكون، وقد صنعت حيلة لقيت منها تعباً فقد صنعت وشققت طريقاً فى تلك الصحراء، وأردت أن أعطيهم ملكك، ولما لم يرد الحق تعالى ووقع التقدير على خلاف التدبير، فاعلم أن كشتاسف سيأتى بجيش جرار، ويمجرد أن يصلوا إلى هنا، فنصل من تلك الطريق إلى دار ملكه، قال: كيف يمكن أن يكون هذا؟ قال: يأمر الملك حارساً بأن يقف على رهوة ويراقب تلك الصحراء، وإذا ما أراد فإن مفترق الطرق هذا عندما ينظرون فيه يرون هذا الميل، ففرحوا وقالوا: تحقق الأمل وليأمر الملك بتجهيز الماء والطعام للجيش مدة عشرة أيام، ففعلوا هذا واتجهوا إلى الصحراء، ولما وصلوا إلى هذا الميل رأوا ميلاً آخر فظنوه طريقاً، وما كانوا على علم بمكر الوزير، فساقوا الجيش إلى الصحراء، وكابدوا مشقة شديدة حتى وصلوا إلى الميل الأخير، ورأوا مكتوباً عليه مات كل من وصل إلى هذا المكان ولم ينجُ واحد من مائة ألف، فحاروا وسألوا الوزير ما هذا؟ قال: العبيد العقلاء دانوا بعبوديتهم لمولاهم، وقدمت نفسى فداء للملك والمملكة، وأعلموا الآن أن أقرب طريق تخرجون به من الصحراء هو الطريق الذى جئتم منه. ومما يروى أن ملك الهند نجاً مع سبعين شخصاً من المقربين إليه من هذه الصحراء، وهلك الباقون جميعاً، ويجب على الوزير أن يخاف الله،

محباً للملك وحامياً للدنيا مهتماً بأمر الرعية حتى يكتب سمعة طيبة على صحائف الأوراق والنواوين، ويترك ذكرى له.

ومن آثاره بيضاء شيراز، وكان من المعاصرين له من مشاهير الحكماء سقراط العامل تلميذ فيثاغورث وطيماوس وجاماسب، وكانت مدة ملك كشتاسف مائة وعشرين سنة، ويقال: مائة وستون.

بهمن بن إسفنديار: عندما صار ملكاً، استن سيرة حسنة ورسوماً جيدة، وعمر العالم وأيد دين زردشت، واستولى على أرجاء الدنيا، وقصد سجستان وخرب زابلستان، وصلب فرامرز انتقاماً لأبيه، ومن آثاره في فارس سد بهمن في كوار ومدينة بساوجرم وبوشنكان، وكان من معاصريه ديمقراطيس الحكيم وبقراط الطبيب، ومدة ملكه خمسون عاماً، ويقال: مائة وأربعة عشر.

شعر

ولو أن أيام عمر بهمن كانت ربيعاً لكنه مات في النهاية من جود الفلك المظلم
ولو أن الدنيا أضاءت عينها به ففي العاقبة أظلمت عينه بالفناء

همای بنت بهمن: لما توفي بهمن كانت له بنت صائبة الرأي تسمى همای، فجعل ولاية العهد لها، وكان بهمن قد طلب يدها، وحملت من أبيها، ووضعت حملها بعد تسعة أشهر، وولدت ولداً كان في جماله مثيراً لغيره ولدان الجنة، فخشيت همای أن يضيع الأمر من يدها إذا أظهرت هذا الولد، فقالت: إن ذلك الحمل الذي كان في وقت بهمن كان حياً ولم يكن ولداً، فأمرت بأن يصنعوا صندوقاً ووضعوه فيه ومعه أكياس من الذهب والجواهر والياقوت الثمين، وطرحوه في البحر، واتفق أن أخذ غسال هذا الصندوق وحمله إلى البيت ولم يكن يعيش له ولد في تلك الأيام، فتولى وزوجه تربيته وسمياه داراب. ولما كبر، قال للغسال ذات يوم: يساورني الشك أنك لست أبي ولي أب

أكبر منك من أجل أنى أرى فى نفسى همة، ولكنى لست مناسباً لمنصبك، قال الغسال: أى ضرر فى هذا فإن الجواهر ينتج من الحجر والحريز ابن الفيلج ويأتى الشهد وهو غذاء الروح من الزنبور الخسيس الحقيق، وأى عجب إذا كان عظيم مثلك أن يولد من فقير مثلى، فقال داراب: هذا كلام حسن ولكن قل الصدق، ولما عرف حقيقة الحال أحضروا له الجواهر والذهب فأنفقها على تهيئة أمره، ولحق بخدمة أحد قادة الجيش، حتى ذلك اليوم الذى طلبت فيه همائى استعراض الجيش، وكانت تجلس على قصر عالٍ، ويمر الجيش من أمامها فوج بعد فوج، فقدم داراب وأراد أن يمر فجدد الله تعالى الحب وأشعل نار الشفقة فى قلب همائى، فأمرت باستدعائه، وسألته عن أصله ونسبه، فأقر صادقاً بحقيقة حاله، وأظهر ذلك الياقوت فعرفته همائى فنهضت واحتضنته وقالت: إنى أمك وأنت ابنى بهمن، وقصت الحال على أعيان وأركان الدولة، ووضعت التاج على رأس داراب وسلمته الملك، وكانت مدة حكم همائى ثلاثين سنة.

داراب بن بهمن: كان ملكاً عاقلاً وأطاعه وانقاد له معظم الملوك، وكان قيصر الروم فى ذلك الوقت فيلوقوس، فجهز داراب الجيش وفتح بلاد الروم وأسر فيلوقوس، وطلب يد ابنته، وأطلق سراح القيصر شرط أن يعطيه كل عام ألف بيضة ذهبية تزن كل واحدة أربعين مثقالاً، وكان لداراب وزير يسمى رشتين غاية فى العقل والكفاءة، وشيد مدينة دار أبجد فى فارس، وكان أفلاطون يعيش فى عصره، وهو أفلاطون بن أرسطن بن أرسطو بن أثنين^(١٥)، وهو آخر المتقدمين من الحكماء السبعة الذين هم أساطين الحكمة من المالطية وهم ساميا وأثنين وفاتس الملطى وأنكساغورس وأكسمايس وإيثادقيس وفيثاغورث وسقراط، وكان من معاصريه من الأنبياء جرجيس (عليه السلام)، وكانت مدة ملكه ستين عاماً، ويقال: اثنتا عشرة سنة.

داراي بن داراب: وبناء على الوصية قام مقامه، لكنه كان ظالماً وسن سنناً سيئة، وأغضب العظماء، وتنفر الخلق منه وقتل الوزير، وأثار رشتين الإسكندر فى مقدونية حتى دخل معه فى حرب، وقتل داراي فيها، وآل الملك للروم من الكيانيين، وكانت مدة ملكه أربع عشرة سنة.

الإسكندر بن فيلاقوس: وهو ذو القرنين، واختلفوا فيه، وجاء في ديوان النسب أنه هرمس بن الرومي بن لنطى بن يونان بن تارخ بن يافث بن نوح، وعمره ألف وستمئة عام، ولهذا السبب سموه ذا القرنين، لأن القرن في هذا الزمان كان ألف عام، ويقال: إن أباه كان بازر بن ألبان ملك الإسكندرية، وأمه ابنة أفليسون بن فوقا، وكان بين بازر وأفليسون خصومة دائمة وتصالحا، وتأكيداً لهذا الصلح خطب بازر ابنة أفليسون وحملها معه، وكاد لها خدامه ونحو البنت عن النظر فى الملك، فطلبت البنت إذنا لتمضى إلى بلدها، وكانت حاملاً فولدت فى الطريق، وكان ولدها ذا القرنين، فلفته فى خرقة وطرحته فى الطريق مع ذهب وجواهر كثيرة ومضت، ففصل الله تعالى عنزة عن القطيع حتى يأتى وأرضعته، وكانت هذه العنزة لعجوز، فتعقبت تلك العنزة فوجدت ذا القرنين وأحضرتة إلى المنزل وسمته الإسكندر وربته، ولما كبر وأوكل إليه تدبير الملك حتى يحصل الفضل، جعله الفاضل كاتبه، وذات يوم غضب الملك على الكاتب وطلبه ليحاسبه، فخاف الإسكندر وركب فرساً مع شخص آخر وفر من المدينة، ولما أدركه النوم فى الطريق، سلب مرافقه فرسه وسلاحه، فمضى ماشياً إلى المدينة التى كانت فيها أمه فرأته أمه من النافذة، وشهد حبها على هذا ودعته إليها وسألته فعرفته، وقصت القصة للأب فأسند إليه أبوه الملك.

ولما توفى أفليسون، قاد الإسكندر الجيش ودخل المدينة مع الأم، واستولى عليها، وكان وزيره أرسطاطاليس بن نيقوماخس الطبيب، وكان له من العمر ثمانية وسنون عاماً وقائد جيشه الخضر^(١٦).

وجاء فى جوامع الحكايات ولوامع الروايات^(١٧) عندما طلب داراب يد بنت قيصر الروم فيلاقوس، وعندما اختلى بها فى الليلة الأولى تصاعد من قمها رائحة كريهة فلم يستطع هذا، فأعادها إلى أبيها، فاشتد هذا على فيلاقوس وأعلن هذا الزفاف وعالج فم البنت بدواء يقال له إسكندروس، ولم يمر وقت طويل حتى ولدت البنت ولدأ سموه الإسكندر، فرأوا طالعه وحكموا أن هذا الولد سيستولى على الدنيا بأسرها، ولما كبر الإسكندر وأصبح الوحيد فى العلم والحكمة والرجولة ونابذة الزمان، فلما رأى فيلاقوس أن الإسكندر قد دخل، علم أن وقت ذهابه قد حل.

شعر

ما دمت أكلت من مائدة الدنيا فانهب حتى يجلس الآخرون

فأجلس فيلاقوس الإسكندر على العرش، فكتب داراي بن داراب رسالة إلى الإسكندر، وعزاه في وفاة والده، وطلب خراج الروم الذي كان يبلغ ألف بيضة من الذهب، فرد الإسكندر برسالة فحواها: أن الدجاجة التي كانت تبيض قد ماتت، وينبغي لك أن تبعد عنها كذلك، ولما وصل الجواب داراي اضطرب، وأرسل كرة وصولجائاً وكيساً من السمسم إلى الإسكندر، أي أنت طفل ولك الآن وقت اللعب، ولو تمردت فسأتيك بجيش بعدد ذلك السمسم وأسقطك، فتفاعل الإسكندر بهذا جيداً، وقال: الكرة هي الأرض، والوصولجان عبارة عن أنه يجب عليه أن يسلم لى كى أعمر الأرض، وهذا السمسم إشارة إلى أن تحريك الجيش ليس سهلاً على، وعلى ذلك رد الإسكندر الرسول، وأرسل معه صرة من حب الرشاد ودجاجة فى قفص، يعنى جيش فى الصرة والكثرة مثل حب الرشاد والدجاجة إشارة إلى أنه يسهل عليها التقاط السمسم الموجود بالكيس، وضرب جيشك على أسهل من هذا، ولما بلغ داراي الجواب جهز الجيش وتحاربوا وقتل فى هذه المعركة.

ويقال: إنه كان ابن فيلقوس اليونانى وهو حفيد عيصل بن إسحاق (عليه السلام)، وعاش ستاً وثلاثين سنة، وحكم ثلاث عشرة سنة، واستولى على الربع المسكون بتمامه، ومن أثاره مدينة مرو وهراة وأصفهان وسد يأجوج ومأجوج، ويقال: إنه توفى عند رجوعه فى مدينة زور ويقال: فى بابل، ولم يقبل ابنه الملك واشتغل بالعلم والعبادة، ومن الحكماء الذين عاصروه الشيخ اليونانى وديوجانس الكلبى، وجعلوا بطليموس قائماً مقامه، وكانت مدة حكمه أربع عشرة سنة.

الطبقة الثالثة

الاشكانيون^(١٨) وعددهم ستة عشر

ومدة ملكهم ثلاثمائة وأربعون سنة، ويقال: ثلاثمائة واثنان وستون سنة

ولما استولى نو القرنين على إيران جمع الأمراء وأرسل رسولاً إلى أرسطاطاليس وقال: إن هذه الجماعة عظيمة جداً وأخشى قليلاً من تفرقهم، فقال له أرسطاطاليس: ولّ كلاً منهم على ناحية حتى يكون كل منهم مشغولاً بالآخر على الدوام، وهكذا فعل الإسكندر، وأعطى ملوك الطوائف فارس والعراق حتى جزيرة أنطيوخس الرومية، وبقيت معهم أربعمئة عام.

وكان هناك خلاف في مدة ملوك الطوائف، فقال بعضهم: إنها خمسمئة وثلاث سنوات، ولم يستطع ملك في هذه المدة أن يقهر هؤلاء الملوك حتى ذلك الوقت الذي أفضى فيه الملك إلى أردشير بابك فقهرهم جميعاً وأطاعوه.

أشك بن داراب بن داراب: ذكر محمد بن جرير الطبري أنه بقي للإسكندر وأدعى يسمى أشك، وكان له الملك من شاطئ دجلة حتى الري، ولو أن ملوك الطوائف لم يكونوا موالين له إلا أنهم كانوا يحترمونه، وسلخوا معه طريق الود، وكان أشك طفلاً في الوقت الذي قتل فيه الإسكندر أخاه الأصغر داراي، وقد توارى حتى توفي الإسكندر، واستولى أنطيوخس على هذه الولاية، فثار أشك وطلب الجيوش من ملوك الطوائف فساعدوه بسبب عدوانه لأنطيوخس واحترامهم لأسرته المالكة، وأرسلوا الجيوش حتى خرج عليه وأهلكه، واستولى على ملك الري، واتفق مع ملوك الطوائف الأخرى، وخلص بلاد إيران من الروم، وكانت مدته ثلاث سنوات.

شابور بن أشك: بعث عيسى (عليه السلام) في عصره، وكان معاصراً لاغسطس القيصر في بلاد الفرنجة، وكان زكريا ويحيى وجرجيس في ذلك العهد، وزكريا بن أرن كان من أبناء سليمان (عليه السلام)، ولما بلغ الأربعين جاءته الرسالة، ولما بلغ الثمانين ولد له يحيى من أشماع أخت مريم بنت حثه بنت فاقون، وكانت مدة عمره ثمانية وتسعين عاماً، وكان يحيى (عليه السلام) يكبر عيسى (عليه السلام) بثلاثة أشهر، ويقال: بأربعين يوماً، وولد عيسى (عليه السلام) في يوم عاشوراء بعد الإسكندر بمائتين واثنين وثمانين عاماً، ويقولون: بثلاثمائة وإحدى وثلاثين عاماً، ورفع لما بلغ اثنتين وأربعين سنة وستة أشهر، وكانت مدة نبوته ثلاثين عاماً.

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إنه خليفتي على أمتي يعني عيسى، فإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل^(١٩) بين عصرين يدق الصليب ويقتل الخنزير ويقبض المال ويقاتل الناس على الإسلام حتى يهلك الله في زمانه الممالك كلها ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الدجال، ويقع في الأرض الأمن حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات، فيلبث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلى المسلمون عليه ويدفنونه^(٢٠). ومن الأطباء الذين عاصروه جالينوس الذي كان في زمن فاخس الأول الذي بدأ في تأليف اختراع الترياق، وعاش تسعين عاماً، وولد بعده بثمانين عاماً أبو إقليدس الذي عاش ستين عاماً، وولد بعده بسبعة وأربعين عاماً أفلاغورس الذي عاش ثمانية وسبعين عاماً. وولد إنوفلس بعده بمائة وعشر سنين، وبعد عشرين سنة ولد ثوماغورس الطبيب وعاش سبعين عاماً، وبعد ذلك ولد مارينوس^(٢١)، وعاش تسعين عاماً، وبعد مائة وعشر سنين ولد أندرو فاخس الثاني، وعاش تسعين عاماً، ومرت ألف ومائتان وأربعون عاماً، وبعد ذلك بمائة وثلاثة وخمسين عاماً ولد جالينوس، وأصبح عالماً في التاسعة عشر من عمره، وبعد أربعة عشر عاماً رحل من روما إلى فارس، واكمل تركيب الترياق بفضل، وتوفى في الحفر^(٢٢)(؟) ودفن هناك، ومضى على وفاته ألف وأربعمائة واثنان وأربعون عاماً، وكان مدة ملك شابور إحدى وعشرين سنة.

بهرام بن شاپور: كان ولي عهد أبيه، وحكم أحد عشر عاماً.

بلاش بن بهرام: خلف أباه بناء على الوصية، وكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة.

هرمز بن بلاش: حكم عشر سنوات، وكان من يسمى إيقور وهو من أبناء أشك عاش بعد شاپور خمسين عاماً، وقتل يحيى بن زكريا في أيامه، ولما انتهى أجله المحتوم أعطى خاتم الملك لابنه كودرز وأصبح ملكاً، وأغار بجيش على بني إسرائيل، وألحق بهم من الهزيمة أفدح مما صنعه بختنصر، وحاد كودرز هذا عن طريق العدل، ورفع راية الظلم، وعذب الناس كثيراً، ووافته المنية وهو في مصاده ذات يوم، وكانت مدة ملكه سبعة وخمسين عاماً.

إيران بن بلاش: كان ابن أخى كودرز، وأصبح ملكاً بعده، وكان عاقلاً عالماً، وكانت الخزائن قد خلت في أيام كودرز بسبب تهوره ورعوقته، وحبطت الأعمال، وكان يدبر كل الأمور بالرأى والحكمة، وعمر المملكة بالعدل والإحسان، وجمع الرعايا باللطف والمروءة، وأزال العادات السيئة، ووضع الرسوم الحسنة، وكانت مدة حكمه ثمانية وأربعين عاماً.

كودرز بن إيران: كان ولي عهد أبيه، وقام مقامه، ومضى إلى الشام بسبب مقتل يحيى (عليه السلام) وقمع اليهود وشردهم، وبقي ذلك الذل عليهم، وانقطعت النبوة عن بني إسرائيل، وفي هذه الفترة من الزمن كان ملك بني إسرائيل قائماً على يد متنيا الذى كان من أبناء سليمان (عليه السلام) وقتله بختنصر، وكانت مدة ملكه ثلاثين سنة.

نرسی بن كودرز: يقول البعض: إنه ابن إيران، وصار ملكاً وأحيا السنن الحسنة وقضى على العادات السيئة، وكان له أربع نساء من بنات الملوك، ودست له إحدى نسائه السم وهلك.

شعر

يقولون إن المرأة خلقت من الجانب الأيسر

فلا تبحث عن الجانب الأيمن من الجانب الأيسر (٣٢)

وكانت مدة ملكه ثلاثين عاماً .

هرمز بن بلاش: وخلفه ونظر في أطراف مملكته، وأراح الخلائق في ظل عدله، وكان محباً للصيد، وفي النهاية أمسى صيداً لمخلب شاهين الأجل، وكانت مدة ملكه سبع سنوات.

واستولى فيروز بن هرمز على زمام الأمور وحكم ثلاثين عاماً، وخلفه خسرو بن فيروز الذي أحب أصحاب الفن وخصهم برعايته، ورفع صدأ الظلم عن مرآة الزمان، وفي نهاية الأمر انتقل من العرش إلى النعش، وكنت مدة ملكه أربعين عاماً .
بلاش بن فيروز: صار ملكاً بعد أخيه، وكانت مدة ملكه خمس سنوات.

أردوان بن بلاش: أصبح ملكاً بعده، وانبسط ملكه أكثر من الجميع، وقهر طائفة من الطوائف، فمال معظمهم إلى طاعته، وفي آخر الأمر وصل ملك الأشكانيين إلى النهاية، وطوى منشور دولتهم، وسقطت راية سعادته على الأرض، وقتله أردشير بابك، وكانت مدة ملكه إحدى وثلاثين سنة.

شعر

انتظار دورة الفلك واختلاف الليل والنهار ينمى بانتهاهـاء ملك كل ملك
فتارة يعلو عرش الملك من الأشكانيين وتارة أخرى يتزين العرش والقلنسوة بالساسانيين^(٢٤)

الطبقة الرابعة

الساسانيون^(٢٥) وهم ثمانية وعشرون ملكاً، وكانت مدة ملكهم خمسمائة وإحدى وثلاثين سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام^(٢٦)

أردشير بابك: كان حفيد ساسان بن بهمن، وله عهد ووصايا، وقعد القواعد للعدل وسياسة الملك وهي غاية في الجودة، وجاء في شرح مقامات برهان الدين المطرزي حينما جعل بهمن ولاية العهد لابنته همای، وجعل زمام تدبير الملك في يدها كان لها ولد يسمى ساسان، ولما رأى أن أباه ظلمه وحرمه من الملك هرب خوفاً على حياته واشتغل بالسياحة، وكان لساسان هذا ولد يسمى أيضاً ساسان، وبعد وفاة أبيه مضى إلى فارس، واندمج في فرسان بابك، وكان بابك من عمال أردوان وله قوة وشدة بأس، ولما بدت أمارات العظمة في جبينه اختصه بابك بالرعاية. وذات ليلة رأى بابك أن شمساً وقمرًا يطلعان من جبين ساسان، ولما استيقظ استدعاه وقص عليه رؤياه، ورغب في مصاهرته فزوجه ابنته، وحملت ابنته من ساسان، ولم يبق طويلاً، وولد لابنته ولد فسماه بابك ونسبوه إليه، وسموه أردشير بابك.

ولما كبر أردشير، ويدت عليه آثار الرشد، حكو لأردوان عن مخايل رشده ونجابته، فطلبه من بابك، فأرسله بابك إلى أردوان ورباه أردوان مع أولاده، وعلمه أصول الشجاعة والفروسية، وذات يوم مضى أردشير مع أبناء أردوان للصيد، ومضى أردوان أمامهم وهو متخف ليعرف حالهم، ولما رأى أن أردشير متفوق على أبنائه في كل فضيلة، دب دبيب الغيرة منه في نفسه، وقال: إن أباك عامل لا أكثر، لذلك لا توافقك رسوم الملك وأصوله وقد أمرت أن تكون آخر قائد لى حتى تقوم بهذا العمل، فتقلد أردشير هذا العمل خوفاً على حياته، وذات يوم كان جالساً في البلاط فمرت عليه جارية من سرارى

أردوان فوقه نظرها عليه وفتنت به، فاستجاب أردشير لدعوتها متلطفاً، وكلما كانت الفرصة مواتية كانت تقع متعة الوصال، وكانت تخبره بخفايا أسرار أردوان حتى وصل خبر وفاة بابك، فحزن أردشير وطلب من أردوان أن يرسله إلى ولايته وأن يلزمه هذا العمل، ولكن أردوان لم يستجب، ووكل هذا العمل إلى ابنه الأكبر، وأرسله إلى تلك الناحية، فبئس أردشير حتى جاءت الجارية، وقالت: لقد رأى أردوان البارحة رؤيا وأحضر المنجمين اليوم للتأكد من كلامي وسألهم فقالوا: إنه وقت انتقال الملك لك، وسوف يسلبون هذه الدولة وستصل إلى شخص آخر. وستولى عنك في هذا الأسبوع. ولما سمع أردشير هذا الكلام جعل يفكر، وعادت الجارية، وهى أردشير أسباب الرحيل، ولما عادت الجارية، قال أردشير: أريد أن أذهب وإذا أردت مصاحبتي فذاك يسعدني، فوافقته الجارية، وركبا جياداً سراعاً كالريح ومضيا، ولما بلغ الخبر أردوان ندم على غفلته، ولكن الندم لم يجد نفعا.

ولما وصل أردشير إلى إصطخر فارس، دخل المدينة، وقبض على جماعة من المقربين لأبيه وباعوه، وأدخلوا قوماً كثيراً فى طاعته، وأبدوا استعداداً عظيماً، وثاروا عليه فجأة وقتلوا ابن أردوان، حارب أردشير أردوان وقتله، وقهر ملوك الطوائف الآخرين، ويقال: إنه واحد من جملة الملوك الذين ملكوا الدنيا بأسرها.

حكاية: لما قتل أردشير أردوان طلب يد ابنته وكان لأردوان أربعة أبناء قتل منهما اثنين وهرب اثنان، ومضيا إلى الهند، وأرسلا من هناك السم إلى أختهما لتدسه إلى أردشير، وعاد أردشير من الصيد ذات يوم، فقدمت له هذه البنت قدحاً من الشراب، ولما أخذه أردشير سقط من يده، فتغيرت البنت، فساور أردشير الشك فأمر بإعطاء هذا الشراب إلى الطيور، فهلكت، فتيقن أردشير من مقصدها، فطلب من الوزير أن يقتلها فى الخفاء، ولما قصد الوزير قتلها قالت له: إني حاملة من أردشير، فأخبره الوزير ولكن لم يلتفت أردشير لهذا وأمر بالقتل، فخاف الوزير من عاقبة هذا، وأخفى البنت، وخصى نفسه فى نفس ذلك اليوم، ووضعها فى حق وختمها، ومضى لأردشير، وسلمه هذا الحق أمانة، فولدت البنت بعد عدة أشهر ولداً، فسماه الوزير شابور.

ولما بلغ أردشير إحدى وخمسين سنة، جلس ذات يوم يتفكر، فسأله الوزير لم التفكير؟ فقال: إن العمر بلغ النهاية وليس لي ولد ليكون ولياً للعهد بعدى، فوجد الوزير الفرصة فقبل الأرض وقال: ليأمر الملك الخازن ليحضر أمانتى فأمر الملك بذلك، فسأله أردشير ما هذا؟ قال: أنا مستعٍ فقد فكرت فى هذا اليوم الذى لم يلتفت فيه الملك على ابنه ومن أجل دفع هذه التهمة عني، فقد احتفظت بالأم والابن، وفى ذلك الوقت كان ابن الملك شابور فى الثامنة من عمره، فسر أردشير من هذا الكلام، وأمره أن أعرض هذا الولد مع الأطفال الآخرين حتى أراه، فإن محبة الأب هى التى تدلنى عليه، فصفا عدة أطفال وجعلوا شابور بينهم وعرضوهم على أردشير، فعرفه فى الحال، وتحركت فيه شفقة الأبوة، فرعى جانب الوزير، وأرسل الأم والولد إلى الحرم.

ومن آثاره كورة أردشير فى فارس، أصل تلك الكورة فيروز أباد وقد وقعت فى وسطها أخزه؟^(٣٧) وكانت تسمى قديماً "جور"، ولها سور محكم ولما وصل الإسكندر لذلك المكان عجز عن الاستيلاء عليه، وكذلك النهر الذى كان يجرى من فوق ذلك الجبل الذى كان يصب فى أخره تلك وجعلها بحراً، ولما وصل أردشير إلى هناك أمر بإزالة الجبل وأخلى الماء من أخره هذه، وشيد مدينة بقيت بعض عمائرهما إلى الآن، وبني يزدبين شيران وكرمان والأهواز فى خوزستان والجزيرة فى الموصل والخطه فى البحرين، وحفر نهر مسرقان، وكانت مدة ملكه أربعة عشر عاماً، ويقال: إنها كانت أربعين سنة وشهرين.

شاهبور بن أردشير: وخلفه بناء على وصيته، وكان ملكاً عادلاً جواداً، نظم الأعمال طبقاً لسابق عهدها، ولم يغير العمال الذين كان قد اختارهم أردشير، ورعى غصن المحبة الذى كان قد غرسه أبوه فى أرض القلوب بماء المحبة، ثم نطقت كل الأسنة بالثناء عليه، وتعلقت كل القلوب بمحبته. ولما أخبروه بأن قسطنطين قيصر الروم تجاوز حدوده، وسلك طريق العداء، قصده شابور واستولى على مدينة نصبين وعلى خزائن القيصر التى كانت فيها، ووقع الرعب فى قلب القيصر من قوته، وأسرع معتذراً يطلب الصفح وأرسل الرسل وقبل الخراج، فعاد شابور منتصراً مظفراً، ومن آثاره بلاد شابور من جبل كيلويه فى أعمال فارس وجندى شابور فى خوزستان وشادشابور فى سجستان، وكانت مدة ملكه ثلاثين سنة وشهرين.

هرمز بن شابور: يقول محمد بن جرير الطبري: كانوا يقولون له القطيع لأنه كانت له يد واحدة، وسبب ذلك أن أباه أرسله أميراً على خراسان وتولى ذلك العمل وجمع الحشم ووضع الخزائن، ثم استدعى شابور هرمز، فعلم هرمز أن الزامين وجدوا الفرصة وأن الرسل رموا سهم القتل إلى الهدف، وفي الحال قطع يده، وكانت عادة ملوك العجم أنهم لا يعطون الملك للنقص ولا يقبلون أعمالهم.

وبعد ذلك أرسل هرمز تلك اليد إلى أبيه، وقال: قال جماعة عنى مادام أمل الاستبداد والاستقلال في رأسى، فإنى قطعت يدي وأرسلتها إليك لتعلم أنى لا أطلب الملك والرئاسة، فاحترق قلب شابور عليه وأدركته الرقة عليه، وكتب إليه رسالة يقول فيها: بما أن هذا النقصان سبب رضائى فإن ثمرة الكمال لك، وجعل ولاية العهد له، وسن رسوم العدل، وهو الذى عمر رامهرمز فى خوزستان، وكانت مدة ملكه ثلاثين عاماً.

بهرام بن هرمز: خلف أباه بناء على وصيته، وظهر فى عهده مانى الزنديق، وذكر المقدسى^(٢٨) فى تاريخه أن مانى واضع الزندقة، ودعا الخلق إلى دينه، وما زال هذا المذهب الباطل بين الناس إلى اليوم، وكان رساماً ومهندساً ماهراً، وخدع الناس بالغش وأوجد فيهم مذهباً سيئاً، وكان مجمل كلامه أن الروح فى جسم الإنسان خصوصاً، وهو فى ذلك العالم وهنا قفص، وإذا فتح هذا القفص فإنها تطير إلى مقصدها، وينبغى أن يبذل الإنسان جهده حتى يجعل نفسه بحيث يخلص روحه الصافية فى أقرب وقت ممكن من كدورة النفس الجانية، وخدع الناس بهذه الخدعة وقال: الموت أفضل من الحياة، والحياة لا أصل لها، وغير ذلك من هذه الضلالات، وأوصلوا خبره إلى بهرام فأصدر أمراً بإحضاره ولما وقف أمام عرشه، قال بهرام: قل كلمتك، فقرر مانى هذه الفصول، قال بهرام ماذا تقول؟ حياتك أفضل أم موتك؟ قال: الروح لى موت، قال: أصنع معك مثل ما قلت، فأمر به فشنقه، وانطفت مادة بشره، وكانت مدة حكم بهرام ثلاثة أعوام وثلاثة أشهر وثلاثة أيام.

بهرام بن بهرام: وكانوا يسمونه صلف بسبب أن تصلفه وتكلفه كان أثر من جميع الملوك، وكان تجبره إلى أبعد مدى ويعاقب عقاباً كبيراً على ذنب ضئيل، وكان يتجاوز عتبة العتاب على الجرم الصغير ويصل إلى عقبة العقاب، وضاق الخلق من حكمه ونفروا من طبعه وعقابه، ومضوا إلى الموابذة والعلماء وطلبوا منهم المعاونة، فقال مويذ: إنى أصلح أمرى هذا إذا أطعتمونى، فقالوا جميعاً: نحن رهن إشارتك، قال: الصواب هو ألا يمضى إليه أحد ممن يعملون من الغد فى الصباح وألا يقوم أحد بعمل، فمثلاً لو أراد الحصان فمن يضع له الركاب لا يذهب إليه، وإذا أراد الخبز فإن الطباخ يتغيب، وصنع الجماعة ذلك، وضجر من ذلك ضجراً عظيماً وغلب عليه الجوع والخوف، وقدم عليه مويذ من الموابذة فى ذلك الوقت، وقال: أوقن بأنك لا تقدر على الملك وحدك ويحسن أن يكون ملكك مع أصدقائك، وملك بهؤلاء القوم، وبسبب هذا زال عن بهرام سوء خلقه، وسلك طريق العدالة، وكانت مدة ملكه عشرين سنة.

بهرام بن بهرام بن بهرام: كانوا يسمونه ملك الملوك، وذكر محمد بن جرير الطبرى فى غرر السير أن مدة عمره كانت قصيرة فكعمر الزهر، وكانت مدة مملكته أربعة أشهر، وأقام العدل فى هذه الأيام وأسعد الرعية بإحسانه الشامل، ولما توفى لم يكن له ولد، فأفضى الملك إلى أخيه.

نرسى بن بهرام: كان ملكاً كريماً رحيماً واستراح الخلق فى عهده، وكانت مدة حكمه تسعة أعوام.

هرمز بن نرسى: كان عظيماً شجاعاً جباراً، ولما أصبح ملكاً خشيه الناس وفزعوا، وذات يوم سأل حكيماً ماذا ينبغى لى؟ فقال الحكيم: يجب أن يكون حكمك على الرعية مثل حكمك على نفسك حتى تكون جديراً بالملك وتستطيع أن تحفظه، ولما سمع هرمز هذا الكلام قبله، وسلك طريق العدالة فى الحياة، وجعل شعاره الحلم ولما توفى لم يكن له ولد وكانت امرأته حاملاً، فعلقوا التاج على رأسها، وكانوا يحكمون حتى ولد شابور، وكانت مدة ملك هرمز تسعة أعوام، ويقال: سبعة أعوام وتسعة أشهر.

شابور بن هرمز: كان طفلاً وأجلسوه على العرش وعمره أربعون يوماً في مدينة طيسفون التي يسميها العرب طيسوان، وكان له وزير يسمى شهروى كان يدبر ملكه، وبعد خمسة أعوام كان جالساً ذات ليلة معه، فسمع صوت طبل فجأة، فسأل ما هذا؟ فقال الوزير: على نجلة جسر والناس متفرقون من كلا الطرفين، ويقرعون هذا الطبل حتى يرجع الناس بسرعة إلى مقرهم، لأن المرور على الجسر في الليل مع كثرة الناس فيه مخاطرة عليهم، فأمر شابور بإقامة جسر آخر من أجل رفاهية الناس، وكان هذا أول حكم حكمه، ولما بلغ الثامنة قدم إصطخر وهي حاضرة أجداده، واشتغل بالعدل والقسطاس.

حكاية: جاء من الغساسنة من يسمى طاهر بجيش، وأغار على مدينة طيسفون، واختطف بنتاً من أقارب شابور وتزوجها، وولدت هذه المرأة من طاهر بنتاً سماها ملكه، ولما بلغ شابور السادسة والعشرين قاد الجيش ومضى لمحاربة الغساسنة، فهرب طاهر منه واحتفى في قلعة فحاصرها شابور شهراً، وفي أثناء هذا انضمت إليه ملكه، وجاءت بشابور إلى القلعة، فقبض على طاهر، وخلع أيادي أتباعه من أكتافهم، ولهذا السبب لقبه العرب بشابور ذي الأكتاف، ثم عاد إلى فارس، وفي نهاية الأمر ارتكب كثيراً من الأخطاء، وتخفى في زى تاجر ومضى إلى الروم، واقتدى بإسفنديار الذي مضى إلى قلعة روبيين وبذلك أخطأ.

شعر

الخطأ خطأ ولو أتى منه المصواب فلا تخطئ فللخطأ خطر عظيم

وعرفوه هناك، فأمر قسطنطين القيصر بأن يخاط عليه بكيس من الجلد ورموه في بيت، ومضى القيصر إلى إيران، ونهب مملكة شابور، ثم عاد إلى بلاد الروم، وفي تلك الأثناء أخرجت فتاة من الحراس شابور من الجلد فخرج ومضى إلى إيران وجمع حوله الجيش ومضى إلى بلاد الروم، وأسر القيصر وقتل أتباعه وشيعته، وقطع أذن القيصر وجعل في أنفه زماماً، وانتقم أضعاف ما فعله القيصر في إيران، وعاد إلى فارس،

ومات القيصر فى الحبس. ومن آثاره مدينة المدائن وفيروز شاپور وعكا وطيسوان على حدود بغداد وشادروان تستر ونيسابور وخراسان، ولما بلغ عمره سبعين عاماً ونيقاً كان له ولدان شاپور وبهرام، وكان كلاهما طفلاً، فجعل أخاه ولياً للعهد بشرط أنه عندما يبلغ شاپور مبلغ الرجال يكون الملك له، وكانت مدة ملكه خمسة وسبعين عاماً.

أريشير بن هرمز: خلف أخاه بناء على الوصية، واستمال الجيش والرعية، ولما توطد له الملك، انصرف إلى القضاء على رجال أخيه، واجتهد على أن يمحو آثار شاپور، وقتل عدة أشخاص، فخاف الآخرون واجتمعوا وأعطوا الملك لشاپور، وكانت مدة ملكه عشرة أعوام.

شاپور بن شاپور: لما أصبح ملكاً دبر الأمور، وأبعد الفساد عن المملكة، ونظم أمور الدولة وأدخل عمه فى طاعته، وفى آخر الأمر أبدى سوء النية وباء فى الظلم، ولم يعطه الله تعالى عمراً، وعندما كان نائماً ذات ليلة فى مصاده هبت ريح عاتية، ووقع على رأسه روافد سقف إيوانه وتوفى، وكانت مدة مملكته خمسة أعوام وأربعة أشهر.

بهرام بن شاپور: خلف أخاه وسلك مسلكاً حسناً وأنجز أعمالاً عظيمة وبنى مدينة كرمان، وبعد ذلك ترك سيرة العدل وبدأ فى الظلم، ولكن لم تتحمل الرعية هذا، ومات فى ثورة، وأسندوا الملك لابنه، وكانت مدة ملكه اثنتى عشرة سنة.

يزدجرد بن بهرام: كان ملكاً ظالماً أسوأ من أبيه، ومن سوء سيرته أنه لم يكن يسمع لأحد شفاعته، ولم يُصغِرْ إلى تظلم أى مظلوم، وولد له ولد بعد ثمانية أعوام أسماه بهرام، واستودعه عند النعمان بن المنذر ملك العرب الذى كان فى بلاد الحيرة بالقرب من الكوفة وشب بهرام هناك، وكان ليزدجرد فرس رفسه على ضفة نبع أخضر فى طوس وقتله، وكانت مدة ملكه إحدى وعشرين سنة.

بهرام بن يزدجرد: كانوا يسمونه بهرام كور وسبب ذلك أنه مضى ذات يوم مع النعمان للصيد، فرأى أسداً يفترس حماراً وحشياً فرمى بهرام سهماً خرج من ظهر الأسد ويطن الحمار ويدخل فى الأرض الصلبة، ولما رأى النعمان جرح هذا السهم أثنى على يده وذراعه، وقال: لو أنى لم أرَ ما صدقت بالسماع.

وبعد يزجرد فإن عظماء الفرس بسبب مكابدتهم الشدائد الكثيرة من أبيه جعلوا من يسمى كسرى الذى كان من نسل أردشير ملكاً عليهم. وقدم بهرام مع النعمان بن المنذر، فاستقبله عظماء الفرس، وقالوا : رأينا من أهلك ظمأً شديداً ولا نرضى مطلقاً أن يكون من نسله شخص ملكاً علينا، فاستمالهم بهرام وقال : معلوم لى أنى لا أسلك إلا طريق العدل وأنتم اخترتم شخصاً وجعلتموه ملكاً وأنا أبطل سعيكم، ضعوا غداً تاج الملك بين أسدين مفترسين جانعين، ومن يحمل التاج ويضعه على رأسه يكون له الملك، ففعلوا هذا وكان بهرام وكسرى حاضرين، ولما رأى كسرى الأسدين الجانعين قال : الروح لى أفضل من الملك، فتقدم بهرام وقال : كل من على رأسه تاج ينبغى له أن يكون مغامراً، وهجم على الأسدين وقتلها جميعاً، ووضع التاج على رأسه، وأصبح ملكاً وزان الدنيا بالعدل والإنصاف، وقدم للنعمان خدمات جليلة وعاد، وبعد ذلك عاد إلى سروره وبهجته وبالع في هذا كثيراً، وغفل عن أمر الرعية، وأثر المتعة الشخصية على سياسة الملك، واختار النظر فى الأمور العارضة حتى وصل الخبر إلى خاقان الترك فاغتنم الفرصة، وقصد هذه الديار بجيش جرار، وكان بهرام غافلاً عن هذا، ووضع رأسه على وسادة السكر وولى ظهره للحرب، وأبلغه لسان الزمان هذه الرسالة.

شعر

أيها الملك أى شىء سوف يظهر من هذه الخمر الكثيرة

وأى شىء سوف يظهر من هذا السكر الذى لا حد له

الملك ثمل والدنيا خربة والعدو فى الأمام والخلف

فانتبه أى شىء سوف يظهر من هذا

ولما عبر خاقان الصين والجيش نهر ترمز، بلغ الخبر بهرام، ولم يكن جيشه

حاضراً وعتاده غير صالح، فاستاء بهرام من هذا، وقال: ليست ثقتنا على الجيش وإنما

على الله تعالى، ولم يلتفت إلى هذا الخصم، وقال: سأذهب إلى بيت نار آذربيجان ومن

هناك إلى جرج وعندما أعود أرى ما صنعه الخاقان، وأناب عنه أخاه نرسى، ومضى مع ثلاثة آلاف رجل بطل، فظن الناس أن بهرام هرب، وأنه سيمضى إلى الروم وسوف يلجأ إلى القيصر، فأرسل عظماء الفرس الرسل بالأموال الكثيرة إلى الخاقان الذى قبل المال. فرضى الخاقان بالصلح وبقي آمناً مطمئناً حتى يمضوا ويعودوا، فقدم بهرام أذربيجان ومضى إلى كرجستان واجتاز صحراء القبجاق ومضى إلى جرجان عن طريق خوارزم، ودهم الخاقان كاليث القوى وبيته وقطع رأسه بيده، وغنم تاجه وعرشه وخزائنه، وأعاد المال الذى أخذه من إيران إلى السادة، وأعمل السيف فى معظم جيشه، وقدم فارس، وبعد ذلك مضى إلى الحبشة واليمن، وأرسل أخاه نرسى إلى الروم، وعاد كلاهما منتصراً.

وكان ذات يوم يتعقب حماراً وحشياً فى الصيد، فصادفته أرض سبخة، وساخ فى الطين مع حصانه واختفى، وكانت مدة ملكه ثلاثة وستين عاماً.

شعر

ذلك القصر الذى كان يشرب فيه بهرام الكأس ولدت فيه الطيبة وارتاح فيه الثعلب
وفى ذلك المكان الذى صاد فيه بهرام حمار الوحش هل يطول الوقت الذى يطوى فيه القبر بهرام
يزنجرى بن بهرام: لم يكن له مثيل فى العالم كله فى الكمال والجمال واللطافة،
وكان وحيداً فى حسن العمل والقول، ودبر شئون المملكة، واشتهر بالعدل والإنصاف،
وكان له ولدان هرمز وفيروز، وكانت مدة ملكه ثمانية عشر عاماً.

هرمز بن يزنجرى: كان ولى عهد أبيه وابنه الأصغر، وأرسل الأب الأخ الأكبر إلى سجستان وأسند إليه تلك الولاية، فثار عليه بمعونة ملك الهياطلة وقتل أخاه وأصبح ملكاً.

فيروز بن يزنجرى: كان ملكاً عادلاً كريماً ووقع فى أيامه قحط استمر سبع سنوات، وفى ذلك الوقت رفع الخراج عن الرعية، وفعل ذلك رغبة منه فى ألا يبيت أحد

فى مملكته من فقير و غنى وهو جائع، ولما ظهر أثر عدله فى الدنيا بأسرها بدل الله تعالى هذا الضيق بالسعة والنعمة، وهطلت أمطار الرحمة ورخصت الأسعار، وقالوا: سلطان عادل خير من مطر وابل.

شعر

ما دام الملك عادلاً فلا تشك وعدل السلطان أفضل من السنة الخصبه
حكاية: فى ذلك الوقت الذى انتصر فيه فيروز على هرمز بمعاونة خشنوار ملك
الهياطلة وأصبح ملكاً، كان خشنوار هذا قد وضع أساس الظلم والتعدي على الرعية،
وسلك مسلك قوم لوط، فاشتكى الخلق من هذا الوضع، وطلبوا الإنصاف من حضرة
فيروز، فأرسل فيروز إليه رسولاً، وقال: لك حق على ولكن حق الله أعظم من حقك وهؤلاء
الخلق يتظلمون منك، ولو لم تكف عن هذا الفعل المذموم فالعهد بينى وبينك مستحکم
وإذا لم تقدم على هذا، فسوف أحضر وأدمر بلادك، ولم يلتفت خشنوار إلى كلامه،
فقداد فيروز الجيش وقصده، ولما علم بالخبر استشار قادة الجيش، وقال: أعلم أن لا
طاقة ولا مقاومة لى بجيش فيروز، فقال قائد من قواده: إذا قبل الملك زوجتى وأبنائى
أن يكونوا له بعدى حتى أطمئن عليهم تماماً فأنا أكفيك شر فيروز وجيشه، فتكفل
خشنوار فى حضور المعارف بهم، وأعطاهم مالاً كثيراً، فقطع هذا الأمير يده،
واستقبلهم وجلس فى طريق فيروز، وعرض نفسه عليه، فعرفه فيروز وقال: ما الحالة؟
قال: كنت ألوم خشنوار مدة وأنصحك أنك لا تقدر على مقاومة فيروز والمصلحة فى أن
تجتهد فى مصالحتهم، فاتهمنى وقطع يدى، وطرحت نفسى فى هذا الطريق حتى تطلع
شمس إقبالك وتنتقم منه، وتستغرق المدة من المكان الذى تأتون منه إلى المكان الذى هو
فيه عشرين يوماً، وأنا أدلكم على طريق تصلون منه إليه فى خمسة أيام وتتقضون
عليه فجأة.

فانخدع فيروز بكلامه ولم يعلم أن العدو ولو أكثر من الملاطفة لن يكون صديقاً
قط، وأمر الجيش ليدبروا الماء والعلف لخمسة أيام وحمل قطيعه إلى الصحراء،

فلو جلست على وهم الريح فلن تجد لها ساحلاً، ولم يكن حتى للجاسوس فكرة وضع قدم النخيل للتجول على ساحتها. ولما انقضت خمسة أيام فلم تبق لخيولهم طاقة ولا ماء، فودع هذا القطيع الحياة، وقال: لقد تحقق غرضي وصار الأمر على ما أريد، فبقى فيروز عشرين يوماً بلياها في تلك الصحراء، وهلك جيشه كله، وتخلص فيروز مع جماعة قليلة من هذه الورطة، وانثنى عن استيلائه عن ملك خشنوار، وأرسل شخصاً لحكم الضرورة واستغفر عن كل ما حدث وطلب العذر، فقال خشنوار: أصطليح معك وأرسلك إلى دار الملك بشرط أن نعين حداً كي لا تتجاوز، ثم أرسل إليه العلف والعلوفة والخلع، وأمر أن يشيدوا منارة من الجص والحجر، وأقسم فيروز بأنه لن يتجاوز هذه المنارة وإن يتعدّ وله ما وراء هذا الحد، ثم أرسل فيروز إلى ولايته، وبعد ثلاث سنوات تحركت في نفس فيروز الرغبة في الانتقام، وأراد أن ينتقم منه على هذه المعاملة، فجهز الجيش وقصد ولايته، فقال الموازنة والعظماء: إن نقض العهد لا يليق بالملك، قال: لا أحنث في يميني، وساق الجيش ولما وصل إلى هذه المنارة أمر أن تستأصل بحيلة وحملوها أمام الجيش وقال: لقد أقسمت أني لن أتجاوز هذه المنارة، ولما وصل الخبر إلى خشنوار علم أنه لا يستطيع أن يقاومه، فأمر أن يحفروا خندقاً في الطريق وأن يغطوا رأسه، ولما تقابل الجمعان لحقت الهزيمة بخشنوار وتعبوه، وسقطوا جميعاً في هذا الخندق وماتوا.

شعر

الظالم الذي أكل الشواء من قلب الفقير وإذا نظرت فقد أكله من جانبه
الدنيا عسل وكل من أكل منها كثيراً فإن دمه يكثُر ويصاب بالحمى ويلدغ
إن هذه الحكاية عبرت لملوك الدنيا على تربية العبيد الذين حسنت سيرتهم
واعتقادهم في الخوف والرجاء والشدة والرخاء ليجعلوها ترساً يدفعون به سيف
الخطوب، وأن يكونوا أوفياء في حياتهم ومماتهم، وكانت مدة ملك فيروز ثمانية
وعشرين سنة.

بلاش بن فيروز: لما أصبح ملكاً جعل أمور المملكة فى يد سوخر وزير أبيه، ودبر أمور الملك على أساس علمه وسداد رأيه، وبذلك صار العالم معموراً والقلوب مسرورة، وبني مدينة فى سواد العراق سماها بلاش آباد، وفى تلك المدة هرب أخوه قباد، واتصل بخاقان الترك، وبينما هو فى الطريق فقد نزل فى قصر الدهقان فى مدينة إسفرايين، ومع أن الدهقان لم يعرفه، فقد أدبى واجب الضيافة، وكانت له بنت ذات جمال فزوجه إياها، وحملت منه فى هذه الفترة، ومضى قباد إلى الخاقان، فولدت البنت ابنًا بعد تسعة أشهر كان فى جماله مثل العسل، ولذلك السبب سموه نوش روان، وبقي قباد أربعة أعوام فى تركستان، وبعد ذلك أرسل معه الخاقان جيشاً حتى يستخلص الملك لنفسه، ولما وصل قباد لهذه القرية ورأى هذا الطفل، ونال حظ السرور من مشاهدته، وفى اليوم نفسه قدم رسول من بلاد إيران ونعى إليه أخاه، ويشهره بأن أهل العجم يريدونه ليجعلوا له التاج والعرش، فتفاعل قباد بهذا الولد وحمله معه إلى المدائن، واستولى على الملك واتفق مع سوخر، وكانت مدة ملك بلاش أربعة أعوام وشهراً.

قباد بن فيروز: لما أصبح ملكاً كرس جهده للعدل والقسطاس، وعمر العالم، ولما مرت خمسة أعوام على توليه الملك كان سوخر قد دبر أمور الملك وتولى زمام الأمور، ويقوم بإدارة الأعمال بون مشورة قباد، فضاق منه واشتكاه لعظيم من أركان الدولة اسمه شابور، وقال: لست إلا رمزاً، وباقى الأعمال كلها لسوخر، فقال شابور: يجب ألا يفكر الملك فى ذلك، وسأقوم بعمله من الغد، وفى اليوم التالى قدم سوخر إلى القصر، فالتفت إليه شابور، وقال: لماذا لا تعرف حدك ونسيت نفسك وتتدخل فى الأعمال بغير أمر الملك؟، فحل الحزام عن وسطه ووضعه فى عنقه، ونجا قباد منه، وأسلم الأمر لشابور، وجعل الحقوق القديمة على أثر الغضب كأن لم تكن، حتى يعلم العقلاء أن خدمة الملوك فتنة الأخطار، وملازمة بساط السلاطين أمر صعب، وعلى من يطلب السلامة أن يتحاشى خدمة الملوك حتى يصاب من بلاء عقابهم.

شعر

كان في خدمة الملوك أخطار عظيمة لا يمكن للإنسان من أجل المنفعة أن يشرب دم نفسه
ومهما أثمر فضلك في الدنيا لا تأمن من خطرات جنونه^(٢٩)

ولما تولد الملك لقباد وقوى غير من سيرته، وحاد عن جادة العدل، فرفع شأن
الأشرار وقهر الأخيار، فبلغت روح الخلق التراقي^(٣٠) وبلغ السكين العظم، فاتفق الجميع
بعضهم مع بعض وخلعوه، وكان له أخ يسمى جاماسب فأجلسوه على العرش، إلا إنه
لم يكن له نصيب من شعاع السعادة والنور الإلهي، وكان في تدبير مملكته بعيد الرأي
عن الصواب، فأعطى قباد لبزرجمهر الذي كان ابن سوخر لينتقم لأبيه، ولم يعلم أنه
أعقل من أن يقدم على مثل هذا، فرعى بزرجمهر جانب قباد، فغضب جاماسب منه
وحقد عليه، فقال لبزرجمهر لقباد: إن الخبر في أن نتفق مع ملك الهياطلة ونطلب منه
المدد، فاتصلوا به وجاء رسوله معزراً مكرماً وقدم خدماته، وأرسل معه جيشاً عظيماً،
ولما ساق قباد الجيش، عرف أعيان وأركان المملكة أن لا طاقة لهم بحملته، فسجنوا
جاماسب وقدموا معترزين، فقابل قباد معذرتهم بالمغفرة، وأصبح ملكاً وأسند الوزارة
إلى بزرجمهر وظهر مزدك في عهده.

حكاية: أظهر مزدك الإباحية وسمى هذا مذهب العدل وتبعه قباد واعتنق مذهبه،
وألغى العبادة بين الناس وسمح لهم أن يتصرفوا في النساء وأموال بعضهم البعض،
ولم يقبل أنوشيروان مذهبه، واستدعى العلماء والموابذة وتكلم معهم واتهم مزدك، ثم انصرف
قباد عن مذهبه وسلمه لأنوشيروان، وكان أنوشيروان يعزه، وأمر أن يجمعوا أتباعه بحيلة
وأقاموا جبلاً في حديقة، وجعلوهم عليها منكسين بدلاً من الأشجار، وبعد ذلك أمر
مزدك أن يمضي للحديقة للتنزه، ولما رأى تعجب فقبضوا عليه وصلبوه فوقها.

وفي عهده ثار شمر ذو الجناحين وكان من ملوك اليمن، وعجز قباد عن مقاومته
واصطلحا، وأرسل إليه الهدايا وعاونته حتى مضى إلى ما وراء النهر، واستولى على هذه
الولاية، ومن آثاره كازرون في فارس، وحلوان في العراق، وحانوت في ديار الموصل،

ومضى فى آخر عمره إلى الروم وعاد ظافراً، ولما بلغ الثمانين جعل الملك لابنه، وكانت مدة حكمه أربعين سنة.

أنوشيروان العادل كسرى بن قباد: كان ملكاً عادلاً، استراح الخلق فى عصره وترفها كما قالوا فى الأمثال.

شعر

انظر جزاء حسن العمل فإن الزمان حتى الآن يخرّب قصر كسرى

ولما جلس على عرش الملك، غسل صحن العالم بماء العدل من لوث الظلم والبدعة، وحسن حظ العرش به، وأصبح التاج به مرتفع الهامة وتمكن به خاتم الملك، ويعد أن رأى العالمون خريف الأحزان شاهدوا اعتدال ربيع العدل، وفى تلك الفترة التى عم فيها العدل، ورفع راية الإحسان، ترك سمعة طيبة، كما قال المصطفى (صلوات الله وسلامه عليه): "ولدت فى زمن الملك العادل أنوشيروان" (٢١).

هكاية: فى عهده باع رجلٌ حديقة، فوجد المشتري فى الحديقة كنزاً، فقال للبائع: إن هذا الكنز لك، فقال البائع: لو كان لى لظهر، لقد بعت لك الحديقة وما فيها فكل هذا لك، وأخبروا أنوشيروان بهذه القصة فأمر أن يزوج أحدهما ابنة من بنت الآخر ويقتسموا المال. ويقال: إنه كان يراقب الرعية إلى أبعد حد، ولما مضى ذات يوم إلى الصيد مسته الحاجة للملح، وكانت قرية قريبة، فأرسلوا فارساً ليحضر ملحاً، وأمر أنوشيروان أن يشتريه بذهب، قالوا: ما قيمة هذا؟ قال: أخشى من بعدى أن يكون عادة ويكون سبباً لمشقة الرعية.

وبناء على القرار السابق كان بزرجمهر وزيره، وبعد مدة مضى كسرى إلى الروم وأسر القيصر ثم أطلق سراحه بشرط أن يأتى كل عام إلى القصر، ومضى من هناك إلى ما وراء النهر واصططح مع الخاقان بشرط أن تكون فرغانة لأنوشيروان وزوجه ابنته، ومضى لمحاربة الهياطلة وقهرهم، ومضى إلى الهند والصين وقد التزم بأداء الخراج وعاد، وجاء من دربند أن القبجاق أغاروا، فمضى إليهم وقمعهم، وأمر بتعمير

دربند، وفي بداية عهده ظهر خالد بن سنان العبسي نبياً في العرب، ويقال: إنه كان أول نبي ظهر من نسل إسماعيل (عليه السلام)، ويقولون: إن الملك الذي جاءه بالوحي كان مالك خازن جهنم، وقالوا في حقه:

شعر

وخالدنا العبسي لا ينكرونه نبى الإله كان بان راتدارا

ويقال: إن ابنته مضت لخدمة المصطفى (عليه السلام) وكانت عجوزاً، فجلسها المصطفى (عليه السلام) على رداءه المبارك وقال: مرحباً بابنة نبي ضيعة أهله، وسمعت سورة الإخلاص، فقالت: كان أبى يقرأها^(٢٦). وولد نبينا محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) في آخر عهده، وفي ذلك الوقت انطفأت بيوت النار وجفت بحيرة ساوة وسقطت اثنتا عشرة شرفة من إيوان كسرى، وانهدم دير جواث في الهند، وكنيسة المسيحيين في بلاد الأرمن، وبنى كسرى مدينة تسمى رومية بجوار المدائن على هيئة أنطاكية، ولما بلغ الرابعة والثمانين أسند ولاية الملك إلى هرمز، وأوصى أن لا تظهر مقبرته وتوفى، وكانت مدة ملكه أربعاً وأربعين سنة، وكان نقش خاتمه (لا يكون العمران حيث يجور السلطان).

هرمز بن أنوشيروان: بناء على الوصية خلف أباه، وهو ابن ابنة الخاقان، وكان ملكاً قاهراً سائساً، شغل نفسه بالعدل، وتفوق في ميدان العدل على كسرى، وبالف كثيراً في رعاية الضعفاء وقهر المعتدين بحيث إنه عاقب ثلاثة عشر ألفاً من عظماء العجم، ولم يكن له نصيب من العلم والعفو ويعاقب على الذنب الصغير، ولذلك السبب نفرت منه قلوب الملوك والأبطال وقصده من أطراف البلاد كل من القيصر من الروم وعباس الأحول وعمر الأرزاق من العرب، ومن الترك سابه خاقان الصين، وقد دفع شر هؤلاء عنه بالمال والصلح، وأرسل بهرام جوبين إلى خراسان، ومضى لمحاربة الخاقان حتى قتله، وبعد ذلك تمرد بهرام، وسلط قادة الجيش على برويز، فبلغ هذا الخبر هرمز، فهرب برويز ومضى إلى آذربيجان، فأرسل هرمز جيشاً لمحاربة بهرام، فانهزم جيش هرمز وأسره أكابر الفرس وسملوه عينيه، وكانت مدة ملكه أحد عشر عاماً.

خسرو برويز هرمز: لما بلغه خبر أبيه قدّم المدائن وأصبح ملكاً، والتّمس العذر من أبيه، وشاء أبوه أن ينتقم منه، فنّار بهرام، فهرب برويز منه ومضى إلى الروم، وطلب يد ابنة القيصر، وقدم العراق وحاربه بهرام، فهرب منه بهرام ومضى إلى التركستان، وهناك قتلتّه زوجة الخاقان بالسّم، ويقولون: إن ملوك شروان وأصفهبد وكيلان من نسل بهرام جويين.

ويلغ برويز الغاية في الملك لأنّه تفوق على ملوك الدنيا جميعاً، وظهر في عهده ما لم يره ملك آخر، أولها إيوان كسرى الذي يقول أكثر الناس: إنه هو الذي أتمه واستمتع به، وكان له تاج مصنوع من ذهب يزن ستين مثناً، مزين بجواهر لم يرَ ملك مثلاً قط، وله عرش جميل من العاج والساج المرصع بالجواهر تبرز منه صور جميلة للأفلاك والبروج وشكل الأرض وفيه صور جميع الأقاليم، كما توجد صورة جميلة مثل شيرين التي كانت مشهورة بجمالها في الدنيا، وكانت أسطورة الزمان، ولما وصل إلى حد الكمال اتجه إلى الزوال.

شعر

إذا تم أمر دنّا نقصه توقّع زوالاً إذا قيل تم

وفى آخر أيامه كتب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) رسالة إليه دعاه فيها للإسلام، ولما نظر برويز في الرسالة ورأى اسم محمد فوق اسمه، غضب ومزق الرسالة، فبلغ الخبر المصطفى (ﷺ) فقال: "مزق الله ملكه كما مزق كتابي" (٣٣)، واستجاب الله دعاه، وأرسل برويز أمراً إلى باذان بن ساسان الذي كان ملك اليمن قائلاً: قل للرجل الذي ادعى النبوة في تهامة أن يعود إلى دينه وإلا أرسله إليّ، فأرسل باذان فيروز الديلمي، ولما وصل إلى الحضرة عرض الرسالة، فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم): لقد قتلوا برويز البارحة، فتحققوا من الأمر فجاء صحيحاً، فأسلموا جميعاً، وكان سبب قتله أنه كان يحقر العظماء فتفروا منه جميعاً. وفضلوا عليه ابنه شيرويه الذي اعتبروه قاتل أبيه، وكانت مدة ملكه ستة وثلاثين عاماً.

شيرويه بن برويز: كانت أمه مريم ابنة قيصر الروم، ويقولون: حينما رأى برويز علامات السخط وخلاف الجيش وعقوق شيرويه خاف منه على الدوام، فركب قادراً من السم القاتل، ووضعه في وعاء وكتب عليه دواء مجرب مقول للباءة، ووضعه في الخزانة، ولما انتهى أمره وصار شيرويه ملكاً، ولما فرغ من شئون الملك انصرف إلى اللهو والمتعة، وكان قد سمع بشهرة شيرين وجمالها، فأرسل شخصاً لها وقال: اقبليني زوجاً، فقالت شيرين أقبل هذا ولكن على شرطين أولهما: المال الذي أخذته مني مَرُ برده إلي، والثاني: أن تسمح لي بزيارة برويز، فقال شيرويه: هذا سهل، فأمر بأن يردوا إليها كل ما أخذوه، فأخذت شيرين كل هذا المال وتصدقت به، وبعد ذلك مضت إلى قبر برويز، واحتضنت التراب وفاضت روحها، فأمر شيرويه بدفنها في نفس المكان.

ويقولون: اتفق لشيرويه ذات يوم أن شهد وعاء هذا السم وقرأ ما عليه، وكان مولعاً بالنساء، فكشف غطاءه ووضع قادراً منه في فمه، فأسلم الروح في الحال، وهذا دليل على أن كل من وضع كأساً على كف آخر لابد أن يذوقه، وكل من جعل أفعى في عنق صديقه لابد أن يلاقى المثل، ويقولون: إن شيرويه قتل سبعة عشر رجلاً مع أبيه، وبعد ذلك ظهر مرض الطاعون عليه وعلى معظم عظماء الفرس وماتوا به، وكانت مدة مملكته سبعة أشهر.

أردشير بن شيرويه: كان عمره سبعة أعوام وأجلسوه على العرش في مدينة طيسفون، وأرسل كراز من بلاد الروم رسالة إلى فيروز يقول فيها: اقتل أردشير حتى يصبح الملك بيني وبينك فعمل حيلة له بالسم، وأصبح كراز ملكاً، وكلفت بوران دخت بنت برويز جماعة فقتلوه فجأة، وكانت مدة مملكة أردشير عاماً ونصف.

بوران دخت بنت برويز: بايعها عظماء الفرس وجعلوها ملكة عليهم، وطلبوا أن يأتي منها ما أتى من هماي بنت بهمن.

شعر

ليس كل سيف بذى جـوهر ولا كل لفظ يمطر الجـوهر

ولما بلغ المصطفى (ﷺ) أن أهل العجم ملكوا عليهم امرأة، قال هذا اللفظ المبارك: «لن يقلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة»^(٣٤)، وكان الأمر كذلك، وأسرت بوران دخت فيروز خسرو، وربطته خلف الحصان، وقتلته في وسط الميدان قتلة مهينة، وظهر جيش الإسلام في عصرها وتوفيت، وكانت مدة ملكها ستة أشهر.

أزرمى نخت برويز: وكان الملك من بعدها لأختها، ومهما كان لها من مقومات الكفاية والشهامة، ولكن الدولة ليست لها الجدارة فما الجبوى.

شعر

إذ لم يكن لى من العلم سوى الغم وإن لم يكن الحظ موافقاً فما جدوى العلم

وقتلوها بالسم، وكانت مدة ملكها أربعة أشهر.

فرخ زاد: يقول محمد بن جرير الطبري: إن سبب موت آزرمى دخت لما أصبحت ملكة، كان هناك رجل يسمى فرخ زاد من أبناء برويز فجعلته وزيراً، وكان له ولد يسمى رستم - كان أمير خراسان - ، فعشق فرخ زاد آزرمى دخت، وعرض نفسه عليها بالتصريح والتحريض، وأظهر لها ألم القلب فقالت آزرمى دخت: لا يليق بالملكة أن تتزوج فى العلن، ولكن إذا كنت تتوق إلى وصالنا، فينبغى أن تأتى تحت جناح الظلام لتتال بغيتك، ويقولون عن الليل: إنه يفتح الطريق للعشاق، فظن فرخ أنه حقق مقصده، ولما جذب الليل الداجى اللصاف الأسود على صدره، قدم فرخ زاد إلى باب الحرم، فأخبرت آزرمى فأمرت باقتلاع رأسه، وتركوه فى نفس المكان، ولما طلع النهار رآه الناس فعرفوا أنه أراد الملكة وقتل بهذا السبب ودفنوه، ولما علم ابنه الخبر جهز الجيش وقدم المدائن، وأمر بإسقاط آزرمى دخت عن العرش، وبعد الفضيحة اقتصوا منها لأبيه.

يزجرد بن شهريار: كان من أبناء أنوشيروان واختفى خوفاً من شيرويه، فطلبوه وجعلوه ملكاً، وكانوا يسمونه شهريار ولكن ملك العجم كان قد صار ضعيفاً وأشاح الحظ بوجهه عنه، ولما مضت ثمانية أعوام من مملكته، أرسل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب،

سعد بن أبي وقاص، فاستولى على القادسية، فأرسل يزيدجرد رستم بن فرخ زاد لقتاله، فتوجه رستم وقتل وانهزم الجيش، وقوى جيش الإسلام، وكان ليزدجرد قائد يسمى ماهوى سورى، تمرد عليه وانضم لجيش الترك، وقامت الحرب بينهما، وهرب يزيدجرد، ولجأ إلى طحان، فأخبر الطحان ماهوى وأرسله وقتلوا يزيدجرد، ووصل ملك الفرس إلى نهايته، وانقرضت دولة بنى ساسان، وارتفعت راية الدين الحنيف، وصار الملك فى يد جيش الإسلام.

شعر

لا ثبات للدينا لأن الدينا امرأة مشعوذة جميلة فلا تعلق بها أملاً
تأخذ الملك من كسرى بالرمح أحياناً وأحياناً أخرى تدمر القيصر وملك الهند
أصبح ملك ودولة برويز خرافة فى العالم ولم يبق أثر لذلك الملك والجاه والجبروت
يمسك الطبل ويقول فى أذن العادلين نداء فاعتبروا يا أولى الأبصار

وكانت مدة ملك يزيدجرد ثمانية أعوام، ومن عهده إلى يومنا هذا، وهى شهور سنة سبع عشرة وسبعمائة هجرية. ستمائة وستة وثمانون عاماً.

هوامش القسم الثاني

(١) هذا الكتاب من الآثار الفارسية التي ألفها الإمام الفزالي في حدود سنة ٥٠٣ هـ، وقدمها إلى السلطان سنجر السلجوقي وهو كتاب في الحكمة، ويشتمل هذا الكتاب على مقدمة وسبعة أبواب وخاتمة، وهو في سير الملوك والوزراء وعلماء الحكمة، وترجم هذا الكتاب مراراً إلى العربية والتركية زهراخانلوي: فرهنگ ادبيات فارسي، ص ٥٠٦ .

(٢) كتاب يشتمل على الحكم والأدب والأخلاق، كتبه حكماء إيران قبل الإسلام، وينسبونه أحياناً إلى هوشنك أو إلى حكماء عصره، وطبع في مصر باسم الحكمة الخالدة، وترجم إلى الفارسية من العربية مرة أخرى في سنة ١٢٩٦ هـ. ق.

د/معين: فرهنگ معين، ج ٥، ص ٣٩٣ .

(٣) هكذا في الأصل.

(٤) هكذا في الأصل.

(٥) عيد قومي وطني عند الإيرانيين منذ قديم الزمان، وبه تبدأ السنة الإيرانية ويوافق الحادي والعشرين من مارس من كل عام ميلادي، وتعطل فيه جميع المصالح والمدارس والجامعات مدة تقارب الأسبوعين. وهو اليوم الأول من شهر "فروردين" التي تبدأ به السنة الإيرانية.

(٦) بطل تشترك فيه أساطير إيران والهند، وهو اسم أحد الملوك البشداديين، واشتهر بعدله وينسب إلى طهمورث، ويقال إنه نوح (عليه السلام)، ويقال أيضاً: إنه ذو القرنين.

(٧) دولة حكمت في إيران بعد الأسرة البشدادية، أسسها الملك كورش، الذي أرسى أساس الحضارة في العالم، ورفع الظلم عن العالمين، وعرف عند القدماء بالملخص، لأنه أراد أن يخلص الناس من كل ما حاق بهم من مكاره وشدائد، وينسب إليه أنه أول من كتب أول وثيقة مفصلة تتضمن حقوق الإنسان، كان لين الجانب، ولما هزم عدوه أتياك لم يقتله. وفي عام ٥٤٦ ق.م. سقطت في يده عاصمة الميديين كما وقعت في حوزته ممتلكات اليونان في آسيا الصغرى، وغير مجرى نهر الفرات، حتى تم له فتح بابل، ونهى جنده عن القتل والسلب، كما كان متسامحاً إلى أبعد غاية، وكانت وفاته عام ٥٢٨ ق.م. ودفن في مدينة پازرگاد في جنوب إيران.

(٨) أوسع الأبطال الأسطوريين شهرة عند الفرس، وسيرته تكتنفها الأساطير والخوارق، فك أسير الملك كيكائوس الذي وقع في أسر الجن وعميت عيناه، فقتل رستم ملك الجن وأخرج كبده من صدره ومسح بها عين كيكائوس فارتد بصيرا، ويذكر كثيراً في شعر القصص الفارسي على أنه بطل إيران المظفر المنقطع النظير.

(٩) يسمى في القصص الإيرانية ملك التوراتيين الذي دخل في حرب مع إيران لمدة طويلة من الزمن، وأسر وقتل في عهد كيخسرو.

(١٠) يميل البناتكي إلى الاستطراد المفيد، فهو يميل إلى جمع الملوك والحكام والأنبياء في وقت واحد إذا تعاصروا، وهذا يدل على أنه يربط الأحداث والأشخاص والأزمنة، وهذا دليل على سعة اطلاعه.

(١١) بختنصر ملك الكلدانيين ٦٦١ : ٦٠٤ ق.م.، أغار بحملاته على مصر، وفتح أورشليم وأحرقها، والكلدانيون هم سكان بلاد الكلدان، وهم اليوم مسيحو الطائفة الكلدانية، انفصلوا عن الكنيسة السريانية في مناطقها الشرقية في عهد الفرس، وبعد ذلك انقسمت إلى عدة أقسام. لويس معلوف: المنجد، بيروت ١٩٢٧م ص ٦٦.

(١٢) هكذا في الأصل.

(١٣) نبي الفرس القديم الذي دعا قومه إلى مذهبه القائم على وجود إلهين، إله الخير ويسمى "أهورا مزدا"، والآخر للشر ويسمى "أهرمين"، ولد في مدينة بلخ باترييجان، ويقال: إن الملك بهم ظهر له وأوحى إليه أن يدعو قومه، ووجد سبيله إلى الملك كشتاسب فهداه إلى دينه، وأقره ديناً للدولة وقتل في عام ٣٠٠ ق.م.

(١٤) إسفنديار يعني قدرة الحق والطف الإلهي، وهو ابن كشتاسب أو كشتاسب، ويسمى روبيين تن يعني صاحب الجسم النحاسي.

ابن خلف التبريزي: برهان قاطع، (تهران ١٣٣٦ هـ. ش)، ص ٩١ .

(١٥) يحرص البناتكي على توضيح ما يكتبه، مثال ذلك أنه إذا ذكر علم من الأعلام عرضاً، استطرده وعرف به، ويبدو من هذا أنه قد خرج عن المقام الذي يؤرخ له، ونرى أن هذا رغبة منه في التوضيح والشرح.

(١٦) هكذا في الأصل.

(١٧) ذكر البناتكي اسم هذا الكتاب جامع الحكايات ويدائع الروايات، والصحيح كما هو في المتن، مؤلفه محمد عوض صاحب المؤلفات القيمة ومن مشاهير الكتاب الفرس في القرن السابع الهجري، ولد في بخارى، وحفظ القرآن الكريم وأحاديث الرسول (ﷺ)، وكان مطلعاً على السيرة والعلوم الدينية الأخرى، وسجل هذا كله في كتابه المذكور. وتوفي في دهلي سنة ٦٤٠ هـ تقريباً.

(١٨) دولة من نول إيران القديمة قبل الإسلام حكمت ما بين عامي ٢٥٠ قبل الميلاد وحتى ٢٢٦ بعد الميلاد، وتسمى هذه الدولة باسم مؤسسها (أشك) وبذلك سميت باسمه، وكان آخر ملوكها أردوان الخامس. وسقطت على يد الدولة الساسانية.

(١٩) هكذا في الأصل.

(٢٠) الحديث رواه أبو داود عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه قال: ليس بيني وبينه (يعني عيسى بن مريم عليه السلام) نبي، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مريوع الخلق إلى الحمرة والبياض بين محصرتين، كان رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون.

أبو الطيب محمد شمس آبادي: عون المعبود في شرح سنن أبي داود، ج ١١، ص ٤٥٣ (المدينة المنورة بدون). كذلك رواه البخاري، بلفظ آخر.

البخاري: صحيح البخاري، ج ٢، ص ٧٣، دار إحياء الكتب العربية.

ويلاحظ أن الرواية التي ذكرها البناكتي، تختلف عن نص الحديث المذكور في سنن أبي داود، وربما ذكرها البناكتي بالمعنى.

(٢١) مارينوس الحكيم له كتاب في الجغرافيا باسم صورة الأرض. ابن الأثير - الكامل، ج ١، ص ٣٢٥ .

(٢٢) هكذا في الأصل.

(٢٣) يستشهد البناكتي في بعض الأحيان ببيت من الشعر ولا ينسبه إلى أحد، وإنما يتذكره بمناسبة المقام الذي يتحدث فيه.

(٢٤) أحسن البناكتي بذكر هذين البيتين، وهما بيتان معناهما في ظاهر لفظهما، لأنه ختم بهما الكلام عن الدولة الإشكانية مع أنه لم ينسبهما إلى أحد.

(٢٥) حكم الساسانيون إيران من عام ٢٢٦م حتى ٦٥٢م، كانت تدعى بالدين الزرديشتي، وهي التي أسقطت الدولة الإشكانية، وانقرضت على يد الفتح العربي الإسلامي. و (ساسان) الجد الأول التي تنسب إليه الدولة، ومن أهم ملوكها (أردشير بابكان) و (يزدگرد الثالث).

(٢٦) يلاحظ على البناكتي أنه عندما يذرخ للبول، يدقق في تحديد مدة الدولة، فلا يكتفى بالأعوام بل بالشهور والأيام، ونرى أن هذا غاية الدقة في التحديد.

(٢٧) هكذا في الأصل.

(٢٨) هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي، من علماء الجغرافيا المعروفين في القرن الرابع الهجري، عاصر السامانيين وطاف بالكثير من الممالك الإسلامية وكل المدن الإيرانية، وسجل كل ما رآه في كتابه المعروف بأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم.

زهراي خانلري: فرهنگ ادبيات فارس، ص ٤٧ .

(٢٩) البناكتي في هذا الموضع يجعل نفسه حكيماً مرشداً، وذلك عندما يذكر خبراً يمكن أن يستخلص منه عبرة وعظة، فقد ذكر هاتين البيتين من الشعر رغبة فيه في استخلاص عبرة من أحداث التاريخ والعمل مع الملوك، وبذلك يكون البناكتي فهم المغزى من دراسة التاريخ، لأنه ليس مجرد سرد للأحداث، وإنما هو التعرف على سبب هذه الأحداث، كما أن الاستشهاد بالشعر تأييد لما يريد المؤرخ أن يستخلصه من سرده للأحداث، وبذلك يصبغ كلامه بالطابع الأدبي.

(٣٠) المؤلف متأثر بالآية رقم ٢٦، ٢٧ من سورة القيامة كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق.

(٣١) هذا الحديث موضوع ولا أصل له.

العجلوني: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، ج ٢، ص ٤٧٣ .
مكتبة التراث الإسلامي (حلب بدون تاريخ).

(٣٢) هذه الرواية لا أصل لها في كتب الأحاديث، ويبدو أنها موضوعة بدليل أن سورة الاخلاص بنصها لم تنزل إلا على المصطفى (ﷺ).

(٣٣) الحديث صحيح رواه البخاري، انظر صحيح البخاري بحاشية السندي، ج ٣، ص ٩٠، دار إحياء الكتب العربية.

(٣٤) الحديث صحيح رواه البخاري، صحيح البخاري بحاشية السندي، ج ٣، ص ٩١ .

القسم الثالث

فى بيان النسب المطهر لسيد المرسلين وخاتم النبیین محمد
المصطفى (عليه أفضل الصلوات وأكمل التحیات)، حتى إبراهيم
الخليل (صلوات الرحمن عليه) وشرح حال وشعب الخلفاء
الراشدين والأئمة المهديين، حتى المستعصم الذى كان آخر خلفاء
بنى العباس.

وهم ثلاث طبقات، وعددهم سبعة وخمسون شخصاً، ومدة ملكهم ثلاثمائة وستة
وخمسون عاماً.

الطبقة الأولى: محمد المصطفى (صلى الله عليه وأهله وسلم) والخلفاء الراشدون
حتى الحسين بن على (رضى الله عنهم)، وهم سبعة أشخاص، وكانت مدة خلافتهم
واحداً وأربعين عاماً وشهرين وخمسة أيام.

محمد المصطفى (عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات): اسمه أحمد وكنيته أبو
القاسم، وله اثنا عشر لقباً: المصطفى، الرسول، النبى، المزمّل، المدثر، الشاهد، البشير،
النذير، الماحى، العاقب، الحاشر، خاتم النبیین.

نسبه عليه السلام: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن
قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة
بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن
اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيدر بن إسماعيل بن إبراهيم
(عليهم السلام).

يروون أنه حينما وصل المصطفى (صلى الله عليه وأهله) نسبه إلى عدنان، قال: كذب النسابون من بعد عدنان، وذلك بسبب الخلاف الذي وقع بين النسابين من عدنان إلى إسماعيل، يقول البعض: ينبغي أن يكون أربعين جداً، ويقول البعض: أقل، ويقول بعض آخر: ذلك المقدار المثبت هنا هو أصحها. جميع العرب متشعبون من قحطان وعدنان، وقد ذكر شطر من شعب قحطان في الطبقة الثانية من القسم الأول.

أما عدنان فكان له عشرة أبناء معد، عك، ذنب، نعمان، الضحاك، المذهب، عون، أبى بنت، أزد القليب، عدى، وقال النسابون المصريون: إن قبيلة الأوس والخزرج قبيلتان من نعمان، وأن مدينة عدن التي في اليمن أقامها عدى، وكان لمعد ابن يسمى نزاراً، وكان لنزار هذا أربعة أبناء هم: مضر، ربيعة، إياد، أنمار، وكان لأنمار ولدان: خثعم، بجيلة. وكان لهذين الأخوين قبيلتان وأبنائهم في اليمن وكان لإياد لقب شمطا، وهرب أبناءه من شابور ذى الاكتاف، واستوطنوا بلاد الروم، وكان قس بن ساعدة الإيادى خطيب العرب^(١)، ومن الشعراء أبو داود ولقيط، ومن الأسخياء كعب بن أمية وهو من أبناء إياد، وظهر لربيعة قبائل كثيرة من أبنائهما: سيف الدولة بن على؛ ممدوح المتنبي وحاكم حلب وديار بكر، وأخوه ناصر الدولة حسن حاكم بغداد والموصل والجزيرة، ومعن بن زائدة الذي كان من أسخياء العرب، والإمام أحمد بن حنبل من أبناء ربيعة^(٢).

حكاية: كان معن بن زائدة يبسط مائدة كرمه للقريب والبعيد، قالوا: في عهد دولته استرد واحد منه الفلك الدوار، وأجاز الزمان أن يسترد منه ما أعطاه، فقدم أملاً في أن ينتجع تراب طريقه، وكان يقول خفية لكل شخص غم قلبه كما كان يحكى فقره وخصاصته، ولكنه لم يجد من يداوى فقره، ففكر في وجوب أن يمضى إلى معن بن زائدة لأن صيت كرمه قد امتد في الأرض، وترنم العالمون بمدح جوده كأنهم حسان، وجعل الأحرار عبيداً بجوده، وأطلق من قيدهم الزمان بوثق المحنة، وقدم إلى قيصر معن على أنه رجل سيئ الحظ وأظلمت أيام إقباله، ولو كان مضى إلى البحر سائلاً لوجده جافاً، ولو مضى إلى صحراء الدنيا ملتسماً الشمس ما طلعت، ولازم قصر معن مدة من الزمن، وكان لساحة قصره سعة، إلا إنها ضاقت به، وأبعده النقيب والرقيب

عن باب القصر، ولم يستطع أن يعرض بضاعة حاجته التي قدم بها متألماً من كنعان على كرمه مثل يوسف حتى كتب ذات يوم بيتاً من الشعر على رقعة ممزقة، وطرحها في جدول من الماء في قصر معن، والبيت هو:

أيا جود معن ناج معناً بحاجتي فمالي إلى معن سواك شفيع

واتفق لمعن أنه كان يتوضأ على هذا الجدول، فوقع عينه عليه فأخذها، واطلع على ما كان مكتوباً فيها، وقال: مرحباً بمن توسل إلينا بجودنا، وأمر بأن يدخلوه، وأشار إلى الخازن فقدم للسائل بدرة من الدراهم والدنانير، واستمache المعاذير، وقال: عرفت أن ألم الانتظار يؤثر في القلب.

شعر

أما على معن فقولاً بقبره سقاك الغواري مربعاً ثم مربعاً
فيا قبر معن أنت أول حفرة من الأرض حطت للسماحة مضجعاً
هؤلاء السادة الذين كانت لهم السمعة الحسنة مضوا ولم يبق لهم ذكر إلا هذا الذكر

نسبه: معن بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن ساقط بن هنب بن أقصى بن دعمي بن جديكة بن أسد بن ربيعة بن نزار، وكان معن بن زائدة ملك اليمن، ومن هنا مضى إلى بغداد، وأصبح له ملك سجستان فترة من الزمن، ومن نسله كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن القوطي.

نسب الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل بن هلال بن إدريس بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مارن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن وابل بن قاسط بن نقيب من بني ربيعة.

وكان لمضر ولدان: إلياس وعيلان، ويقولون: ظهر كثير من القبائل من ذريته منهم أنس بن مالك الكسبي الصحابي، وشمر قاتل أمير المؤمنين الحسين (رضى الله عنه) والحجاج بن يوسف ومختار بن أبي عبيد الذي انتقم للحسين من شمر من نسل عيلان، وكان لإلياس ثلاثة أبناء: عمرو وعامر وعمير، وكان اسم أمهم ليلي، وفزعت جمالهم ذات يوم من أرنب، فجرى ليلي وعمرو وعامر خلفها، فقال إلياس ليلي: مالك تخندين؟ يعني ماذا أصابك حتى تجرى؟، فسمته خندف، وأمسك عامر بالأرنب وأرجع عمرو الجمال وقال لعامر: أنا أدركت الإبل طبخ صيدك، فسموا عمراً مدركه وعامر طابخه، وبما أن عمير لم يعمل عملاً جلس منفجلاً في ركن البيت فلقبوه بقمعه، وظهر من نسل عامر كثير من القبائل، وكان حاجب بن زرارة مشهوراً بالوفاء، وتوجه إلى أنوشيروان، وضمن العرب حيث إنه طالما كان الحاجب حياً قلن يفسد العرب، فطلب منه كسرى ضماناً فأعطاه قوسه كضمان طوال حياته، فلم يظهر من العرب ثورة.

طالما كان حياً، ولما توفي، قدم ابنه المسمى عطاردا واسترد القوس، وبعد ذلك بدأ العرب في الاضطرابات، وأرسل النعمان بن مقرن وكان من أمراء عمر بن الخطاب إلى نهاوند، وفتح العراق العجمي، وهو من أبناء عامر.

نسب الحاجب: ابن زارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرة بن أد بن عامر.

نسب النعمان: ابن مقرن بن عابد بن منجا بن هجير بن نصر بن حبشة بن كعب بن عبد ثور بن هديع بن لاطم بن عثمان بن عمر بن أد بن عامر. وكان لمدركه ولدان: خزيمة وهذيل، وكانت طائفة عبد الله بن مسعود الصحابي (رضى الله عنه) من نسل الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل. وكان لخزيمة ثلاثة أبناء: كنانة وأسد وهون وطائفة ديش وعضل يسمون القارة، وكانوا رماة مهرة، وهم من نسل يثع بن هون، وشيد سيف الدولة صدقة بن منصور الحلة، وكانت زينب بنت جحش زوج المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، وطائفة مؤيد الدين أبو طالب العلقي الذي كان آخر وزراء بني العباس من نسل أسد.

نسب سيف النولة: صدقة بن منصور بن ديبس بن علي بن مزيد بن ريان بن خالد بن حي بن حزنحي بن عمرو بن خالد بن مالك بن عوف بن مالك بن ناشرة بن نصر بن سرة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن داودان بن أسد.

نسب زينب بنت جحش: ابن رثاب بن قيس بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غن بن داودان بن أسد.

وكان لكتانة خمسة أبناء نصر وعبد مناة وعمرو وملكان ومالك. وكان ربيعة بن مكرم بطل العرب من نسل مالك وطائفة أبي ذر الغفاري الصحابي (رضي الله عنه) ورهط حكم بن عمرو الغفاري الذي كان والياً على خراسان ونصر بن سيار ملك خراسان الذي انقضت دولة بني أمية في عصره من نسل عبد مناة.

نسبه: نصر بن سيار بن رافع بن حزي بن ربيعة بن عامر بن هلال بن عون بن خندع بن ليث بن بكر بن عبد مناة، وكان لنصر ولدان: مخلد ومالك. وكان لمالك ولد يسمى فهر، وكان لفهر أربعة أبناء: غالب ومحارب وعمر والحارث، وأبو عبيدة الجراح وهو من العشرة المبشرين بالجنة الذين جاءتهم البشارة على قمة جبل حراء من نسل الحارث، ونسبه أبو عبيدة بن عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أوهيب بن ضبة بن الحارث، وكان عبد الرحمن بن الضحاك والي المدينة، وادعى أبوه الخلافة، وقتل في الشام على يد مروان بن الحكم، ومن ذلك اليوم أفضت الخلافة إلى المروانيين، وهم من نسل محارب.

نسبه: عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس بن خالد الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن وابل بن عمرو بن شيبان بن محارب.

وكان لغالب ولدان: تيم الأدرم ولؤي، وكان هلال بن حفظل الشاعر الذي هجا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قتل في يوم فتح مكة على يد أمير المؤمنين علي (كرم الله وجهه) وهو من نسل تيم الأدرم، وكان للؤي ثمانية أبناء: كعب وأسامة وعامر وخزيمة وسعد والحارث وعوف وجشم، ويسمون أبناء سعد بنى بنانة وثابت النعماني المتحدث من نسلهم، وكانت سودة زوج المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وعمرو بن عبد ود بطل العرب الذي قتل على يد أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه) من نسل عامر.

نسبه: عمرو بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حنبل بن عامر، وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حنبل بن عامر، وعباد بن منصور الذى كان قاضى قضاة البصرة من نسلهم، وهم من أبناء أسامة. وكان لكعب ثلاثة أبناء: مرة وعدى وهصيص، وكان عثمان بن مظعون وعمرو بن العاص، وأخوه هشام وخينس وعبد الله الذين كانوا من الصحابة من نسل هصيص.

نسب عثمان: ابن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص.

وكان لعمرو ولدان صحابييان: محمد وعبد الله وخينس وعبد الله أبناء حذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص، وأمير المؤمنين عمر (رضى الله عنه) وسعيد بن زيد، وهما من العشرة المبشرين بالجنة من نسل عدى.

نسب عمر بن الخطاب: ابن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط.

نسب سعيد بن زيد: ابن عمر بن نفيل بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن زراح بن عدى.

وكان لمرّة تسعة أبناء: كلاب وتيم ويقظة وخالد بن الوليد وعكرمة وسلمة والحارث وهشام وأبو سلمة والأرقم، وكانوا من الصحابة، وكانت أم سلمة زوج المصطفى (عليه السلام) من نسل يقظة، وأنسابهم: خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن محرومة بن يقظة، وعكرمة بن أبى جهل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله.

وكان سلمة والحارث ابني هشام بن المغيرة، وهشام بن أبى ربيعة بن المغيرة بن عبد الله، وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله، والأرقم بن أبى الأرقم بن أسد بن عبد الله بن عمر بن محرومة بن يقظة، وأم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله.

وكان أبو بكر الصديق وطلحة من العشرة المبشرين بالجنة من نسل تيم.

نسبهما: أبو بكر بن عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، وكان لكلا ولداً: قصي وزهرة. عبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، وسعد بن مالك، وهما من العشرة المبشرين بالجنة وأمنة والددة المصطفى (عليه السلام) من نسل زهرة.

أنسابهم: عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة، وسعد بن مالك بن وهب بن عبد مناف بن زهرة، وأمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة.

وكان لقصى أربعة أبناء: عبد مناف وعبد قصي وعبد العزى وعبد الدار، وهم أبناء شيبه الذي يسمونه صاحب المفتاح حيث كان مفتاح الكعبة المشرفة بحوزتهم.

نسبه: شيبه بن عثمان بن طلحة بن عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، وخديجة زوج المصطفى (صلى الله عليه وسلم) والزيير بن العوام وحاطب بن أبي بلتعة من نسل عبد العزى.

أنسابهم: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، والزيير بن العوام بن خويلد، وحكيم بن حزام بن خويلد، وحاطب بن أبي بلتعة بن أسد بن عبد العزى، وطليب بن عميرة بن وهب بن أبي كثير بن عبد قيس.

وكان لعبد مناف أربعة أبناء: هاشم وعبد شمس ومطلب ونوفل، وعبيد الصحابي ابن الحارث بن مطلب والإمام الشافعي (رضى الله عنه) من نسل مطلب.

نسبه: محمد بن إدريس بن عباس بن عثمان بن شافع بن سائب بن عبيدة بن عبد يزيد بن هاشم بن مطلب.

وبنو أمية وعبد الله بن سمرة الذي فتح سجستان، وعبد الله بن عامر صاحب خراسان، وحذيفة الصحابي من نسل عبد شمس.

أنسابهم: عبد الله بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس، وعبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وحذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس.

وخالد وعمرو الصحابيَّان ابنا سعيد بن العاص بن أمية الأكبر بن عبد شمس،
وعتاب بن أسيد بن العيص بن أمية الأكبر بن عبد شمس.

وكان لهاشم ستة أبناء: عبد المطلب ومطلب ونضلة وأبو صيفى وأسد وأبو أسد،
وفاطمة أم أمير المؤمنين على (رضى الله عنه) بنت أسد.

حكاية: جاء فى تفسير التراجم أن كعب الأحبار يقول: شاء الله سبحانه وتعالى أن يبين صفة محمد المصطفى (صلى الله عليه وسلم وأهله) وأن يظهر عظمة أصله فأمر جبريل (عليه السلام) أن يأخذ قبضة من التراب الأبيض من نور الأرض، ومن ذلك المكان الذى فيه قبر النبى، وعجنه بماء الجنة وأداره فى كل العالم، حتى عرف الملائكة فضل محمد (صلى الله عليه وسلم) وعرفوه بعد آدم، وأودعه فى خلقة آدم بعد ذلك، ولما خلق روح آدم، رأى فى جبهته شيئاً أبيضاً مثل النملة الصغيرة، فقال: ما هذا؟ فقال الحق تعالى: هذا النور الأبيض أبناؤك وأنه يشرق فى جبهة آدم مثل الشمس، وانتقل منه إلى حواء ومنها إلى شيث.

ولما بلغ شيث مبلغ الرجال، أمر الحق تعالى آدم ليأخذ العهد على شيث، وأرسل جبريل مع سبعين ألف ملك بحريز أبيض وقلم من الجنة ليكتبوا عهداً بنور من أنوار الجنة، ووضعوه فى تابوت من حبة لؤلؤ وجعلوا له ركنين من الزمرد وربطوه بسلسلة من ذهب، واستودعوه عند شيث، وانتقل النور منه مع هذا التابوت حتى وصل إبراهيم (عليه السلام).

ولما حان أجل إبراهيم جمع أبناءه وطلب التابوت، وهذا ما يأمر به الله تعالى فى قوله: «إن آية ملكه أن يأتىكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقيته مما ترك آل موسى وآل هارون»^(٣) وفتحته وقال: انظروا فرأوا فى هذا التابوت بيوتاً بعدد الأنبياء، ورأوا جميع الأنبياء من صلب إسحاق إلى أن وصلوا لمحمد (صلى الله عليه وسلم) لأنه كان من صلب إسماعيل، ثم قال إبراهيم: بخ بخ يا إسماعيل يا بشراك أخذ منك العهد والميثاق للمحافظة على هذا التابوت، وكان إسماعيل على هذا العهد إلى ذلك الوقت الذى طلب فيه يد بنت الحارث، وولد قيذار وانتقل النور إليه، وأوصاه إسماعيل بالحفاظ على هذا

التابوت وسلمه إليه، وظن قيدار أن الطاهرات هن بنات إسحاق، فاختر منهن ثمانى نساء، وبقي معهن مائتى عام، ولم يلدن له قط حتى سمع ذات يوم نداء يقول: يا قيدار لماذا لا تقدم قرباناً ولا تسأل الله حاجة؟، فقدم سبعمائة من الغنم قرباناً وكان يتصاعد من كل قربان نار بلا دخان، وكان يحمل هذا القربان إلى السماء، حتى جاء نداء بأن دعاه قد استجيب، ثم فى ذلك المكان وكل ما يطلب منك فافعل، فقالوا له فى المنام: ابحث عن امرأة تسمى غاضرة، فبحث قيدار وكانت ابنة ملك جرهم من أبناء زهير بن عامر من قحطان، وتزوجها وانتقل هذا النور إلى غاضرة حتى ذلك اليوم الذى أراد فيه أن يفتح التابوت، فسمع صوتاً من السماء يقول: لا تفعل يا قيدار فأنت وصى ولست نبياً ولا يفتح هذا إلا نبي، وسلم هذا التابوت إلى يعقوب إسرائيل الله^(٤).

فقال قيدار لغاضرة: انجبنى ولداً وسمه حملاً، فأخذ التابوت وحمله إلى كنعان، ولما اقترب سمع صوتاً من التابوت بحيث وصل إلى يعقوب (عليه السلام)، فقال لأبنائه: قيدار أت فاستقبلوه، ولما وصل قيدار بشره يعقوب لقد جاءك البارحة ولد، قال: وكيف علمت؟، قال: رأيت أبواب السماء مفتوحة ورأيت نوراً مشرقاً بين السماء والأرض، ورأيت الملائكة تنزل من السماء فعلمت أن هذا من أجل نور محمد (صلى الله عليه وسلم).

ثم استودع قيدار يعقوب التابوت، وعاد إلى المنزل وكانت غاضرة قد ولدت ولداً، وسمته حملاً، وكان النور يتألق فى جبهته، ولما كبر، أخذ أبوه بيده حتى أوصله إلى مكة، وبين له موضع الكعبة، ولما بلغ جبل ثبير جاءه ملك الموت، وقبض روحه فجلس حمل وكان يبكى، ووكّل الحق سبحانه وتعالى جماعة من أبناء إسحاق ليدفنوه على جبل ثبير، ويسمونّه جبل الثور وفيه الغار الذى مضى إليه المصطفى (عليه السلام) وأبو بكر عند الهجرة.

وانتقل النور من حمل إلى أبنائه حتى وصل عبد المطلب، وكان لعبد المطلب أربعة عشر ولداً وبناتان، وتزوج عبد المطلب هالة بنت الحارث، وولد منها أبو لهب، وبعد ذلك تزوج أم جميدة بنت عبادة، وولد له منها حمزة، والعباس والعوام وأمّية وعبد الكعبة وقثم والحارث والزبير وغيداق ومقوم وضرار هؤلاء من أمهات آخر، وولد من فاطمة بنت عمه

أبو طالب أمانة وبرة وعبد الله، وكان عبد الله أصغرهم، ولم يبق في الشام من أحد لم يعلم أنه ولد من أمه، وسبب ذلك كانت له جبة بيضاء من الصوف من يحيى بن زكريا (عليه السلام) ممتلئة بدمه، ووجدوا هذا في كتبهم، وكلما رأوا هذه الجبة، والدم ينفطر منها علموا أن أبا نبي آخر الزمان ولد من أمه.

ولما علم ذلك أحبار الشام كانوا يعدون الأيام والشهور، ولما كبر عبد الله قدم جماعة من أحبار الشام مكة ليقتلوه بحيلة، إلا إن الله تعالى صرف كيدهم عنه، وكان هذا النور يتألق من جبهته، وزوج عبد المطلب عبد الله والد المصطفى (عليه السلام) أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وانتقل هذا النور إلى أمنة بأمر الله تعالى في ليلة الجمعة يوم عرفة، واستقر فيها.

وولد محمد المصطفى (صلوات الرحمن عليه) يوم الجمعة وقت طلوع الشمس في السابع من شهر ربيع الأول في طالع الميزان على حد قول أبي معشر البلخي، وعند التبانى في يوم الاثنين العشرين من شهر نيسان سنة ثمانمائة واثنين بالتوقيت الإسكندري، ويوم الجور من شهر دى سنة إحدى وأربعين بالتوقيت الأنوشيروانى، بعد سنة الفيل بشهرين بطالع الجدى، وجعلوا الزيج هكذا، وعند أبي الحسن على المسعودي بعد عام الفيل بخمسين يوماً، وكان ذلك في يوم الإثنين السابع عشر من شهر المحرم سنة ثمانمائة واثنين إسكندري، وقد مضت على أنوشيروان أربعون عاماً.

وجاء في تفسير تاج التراجم أن أمنة قالت: كنت نائمة ذات ليلة من الليالي، فقدم شخص ورفصني، وقال: انهضى فقد حملت بخيرة خلق الدنيا، وعندما تلدينه سميه محمداً وأخفى أمره، فقالت أمنة: لم أخبر أحداً قط من قريش وكنت وحدي وكان عبد المطلب يطوف، وسمعت صوتاً ففرغت فرزاً شديداً، وكان ذلك ليلة الإثنين، فرأيت أن طائراً جاء وقد مسح جناحه على قلبي، فأنصرف عني هذا الخوف، ونظرت فرأيت شراباً أبيضاً فأخذته وشريت، فرأيت نوراً صعد مني إلى السماء فرأيت نساء طول كل واحدة منهن شجرة نخل، فأحطن بي واشتد علي الأمر، ورأيت ديباجاً ممتداً بين السماء والأرض، وسمعت شخصاً كان يقول لي: احفظي هذا من أعين الناس،

ثم رأيت أناساً وقد وقفوا فى الهواء وفى أيديهم كنوس فضية، وكان الدم يتساقط منى كاللؤلؤ، وهو أجمل رائحة من المسك، وكنت أقول ليت عبد المطلب كان قد أتى، ثم قالت: رأيت طيوراً كثيرة هبطت من الجو حتى امتلأ البيت؛ مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من الياقوت، وانفتحت عيني فى تلك الساعة، ورأيت الدنيا كلها، فرأيت علماً وقد ثبت فى المشرق والمغرب وعلماً على سطح الكعبة، وأخذنى الألم، فظننت أننى قد مت، ولم أكن أرى أحداً. فولدت محمداً (ﷺ)، ورأيت أنه وقد سجد ووضع جبهته على الأرض، وأشار بإصبع من يده اليمنى نحو السماء. ثم رأيت غمامة بيضاء تظهر فجأة وتلتف حولى، وأخذته من عيني، وسمعت منادياً يقول: اجعلنى محمداً يطوف حول المشرق والمغرب والبحار ليعرفوه بصفته واسمه، وليعلموا لماذا سُمى بالمحلى، فلم يبق مشرك حياً فى زمانه، ثم فتحت هذه الغمامة فرأيت ملفوفاً فى صوف أبيض وعليه حرير أبيض، وفى يده ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ، وكان شخص يقول: إن محمداً أخذ مفتاح النصر ومفتاح الرياح ومفتاح النبوة، ثم رأيت ثلاثة رجال والشمس تشرق من وجوههم، فجاء أحدهم وفى يده إبريق من فضة تتصاعد منه رائحة المسك، والآخر له طست من الزمرد الأخضر المربع، وفى كل زاوية منه لؤلؤة كبيرة، والثالث معه حرير ملفوف ففتحه وأخرج منه خاتماً ينبهر الناظر منه، ثم غسلوا محمداً بهذا الماء سبع مرات، وختموا ما بين كتفيه بهذا الخاتم، ولفوه فى هذا الحرير، وبعد ذلك ضمه رجل منهم مدة إلى صدره، وقال فى أذنيه كلاماً كثيراً، وقبله بين عينيه ودفعه إلى، قال ابن عباس: هذا الرجل كان رضوان الجنة، وقالت أمنة: مضوا ولم أرهم من بعد.

عاش المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ثلاثة وستين عاماً، كان مع أبيه عامان وأربعة عشر يوماً^(٥) ومع أمه ثمانية أعوام، وبعد ذلك عاش مع عبد المطلب مدة ثم مع أبى طالب، ولما بلغ خمسة وعشرين عاماً، تزوج خديجة وأنجب منها سبعة أبناء: ثلاثة أولاد وأربعة بنات، الأولاد هم: قاسم وعبد الله وطاهر، والبنات: زينب وأم كلثوم ورقية وفاطمة، يقول أهل الشيعة: إن أم كلثوم ورقية كانا من الزوج الأول لخديجة ورباهما المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، وكان له ولد آخر يسمى إبراهيم من مارية القبطية التى يقال: إن هرقل قيصر الروم أو المقوقس ملك الإسكندرية أرسلها إليه مع عبد وحمار يسمى يعفور لخدمة المصطفى (ﷺ).

توفى الأبناء وهم فى زمن الطفولة، وزوج فاطمة إلى أمير المؤمنين على (كرم الله وجهه) بعد غزوة بدر فى الأول من شهر صفر، وزفت إليه فى السادس من شهر ذى الحجة، وزوج رقية وأم كلثوم لعثمان بن عوف، وزينب إلى أبى العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس.

ولما بلغ محمد (صلى الله عليه وسلم) الأربعين من عمره، فى يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب بعد بناء الكعبة بخمسة أعوام بالتمام، نزل عليه الوحي، وأول سورة من القرآن جاء جبريل بها كانت سورة (اقرأ) على جبل حراء وآخر آية ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١) وخوطف بالرسالة فى يوم الإثنين، وكانت بعثته فى العام العشرين بعد ملك خسرو برويز، وكان أول شخص تبعه وأمن به عمرو بن عتبة بن عامر السلمى، وكانت خديجة بعد ذلك، وبعد ذلك على وهو فى العاشرة، وبعد ذلك زيد بن حارثة غلام خديجة الذى وهبته لسيده وأعتقه سيده، وبعد ذلك أبو بكر الصديق، وبعده عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وهؤلاء الخمسة آمنوا بالنبي مرة واحدة، وبعدهم أبو عبيدة بن الجراح، وبعده أبو سلمة بن عبد الأسد، وبعده الأرقم بن الأرقم، وبعده عثمان بن مظعون، وبعده أبو عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وبعده سعيد بن زيد بن عمر بن نوفل، وبعده أخت عمر بن الخطاب فاطمة، وبعدها أسماء بنت أبى بكر، وبعدها عائشة الصديقة، وبعدها خباب بن الارت، وبعده عمير بن أبى وقاص، وبعده عبد الله بن مسعود، وبعده مسعود بن العارى، وبعده سليط بن عمر، وبعده ربيعة بن المغيرة، وبعده أسماء بنت سلامة، وبعدها خنيس بن حذافة، وبعده عامر بن ربيعة، وبعده عبد الله بن جحش، وبعده جعفر بن أبى طالب، وبعده زوجته أسماء بنت عميس، وبعدها الحاطب بن الحارث، وبعده زوجته فاطمة بنت المخلد، وبعدها خطاب بن الحارث، وبعده فكيمة بنت اليسار، وبعدها معمر بن الحارث، وبعده سايب بن عثمان بن مظعون، وبعده مطلب بن أزمهر، وبعده رملة بنت أبى عوف، وبعدها سحام بن نعيم بن عبد الله، وبعده عمر بن الخطاب، وبعده عامر بن فهيرة، وبعده خالد بن سعيد

وبعده أمّنة بنت خلف، وبعدها حاطب بن عمرو، وبعده أبو حذيفة، وبعده عتبة بن ربيعة، وبعده واقد بن عبد الله، وبعده خالد وعامر وعاتل وإياس أبناء نكير بن عبد اليد، وبعدهم عمار بن ياسر، وبعده صهيب الرومي.

وهؤلاء جاء الواحد منهم بعد الآخر، وبعد ذلك كان يؤمن كل اثنين أو ثلاثة معاً إلى أن ظهر الإسلام في مكة، ومضى على تلك الدعوة ثلاثة أعوام، فأنزل الحق تعالى هذه الآية: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (٧).

ولما نزلت هذه الآية دعا الرسول (صلى الله عليه وسلم وأهله) الخلق في العلن، وكان يجلس مع أصحابه علانية.

كان سعد بن أبي وقاص يصلي ذات يوم مع جماعة من أصحابه، فقدم عليهم جماعة من قريش، وبدأوا في الشجار ودخلوا في الحرب، فوجد سعد بن أبي وقاص عظم جمل فأنخذها وضرب بها على رأس الكافر، وكسر رأسه وسال الدم منه وانهمزوا، وكان هو أول من جرح عدواً في الإسلام وأسال دمهم، وبعد ذلك كان النبي (صلى الله عليه وسلم) واقفاً ذات يوم على جبل الصفا، فمر عليه أبو جهل وسبه كثيراً فتحمل النبي، فشاهدت امرأة هذا من بعيد، وقدم حمزة فجأة من الصيد ومعه السلاح، فقصت المرأة عليه هذا الخبر، فاشتد غضب حمزة ومضى في إثر أبي جهل، فوجده في وسط جمع من قريش، فضرب رأسه بقوس وكسر رأسه وسال دمه وقال: أأنت الذي سببت ابن عمي؟، انهض لتفعل ما تستطيع، لقد تركت دين قريش ودخلت في دين محمد، وكان هناك جماعة من بني مخزوم من أقارب أبي جهل أرادوا أن يحاربوا حمزة، فمنعهم أبو جهل، وجاء معتذراً وقال: الذنب ننبى، وقدم حمزة على الرسول وأمن وقوى الإسلام، وضاق صدر قريش على أنه لا يوجد من كان أشجع منه، وكانوا يخشونه جميعاً.

وبعد البعثة بسنتين في ليلة الأحد السابع والعشرين من رجب مضى الرسول للمعراج من بيت أم هانئ، يقول عبد الله بن عباس: كان ليلة الثامن من رمضان، ويقول البعض: كان ليلة الإثنين من شهر ربيع الأول، وتوفيت خديجة بعد ذلك بخمسة أعوام

فى يوم الجمعة الثامن من شهر رمضان وكان عمرها خمسة وستين عاماً، وعاشت مع النبى (صلى الله عليه وسلم) أربعة وعشرين عاماً، ومات أبو طالب قبل خديجة بثلاثة أيام، وأقام الرسول (ﷺ) ستة أعوام أخرى فى مكة فى خوف ومشقة.

بيعة الأنصار: كان قوم يأتون إلى مكة فى موسم الحج من المدينة كل عام، وكان النبى جرياً على عادته يتوجه إلى القبائل العربية ويدعوهم، وكان يأتى إليهم فى جمرة العقبة وقال لهم: أى أناس أنتم؟ قالوا: نحن من الخزرج وقادمون من المدينة، فدعاهم الرسول (ﷺ) وقرأ عليهم القرآن، وكانوا قد سمعوا من أخبار اليهود أن ظهور نبى آخر الزمان قريب، وقرأوا صفته فى التوراة، فأمن ستة منهم: أسعد بن زرارة وعوف بن حارثة بن رفاعه وأخوه معاذ ورافع بن مالك وثعلبة بن عامر بن ربيعة وعتبة بن عامر، ولما عادوا إلى المدينة حكوا لقومهم أخبار النبى (ﷺ) مع قومه، ورغبوهم فى الإسلام، وقدم فى العام التالى اثنا عشر شخصاً إلى حضرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، حيث وصل الستة السابقون ومعهم بكر بن قيس بن خلدة وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة وعباس بن نضلة وأبو الهشم بن الشيخان وعودة بن ساعدة فى جمرة العقبة إلى حضرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمنوا به وبايعوه، وكانت تلك أول بيعة فى الإسلام، ولم يكن فى هذه البيعة شرط الحرب لأن آية القتال لم تكن قد نزلت بعد وكانت شروط هذه البيعة ستة أشياء: أولها ألا يشركوا بالله أحداً، وألا يسرقوا وألا يحللوا الزنا، وألا يثدوا الأبناء كما كانت عادة العرب، وألا يكذبوا، وأن يطيعوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) وألا يخالفوه، ويضمن لهم النبى (صلى الله عليه وسلم) جنة الخلد فى يوم القيامة ماداموا يوفون بهذه الشروط، وبين لهم أن كل من يخالف هذه الشروط إذا ما وصل إلى سمعه أن هذا حد الشرع، فإنه يطبق عليه هذا الحد، ومن لم يصل لسمعه هذا وخفى عنه أن يعلم حكم الله تعالى، إذا شاء غفر وإذا شاء عاقب، وراوى هذا الخبر عبادة بن الصامت.

ولما بايعوه هذه البيعة وفرغوا من الحج، أمرهم الرسول (ﷺ) أن يمضوا إلى المدينة وأرسل معهم مصعب بن عمير ليعلمهم القرآن وأحكام الشريعة، ولهذا السبب يسمون مصعب مقرر المدينة، وبعد هذا مضى كل من أسعد بن زرارة ومصعب

إلى قبيلة بنى أشهل وكان رؤسائها سعد بن معاذ وأسيد بن حضير ودعواهما،
وفى اليوم نفسه أمنت القبيلة كلها من رجل وامرأة.

يقول محمد بن إسحاق: لما حل موسم الحج، وأراد مصعب أن يعود إلى مكة،
كان ثلاثة وسبعون رجلاً قد أسلموا، وكان قد قصد النبي (صلى الله عليه وسلم) مع
مصعب عظماء ورؤساء أقوامهم ومضوا وبإيعوه ليأتوا بالنبي إلى المدينة، ولما وصلوا
مكة، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لمصعب: بعد أن يفرغوا من مناسك الحج،
وفى الليلة الثانية من أيام التشريق أحضروهم فى جمرة العقبة من أجل البيعة، إذ إن
أهل مكة لا يعرفون أن مصعب لم يفعل هذا، فمضى النبي (ﷺ) مع عمه العباس
إلى هناك، ولم يكن العباس قد دخل الإسلام بعد، ولكنه كان غاية فى الشفقة والرحمة
على النبي (ﷺ)، واعتمد عليه بعد أبو طالب، وكان يعمل الأعمال بمشورته، وفى
البداية نصحه العباس كثيراً فى شأن النبي (ﷺ)، وبعد ذلك خطبهم الرسول (ﷺ)
ووعظهم، فدخلوا جميعاً مرة واحدة وبإيعوه، فقال النبي (ﷺ) اختاروا من بينكم اثنى
عشر نقيباً فاختاروا تسعة نقباء من الخزرج وثلاثة من الأوس وهؤلاء التسعة هم أسعد
بن زرارة وأسد بن الربيع وعبد الله بن رواحة ورافع بن مالك بن عجلان والبراء بن
معمر وعبد الله بن حزام وعبادة بن الصامت والمنذر بن عمرو، والثلاثة هم أسيد بن
حضير وسعد بن خيثمة ورفاعة بن عبد المنذر، ثم قال لهم النبي (ﷺ): من يكفلنى
على هذه البيعة كما كفل الحواريون عيسى (ﷺ)؟، فقالوا: نعم يا رسول الله،
فقال لهم: وأنا كفيكم أيضاً.

هجرة المكيين من الصحابة :

كان أول من هاجر من مكة إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد، وهو كذلك أول من
هاجر إلى الحبشة وعاد، وكانت امرأته أم سلمة من بنى المغيرة، فأسر بنو أسد امرأته
وابنه، ومضى إلى المدينة وحده، وكانت امرأته دائمة البكاء إلى أن أطلقوها بعد عام
ومضت إلى المدينة، ولما توفى أبو سلمة تزوجها الرسول (ﷺ)، وهاجر عامر بن

ربيعة بعد أبى سلمة وبعده عبد الله بن جحش وأهله، وبعد ذلك كان الصحابة يمشون قوماً بعد قوم بعضهم مع زوجته وأبنائه وبعضهم وحده.

يقول محمد بن إسحاق: اتفق عمر بن الخطاب وعباس بن ربيعة وهشام بن العاص على الهجرة، فعرفت قريش الخبر، فأسروا هشاماً، ومضى عمر وعباس، وعذبوا هشاماً حتى ارتد وقدم أبو جهل والحارث المدينة وحملوا عباساً إلى مكة بحيلة، وكانوا يعذبونه كذلك حتى ارتد، ونجيا بعد أن تخلصا منهم وقدا المدينة وعادا إلى الإسلام، وبعد ذلك هاجر صهيب وجميع الصحابة، وبقي أبو بكر وعلى مع رسول الله (ﷺ)، وبعد ذلك هاجر النبي (ﷺ) مع أبى بكر وترك علياً يؤمن الخصوم ويتم الأعمال ويأتى بعد ذلك.

هجرة الرسول (صلى الله عليه وأهله وسلم) :

هاجر النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم الاثنين الحادى عشر من شهر ربيع الأول من مكة إلى المدينة، ونزل فى قباء ثلاثة أيام، ولحق أمير المؤمنين على بالنبي (ﷺ) لخدمته وقدم رؤساء المدينة وحملوا الرسول (ﷺ) إليها، ومكث بها عشرة أعوام، وظهر الإسلام فيها وقوى، وبعد الهجرة بعام ونصف حولت القبلة فى صلاة الصبح يوم السبت الخامس عشر من شعبان من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام^(٨).

وتزوج النبي (ﷺ) اثنتى عشرة امرأة من المدينة خمس من قريش أم سلمة بنت هند بن أبى أيمن بن أبى حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب وكانت زوجة لأبى سلمة بن عبد الله بن الأسد وولد له منها بنتان وولد هم سلمة، عمر وزينب، ولما مات أبو سلمة تزوجها الرسول (ﷺ).

وذكر والدي تاج الدين أبو الفضل محمد البناكتي في كتاب الميسور في شرح المصابيح أن أم سلمة روت عن النبي (ﷺ) ثلاثمائة وسبعة وثمانين حديثاً، كما ذكرها الأندلسي في كتاب، وماتت هند بنت أمية بن عبد شمس بن عبد مناف في سنة إحدى وخمسين، وماتت سودة بنت زمعة بن قيس، وعائشة بنت أبي بكر سنة ثمانية وخمسين، وماتت حفصة بنت عمر سنة سبع وعشرين، وماتت أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان سنة تسع وخمسين، ومن بنى قيس زينب بنت خزيمة وقد توفيت قبل المصطفى (ﷺ)، وميمونة بنت الحارث وكان لها من العمر ثلاثة وستون عاماً، وتوفيت سنة ثمانية وثلاثين وروت ستة وسبعين حديثاً عن الرسول (ﷺ)، ومن بنى أسد زينب بنت جحش وتوفيت سنة عشرين ومن بنى كندة أمامة بنت النعمان^(٩)، وجويرية بنت الحارث اشتراها وحررها وتزوجها وتوفيت سنة ست وخمسين، ومن بنى إسرائيل صفية بنت حيي بن أخطب وكانت من أسرى خيبر التي جاء بها أمير المؤمنين علي (كرم الله وجهه) وتوفيت سنة ست وثلاثين، وأم شريك وهي التي وهبت نفسها للنبي (صلى الله عليه وسلم)^(١٠)، وقد نظم والدي أنا الضعيف أسماء زوجات النبي (ﷺ) اللاتي تزوجهن:

شعر

كان للنبي تسع زوجات كن جميعاً طاهرات	كن عائشة وحفصة وأم سلمة
ميمونة وجويرية وصفية وزينب	وأم حبيبة وسودة العظيمة

ونزلت آية السيف في المدينة، وشارك النبي (ﷺ) بنفسه في سبع وعشرين غزوة.

غزوات النبي (صلى الله عليه وآله) :

كانت أول غزوة "ودّان"، وبعدها غزوة "قريش"، وبعدها "بدر الأولى"، وكان أول من استشهد في الإسلام عمير بن الحمام الأنصاري في يوم بدر، وفي ذلك الوقت حولت القبلة إلى الكعبة، وبعد ذلك في السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة حدثت غزوة "بدر"، واستشهد فيها أربعة عشر من أصحاب النبي (ﷺ) ويقال: إنهم ستة عشر، ستة من المهاجرين، وعشرة من الأنصار. من المهاجرين: عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، ومابل بن عتبة، ومميجع مولى عمر بن الخطاب، وذو الشمالين، وعمير بن أبي وقاص أخو سعد، وعافل بن البكير، وصفوان بن بيضاء، ومن الأنصار سبعة إخوة هم: أبناء عفراء بنت عبيد بن معاذ، ومعوذ وعوف أبناء الحارث بن رفاعة، وإلياس وخالد وعافل وعامر أبناء بكر، واستشهد كل هؤلاء السبعة وهم: أولاد عفراء بنت عبيد، وأبو حذيفة بن عتبة، ومصعب أخو هند بنت عتبة، وعمها معمر بن الحارث، وكان عبد الله بن مسعود قد قاتل أبا جهل في غزوة "بدر"، وقتل عمر بن الخطاب خاله العاص بن هشام بن المغيرة، وقتل علي بن أبي طالب العاص بن سعد والوليد بن عتبة، كما قتل حمزة، عتبة بن ربيعة.

وتوفي أبو السائب عثمان بن مظعون الجمحي البصري في سنة اثنتين، وكانت غزوة أحد في شوال سنة ثلاث، واستشهد فيها أربعة أشخاص من المهاجرين هم: حمزة بن عبد المطلب، وعبد الله بن جحش، ومصعب بن عمير، وشماس بن عثمان بن شهل، وفي السنة الرابعة كانت غزوة "الخنق" و"بني المصطلق"، وفي شعبان سنة خمس كانت غزوة "بني لحيان"، وفي سنة ست "حنين"، وفي رمضان سنة ثمان كان "فتح مكة"، وفي شوال سنة ثمان كانت "حنين الثانية"، وولد له ابنه إبراهيم في هذا العام، وتوفيت ابنته أم كلثوم، وفي سنة ثمان كان موت النجاشي ملك الحبشة، وبعد "حنين" مضى إلى الطائف وحاصرها، إلا أن فتحها لم يتيسر فعاد، ومضى في رجب سنة تسع إلى الروم حتى تبوك، وهناك بنى مسجداً، وفي تلك الحرب تيسر فتح دومة الجندل، وقبلوا أداء الجزية، وكانت تلك آخر غزواته.

أسماء موالى الرسول (ﷺ) : زيد بن حارثة، وأم أيمن امرأته، وأسامة بن زيد بن حارثة، وأبو رافع غلام العباس بن عبد المطلب ووهبه للمصطفى (ﷺ)، ولما أسلم العباس وبشر المصطفى أعتقه، وأعطاه جاريته سلمى وولدت له عبد الله بن أبي رافع الذى كان كاتباً لأمير المؤمنين على بن أبي طالب، وسفينة، ويسار، ومدعم، وأبو رويق وبنيه، وفضالة الذين نزلوا فى الشام.

أسماء خيل النبى (ﷺ) ومراكبه : كان الجواد الذى يركبه المصطفى (ﷺ) فى غزوة أحد يسمى السكب والمرتجز واللزان واللحيف، والبغلة التى تسمى دلدل ووهبها للمرتضى، وحمار يسمى يعفور وعفير، وجمل يسمى قصوا وجدعاء وعضباء.

أسماء سلاح النبى (ﷺ) وألباسه : كان اسم علم المصطفى (ﷺ)، العقاب من الصوف الأسود، وكانت له أعلام أخرى بيضاء، واسم سيفه الذى كان يحمله ويحارب به ذو الفقار، وسيفوف أخرى تسمى مخذم ورسوب وقضيب، واسم رمحه مثنوى، وكان له رمح آخر يسمى غنزة، واسم قوسه الكتوم، واسم جيبته كن، واسم سهمه المتصلة، واسم ترسه الزلوق، واسم خوزته ذو السبع، واسم درعه ذات الفضول، وكان له قدح يسمى الريان وآخر يسمى مصنب.

وجاء فى كتاب معارف الفصول لأبى عبد الله بن مسلم القتيبي، أنه (صلى الله عليه وسلم) ولد يوم الاثنين، وبعث يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، وقبض يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول، وقيل: من صفر سنة إحدى عشرة ودفن يوم الأربعاء فى حجرة عائشة وفيها قبض، ودخل عباس بن عبد المطلب القبر، وعلى بن أبي طالب، والفضل بن عباس، والقثم بن العباس، وعبد الله بن عوف (رضى الله عنهم).

وعن زيد بن أحرزم قال: حدثنا عثمان بن فرق، قال: سمعت عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه قال: الذى لحد النبى (صلى الله عليه وسلم وأهله) أبو طلحة، والذى ألقى القطيفة تحته شقران.

أبو بكر الصديق :

من الخلفاء الراشدين، واسمه عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة. وأمّه، أم الخير سلمى بنت صخر بن عامل بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وكان له ثلاثة أبناء: محمد، وعبد الله، وعبد الرحمن، وكانت أم محمد بن أبي بكر أسماء بنت عميس الخثعمية، وكانت له ابنتان: أسماء، ويقال لها: ذات النطاقين، وقتل الحجاج بن يوسف ابنها عبد الله بن الزبير سنة ثلاث وسبعين وتوفيها الله بعدها بأسبوع واحد، وكان لها من العمر مائة عام، قال البناكتي في كتابه: روت عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثمانية وخمسين حديثاً، وعائشة الصديقة زوج النبي (صلى الله عليه وسلم)، وأبوه أبو قحافة عاش تسعة وتسعين عاماً، وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب سنة سبع عشرة.

اجتمع الأنصار في دار السقيفة بعد الرسول (ﷺ)، واتفقوا مع سعد بن عبادة أن يجعلوه خليفة، لكنه لم يقبل، وكان أبو بكر وعمر من الحاضرين، وفي آخر الأمر بايعوا أبا بكر بالخلافة، وفي عهده ارتدت اثنتا عشرة قبيلة من العرب، فصد أبو بكر اثنتين منها، وقال: والله لو منعوني عقلاً مما كان يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم بالسيف، وصد عمر (رضي الله عنه) عشرة منهم، وفتح أبو بكر الشام.

وادعى مسيلمة الكذاب النبوة وكتب رسالة إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قائلاً: من مسيلمة (رسول الله) إلى محمد (رسول الله) أما بعد، فإنه أوحى الله إلي أن الأرض بيني وبينك، فأجاب المصطفى (ﷺ) برسالة قال فيها: من محمد (رسول الله) إلى مسيلمة الكذاب، ولهذا السبب سموه الكذاب، وكان في عهده امرأة ملكة واسعة الثراء تسمى سجاح قد ادعت النبوة ومضت إلى مسيلمة، وقالت: ما أوحى الله إليك؟ فقال مسيلمة: إن الله خلق النساء أفواجاً، وجعل الرجال لهن أزواجاً، فولجوا فيهن نيساً إيلجاً، ثم نخرجها إذا شئن إخراجاً، فينتجن لنا سجالاً نتاجاً. فقالت: أشهد أنك نبي. فقال لها: ألك أن أتزوجك وينضاف ملكي إلى ملكك؟ قالت: نعم، فتزوجها وأقامت عنده ثلاثاً، ثم انصرفت إلى قومها، وفي ذلك يقول عطار^(١١):

أُمست نبينا أنثى تعيش بها وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

وأرسل أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) بعد وفاة الرسول (ﷺ) وأهله جيشاً وأسر مسيلمة وقتله^(١٢) وجعل عمر ولي عهده^(١٣) وكان في الثالثة والستين، وتوفي ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وغسلته امرأته أسماء بنت عميس بناء على وصيته، وكان نقش خاتمه (نعم القادر الله) وروى عن رسول الله (ﷺ) مائة واثنين وأربعين حديثاً، وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوماً.

عمر بن الخطاب :

كان الخليفة الثاني، وهو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب الجد الثامن للمصطفى (ﷺ)، وأمه حاتمة، ويقال: حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

ذكر ابن كتيبة في كتابه: في اليوم الذى أسلم فيه عمر (رضى الله عنه) كان فى مكة تسعة وثلاثون رجلاً وامرأة مسلمين، فأصبح عددهم أربعين بعمر، وكان له أربعة أبناء: عبد الله، وعاصم، وعبيد الله، وزيد، وابنة تسمى حفصة كانت زوجة للنبي (ﷺ)، وخلفه بناء على الوصية، وتربع على عرش الخلافة وبسط العدل والإنصاف، وفتح جميع بلاد الشام ومعظم بلاد الروم وقمع الأكاسرة، وفى آخر أيام دولته تيسر فتح همدان والرى على يد المغيرة بن شعبه، وسماه عدى بن حاتم الطائى أمير المؤمنين، وكانوا يسمون من قبله أبا بكر خليفة رسول الله، وفى عهده توفي عبد الرحمن أبو عبد الرحمن الصارث بن هشام المخزومى فى الشام سنة ثمانى عشرة، وتوفى بلال بن رباح المؤذن فى سنة تسع عشرة، ويقولون: فى سنة عشرين وروى عن رسول الله (ﷺ) أربعة وأربعين حديثاً، وفى أيام خلافته توفي فى المدينة سنة عشرين أبو سفيان بن حرب بن عبد المطلب الذى كان أخا النبي (ﷺ) من الرضاعة،

وهو الذى كانت ترضعه حليلة، وأسلم فى فتح مكة وكان يحبه المصطفى (ﷺ) وقال فى شأنه: أرجو أن يكون خلفاً من حمزة، الذى لقب بسيد فتيان أهل الجنة، وفى سنة عشرين توفى فى المدينة، ودفنوه فى البقيع.

وفى العام الثانى من خلافة عمر توفى فى نفس الساعة، أبو ثابت سعد بن عبادة بن وليم من بنى ساعدة الخزرجى الحورانى، وأخضر جلده، وروى واحداً وعشرين حديثاً، ويقال: إنهم سمعوا صوتاً من بئر كان يقول: قد قتلنا سيد الخزرج أسعد بن عبادة، ورميناه بسهمين فلم يخطئنا فؤاده، وتوفى أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عابد بن عدى الخزرجى عام ثمانية عشر الذى كانت أمه بنت هند بنت سهل من جهينة عن عمر يبلغ الثامنة والثلاثين، وروى مائة وسبعة وخمسين حديثاً عن رسول الله (ﷺ)، وتوفى خالد بن الوليد بن المغيرة الذى كانت أمه لبانة الصغرى بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة زوج المصطفى (صلى الله عليه وآله)، وأخته الأخرى لبانة الكبرى أم الفضل بن العباس بن عبد المطلب فى حمص سنة إحدى وعشرين، وتوفى أبو المنذر بن أبى كعب الأنصارى فى سنة اثنتين وعشرين، وقال عمر (رضى الله عنه): اليوم مات سيد المرسلين^(١٤)، ويقال: إنه توفى فى سنة ثلاثين فى خلافة عثمان (رضى الله عنه)، وروى عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) مائة وأربعة وستين حديثاً، وكان عبد الله سلمان الفارسى (رضى الله عنه) من رامهرمز، ويقولون عنه: إنه من أصفهان.

حكاية: يروى محمد بن إسحاق عن عبد الله بن عباس (رضى الله عنه) قال: سمعت من كلام سلمان أنه قال: كنت من قرية من ولاية أصفهان كانوا يسمونها (جى)، وكان أبى دهمقان هذه القرية وكان مجوسياً، وكنت أتولى أمر النار، وأسجد لها وكان لأبى مزرعة وكنت أميل لهذا المكان عندما رأيت جمعاً من الناس يقرأون الإنجيل، وكان بعضهم يدعو ويتضرع فأعجبني هذا منهم، فسألتهم دينكم دين من؟ قالوا: دين عيسى (ﷺ). فسألت أين يوجد أهل هذا الدين بكثرة؟ قالوا فى الشام، فهربت من أبى ومضيت إلى الشام، ومن هناك إلى نصيبين عند قسيس، وتعلمت منه الإنجيل، وأرسلنى إلى عمورية فى بلاد الروم عند رجل ليس له نظير فى علوم المسيحية، وحصلت العلوم

عنده ولما أدركته الوفاة، قلت: بماذا توصيني؟ قال: يا بني، قرب الزمان الذى يقرع فيه طبل محمد ويرفع علم النبوة فامضِ إليه حتى تجد تمام النجاة، وعنده خاتم النبوة وسيكون من العرب.

فمضيت فى قافلة إلى بلاد العرب، فغدر هؤلاء القوم بى، وباعونى لرجل يهودى من بنى قريظة، فحملنى إلى المدينة، ولما قدم المصطفى (ﷺ) المدينة أخذت قليلاً من التمر ذات يوم ومضيت إلى المصطفى (ﷺ)، ووضعت أمامه وقلت إنه صدقة، فوضع النبى (ﷺ) يده عليه وقال لأصحابه: باسم الله كلوا، وكنت سمعت أن نبى آخر الزمان لا يأكل الصدقة ويقبل الهدية ولم يأكل، وحملت فى اليوم التالى قدراً من التمر، وقلت: هذه هدية فقبلها وأكل وأعطى أصحابه، وسمعت أن خاتم النبوة على كتفه المباركة، فوقفت خلف ظهره (ﷺ)، فقال بفراسسته: ماذا تريد؟ وأرانى خاتم النبوة، ولما رأيته خررت على قدمه المباركة وأمنت وأرضانى، وقال: اشتر نفسك من هذا اليهودى لكنه لم يبيع، وفى النهاية ابتاعنى بأربعين أوقية من الذهب وثلاثمائة جذر نخلة أزرعه له وأرعها، فقال النبى (ﷺ): عاونوا أخاكم سلمان، ووزعوا الثلاثمائة جذر نخلة، وزرع بيده المباركة.

فتعهدت عاماً، وبعد ذلك أعطانى النبى (ﷺ) قليلاً من الذهب وقال: امضِ وأعطه لليهودى، فمضيت وأعطيتها إياه، ولما وزنها كانت أربعين أوقية فأخذها وخلصنى وأسرعت لخدمة المصطفى (ﷺ)، ووجدته فى غزوة "الخنق"، وحضرت جميع غزوات النبى (عليه السلام).

وكان سلمان^(١٥) شيخاً عجوزاً فى خلافة عمر، ويقال: إنه توفى فى خلافة عثمان فى المدائن، وحج فى سنة ثلاث وعشرين فى عهد عمر (رضى الله عنه) وقدم المدينة، وكان له من العمر فى ذلك الوقت ستون سنة. وطعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبه فى فجر يوم الأربعاء الثامن والعشرين من ذى الحجة بالسكين، ولما رأى عمر أن الأمر خرج من يده فغسل يده من روحه، وترك منصب الخلافة بين ستة أشخاص: عثمان، وعلى، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، وطلحة، والزبير. وتوفى فى غرة المحرم يوم السبت سنة أربع وعشرين، وكانت مدة خلافته عشرة أعوام وثمانية أشهر، وروى عن رسول الله (ﷺ) خمسمائة وسبعة وثلاثين حديثاً. والله أعلم.

عثمان بن عفان :

كان الخليفة الثالث وهو ابن عفان بن أبي العاص بن الأمية الأكبر بن عبد شمس بن عبد مناف جد رسول الله (ﷺ)، ولقب بذي النورين؛ لأنه تزوج بنتين لرسول الله (ﷺ)، وأمه بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وكانت كنيته "أبو عبد الله"، اتفق مشاهير الصحابة على خلافته، ووضعوا يد المبايعات في وسط متابعتهم، وفوضوا إليه رئاسة الأمة، ولما أصبح خليفة أسند الوزارة إلى مروان بن الحكم، وكان ابن عمه، وعين معاوية بن أبي سفيان بعد أخيه يزيد بن أبي سفيان على الشام، وأرسل الجيوش إلى أطراف الدنيا حتى فتح في عهد خلافته على يد المسلمين، طبرستان وجبال الديلم، وأكثر بلاد خراسان وسجستان وكرمان وأذربيجان ومصر، وحدود المغرب، وأكثر بلاد الروم.

وكان له أربعة أبناء: عبد الله وسعيد وعمر وإبان، وكان سعيد قائدًا عظيمًا، ومضى إلى بلاد ما وراء النهر في عهد معاوية، واستولى على سمرقند، وهو أول عربي من المسلمين عبر نهر جيحون، وتوفي في خلافته عبد الله سلمان الفارسي (رضي الله عنه) الذي كان من رامهرمز وعاش طويلًا، ويقال: في خلافة عمر أو في بداية خلافة عثمان في المدائن، وتوفي في المدينة أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن عاقل بن حبيب بن سمح بن ثار بن محروم بن صاهلة بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر الهزلي حليف بني زهرة أخو عتبة بن مسعود الكوفي. وأمه أم عبد بنت عبد ود بن سوار بن فرثم بن صاهلة بن كاهل الهزلية، شهد عبد الله بدرًا والحديبية وهاجر الهجرتين وصلى القبلتين ودفن في البقيع، وكان له من العمر ستة وسبعون سنة، وروى عن النبي (ﷺ) ثمانمائة وثمانية وأربعين حديثًا، وفي السنة نفسها توفي أبو ذر الغفاري وجندب بن جنادة بن سفيان بن عتبة بن الربيعة الحرام بن عفار بن مليك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة الغفاري، وأمه رمة بنت الربيعة الغفارية، وروى أبو ذر عن النبي (ﷺ) مائتين وواحدًا وثمانين حديثًا.

وفى السنة نفسها توفى فى دمشق أبو الدرداء عويمر بن عامر، ويقال: عويمر بن زيد بن قيس بن عائشة بن أمية بن مالك بن عامر بن عدى بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصارى، وروى عن الرسول (ﷺ) مائة وتسعة وسبعين حديثاً، وفى سنة ثلاث وثلاثين توفى فى الجرف مقداد بن الأسود بن يقظان، ويقال: مقداد بن عمرو بن ثعلبة الذى كان من اليمن، وهو الأسود بن عبد يغوث بن عبد مناف بن زهرة وكان مخالفاً لأبيه، وقد رياه ولذلك نسب إليه وكان فارس المصطفى (ﷺ) يوم بدر وكنيته "أبا معبد"، وزوجته صباغة بنت زيد بن عبد المطلب بنت عم المصطفى (ﷺ) وحملوه على رقابهم وجاءوا به إلى المدينة ودفنوه، وكان له من العمر سبعون سنة.

وفى نفس السنة توفى أبو عبد الله حذيفة بن اليمانى الذى كان ابن حنبل بن جابر العيسى، ولقب حنبل باليمانى، وتوفى فى المدائن، ويقال: فى الكوفة بعد مقتل عثمان بأربعين يوماً. وتوفى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى المدينة، وله من العمر تسعة وثمانون عاماً، فى عام أربعة وثلاثين، وروى خمسة وثلاثين^(١٦) حديثاً عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وفى نفس السنة توفى أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حزام الأنصارى فى المدينة. وله من العمر سبعون عاماً وكان من رماة جيش المصطفى، وقتل عشرين كافراً فى غزوة حنين، وكان يقول أثناء المعركة :

شعر

أنا أبو طلحة زيد وكل يوم فى سلاحى كيد

وقال النبى (صلى الله عليه وسلم): كَصَوْتُ أبى طلحة فى الجيش خير من ألف رجل، وتوفى فى المدينة وكانت زوجته ابنة ملحان أم سليم أم أنس بن مالك.

وفى نفس السنة توفى فى الشام أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس بن أحزم بن فهر بن ثعلبة بن غيم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج السالمى الأنصارى، أخو أوس بن الصامت، وأمه قرّة العين بنت عبادة بن نضلة بن سالك بن العجلان الخزرجية، وكان عبادة من النقباء الإثنى عشر، وشارك فى جميع الغزوات، وهو أول شخص ختن فى الإسلام، وتوفى فى الرملة بالشام، وكان يبلغ من العمر اثنين وسبعين عاماً، وروى مائة وواحداً وثمانين حديثاً عن الرسول (صلى الله عليه وسلم).

وفى نهاية الأمر قدم طائفة من عظماء مصر واشتكووا من عاملهم، فتعهد لهم عثمان أن يعزله وأن لن يجعله والياً عليهم أبداً، فسر المصريون لذلك وعادوا، وفى وسط الطريق رأوا راكباً على جمل وكان يمضى مسرعاً من المدينة إلى مصر، فتفحصوا حقيقة حاله، فوجدوا معه رسالة على لسان عثمان مع خاتمه إلى عامل مصر فحواها. حينما تصلك هذه الطائفة وقّع على عقابهم، وكتب هذه الرسالة مروان بن الحكم.

ولما رأى المصريون ذلك عادوا إلى المدينة فى الحال وقدموا على عثمان، وقالوا: أغدرت بنا ونكثت عهدنا ودمك مباح، فاقسم عثمان ألا خبر له عن هذا، ولم يكتبوا أن الفتنة قد ثارت، ولم يعاون أهل المدينة عثمان بسبب كراهيتهم لمروان حتى يوم الجمعة الثامن عشر من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين، وكان عثمان قد وضع المصحف أمامه، واشتغل بتلاوة القرآن، فدخل كنانة بن جبيب وجرحه، وكان قد بلغ آية ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾^(١٧)، وبقي أثر هذا الدم على المصحف حتى الآن فى البصرة، وقتلوه، وكانت مدة خلافته عشر سنوات وأحد عشر شهراً وثمانية عشر يوماً، ويبلغ عمره اثنين وثمانين سنة، وكان توقيعه (أمنت بالله مخلصاً)، ويقال: أمنت بالذى خلق فسوى.

أمير المؤمنين على بن أبي طالب :

كان الخليفة الرابع، وهو على بن أبي طالب بن عبد المطلب جد المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، وكانت كنيته "أبا الحسن". وله خمسة ألقاب: أمير المؤمنين والمرضى والولى والوصى والوزير، ولد يوم الجمعة فى الثالث عشر من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل فى حرم الكعبة، ولم يولد من قبله، ولا من بعده أحد فى الكعبة قط، وعاش ثلاثاً وستين سنة، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وكان له عشرون ولداً وخمس عشرة بنتاً، الأبناء هم: الحسن والحسين ومحسن ومحمد بن الحنفية وعباس وأبو بكر وعمر ومحمد الأوسط ومحمد الأصغر وعثمان الأكبر وعمر الأصغر وجعفر الأكبر وصالح وعبد الله وعبيد الله وعثمان الأصغر وعباس الأصغر وجعفر وعون ويحيى. وكانت فاطمة الزهراء أم الحسن والحسين ومحسن وزينب الصغرى وزينب الكبرى، وأم أبى القاسم محمد كانت خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية، وكان عمر ورقية توأمين وأمه أم حبيبة بنت ربيعة، واستشهد العباس وجعفر وعثمان وعبد الله مع الحسين، وكانت أمهم ليلى بنت مسعود الدرامية، وكانت أم رمة أم السعيد بنت عروة بن سعيد الثقفية، وكانت نفيسة ورقية الصغرى وأم الكرام وحمامة وإمامة وأم سلمة وميمونة وخديجة وفاطمة مع أبناء آخرين من أمهات آخر.

فى ذلك اليوم الذى استشهد فيه عثمان بايع أكثر الصحابة علياً (كرم الله وجهه)، ولما تربع على عرش الخلافة، دبر مصالح البلاد والعباد على أحسن وجه، فأسند ولاية البصرة إلى عبد الله بن عباس، وأرسل عبيد الله بن عباس أميراً على اليمن، وعين بن العباس أميراً على مكة، وفى ذلك الوقت عزل معاوية عن الشام، وأرسل إليه رسالة فى هذا الأمر، فأجاب معاوية قائلاً: من أعطاك هذه الخلافة حتى تعزلى؟ ومن ذلك قامت الفتنة، وتمردت عائشة وطلحة والزبير واتهموه بقتل عثمان، ومضوا إلى البصرة، وبعد مرور عام على خلافته وكان عام ستة وثلاثين من الهجرة قامت حرب الجمل، وكان ذلك يوم الخميس العاشر من جمادى الآخرة، وقتل من أصحاب الجمل ومن أهل البصرة وغيرهما ثلاثة عشر ألف رجل ومن أصحاب على خمسة آلاف، وقتل الزبير وطلحة فى هذه الحرب، وأحضر عائشة إلى المدينة، وقتل أبو عبد الله بن الزبير بن العوام وأمه

صفية بنت عبد المطلب عمّة رسول الله (ﷺ)، وكان الزبير في هذا اليوم يبلغ من العمر أربعة وستين عاماً على يد ابن جرموز في وادي التباع في البصرة ودفنوه هناك، وكان طلحة بن صفية الحضرمي، واختلف في عمره، يقول الواقدي: كان عمره أربعة وستين عاماً، ويقال: اثنين وستين عاماً، ويقول أبو اليقظان: ستين عاماً، وروى ثمانية وثلاثين حديثاً عن رسول الله (ﷺ) (١٨)، وفي نفس السنة توفي أبو قتادة بن الحرث بن ربيع بن رافع الأنصاري السلمي، وكان يبلغ من العمر سبعين سنة.

وكانت حرب صفين في العام السابع والثلاثين بين علي ومعاوية، ووقعت بينهما المارك أربعين مرة، وقتل في مدة مائة يوم وعشرة سبعون ألف رجل من أهل الشام وخمسة وأربعون ألفاً من العراق، ويقال: خمسة وعشرون ألفاً، واستشهد خمسة وعشرون من الصحابة الذين كانوا مع علي.

أبو اليقظان عمار بن ياسر - معروف بابن سمية - وكان عمره ستة وسبعين سنة ويقال: ثلاثاً وتسعين سنة، وهو عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة، وقيل عمار بن ياسر بن عامر بن مليك بن عبس، وكان عبس من مزجح اليمن ورهط العنسي الكذاب، وروى عن الرسول (ﷺ) اثنين وستين حديثاً، وتوفي في نفس السنة الخباب بن الارت، وكان في الثالثة والسبعين من عمره، والتقى الحكمان وهما: عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري بأرض البلقا من حدود دمشق سنة ثمانٍ وثلاثين. وفي نفس السنة توفي في المدينة صهيب بن سنان بن مالك من أبناء نمر بن قاسط، وأمه سلمى من مازن بن تميم، وكان أبوه عامل كسرى أغار عليهم الروم في أرض الموصل، وكان صهيب طفلاً وحملوه أسيراً، ولما كبر في الروم باعوه، فاشتراه عبد الله بن جدعان وحمله إلى مكة، وكان له من العمر سبعون سنة ودفنوه في البقيع، وفي النهاية قدم على الكوفة، ومعاوية الشام وادعى الخلافة.

وكان كاتب أمير المؤمنين سعد بن مروان الهمداني، وكان حاجبه قنبر غلامه، ونقش خاتمه (الملك لله الواحد القهار)، ويقال: نعم القادر الله، واستشهد بعد ذلك في ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان سنة أربعين على يد ابن ملجم المرادي، وكانت مدة خلافته أربعة أعوام وتسعة أشهر.

أمير المؤمنين الحسن (رضى الله عنه) :

كان الخليفة الخامس، ولد في المدينة في ليلة النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وعاش سبعة وأربعين عاماً، ويقال: خمسة وخمسين، وكان له ستة عشر ابناً: تسعة أبناء وسبع بنات، والأبناء هم: حسن المثنى وزيد وعمرو وقاسم وعبد الله وعبد الرحمن وحسين الأثرم وطلحة وأبو بكر، وكانت أم حسن المثنى حولة بنت منظور الفزارية وأم زيد والحسن والحسين أم البشير بنت مسعود بن عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجية، وكانت أم عمرو وقاسم وعبد الله وعبد الرحمن أم ولد وكانت والدة الحسين وطلحة وفاطمة أم إسحاق بنت طلحة بن عبد الله التميمي، وكان أبو بكر وأم عبد الله وفاطمة الصغرى وأم سلمة ورقية من أمهات أخريات.

وكان لحسن المثنى خمسة أبناء: عبد الله المحض وإبراهيم العمدة وحسن المثلث وداود وجعفر، ونقباء البصرة وهم: آل أبي يزيد من نسل جعفر ورضي الدين نقيب النقباء ابن طائوس من نسل داود، ويوجد أبناء حسن المثلث في مصر والنوبة.

وملوك اليمن من أبناء إبراهيم: لأن الخطبة والسكة كانت بأسمائهم مدة مائة وثلاثين عاماً؛ وكان آخرهم المعتضد عبد الله بن المستنصر محمد بن المختار القاسم بن الناصر لدين الله بن الهادي يحيى، وكان صاحب صعدة، وكانت له الخطبة والإمامة في مكة مدة سبعة أعوام، وهو ابن الحافظ أبي عبد الله حسين بن القاسم الموشى بن الحسن التج، ويدعى من أبنائهم الإمامة، الإمام الناصر وباسمه الخطبة والسكة.

في حال بلاد اليمن: كان أول سلطان توطن ملكه في اليمن الملك منصور كرد من أراد بغداد الذي كان قد أرسله الخليفة المستعصم برسالة إلى اليمن، وكان ملك اليمن في ذلك الوقت أسد الإسلام، ومات في ذلك الوقت مصادفة ووصل الخبر بأن المغول خربوا بغداد وقتل الخليفة، فوصلت سلطنة اليمن إلى منصور وكان شجاعاً كريماً إلى أبعد حد، وفوض شئون ملكه أثناء حياته لابنه المظفر، وحكم المظفر ثلاثين عاماً كما أنه فوض أمور ملكه في حياته لابنه أشرف وكان ملكاً لعام ونصف، وبعد ذلك أفضى الملك إلى أخيه الملك المؤيد، وهو في ذلك العهد سلطان اليمن، وكان له ولدان: المظفر ومحمد

وأخوين: مسعود ومنصور، وكان بنو معية وهم نقباء الحلة من أبناء حسن التيج، وهو ابن إسماعيل الديباج بن إبراهيم العمدة والأئمة الزيدية هم: أباء أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الجواد، وحمزة بن النقي، وسليمان بن المنتجب بن حمزة العالم على بن النفس الزكية حمزة بن الإمام الرضا حسين بن الفضل عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحافظ أبو عبد الله حسين.

وكان نقباء شيراز وأصفهان ودمشق والعراق العربي من نسل محمد أخى حسين هذا، وحسين بن أبي القاسم الموشى بن الحسن التيج. وكان لعبد الله المحض ستة أبناء: موسى الحون وسليمان ومحمد وإبراهيم ويحيى وإدريس بن إدريس، وكان خليفة المغرب فى عهد هارون الرشيد، وأبناءؤه ملوك المغرب وجابلقا والأندلس، وكان ملك جابلقا فى إدريس بن المعتكى يحيى بن الناصر لدين الله وأمير قرطبة على بن حمود بن ميمون بن أحمد بن عبد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس، وكان ملك البصرة التى كانت فى المغرب الفيور برهون، وكانت عظمتة وثراؤه أنهم كانوا يغطون سرج جنيبته بألف دينار، وهو ابن إبراهيم بن محمد بن قاسم بن إدريس.

وكان يحيى صاحب الديلم ونسله بالقرب من المدينة فى المغرب، وإبراهيم بن قبيل إمام من أئمة الزيدية ونسله فى العراق وخراسان وغزنين وما وراء النهر، وكان لمحمد لقب النفس الزكية، وهو إمام من أئمة الزيدية ونسله فى العراق وخراسان، وكان لسليمان ابن يسمى محمد وكان له ولد يسمى إبراهيم، وكان ملك السلف من ولاية البربر ونسله هناك.

وكان لموسى الحون ولدان: عبد الله الثانى وإبراهيم، وإبراهيم ابن يسمى الأمير يوسف، وأمراء اليمامة فى نواحي العراق والبصرة أبناءؤه، وكان لعبد الله ولد يسمى موسى الثانى، وكان له ولدان: إدريس ومحمد، وكان محمد بن عبد الله بن إدريس ملك جهاز^(١٩) وذريته تقيم هناك، ولمحمد ولدان: حسين، وعبد الله كان أميراً معتبراً فى البقيع، وأبناءؤه أمراء مكة والبقيع والحجاز، وكان القاسم أمير الحرمين ونسله فى الحجاز وهو ابن عمدة الدين هاشم بن نبيه بن أبي هاشم، وكان قاسم أمير مكة شجاعاً مقداماً لدرجة أن سيفه كان يزن ثمانية منات^(٢٠) وكان يقتلع رؤوس الناس

بيده، وكان القاسم بن أبي الفضل محمد بن أبي الفضل جعفر بن أبي هاشم محمد بن عبد الله بن أبي هاشم بن محمد بن حسين، وعُضد الدين بن عبد الله وعز الدين بن زيد كانا أميراً مكة في ذلك الوقت، وهما من نسل عبد الله وهم: أبناء أبو أيمن محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى الثاني.

وكان لزيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ولد يسمى حسيناً، وكان له ولدان: قاسم وإسماعيل، ولقاسم ولدان: محمد البطحاني وأبناؤه في مكة والمدينة وأصفهان والعراق العربي، وكان علاء الدولة صاحب همدان من نسله، والثاني عبد الرحمن الشجري وأبناؤه في أسترآباد ويسمونه الشجري، وبنو قضائل في مشهد علي من نسله، وكان لإسماعيل ولد يسمى محمداً، وكانوا يسمونه أعين، وله ولدان: أحمد وزيد، ولزيد ولدان: حسن ومحمد. وكان محمد أمير طبرستان وكانوا يلقبونه بالداعي إلى الله، وكان له ولد يسمى زيداً وكان أميراً عظيماً في بخارى، وكان له ابن يسمى الرضا أبو عبد الله محمد وأبناؤه في بلاد ما وراء النهر، وتوفي أبو موسى عبد الله بن قيس بن سلم حصار الأشعري في الكوفة سنة اثنتين وأربعين، ويقال: سنة ثلاث وأربعين وجاء في المعجم الكبير للطبراني سنة خمسين، وكان في الثالثة والستين من عمره، وروى عن الرسول (ﷺ) ثلاثمائة وستين حديثاً.

ذكر السلامي في تاريخ ولاية خراسان إنه في السنة الخمسين من الهجرة الثاني والعشرين من صفر، ويقال: ربيع الأول، أن جعدة بنت أشعث بن قيس الكندري، وكانت من أهل حرم الحسن بن علي قبلت من معاوية ألف دينار لتدس السم للحسن؛ فاستشهد ودفنوه بجوار أمه فاطمة، وكانت مدة خلافته ستة أشهر وثلاثة أيام.

وتوفي في سنة إحدى وخمسين أبي الأعوار سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وله من العمر سبعون ونيفاً، وروى عن الرسول (ﷺ) ثمانية وسبعين حديثاً، وفي سنة خمس وخمسين توفي أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري الخزرجي في المدينة، وهو آخر من مات من أهل بدر.

أمير المؤمنين الحسين بن علي (رضي الله عنهما) :

كانت كنيته آبا عبد الله، ولد يوم الثلاثاء، ويقال: الخميس الرابع من شعبان سنة أربع من الهجرة في المدينة، وعاش ستة وخمسين عاماً وخمسة أشهر وخمسة أيام، وكان له ستة أبناء: أربعة ذكور وابنتان. الأبناء هم: علي الأكبر وعلي الأصغر وجعفر وعبد الله، والبنتان هما: سكينة وفاطمة، وكانت أم فاطمة أم إسحاق بنت طلحة بن عبد الله التيمي، وأم عبد الله وسكينة رباب بنت امرئ القيس بن عدى، وكانت أم جعفر قضاة وأم علي الأصغر ليلي بنت أبي مرة بن عروة مسعود الثقفي، وكانت أم علي الأكبر شهربانو بنت كسرى بن يزجر، واستشهد عبد الله وعلي الأصغر مع أبيهم في صحراء كربلاء يوم السبت، ويقال: الإثنين، وفي يوم عاشوراء العاشر من المحرم سنة إحدى وستين قتل شمر بن ذي الجوشن بأمر من عمر بن سعد بن أبي وقاص الذي كان أمير جيش والي العراق عبيد الله بن زياد الحسين في وقت الزوال، وفي تلك الحال أمسك أمير المؤمنين الحسين (رضي الله عنه) السيف في يده، وكان يتلو هذه الأبيات :

شعر

أنا ابن علي الخير من آل هاشم	كفاني بهذا مفخراً حين أفخر
وجدى رسول الله أكرم من مشى	ونحن سراج الله في الحق يزهر
وفاطمة أمي سلاله أحمد	وعمي يدعى ذو الجناحين جعفر
وفينا كتاب الله أنزل صادقاً	وفينا الهدى والوحى والخير يذكر
ونحن ولادة الحوض نسقى ولاتنا	بكأس رسول الله ما ليس تذكر
وشيعتنا في الناس أكرم شيعة	ومبغضنا يوم القيامة يخسر

الإمام زين العابدين على الأكبر (رضى الله عنه) :

هو أبو محمد، ويقولون: إن كنيته "أبو الحسن"، ولد في المدينة يوم الخميس، ويقال: الجمعة في منتصف شهر جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين، وعاش ستة وخمسين عاماً وستة أشهر وثلاثة أيام، وتوفي يوم السبت السابع عشر من المحرم سنة خمس وتسعين، ودفنوه في البقيع، وكان له خمسة عشر ولداً: تسعة أبناء وست بنات.

الأبناء هم: أبو جعفر محمد الباقر وأبو الحسن زيد وعمر الأشرف وعبد الرحمن وسليمان وعبد الله الباهر وعلى وحسن الأصغر وحسين، وأبو الحسن وعمر الأشرف من أم واحدة، وناصر الأكبر الأطروش الذي كان ملك الديلم. وكان ممن بايعوه بالخلافة الحسن بن علي بن حسين بن علي بن عمر الأشرف، ومحبة وسيدة وأم حبيب وحيدة وخديجة الصغرى من أمهات آخر، وكان لأبي الحسن بن الإمام زيد الشهيد ثلاثة أبناء وتنسب إليه الطائفة الزيدية وهم: حسين ومحمد وعيسى، يقول أبو الفضل شرف الدين محمد نسابة هذا العهد: إنه ابن حسين بن عبد المجيد بن محمد بن عبد المجيد بن عبد الله بن النقيب الطاهر أسامة بن أحمد بن علي بن محمد بن عمر بن يحيى بن حسين بن أحمد بن عمر بن يحيى بن حسين بن الإمام زيد الشهيد، وكان لعبد الله لقب الباهر ونسله في قم والري وشيراز، ولعلي أبناء في أبيه والعراقيين والشام وهم معروفين بالأفاطسة، وأمراء المدينة من نسل حسين الأصغر، وكان منصور في ذلك الوقت أمير المدينة وهو ابن حماد بن شيخه بن قاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا بن داود بن قاسم بن عبد الله بن طاهر بن يحيى بن حسن بن جعفر الحجة بن عبد الله الأعرج بن حسن بن زيد العابدين^(٢١).

الإمام أبو جعفر بن محمد الباقر (رضى الله عنه) :

أمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ورضى عنهم، ولد في المدينة يوم الثلاثاء، ويقال: الجمعة في غرة رجب، ويقال: في الثالث من صفر سنة سبع وخمسين وعاش سبعة وستين عاماً وأحد عشر شهراً وتوفي في عهد هشام

بن عبد الملك فى ذى الحجة عام مائة وأربعة عشر، وكان له سبعة أبناء: خمسة أولاد وبنتان، والأبناء هم: أبو عبد الله جعفر وعبد الله وإبراهيم وعبيد الله ورجاء، والبنتان: زينب وأم سلمة، وكان على وزينب وأم سلمة من أم واحدة، وأم إبراهيم وعبيد الله ورجاء أم حكيم بنت أسيد بن المغيرة الثقفى، وكانت أم جعفر وعبد الله بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر.

الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق (رضى الله عنه) :

ولد فى المدينة يوم الجمعة وقت طلوع الصبح، ويقال: يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وعاش خمسة وستين عاماً وسبعة أشهر. وفى زمانه سنة اثنتين وثلاثين بعد المائة ظهر أبو مسلم الخراسانى، وأفضت الخلافة إلى العباسيين وتوفى فى المدينة فى عهد أبى جعفر المنصور الخليفة الثانى من خلفاء بنى العباس فى يوم الإثنين منتصف شهر رجب، ويقال: فى شوال سنة ثمان وأربعين ومائة، وكان له عشرة أبناء: سبعة أولاد وثلاث بنات، الأبناء: موسى وإسماعيل وإسحاق ومحمد وعباس وعلى وعبد الله، والبنات: أم فروة وأسماء وفاطمة، وكانت أم موسى وإسحاق ومحمد أم ولد حميدة البربرية، وأم إسماعيل وعبد الله وأم فروة فاطمة بنت الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، وكان عباس وعلى وأسماء وفاطمة من أمهات آخر.

ذكر الخواجه رشيد الدين الوزير فى جامع التواريخ أن خلفاء الفاطميين أربعة عشر، وحكموا فى مصر، وهم من نسل إسماعيل وكان آخرهم العاضد بالله أبو محمد عبد الله بن الأمير أبو الحجاج يوسف بن الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد بن أبى القاسم محمد بن المستنصر بالله معد أبو تميم بن الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن على بن الحاكم بأمر الله أبو على منصور بن العزيز بالله أبو منصور نزار بن المعز لدين الله معد أبو تميم، وهو أول من تولى الخلافة فى مصر وعمر القاهرة، وكان ابن المنصور بالله أبو طاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله أبو القاسم محمد بن المهدي عبد الله أول الخلفاء الفاطميين فى المغرب، وهو ابن محمد بن الحبيب بن جعفر بن محمد بن إسماعيل.

وذكر الإمام فخر الدين الرازي^(٢٢) في شرح أحوال مذاهب أهل العالم، أن رجلاً قدم من الأهواز يسمى عبد الله بن ميمون القداح لخدمة الإمام جعفر الصادق، وكان في معظم الأحيان ملحقاً بخدمة ابنه إسماعيل، ولما توفي إسماعيل كان له ولد يسمى محمداً، وكان ملحقاً بخدمته ومضى بصحبته إلى مصر، ومات محمد بن إسماعيل، ولم يكن له ولد إلا جارية حاملاً، وكان لعبد الله بن ميمون جارية حبلى أيضاً، فقتل جارية محمد بن إسماعيل وجعل جاريته بدلاً منها، ولما ولدت هذه الجارية ولدًا قال الناس: ولد لمحمد بن إسماعيل ولد ولما كبر علمه الزندقة، وقال للناس: إن الإمامة وصلتته من أبيه فمن الواجب عليكم أن تطيعوه، وانضم إلى جانبه جماعة من أعداء الدين من بقية ملوك العجم من المجوس الذين كانت في قلوبهم عداوة المسلمين، وجاءوا بهذا الخداع وأضلوا به جماعة من الناس، واستولى جماعة من نسلهم على مصر والإسكندرية والمغرب، ونشروا الدعاة لهم في أنحاء الدنيا، وكان أول ملك منهم المهدي، وبعده القائم، وكان الأمر على هذا حتى أفضى الأمر إلى المستنصر، فمضى إليه الحسن الصباح وأصبح داعية له، وذكر الخواجه نصير الدين الطوسي في تاريخ الملاحدة، أن إسماعيل توفي قبل جعفر الصادق بخمسة أعوام في سنة مائة وخمس وأربعين في قرية عريص على بعد أربعة فراسخ من المدينة وحملوه إلى المدينة ودفنوه في البقيع.

القرامطة :

كان ظهور القرامطة في أيام المعتمد خليفة بغداد في سنة مائتين وثمان وسبعين، وكان أولهم حمدان القرمطي الذي خرج في سواد الكوفة، وعجز الخلفاء عن صدهم واستولوا على البحرين، ومضوا إلى مكة وقتلوا ونهبوا، وكانوا يملأون بئر زمزم بالقتلى وشطروا الحجر الأسود شطرين، وكان في حوزتهم مدة خمس وعشرين سنة، وطلبه ملوك الإسلام منهم بمائة ألف دينار لكنهم لم يبيعوه، وبعد خمسة وعشرين عاماً حملوه إلى الكوفة، وطرحوه في مسجد، وكتبوا رسالة بهذا قائلين: إننا حططنا هذا الحجر بأمر وأعدناه بأمر، وحمل أهل الإسلام الحجر إلى مكة ووضعوه في مكانه.

وفى أثناء فتنة القرامطة، قدم شخص من دعاة الإسماعيلية من أبناء عبد الله بن ميمون القداح الأهوازي إلى ولاية الكوفة، وكان معه ولد، وقال: أنا داعية الإمام وظهوره قرب، وأرسل إلى اليمن من يسمى أبا القاسم حوشب للدعوة، وأرسل الدعوة إلى أطراف البلاد، وعظم شأنه وكان أبو عبد الله الصوفى، ويسمى المحتسب من قبيلة كنانة أرسله أبو القاسم إلى المغرب، ونشر هناك الدعوة، ولما أكتمل أمره واستولى على بعض من بلاد المغرب والقيروان، مضى ذلك الشخص الذى كان من أبناء عبد الله بن ميمون إلى تلك الجهة، وقال: أنا الإمام ومن أبناء إسماعيل بن جعفر وسمى نفسه عبد الله، وابنه القائم بأمر الله محمد، وتولى الإمامة وبإيعاه المغاربة، وبني مدينة المهديّة فى أرض القيروان فى سنة مائتين وثمان وخمسين، وكان يريد أن يحقر إيوان الشريعة، فتشكك فى أمره أبو عبد الله الصوفى؛ فقتله المهدي مع أخيه المسمى يوسف.

وكان ظهور المهدي فى سجالماسه من بلاد المغرب واستولى عليها سنة مائتين وست وتسعين، وقهر واستأصل ملوك المغرب بنى الملقب الذين كانوا من قبل الخلفاء العباسيين، واستولوا على بلاد المغرب جميعها، ورووا خبراً عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو: "على رأس الثلاثمائة تطلع الشمس من مغربها"، وقالوا: تأويل هذا الخبر ظهور المهدي، وقالوا: بين المهدي ومحمد بن إسماعيل ثلاثة أئمة مستورين وألقابهم الرضى والوفى والتقى والمهدي بن التقى، وقال مسلمو ولاية المغرب: إن المهدي من أبناء عبد الله بن سلام البصرى، وهو من دعاة هذه الطائفة، وقال أهل بغداد والعراق: من أولاد عبد الله بن ميمون القداح، وكذبوا بأجمعهم انتسابه إلى إسماعيل بن جعفر، وفى أيام القادر بالله فى بغداد كتبوا وثيقة، صدق عليها العظماء والسادة والقضاة وعلماء الخطوط، وأثبتوا أن مذهب أولاد المهدي مقدوح، وأنهم كاذبون فى انتسابهم إلى جعفر الصادق (رضى الله عنه)، تاتى نفس الوثيقة عند ذكر الحاكم الذى كان الخامس من أولاد المهدي.

وحكم المهدي مدة ست وعشرين سنة، وتوفى سنة ثلاثمائة واثنين وعشرين، وخلفه ابنه، وفى عهده ظهر رجل من أهل المغرب يسمى أبا زيد، وكان مسلماً ورعاً وتحارب مع ابنه القائم وهزم جيشه، وحصره فى المهديّة وسماه أتباع القائم الدجال

يسبب أنهم قالوا في الملاحم: إن الدجال سيثور على المهدي، وفي أثناء هذا الصراع والنزاع توفي القائم في شوال سنة ثلاثمائة وأربع وثلاثين، وخلفه ابنه المنصور إسماعيل بن القائم، وكان رجلاً صاحب رأى وشجاعة، تحارب مع أبي اليزيد، وهزمه وتعبه وأسره وقتله.

وتوفي المنصور بعد ذلك في سنة ثلاثمائة وإحدى وأربعين وخلفه ابنه المعز أبو تميم معد، كان رجلاً صاحب رأى، وشجاعاً سعيد الحظ، زاد ملك آبائه وقصد مصر وكان حاكمها في ذلك الوقت كافور. أرسل المعز غلامه أبا الحسن بن جوهر إلى مصر في سنة ثلاثمائة وثمان وخمسين؛ ليدعو للمعز، فاستجاب له كافور وجعل الخطبة باسم المعز، وفي نفس العام توفي كافور، وأصبح جوهر الحاكم، وأسس مدينة القاهرة، وانتهى منها في سنة ثلاثمائة واثنين وستين، ووصل المعز إلى مصر بجيوش لا حصر لها وأموال وأمتعة فاخرة في رمضان سنة ثلاثمائة واثنين وستين، وجعل القاهرة داراً للملك واستولى على أرض الحجاز، ويسط العدل والإنصاف في تلك البلاد، وتوفي في ربيع الآخر سنة ثلاثمائة وخمس وستين، وخلفه ابنه العزيز أبو منصور نزار وتوفي في سنة ثلاثمائة وسبع وتسعين، وخلفه ابنه الحاكم وانغمس في الفسق والفجور، واستاء الخلق من أفعاله وأخلاقه السيئة، واتهموا أخته ست الملك بآبن وقاص الذي كان أمير الأمراء، واتفقوا مع جماعة على قتله، وقتلوه فجأة، وباعوا أخاه علياً، وسموه الظاهر بالله وجعلوه خليفته، وكان قتل الحاكم في شوال سنة أربعمائة وإحدى عشرة، وتوفي الظاهر في سنة أربعمائة وسبع وعشرين.

ذكر الميثاق الذي كتبوه في بطلان نسبهم في عهد الحاكم :

في سنة ثلاثمائة وتسع وتسعين قدم معتمد الدولة صاحب الموصل أبو منيع المقلد العقيلي من قبل القادر بالله الخليفة العباسي لمبايعة الحاكم، وجعل الخطبة باسمه، فعلم بهاء الدولة بن عضد الدولة الخبر، فأرسل رسولاً من فارس إلى معتمد الدولة وهدده، فندم معتمد الدولة على فعلته، وجعل الخطبة مرة أخرى باسم القادر بالله،

وأرسلوا هذه الوثيقة من بغداد: "هذا ما شهد به الشهود أن معد بن إسماعيل المستولى على مصر هو معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد، وأنهم منتسبون إلى ديصان بن سعد الذي ينتسب إليه الديصانية، وأن سعيد المذكور صار إلى المغرب ويسمى بعبد الله ويلقب بالمهدى، وأن هذا الناجم بمصر وهو منصور الملقب بالحاكم، حكم الله عليه بالبور والدمار، ابن نزار بن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد، وأن من تقدمه من سلفه الأرجاس الأمحاسن؟^(٢٣) أدعياء خوارج لا نسب لهم في ولد على بن أبي طالب، ولا يتعلقون به، وأن من ادعوا الانتساب إليه باطل وزور، ولم يتوقف من أهل البيوتات الطالبين من إطلاق القول في هؤلاء أنهم خوارج أدعياء، وأن هذا الإنكار لطالهم كان شائعاً بالحرمين، وفي أول الأمر في الغرب ينتشر انتشاراً عظيماً، وأن هذا الناجم بمصر هو وسلفه كفار فساق وزنادقة ملحدون معطلون وللإسلام جاحدون ولذهب الثنوية المجوسية معتقدون، عطلوا الحدود وأباحوا الفروج وأحلوا الخمر وسفكوا الدماء وسبوا الأنبياء وادعوا الربوبية، وكتب في ربيع الأول سنة اثنتين وأربعمائة، وشهد بذلك من العلويين الشرفاء: الشريفان المرتضى والرضا الموسويان، وجماعة منهم، وشهد من الفقهاء المعتبرين الشيخ أبو حامد الإسفراييني، وأبو الحسن القدوري، وقاضى القضاة أبو محمد بن الأمامي، وأبو عبد الله البيضاوي". وقرأوا هذا المحضر في بغداد، ومدن أخرى على المنابر.

ولما أدركت الوفاة الظاهر كان ابنه أبو تميم معد في السابعة من عمره فجعلوه يخلفه ولقبوه بالمستنصر، وكان معروفاً بالجنون والخبيل ودامت خلافته ستين عاماً، وكان له ولدان: أولهما يسمى أبا منصور نزار وجعله ولي عهده ولقبه بالمصطفى لدين الله وبعد ذلك خلعه وجعل ابنه الآخر أبو القاسم ولياً للعهد ولقبه المستعلى بالله، وانقسم الأئمة والأعيان طائفتين بعد المنتصر: وقال بعضهم بإمارة نزار أخذين بالنص الأول ومنهم إسماعيلية الشام والعراق وقومس ويعرفون بالنزارية، وقال الجماعة الأخرى بإمامة المستعلى وهم إسماعيليو مصر وتلك الديار ويسمون المستعليين.

الحسن الصباح: دعا لدعوته في أيام المستنصر في ولاية الديلم، ولهذا السبب أطلق على طائفة النزارية أنهم ملاحدة؛ لأنهم انصرفوا عن الشرع المحمدي^(٢٤)

وأباحوا ما حرم الله أخذًا بدعوة الحسن الصباح، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٥).

أما طائفة المستعليين فلم ينصرفوا عن ظاهر الشرع، وتابعوا سير أجدادهم، وتابع الأجناد وأهالي مصر المستعلي وجعلوه خليفة، وهرب نزار مع ولديه من المستعلي ومضى إلى الإسكندرية، فأرسل المستعلي جيشاً حتى اعتقله مع ولديه، وجاء بهم إلى مصر، وتوفوا في الحبس بالقاهرة، وتقول طائفة النزارية: بقي لهم واحد كان له اسم الإمامة على مذهبهم في الإسكندرية، ولم يغلبه أحد، والآن انتساب وانتماء إسماعيلية الموت إليه.

وتوفي المستعلي في سنة أربع عشرة وخمسمائة، وخلفه ابنه أبو على منصور، وقد قتلته جماعة من النزارية في ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ولم يكن له ولد، وكان قد جعل ولاية العهد لابن عمه أبي الميمون عبد المجيد بن محمد فخلفه ولقبوه بالحافظ لدين الله، ودامت خلافته عشرين عاماً.

ويعده خلفه أبو منصور إسماعيل، وكان لقبه الظاهر لدين الله، وقتله عباس بن تميم الذي كان وزيره، وجعل الخلافة لابنه أبي القاسم عيسى، وكان في الخامسة من عمره، وتلقب بالفائز بالله، وتوفي بعد ستة أعوام، وخلفه ابن عمه أبو محمد عبد الله بن يوسف، وكان لقبه العاضد بالله، حتى ذلك الوقت الذي استولى فيه آل أيوب شيركوه وصلاح الدين على مصر وبلادها، وفي أول جمعة من المحرم سنة خمس مائة وست وستين قرأوا الخطبة باسم المستجد خليفة بغداد، وتوفي العاضد يوم عاشوراء وقطعوا نسله. والله أعلم.

وكان في دمشق أقوام يعرفون ببني الطيارة وبني الشيبة من نسل محمد الديباج وبايعوه بالخلافة في مكة واليمن، ولقبوه بأمر المؤمنين المؤمنين، ويقيم نسله في مصر والشام والمغرب والعراق وجرجان، وكان على العريض رجلاً فقيهاً زاهداً، وتقيم ذريته في العراق وخراسان وما وراء النهر.

الإمام أبو إبراهيم موسى الكاظم (رضى الله عنه) :

ولد يوم الأحد ويقولون: يوم الثلاثاء الثامن من صفر سنة ثمان وعشرين ومائة في أبواء، وهو موضع بين مكة والمدينة، وعاش إحدى وخمسين سنة وخمسة شهور وسبعة عشر يوماً، وتوفي في عهد هارون الرشيد في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رجب سنة مائة وثلاث وثمانين في بغداد، وكان له سبعة وثلاثون ولداً: ثمانية عشر من الذكور وتسع عشرة من الإناث. الأبناء هم: علي وإبراهيم وعباس وقاسم وإسماعيل وجعفر وهارون وحسن وأحمد ومحمد وحزمة عبد الله وإسحاق وعبيد الله وزيد وحسن الأصغر وفضل وسليمان، والبنات: فاطمة الصغرى ورقية وحكيمة ورقية الصغرى وأم ابنها كلثوم وأم جعفر ولبابة وزينب وخديجة وعليه وأمنة وحسنة وبريهة وعائشة وأم سلمة وميمونة وأم كلثوم، وكما يقال لإبراهيم الجزار بسبب أنه أراق كثيراً من الدماء وكانوا يسمون زيدا زيد النار؛ لأنه حينما كان له ملك البصرة أحرق بيوت العباسيين، وذريته في القيروان المغرب وشيراز ويقيم جميع إخوته وأبنائه في مصر والمدينة والموصل وبغداد والعراق العجمي وشيراز والأهواز ودمغان وخراسان.

الإمام أبو الحسن علي الرضا (رضى الله عنه) :

كانت أمه تسمى الخيزران المريسة^(٢٦)، ولد يوم الجمعة، ويقال: يوم الخميس الحادى عشر من ذى القعدة سنة مائة وثمان وأربعين، وكان له ولد يسمى محمد الجواد، دعاه الخليفة المأمون إلى الخلافة فأبى، فأمر المأمون بأن يجعلوا السكة والخطبة باسمه، ويحث للمأمون قائلًا: لما الإصرار على هذا؟^(٢٧) طبق ما جاء في كتاب الجامعة والجفر الذى كتبه جدى؛ فالخلافة لا تصل إلى، ولم يقبل، وتوفي في عهد المأمون في سنة مائتين وثلاث، وكانت مدة عمره خمسة وخمسين عاماً، قال: أدفنوني في بيتي، واحفروا عدة أذرع حتى يطلع الماء والسّمك، ففعلوا وهذا الموضوع في طوس.

الإمام أبو جعفر محمد الجواد (رضى الله عنه) :

كانت أمه تسمى ولداً^(٢٨)، ويقال: إنها أم سكينه المرسية، ولد ليلة الجمعة التاسع عشر من رمضان سنة مائة وخمس وتسعين، وكانت مدة عمره خمسة وعشرين عاماً وثلاثة أشهر، توفي في بغداد في خلافة المستعصم في شهر ذى الحجة سنة مائتين وعشرين، وكان له ولدان: أبو الحسن على وموسى، ويقال لأبناء موسى: الرضوية يقيمون في قم.

الإمام الهادي أبو الحسن على (رضى الله عنه) :

كان يتلقب بالنقى والعسكري وأمّه سمائه، ولد يوم الثلاثاء الثاني من رجب، ويقال: في منتصف ذى الحجة سنة مائتين واثنى عشرة، وعاش واحداً وأربعين عاماً وسبعة أشهر، وتوفي في عصر المعتز يوم الإثنين الثالث من رجب سنة مائتين وأربع وخمسين، وكان له خمسة أبناء هم: حسن والعسكري وحسين ومحمد وجعفر الذي كان له لقب الكرّين، ويسميه أهل الشيعة الكذاب بسبب أنه ادعى الإمامة، ويسمونه الكرّين؛ لأنه كان له مائة وعشرون ابناً، وتعيش ذريته في مصر والمدينة ودمشق والعراق.

الإمام أبو محمد حسن العسكري (رضى الله عنه) :

كانت أمه أم ولد^(٢٩)، وله اسم عسّافان، ولد في المدينة يوم الجمعة الثامن من ربيع الأول، ويقال: في ربيع الآخر سنة مائتين واثنين وثلاثين، وعاش ثمانية وعشرين عاماً، وتوفي يوم الجمعة الثامن من ربيع الأول سنة مائتين وستين في سرّ مَنْ رَأَى، ودفنوه بجانب أبيه في منزله، وكان له ولد.

الإمام أبو القاسم محمد المهدي (صاحب الزمان) :

كانت أمه أم ولد، واسمها نرجس بنت يشوعا بن القيصر ملك الروم، ولد في سر من رأى قبل طلوع الفجر ليلة النصف من شعبان سنة مائتين وخمس وخمسين، وأخفوه عن الأعداء أربعة وسبعين عاماً، واختفى بعد ذلك، وفي اعتقاد الشيعة الإثنى عشرية أنه مازال حياً إلى اليوم، وأنه سوف يظهر، ومما يروى عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً^(٣٠).

محمد بن حنفية (رضي الله عنه) :

كان له ثلاثة أبناء: أبو هاشم وعلي وجعفر الذي كان له ولد يسمى عبد الله، وكان لعلي ابن يسمى عوناً، وأبو هاشم هو الذي بشر العباسيين بالخلافة، وأخذوا منه كتاب الوصايا لأمير المؤمنين علي (كرم الله وجهه)، وولد أبو القاسم محمد بن حنفية بعد الهجرة بستة عشر عاماً في المدينة، وعاش خمسة وستين عاماً، وتوفي في المدينة في عهد عبد الملك بن مروان، وصلى عليه أبان بن عثمان بإذن من ابنه أبي هاشم، وتقيم ذريته في شيراز، ومنهم الأمير عبد الله الشيرازي الذي توفي في شيراز سنة أربعمائة وتسعين.

وكان لعمر ابن أمير المؤمنين علي (كرم الله وجهه) ابن يسمى محمداً، وكان له أربعة أبناء: عبيد الله صاحب مشهد وتقيم ذريته في بغداد، وجعفر الأغله وتقيم ذريته في العراق العجمي، وعمر وتقيم ذريته في العراق العربي، وعبد الله وكان له ثلاثة أبناء: يحيى وأحمد ومحمد، ويجاور أبناء يحيى مقبرة أمير المؤمنين الحسين ويعرفون ببني الصرفة، وتقيم ذرية أحمد في العراق العربي والشام، وكان لمحمد ولدان: القاسم ويلقب بملك الجليل، وكان ملك طالقان، وكان له ولد يسمى محمداً خلف أباه، وجعفر، وكان له لقب المؤيد من السماء، وكان ملك المولتان في بلاد السند، وله خمسون ولداً وذريته تعيش

فى السند والهند والعراقين والشام وديار بكر وفارس وكرمان، ومن أبنائه: عبد المجيد بن جعفر ملك بجه فى الهند، وأخوه عبد الجبار الذى كان ملك الجليل ملك بست فى ولاية سجستان.

أبو الفضل عباس: ابن أمير المؤمنين على (عليه السلام)، وسموه السقاء بسبب أنه عندما كان أمير المؤمنين الحسين يحارب فى صحراء كربلاء منعوا عنه الماء، فمضى أبو الفضل وحمل قربة من الماء؛ فالتف حوله الأعداء بسيوفهم فضم تلك القربة إلى صدره وأمسك السيف بيده الأخرى، حتى أوصل الماء إلى أمير المؤمنين الحسين، وكان له ولد يسمى عبد الله، وآخر يسمى حسناً، وكان لحسن خمسة أبناء: عبيد الله وعباس وحمزة وإبراهيم وفضل، كان عبد الله أمير الحرميين وقاضى مكة وهو أول شخص من أبناء أبى طالب حكم مكة والمدينة فى زمان بنى العباس، وعبد الله وأبناؤه يقيمون فى مكة والمدينة واليمن والكوفة ومشهد كاظم ومشهد الحسين، ويقيم أبناء حمزة فى طبرستان ومرو وهراة، وكان لإبراهيم ولد يسمى علياً الأعرج وأبناؤه فى مصر، وللفضل كذلك أبناء يقيمون فى مصر.

الطبقة الثانية

أمراء بنى أمية وهم أربعة عشر
ومدة إمارتهم إحدى وتسعون سنة وشهر
واثنان وعشرون يوماً

معاوية بن أبي سفيان: أول خلفاء بنى أمية وهو ابن صخر بن حرب بن أمية
الأكبر بن عبد شمس بن عبد مناف، وكنيته "أبو عبد الرحمن"، وأمه هند بنت عتبة بن
عبد شمس.

جلس على عرش الخلافة في الشام في ربيع الأول سنة أربعين، وكان مجال قلمه
وسيفه من بداية مزارع نهر النيل حتى سواحل جيحون، ثم أرسل الولاة إلى أطراف
العراق وخراسان، وتوفى أبو موسى الأشعري وهو عبد الله بن قيس بن سليم بن
حصار الأشعري اليماني، وأمه طيبة بنت وهب العلية في قرية بالقرب من الكوفة سنة
اثنين وأربعين، ويقال: اثنيتين وخمسين، وعاش أكثر من ستين عاماً، وروى ثلاثمائة
وستين حديثاً عن الرسول (ﷺ)، وتوفى رفاعه بن رافع الزرقى الأنصاري، وكان
يسمى ابن غفرا في سنة إحدى وأربعين، وروى أربعة وعشرين حديثاً عن الرسول (ﷺ)،
وتوفى زيد بن ثابت وكان له من العمر ست وخمسون سنة، سنة اثنيتين وأربعين وروى
اثنين وتسعين حديثاً عن الرسول (ﷺ).

وتوفى في نفس السنة أبو مسعود عتبة بن عمرو بن ثعلبة بن البدي بن ساكن الكوفة،
وأبو وهب صفوان بن أمية بن خلف الجمحي، وابن هنيذ وإبل بن حجر الكندي الحضرمي،
وكان ملك حضرموت، وروى سبعة عشر حديثاً عن الرسول (ﷺ) وأله وسلم).

وتوفى فى مصر فى سنة ثلاثٍ وأربعين، وكان له من العمر ثلاثة وتسعون عاماً. وتوفى عمرو بن العاص بن وابل بن هشام بن سعيد بن سهم بن عمرو بن مصيص بن كعب بن لؤى القرشى السهمى، وكنيته "أبو عبد الله"، وأمه النابغة بنت خرنملة، وكان هشام بن العاص أخاه من أبيه، وله شقيقان من أمه هما: عمرو بن أثانة العدوى، وعقبة بن نافع بن عبد قيس الفهرى، ودام حكمه فى مصر عشرة أعوام وأربعة أشهر، وروى تسعة وثلاثين حديثاً عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). وتوفى فى نفس السنة محمد بن مسلمة بن خالد البدرى الأنصارى فى المدينة، وكان له من العمر سبعة وسبعون سنة، وتوفى أبو يوسف عبد الله بن سلام الخزرى فى سنة أربع وأربعين وروى خمسة وعشرين حديثاً عن النبى (صلى الله عليه وسلم)، وتوفى أبو سعيد زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصارى، وتوفى أبو عبيد الله المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس بن منبه، وكان حاكماً للبصرة والكوفة فى سنة خمسين، وكان فى السبعين من عمره وروى عن النبى (صلى الله عليه وسلم) مائة وستة وثلاثين حديثاً.

وفى سنة إحدى وخمسين توفى أبو أيوب الأنصارى، وهو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار البدوى، وكان قد مضى فى غزوة الرافدة إلى القسطنطينية مع يزيد بن معاوية، وتوفى فى نفس العام أبو عمرو جرير بن عبد الله بن جابر البجلي، وتوفى أبو نجيد عمران بن حصين بن عبيد بن خلف بن سهم بن سالم بن عاصرة بن سلول بن حبشة بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى الكلبى فى البصرة سنة اثنتين وخمسين، وكان من فضلاء الصحابة. وتوفى أبو محمد كعب بن عجرة الأنصارى، وكان فى السابعة والسبعين من عمره وروى أربعة أحاديث عن النبى (ﷺ)، وتوفى فى سنة ثلاث وخمسين أبو عبد الله كعب بن مالك بن أبى كعب الأنصارى السلمى، وله من العمر سبعة وسبعون عاماً، وتوفى أبو محمد فضالة بن عبيد الله بن نافذ بن قيس بن صهيب بن أحرم بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن أوس الأنصارى فى دمشق سنة ثلاثٍ وخمسين، ويقال: تسع وخمسين، وروى خمسين حديثاً عن النبى (صلى الله عليه وسلم)، وتوفى أبو عبد الرحمن بن مستو بن محرم بن نوفل

فى سنة أربع وخمسين وكان عمره مائة وخمسة عشر عاماً، وفى السنة نفسها توفى أبو خالد حكيم بن حزام، وكان عمره مائة وعشرين عاماً، وفى سنة خمس وخمسين أسند معاوية لسعيد ابن أمير المؤمنين عثمان إمارة خراسان، وقاد الأمير سعيد الجيش إلى ما وراء النهر وسغد وسمرقند وفتحت على يديه.

وفى السنة نفسها توفى أبو إسحاق بن سعد بن أبى وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف زهرة بن كلاب بن مرة، وكان سنه يزيد عن السبعين، وأمه جفنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، وهو أول من أراق فى الإسلام دم كافر، وقال للرسول: فذاك أبى وأمى، ولم يقل ذلك لأحد من قبله. وفى سنة سبع وخمسين توفى أبو هريرة بن عبد الله بن عمرو، ويقال: عمير بن عامر الدوسى فى المدينة، وكان فى الثامنة والسبعين من عمره وروى خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً عن المصطفى (ﷺ)، وتوفى فى نفس السنة أبو محمد بن مطعم ورافع بن خديج فى يوم واحد.

قال محمد بن عطية: ذكر أحد الناس ذات يوم فى مجلس معاوية أمير المؤمنين علياً (كرم الله وجهه)، فقال معاوية: كان على والله كالليث إذا عدا، وكالبدر إذا بدا، وكالقطر إذا غدا، فقال الحضور: أيهما أفضل أنت أم على؟ قال: خطوة من ابن أبى طالب خير من آل سفيان، فقالوا: الحق معك أم مع على؟ قال: مع على، قالوا: لماذا حاربت؟ قال: الملك عقيم، وكل من يطلبه لا رحم بينه وبين أحد، وكان مولده فى مكة وعاش اثنتين وثمانين سنة، وكاتبه عبيد بن أوس، وحاجبه صفوان، وغلظه ابن أيوب، وخاتمه (لكل عمل ثواب فأحسن ما استطعت)، وهو أول من أجرى عادة إعطاء شخص واحد ألف ألف درهم، وكان يهب فى كل عام ألف ألف درهم للأمير المؤمنين الحسن، وكذلك للحسين وعبد الله بن عباس، ولما توفى معاوية وخلفه يزيد، مضى إليه عبد الله بن عباس، وقال: كان أبوك يعطينى فى السنة ألف ألف درهم وألتمس منك أن تصنع هذا، فقال يزيد: لقد أجرته وهبت ألف ألف درهم آخر، فقال عبد الله: إن غرضى من الالتماس ليس طلب أكثر من هذا، قال: وهبت ألف ألف أخرى، وأعطاه فى نفس اليوم ثلاث مرات فى كل مرة ألف ألف درهم، وتوفى معاوية فى دمشق يوم الخميس الثانى والعشرين من رجب سنة تسع وخمسين، وكان فى الثانية والثمانين من عمره، ومدة خلافته تسعة عشر عاماً وثمانية أشهر ونصف.

وتوفى فى سنة ستين أبو عبد الرحمن بلال بن الحرث المزنى، وكان فى الحادية والثمانين من عمره، وأبو سعيد بن سمرة بن جندب وروى عن النبى (صلى الله عليه وسلم) مائة وثلاثة وعشرين حديثاً، وتوفى أبو حامد عتبة بن العامر الجهنى والى مصر، وروى خمسة وخمسين حديثاً عن النبى (صلى الله عليه وسلم)، وتوفى أبو زياد عبد الله بن مغفل المزنى فى سنة سبع وخمسين، ويقال: إحدى وستين.

أبو حامد يزيد بن معاوية: أمه قيسون بنت بخدك بن أسف الكلبى، كان ولى عهد أبيه وخلفه، وفى عهده أصبح عبد الله بن الزبير خليفة فى الحجاز، وبإيعه كل العراقيين بعد يزيد حتى عهد الملك بن مروان، وقتل أبو دجانة السماك بن خرشة الأنصارى فى همدان سنة ستين، وكف بصر أبو سيد مالك بن ربيعة الساعدى ومات، وكانت مدة عمره ثمانية وسبعين سنة، وتوفى أبو عبد الله بريدة بن الحصيب الأسلمى فى مرو سنة اثنتين وستين، وتوفى عبد الله بن عمر بن الخطاب فى مكة سنة ثلاث وستين.

يقول نافع: لم يمت عبد الله بن عمر قبل أن يعتق ألف عبد، وتصدق فى مجلس ثلاثين ألف درهم، وكان آخر الصحابة الذين توفوا فى مكة، وروى ألفين وستمائة وثلاثين حديثاً عن النبى (صلى الله عليه وسلم).

وكان كاتب يزيد كاتب أبيه حاجب بن صفوان، عاش ثلاثة وثلاثين عاماً، ويقولون: ثمانية وثلاثين وسبعة أشهر وخمسة أيام، وتوفى فى حورابن من أرض دمشق فى السابع من صفر سنة أربع وستين، وكانت مدة إمارته ثلاث سنوات وستة أشهر واثنين وعشرين يوماً، وتوفى فى عصره جابر بن عتبك الأنصارى، وكان فى الحادية والسبعين من عمره.

أبو ليلى معاوية بن يزيد: أمه هاشم خلدة بنت ربيعة وكاتبه زياد بن مسلم، وحاجبه غياث ونقش خاتمه (إنما الدنيا غرور)، وهو رجل عابد زاهد راسخ الاعتقاد يخاف الله، ولما أصبح خليفة ومضى على خلافته أربعين يوماً، خطب فى يوم الجمعة وقال أثناء الخطبة: أيها القوم، إذا كان فى خلافتنا خير فقد صنعه آل أبى سفيان، ولو كان فيها شر، فأنا أكره هذا ولا أصر على الذنب، وقد عزلت نفسى وخرجت من هذا العمل.

ولو كنت على حق فى هذا - وأعرف أنى لم أكن فقد سئمت هذا العمل، وعليكم أن تختاروا من ترونه جديراً بهذا، قال هذا ونزل من على المنبر، ومضى إلى بيته واشتغل بالعبادة، ويقولون: إنه لم يعيش بعد هذا الحادث أكثر من أربعين يوماً، وفى الساعة التى خلع فيها نفسه، وقف مروان بن الحكم فى وسط الجامع، وسل سيفه، وأنشد هذا البيت:

إنى أرى فتنة يغلى مراحلهما والملك بعد أبى ليلى لمن غلبا

ومات أبو ليلى وهو فى الثالثة والعشرين، ودفنوه فى دمشق وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبى سفيان، ورشقوه بسهم وهو فى التكبير الثانية وقتلوه.

مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية الأكبر: كانت أمه أيمنة بنت علقمة بن صفوان وكان حاجبه غلامه مزاحم، ونقش خاتمه (يؤمن بالله)، وباعوه فى جمادى الأولى سنة أربع وستين وعاش ثلاثة وستين عاماً، وحفظ الشام من عبد الله بن الزبير، وقتل أبا سعيد الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر، وكان قد تزوج زوجة يزيد، ودست له زوجته السم، وقتلته فى صفر سنة خمس وستين، وكان له أربعة أبناء: عبد الله ومحمد وبشر وعبد العزيز، وكانت مدة إمارته تسعة أشهر.

وتوفى أبو عبد الرحمن بن عمرو بن العاص بن وابل بن هشام بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب القرشى التهمى فى مصر، وكان فى الثانية والسبعين من عمره، وتوفى أبو المنذر سليمان بن صرد الخزاعى فى نفس السنة، وروى خمسة وعشرين حديثاً عن النبى (ﷺ)، وتوفى أبو عمرو زيد بن الأرقم الأنصارى فى سنة خمس وستين، ويقال: ثمان وستين وروى سبعين حديثاً عن النبى (ﷺ).

وتوفى عبد الله بن عباس بن عبد المطلب فى سنة ثمان وستين فى الطائف وكان فى السبعين من عمره، وروى ألفاً وستمائة وستين حديثاً عن رسول الله (ﷺ).

أبو الوليد عبد الملك بن مروان: كانوا يسمونه أبا الذباب؛ لأنه كان سيء رائحة الفم لدرجة أن الذباب كان إذا اقترب من فمه سقط، وكانوا يلقبونه رشخ الحجر لشدّة شحه، وخلف أباه بناء على وصيته، وأمه عائشة بنت المغيرة بن أبي العباس، وكاتبه حفص بن دويب، وحاجبه غلامه، ونقش خاتمه (أمنت بالله مخلصاً)، وكان له خمسة أبناء: الوليد وسليمان ويزيد وهشام ومسلمة.

ولما تربع على عرش الخلافة كان مصعب بن الزبير أمير العراق فثار عليه، وحاربه عبد الملك وقتله في يوم الثلاثاء الثالث عشر من جمادى الأولى سنة اثنتين وتسعين، وتوفي أبو عمارة، وقيل: أبو الطفيل البراء بن عازب بن الحارث بن عدى بن جشم بن خدعة بن حارثة بن الحارث بن عمرو بن مالك بن أوس الأنصاري الحارثي في عهد مصعب بن الزبير سنة إحدى وسبعين. وفتح الري في سنة أربع وعشرين، وروى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ثلاثمائة وخمسة أحاديث، وتوفي وائل بن الأسقع بن عبد العزيز الليثي المقدسي، وهو من أهل الصفة في البصرة سنة ثلاث وسبعين ويقال: خمس وسبعين، وكان في الثامنة والتسعين من عمره، ويقال: مائة وخمسين عاماً، وتوفي أبو خالد ويقال: أبو عبد الله جابر بن سمرة بن جنادة بن حجير بن رباب بن حبيب ثوبة بن عامر في الكوفة سنة أربع وسبعين، وأمه خالدة بنت أبي وقاص أخت سعد بن أبي وقاص.

وتوفي أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن خضرة، واسم خضرة أبحر بن عوف بن مالك بن الحارث بن الخزرج الخضري اليمنى في نفس السنة، وهو أخو أم قتادة بن النعمان الذي كان من رماة الصحابة، وروى ألفاً ومائة وسبعين حديثاً عن المصطفى (ﷺ).

وتوفي أبو نجيع العرياص بن سارية السلمى، وهو من أهل الصفة، وكان يسكن في الشام في سنة خمس وسبعين، وتوفي سلمة بن الأكوع السلمى، وهو في الثمانين من عمره في سنة أربع وسبعين، وروى سبعة وثمانين حديثاً عن النبي (ﷺ). وكان له ثلاثة أبناء: عبد الرحمن وسعيد وبشير، وكانت كنيته "عبد الرحمن أبا محمد"، وتوفي في المدينة سنة مائة واثنى عشرة.

وتوفى أبو عبد الله رافع بن خديج، وكان في الثمانين من عمره، وروى ثمانية وسبعين حديثاً عن النبي (ﷺ)، وأرسل عبد الملك الحجاج بن يوسف لمحاربة عبد الله بن الزبير، وقتله وصلبه يوم الثلاثاء الرابع عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين، وبعد ذلك أرسل الحجاج إلى العراق، وأخاه محمد إلى فارس، وهو الذي عمر مدينة شيراز في سنة أربع وسبعين، وأرسل ابنه مسلمة إلى الروم حتى فتح القسطنطينية، وأرسل موسى بن نصير إلى بلاد المغرب حتى استولى على بلاد الأندلس وأقام هناك، وتوفى أبو العباس في عهده بالطائف، وكان في السبعين من عمره، يقول الواقدي: كان في الثانية والسبعين وكف بصره وصلى عليه محمد بن حنفية، وتوفى الحارث الأعور صاحب عليّ (عليه السلام) في سنة ست وسبعين، وقتل عمر بن سعيد بن العاص سنة سبعين.

يقول أبو مسلم النخعي: رأيت ذات يوم في الكوفة في قصر يسمى دار الإمارة رأس الحسين بن عليّ في طست أمام عبد الله بن زياد، وبعد ذلك رأيت رأس عبيد الله بن زياد في طست في نفس الموضع أمام المختار، وبعد ذلك رأيت رأس المختار في ذلك الموضع أمام مصعب، وبعد ذلك رأيت رأس مصعب في نفس الموضع أمام عبد الملك، فحكيت له، فخاف عبد الملك، وأمر بتخريب هذا القصر.

وتوفى النخعي في زمانه سنة ثمان وسبعين في المدينة، وذهب بصره في آخر أيامه، وعمره يزيد على السبعين، وكان مولد عبد الله بن جعفر الطيار في الحبشة سنة ثمانين، وتوفى في الثانية والسبعين، وتوفى محمد بن حنفية سنة إحدى وثمانين في المدينة، وتوفى عبد الملك في سنة ست وثمانين، وصلى عليه أبان بن عثمان بإذن القرشي بن أبي هاشم، وكان في الخامسة والستين من عمره، وكانت مدة إمارته إحدى وعشرين سنة، وفي نفس السنة توفى أبو أمامة الصدي بن عجلان الباهلي، وكان له من العمر إحدى وتسعون سنة، وروى مائتين وخمسين حديثاً عن النبي (ﷺ).

وتوفى أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو بن حزام بن كعب، ويقولون: حزام بن ثعلبة بن حزام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري العبقي في المدينة سنة

ثمان وسبعين، وأمه سنية بنت عقبة بن عدى بن سنان بن مالى بن زيد بن حام بن كعب بن غنم، وكان عمره أربعاً وتسعين عاماً، وكان من صحابة جابر بن عبد الله بن رباب وجابر بن عبد الله بن عمر، الذى روى ألفاً وخمسمائة وأربعين حديثاً عن النبى (صلى الله عليه وسلم).

الوليد بن عبد الملك: بايعوه فى السادس من شهر شوال سنة ست وثمانين، وأمه مارية بنت أبى العباس، وكاتبه القعقاع بن خليل وحاجبه غلامه صور، وخاتمه (إنك ميت وإنهم ميتون)^(٣١)، وكان ظالماً وفتحوا فى أيامه معظم بلاد ما وراء النهر، وهو الذى بنى جامع دمشق، وتوفى أبو صالح مقدم بن معدى كرب وكان له من العمر واحد وتسعون عاماً فى سنة سبع وثمانين، وتوفى أبو صفوان عبد الله بن بسر المازنى، وكان فى الرابعة والتسعين فى سنة ثمان وثمانين، وتوفى أنس بن مالك بن النصر بن صمصم بن زيد بن حزام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار وهو زيد اللات، وفى المعارف تيم اللات، ابن ثعلبة بن مارن بن عبد الله بن الأزد بن عوف بن بيت بن مالك بن زيد بن كهلان الأنصارى، خادم رسول الله (صلى الله عليه وسلم وأهله) فى البصرة، وكان يبلغ من العمر مائة وسبعين عاماً، وروى ألفين ومائتين وثمانين حديثاً عن النبى (عليه السلام)، وقتل الحجاج بن يوسف سعيد بن جبير فى سنة أربع وتسعين.

قال المسعودى: ذكر عون عن أبى راشد العبدى، قال: لما ظفر الحجاج بسعيد بن جبير، ووصل إليه فقال له: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير، قال: شقى بن كسير، قال: أبى كان أعلم باسمى منك. قال: قد شقيت ويشقى أبوك، قال له: الغيب يعلمه غيرك، قال: لا بد لك بالدنيا ناراً تلظى، قال: لو علمت أن ذلك بيدك ما اتخذت إلهاً غيرك. قال: ما قولك فى الخلفاء؟ فقال: لست عليهم بوكيل، قال: فاختر أى قتلة أقتلك؟ قال: فاختر يا شقى لنفسك، فوالله ما قتلتنى اليوم قتلة إلا قتلتك فى الآخرة بمثلها. فأمر به فأخرج ليقتل، فلما ولى ضحك. فأمر الحجاج برده، وسأله عن ضحكه. فقال: عجبت من جرأتك على الله، وحلم الله عنك. فأمر بذبحه، فلما كب لوجهه قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأن الحجاج غير مؤمن بالله،

ثم قال: اللهم لا تسلطه على قتل أحد بعدى بذبح، وأجيز رأسه، فلم يعيش الحجاج بعده إلا خمسة عشر يوماً، حتى وقعت في جوفه الأكلة، فمات من ذلك في سنة خمس وتسعين وهو ابن أربع وخمسين سنة بواسط، وكان يأمر على الناس عشرين سنة وأحصى من قتل سوى من قتل في عساكره وحروبه فوجد مائة ألف وعشرون ألفاً ومات في حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة، منهم ست عشرة ألف مجردة، وقد كان محبس الرجال والنساء في موضع واحد ولم يكن بحبسه سقف^(٣٢).

وتوفى أبو يزيد السايب بن يزيد الكندي في سنة اثنتين وثمانين، ويقال: إحدى وتسعين، وكان في الثامنة والثمانين من عمره، وتوفى أبو يزيد مولى عمر بن الحارث المخزومي في سنة خمس وثمانين، وروى ثمانية عشر حديثاً، وتوفى أبو إبراهيم عبد الله أبي أوفى الأسلمي، وروى خمسة وتسعين حديثاً عن النبي (ﷺ) وأبو العباس سهل بن سعد بن مالك الخزرجي الأنصاري، وكان في السادسة والتسعين من عمره في المدينة، وروى مائة وثمانية وثمانين حديثاً، وتوفى زين العابدين في المدينة في سنة خمس وتسعين، وكان عمره ستة وأربعين عاماً، وكانت مدة إمارة الوليد تسعة أعوام وتسعة أشهر.

أبو أيوب سليمان بن عبد الملك: تربع على عرش الخلافة بعد أخيه، ولما كان الوليد ظالماً، قل في عهده هطول المطر، وقحط الناس قحطاً عظيماً، ولما أفضت الخلافة إلى سليمان، واشتغل بالعدل والإنصاف، أرسل الحق تعالى في عصره المطر، وتمت نعمة السعادة في العالم، ولذلك لقبوه بمفتاح الجنة، وأمه وليدة بنت العباس، وكاتبه الليث بن أبي رقية، وحاجبه غلامه عبيدة، وخاتمه (أمّنت بالله حسبي الله ونعم الوكيل)، توفى في يوم الجمعة العاشر، ويقال: الثامن من شهر صفر سنة تسع وتسعين في مرج دابق من توابع دمشق، وكان عمره تسعة وثلاثين عاماً، وكانت مدة إمارته عامين وثمانية أشهر وخمسة أيام، ويقال: سنتين وتسعة أشهر وثمانية عشر يوماً.

عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم: أمه أم عاصم من أبناء عمر بن الخطاب، وكاتبه سليمان بن نعيم، وحاجبه غلامه مزاحم، وخاتمه (يؤمن بالله)، ولم يكن خليفة مثله

بعد الخلفاء الراشدين مشهوراً بالعلم والعدل والزهد والتقوى، وكان محباً لعلی وأل بيت النبي، ومنع لعنة أمير المؤمنين، وأمر أن تكون الخطبة بدلاً من اللعن بهذه الآية : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٣٣)، وكان له ابن يسمى عبد الله أمير أنذربيجان.

ولما أفضت الخلافة إلى عمر عزل العمال السابقين الذين اشتهروا بالظلم، وأسند ولاية الكوفة إلى عامر الشعبي، وأحال أمور الشعب إليه، وجاء خبر من الروم مفاده أن ثمة قحطاً عظيماً بها، فأرسل خمسة آلاف جمل محملين بالغلال من الشام إلى الروم، وقال لسليمة: وزع هذا على الفقراء وارجع، وفي عهده جاء الخبر أن عشرين ألف فارس خرجوا من صحراء القبيحاق في أنذربيجان، ويفسدون في الأرض، فأمر حاتم الربيعي أن يخرج بأربعة آلاف رجل ويمضى ليحاربهم، فقال: كيف يحارب أربعة آلاف عشرين ألفاً؟ قال: يا حاتم إن الجزار لا يهتم بعدد الغنم مادام الملك عادلاً، فجيئته أينما ذهب كان مظفراً غالباً، ولما مضى حاتم، وحارب هؤلاء الترك انهزموا، ووقع كثير منهم في الأسر، وأمنت كل البلاد بعده، وتوفى بدير سمعان من توابع حمص في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رجب سنة إحدى ومائة، وكان عمره تسعة وثلاثين عاماً، ويقال: إنه كان في الأربعين ومدة خلافته سنتان وخمسة أشهر وخمسة أيام.

أبو خالد يزيد بن عبد الملك: أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية، ولد بالمدينة، وكتبه أسامة بن زيد، وحاجبه غلامه سعد، ونقش خاتمه (لا تأخذك في الله لومة لائم).

وحكى المسعودي: أن يزيد بن عبد الملك حين ولى عمر بن هبيرة إلى الحسن بن أبي الحسن البصري، وعامر بن شرحبيل الشعبي، ومحمد بن سيرين، وذلك في سنة ثلاث ومائة، فقال لهم: إن يزيد بن عبد الملك خليفة الله استخلفه على عبادته، وأخذ ميثاقهم بطاعته، وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة، وقد ولاني ما ترون فيكتب إلى بأمر من أمره، فأنفذته وأقلده ما يقلد من ذلك فما ترون؟ فقال ابن سيرين والشعبي قولاً فيه تقية، فقال عمر: ما تقول يا حسن؟ فقال الحسن: يا ابن هبيرة: خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله. إن الله يمنك من يزيد، وإن يزيد لا يمنك من الله، وأوشك أن يبعث إليك ملكاً

فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرِكَ إلى ضيقِ قبرِكَ، ثم لا ينجيك إلا عملكَ، يا ابن هبيرة، إنى أحذرك أن تعصى الله، فإنما جعل الله هذا السلطان ناصراً لدين الله وعباده فلا تترك دين الله وعباده بسلطان الله فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وحكى في الخبر، أن ابن هبيرة أجازهم وأضعف إجازة الحسن.

وتوفى أبو محمد بن يسار غلام ميمونة زوج المصطفى (ﷺ) وكان في الرابعة والثمانين، وجابر بن يزيد وهو مولى الأسد من أهل البصرة ويكنى أبا الشعثاء وزيد بن الأصم وهو من أهل الرقة وابن أخت ميمونة زوج النبي (ﷺ) ويحيى بن وثاب الأسدي، وأبى بردة عامر بن أبى موسى عبد الله بن قيس الأشعري الكوفي في سنة مائة وثلاث، وتوفى وهب بن منبه وأبو عبد الرحمن بن كاوس بن كيسان مولى الجبيري في سنة مائة وأربع، ويقال: إن طاوس توفى في مكة سنة مائة وست وصلى عليه هشام بن الوليد، وفي عهده بدأ عبد الله محمد بن على بن عبد الله بن العباس في دعوته، وكان نصر بن سيار والياً على خراسان، وأمر أبا مسلم الخراساني وكان من نسل ملوك الفرس ليدعوه في خراسان، وتوفى عبد الله بن جبير مولى العباس بن عبد المطلب في سنة مائة وخمس.

وتوفى يزيد بن عبد الملك يوم الخميس، الخامس والعشرين من شعبان سنة مائة وخمس، في أربله من أرض البلقا توابع دمشق، وعاش ثمانية وثلاثين عاماً، ويقال: إنه حكم أربعة أعوام وشهراً.

الوليد بن هشام بن عبد الملك: أمه عائشة بنت هشام بن إسماعيل المخزومي، ولد في المدينة، وكان كاتبه عالماً خادماً سعيد بن عبد الملك، وحاجبه عاد بن مسعود ونقش خاتمه (الحكم بن الحكم)، ولما أصبح خليفة أمر أن توزع العطايا في جميع البلاد من عشرة دنانير إلى عشرين بحيث تتفق جميع الأموال التي في الخزانة، وعين أكثر من ألف من الأئمة والصلحاء والمستحقين في ديوان المشاورة، وظهر في عهده غيلان القدرى، ودعا كل شخص إلى المذهب القدرى، وأمر هشام بأن يجمعوا علماء الشام واستدعوا غيلان وأجلسه أمامه، وقال: ماذا تقول؟، إن الله تعالى راضٍ بأن يكون الخلق

عصاة ويقول الكافر إنه شريك؟ قال: لا ، قال: إذا لم يرد أن يعصى هؤلاء الخلق بدون رضائه، وأن يكفر الكافرون بدون رضائه، وهؤلاء منعهم من ذلك، فإن رضاهم يغلب من رضاه الله تعالى، وكل من هو كذلك لا يليق بالالوهية، فبقى غيلان صامتاً وقال هشام: أجب يا غيلان، فقال: يا أمير المؤمنين أمهلنى عشرة أيام حتى أجيئك، فقال هشام: لا أمهلنى الله يوماً واحداً إذا أمنتك يوماً حتى تضع مثل ذلك المذهب هذا، وتدعو الناس للبدعة، فأمر فمثّلوا به وشقّوا بطنه.

وفى أيامه توفى فى سنة سبع ومائة أبو أيوب سليمان بن سيار خادم ميمونة زوج المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، أخو عطاء بن يسار فى المدينة: وكان فى الثالثة والسبعين من عمره، ويقال: إنه توفى فى سنة مائة، وتوفى قاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق فى سنة ثمان ومائة، وتوفى شيخ المشايخ أبو سعيد حسن بن أبى الحسن يسار البصرى فى سنة عشر ومائة، وكان فى التاسعة والثمانين من عمره، ويقولون: كان فى المائة والواحد من العمر.

وقد حكى، إنه عندما ولد جاءوا به أمام عمر بن الخطاب، فقال: سموه حسناً. وقد ربته أم سلمة زوج المصطفى (صلى الله عليه وآله)، ويقال: إنه شرب فى طفولته من كوز المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، فسأل الرسول (ﷺ) من شرب من هذا الكوز؟ قالوا: حسن، فقال: إن علمى يسرى عليه، فوجد مائة وثلاثين صحابياً منهم سبعين بدرياً، وكان موالياً لأمير المؤمنين على بن أبى طالب (كرم الله وجهه)، ويقال: إلى الحسن بن على (رضى الله عنهما).

قال عظيم: كنا نخرج للحج جماعة مع الحسن، فظمنا فى البادية ووصلنا إلى بئر، ولم يكن لها دلو فبقينا، قال الحسن: عندما أصلى اشربوا، ولما صلى ارتفع الماء إلى وجه البئر فشربنا وتطهرنا، وملأ رجل فقير المطهرة، وفى الحال هبط الماء إلى قاع البئر، قال: لم تكن لهم ثقة بالله، ولذلك غاض ماء البئر، ثم مضينا من هذا المكان، فوجد الحسن تمرأ فى الطريق فقسمه بيننا، وكان لهذا التمر نوى من ذهب، فحملناه إلى المدينة، واشترينا به طعاماً وتصدقنا.

وتوفى محمد بن سيرين بعد الحسن بمائة يوم، وكان له من العمر إحدى وثمانين سنة، وكان له أربعة إخوة: معيد ويحيى وخالد وأنس بن سيرين بن مولى أنس بن مالك (رضى الله عنه)، والخمسة قد روى الحديث والسنن ونقلت عنهم.

وتوفى على بن عبد الله بن عباس، وكنيته "أبو محمد"، ويقال له: السجاد، لأنه كان يصلى فى كل يوم ليلة ألف ركعة فى سراة من أرض الشام، وكان له من العمر ثمانون سنة، قال الواقدي: ولد ليلة قتل على بن أبى طالب، وتوفى سنة ثمانى عشرة ومائة، فولد على بن عبد الله محمد بن على، وأمه العالية بنت عبيد الله بن العباس، وكان من أجمل الناس وأعظمهم قدراً، وكان بينه وبين ابنه أربع عشرة سنة، ومات سنة اثنتين وعشرين ومائة، وتوفى أبو عمران عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي فى سنة ثمانى عشرة ومائة، وفيها ولد المهدي، ويقال: مات سنة خمس وعشرين ومائة بالسراة، وهو ابن الستين، وأرسل هشام يوسف بن عمر الثقفى، ليحارب زيد بن على بن الحسين بن على؛ فهرب أصحاب زيد وتركوه مع جماعة قليلة وحارب كثيراً، وكان ينشد هذه الأبيات أثناء المعركة :

وَذَلْ حَيَاةٌ وَعِزٌّ الْمَمَاتِ وَكَلَّا أَرَاهُ طَعَامًا وَبَيْلًا
وَإِنْ كَانَ لَا بَدَّ مِنْ وَاحِدٍ فَسِيرَى إِلَى الْمَوْتِ سَيْرًا جَمِيلًا

ولما حل الليل، عاد زيد، وكانوا قد رشقوا جبهته المباركة بسهم، فطلبوا الحجام، ولما أخرج السهم توفى فى الحال، وأخفوه وسط جدول ماء، وأخرجه يوسف بعد أن دله الحجام عليه، وأرسل رأسه إلى هشام، فأمر هشام يوسف أن يصلب جسده العارى، وكان شعراء بنى أمية يقولون :

صَلَبْنَا لَكُمْ زَيْدًا عَلَى جَذَعِ نَخْلَةٍ وَلَمْ أَرْ مَهْدِيًّا عَلَى الْجَذَعِ يَصْلَبُ
وَأَحْرَقُوهُ وَأَذْرُوهُ فِي الرِّيَّاحِ.

قال المسعودي: حكى الهيثم بن عدى عن عمر بن هانى الطياني، قال: خرجت مع عبد الله بن عليك؛ لنُبش قبور بنى أمية فى أيام أبى العباس السفاح، فانتبهنا إلى قبر

هشام، فاستخرجناه صحيحاً، ما فقدنا منه إلا خرقة أنفه، فضربه عبد الله بن علي ثمانين سوطاً ثم أحرقه، واستخرجنا سليمان من مرج دابق، فلم نجد منه شيئاً إلا صلبه وأضلعه ورأسه، فأحرقناه، وفعلنا ذلك بغيرهما من بنى أمية.

وفى سنة ثلاثٍ وعشرين ومائة مات أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، وذكر الواقدي أنه مات سنة أربعٍ وعشرين ومائة.

وتوفى هشام، وهو فى الثالثة والخمسين، يوم الأربعاء السابع من ربيع الآخر سنة خمسٍ وعشرين ومائة، وكانت مدة إمارته تسعة عشر عاماً وسبعة أشهر وأحد عشر يوماً.

أبو العباس الوليد بن يزيد بن عبد الملك: أمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفى، ولد فى طبرية، وكاتبه سعد بن عبد الملك، وحاجبه عيسى بن نعيم، ونقش خاتمه (يا وليد احذر الموت)، وفى أيامه ثار عليه يحيى بن زيد بن على بن الحسين بن على (كرم الله وجهه)، ومضى نصر بن سيار بن سام بن أحوز المازنى؛ لمحاربته وقتل يحيى، وأرسل رأسه إلى الوليد، وصلب جثته فى جوزان من بلاد خراسان، وبقي هكذا إلى عهد أبى مسلم الذى انتقم من نصر بن سيار، وأنزل يحيى من على الأعواد وصلى عليه ودفنه، وأقاموا ماتماً له فى جميع بلاد خراسان لمدة سبعة أيام وناحوا عليه، وكانت هذه الواقعة فى أواخر سنة ستٍ وعشرين، وخلع محمد بن خالد القشيرى الوليد وباع يزيداً، وكان له من العمر سبعة وثلاثون عاماً، وقتلوه فى جمادى الآخرة سنة ستٍ وعشرين ومائة، ولم يصلوا عليه؛ لأنه كان مصاباً بالطاعون، وكانت مدة إمارته سنة وشهرين.

أبو الوليد بن زيد بن الوليد: كانت أمه جارية واسمها ماه أفريد بنت فيروز بن كسرى بن يزدجرد، واسم أمها ريحانة بنت أردشير بن شيرويه، وأسرت ماه أفريد فى حرب مع جيش الإسلام، وأرسلها قتيبة بن مسلم عند الحجاج، فأرسلها الحجاج بن يوسف هدية إلى الوليد، وولدت له يزيد فى مكة، ولذلك يسمونه الناقص لسببين: أولهما أنه كان أعرج، والثانى أنه ملك خمسة أشهر، وكان كاتبه سليمان، ونقش خاتمه (يثق بالحق)، وتوفى فى أول ذى الحجة سنة ستٍ وعشرين ومائة.

أبو إسحاق إبراهيم بن اليزيد - أمه ماه أفريد نفسها، وهو الذى كان يقول :
أنا ابن كسرى وأبى مروان وقيصصر جدى وجدى خاقان
كان ولى عهد أخيه، وولى الخلافة بعده، وتوفى أبو سعيد عبد الله بن كثير الدارى
الطارى القارى فى مكة فى أيامه سنة ست وعشرين ومائة، وفى نفس السنة ثار عليه
مروان بن محمد بن مروان وقتل إبراهيم وصلبه، وقتل عبد العزيز بن الحجاج، ويزيد بن
خالد القشيري، واستولى على ملكهما، وكانت مدة عمر إبراهيم ثمانية وثلاثين عاماً،
ويقولون: أربعين عاماً، ومدة إمارته ثلاثة أشهر وسبعة أيام.

أبو عبد الله مروان بن محمد بن مروان بن الحكم: أمه أم ولد، ويقال: إنها كانت
تسمى طروبة، بايعوه فى يوم الإثنين الرابع عشر من صفر سنة سبع وعشرين ومائة
فى مدينة حران من ديار مصر، وفى ذلك الوقت كانت توجد جماعة يدعون الخلق
إلى أنفسهم منهم الضحاك بن قيس، وعمر بن سعد بن العاص. وعبد الرحمن بن محمد
بن الأشعث، ويزيد بن المهلب بن أبى صفرة، وكانت مدتهم قليلة. وفى أيامه توفى يحيى
بن أبى كثير مولى على بن أبى طالب (كرم الله وجهه)، ويسمونه الأوزاعى، وكانوا يروون
عنه فى سنة تسع وعشرين ومائة، وظهر أبو مسلم الخراسانى ولبس ثوباً أسود
فى العيد، وخطب باسم إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس، ويسمونه
إبراهيم الإمام.

ولما ظهرت دعوة بنى العباس فى خراسان، قصد إبراهيم الكوفة قادماً من مكة،
ومضى معه جماعة من قريش إلى الكوفة فعلم مروان، وأرسل شخصاً يتعقبهم، وجاء
بالسفاح إليه؛ لأنه كان قد سمع حديثاً وهو أن المصطفى (صلى الله عليه وسلم) قد
قال: إنه بعد مائة عام وبضعة أعوام من هجرتى ستصل الخلافة إلى أبناء العباس،
وستبقى إلى يوم القيامة فى أسرته ويسمى السفاح.

وأدركهم الرسول على بعد ثلاث منازل من الكوفة، وقال: من منكم يسمى بالسفاح؟
فقال إبراهيم: أنا، وجعل إبراهيم السفاح ولياً للعهد، وأرسله إلى الكوفة، ولما وصل

إبراهيم عند مروان لم يرَ مروان في إبراهيم العلامة، والأمانة التي كانوا قد ذكروها له عن السفاح، فغضب وعاقب ذلك الرسول، ولما اتجه إليه جيش السفاح قتل مروان إبراهيم، وكان كاتبه عبد الحميد، وحاجبه غلامه سقلان، ونقش خاتمه (انصر الله ينصرك)، وقتل في النهاية في شهر ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة. ودفنوه في مصر، وكانت ولادته في نجران، ومدة ولايته خمسة أعوام وتسعة أشهر، وتوفي في أيامه بالبصرة مالك بن دينار سنة إحدى وثلاثين ومائة، وكانوا يسمونه مروان الحمار، لأن العرب كانوا يسمون كل مائة سنة الحمار، ولأن ملك بني أمية وصل في عهده إلى مائة سنة، سموه الحمار. والله أعلم بالصواب.

الطبقة الثالثة

خلفاء بنى العباس، وهم سبع وثلاثون
ومدة خلافتهم خمسمائة وثلاثة وعشرون عاماً
وأحد عشر شهراً وروم واحد

أبو العباس السفاح: وهو عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن عبد الله بن العباس، أول خلفاء بنى العباس، وهو العشرون نسبة إلى النبي (ﷺ)، وسموه السفاح؛ لأنه أسال كثيراً من دماء بنى أمية، حتى انتقلت الخلافة منهم إليه، قال أصحاب التواريخ: كان أمير المؤمنين علي (كرم الله وجهه) يصلي ذات يوم فلم ير عبد الله بن العباس، فسأل، فقالوا: لقد ولد له اليوم ولد، فمضى أمير المؤمنين لتهنئته وسأله بماذا سميته؟ قال: أى اسم تأمر به، فجاءوا به إلى أمير المؤمنين؛ فقبل وجهه وقال: خذ إليك أبا الخلفاء، وأسماه علياً وكناه أبا الحسن.

يقول الواقدي: كان بنو أمية لا يجيزون تزويج أبناء العباس من بنات الحارث، وقد روى خبراً جاء فيه أنه بعد مائة عام من الهجرة تنتقل الخلافة إلى بنى العباس ويكون أولهم الحارث، ولما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز، جاء محمد الكامل وطلب منه الإذن بأن يتزوج ابنة خاله من بنى الحارث، فأذن عمر وتزوج ربيعة بنت عبد المدان بن الديان بن قطن بن زياد بن الحارث بن كعب، فولدت أبا العباس السفاح، وبدأ محمد الكامل فى الدعوة فى العام المائة من الهجرة، وأرسى أساس هذه الدولة وتشكلت بأبى العباس السفاح.

حكاية: لما قتل إبراهيم بن محمد الكامل مروان، ووصل خبره إلى الكوفة، فإن أبا سلمة بن خلال الذي كان داعية دولته كان قد بايعه تأثراً بوفاته، ولما وصل السفاح وأقرباؤه الآخرون إلى الكوفة، أخفاهم أبو سلمة، وأراد أن يجعل الخلافة في أبناء علي بن الحسين بن علي (كرم الله وجهه)؛ لأنهم هم أول من دعا في البداية، فكتب أبو سلمة ثلاث رسائل، أولها إلى جعفر الصادق، والثانية إلى عبد الله بن الحسين، والثالثة إلى عمر بن علي بن الحسين، وسلمهم إلى أحد خواصه، وقال: احمل هذه الرسائل، وامض أولاً إلى جعفر، فإذا قبل فمزق الرسالتين الأخرتين، وإذا لم يقبل امض إلى عبد الله، وكذلك امض لعمر وجئني بالجواب سريعاً.

فمضى الرسول إلى المدينة، ورأى جعفر ذات ليلة فأعطاه الرسالة، ولما قرأها صمت طويلاً، فقال الرسول: أجب، فطرح جعفر الرسالة في النار وأحرقها.

فمضى الرسول إلى عبد الله بن الحسين، وسلمه الرسالة فقبلها وأراد أن يكتب الجواب، فمنعه جعفر من هذا، وقال: إن أبا سلمة خادع مكر وسوف يقتل بسرعة، ولعله يخدعك من أجل أنه هيا لهم أن هذا الأمر يصل إلى بني العباس، وتكون الخلافة في أسرته، فعاد الرسول بلا جواب من عندهم، وقبل وصوله أخرج حميد بن قحطبة أبا العباس من قصر أبي سلمة، وأسند إليه الخلافة.

حكاية: لما أفضت الخلافة إلى العباس، أسند الوزارة إلى حميد بن قحطبة، وقدم إلى عمه أبي عبد الله بن علي ستون ألف رجل، وأرسله لمحاربة مروان في الشام فمضى وحاربه وهزمه، ويقولون: كان يجري على لسان مروان في تلك الحال هذا الكلام: إذا انتهت المدة لم تنفع العدة، وقتل مروان على يد عبد الله بن علي، وانتهت دولة آل مروان.

حكاية: يقولون: حينما جعل أبو العباس مفتاح الخلافة في يده، كان سبب التريث والتمهل الذي أبداه أبو سلمة خلال فيما يتعلق بشأنهم، فخشى أن يظهر أحداً من السادات الحسينيين ويصبح سبب الفتنة، فأراد أن يدفعه واستشار حميداً وأخاه، فقال حميد: لا ينبغي أن نقوم بهذا العمل بغير مشورة أبي مسلم، فأرسل أخاه إلى

خراسان، ولما وصل مرو استقبله أبو مسلم، وترجل عند البوابة، ومهما ألق عليه أبو جعفر؛ فلم يركب، ومشى حتى وصل إلى المنزل، وخدمه لحد لا يمكن وصفه، فأوصل منصور رسالة الخليفة فيما يختص بأبي سلمة، فقال أبو مسلم: نحن عبيد والأمر لأمير المسلمين، فعاد أبو منصور وجريف المروزي بالهدايا وكثير من التحف لخدمته لما فعله أبو سلمة في تلك المدة التي مضى فيها المنصور إلى خراسان حتى ذلك الوقت الذي رجع فيه، وكان قد مر عامان وثلاثة أشهر، وكان أبو سلمة يأتي كل ليلة إلى الخليفة، ويلزمه إلى منتصف الليل، ولما عاد منصور من خراسان، كان أبو سلمة جالساً ذات ليلة عند السفاح، ولما عاد قتلوه في الطريق، ولم يعلم أحد من الذي قتله، وفي اليوم التالي خلع السفاح على المروزي وأنعم عليه وأعاده.

والمغزى لهذه الحكاية أن كل من كان مشرفاً بالملوك لا ينبغي أن يلوث ضميره قط بلوث الخيانة؛ لأنهم يغسلون لوث مرآته بماء السيف، ولا تمنع حقوق خدمتهم من الأخذ بالعقاب، ومغزى آخر أن الرجل العاقل إذا تشرف بخدمة الملك فلا ينبغي أن يثق على قربه ومكانته، ولا ينبغي أن يأمن لحظة سخط الملك^(٢٤).

شعر

إذا رأيت نيسوب الليث بارزة فلا تظن أن الليث يئس^(٢٥)

وكانت ولادة السفاح في مدينة هراة في عهد هشام بن عبد الملك، وكانت بيعته في يوم الجمعة الثالث عشر من ربيع الأول سنة مائة واثنين وثلاثين، وعاش تسعة وعشرين عاماً، ويقولون: ثلاثة وثلاثين، وتوفي يوم الأحد الثاني عشر من ذي الحجة سنة مائة وست وثلاثين، وكانت مدة خلافته أربعة أعوام وثمانية أشهر.

المنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد: الخليفة العباسي الثاني، وهو الحادي والعشرين بالنسبة إلى النبي (ﷺ)، وأمه أم ولد سلامة البربرية، ذهب المنصور في آخر أيام أخيه للحج، ولما عاد بلغه خبر وفاة أخيه، وكان قد جعل ولي عهده عيسى بن موسى بن محمد الكامل، فخلع عيسى، فأرسل إلى عبد الله بن علي قائلاً له: بايعني،

فقال عبد الله: لقد جعلنى السفاح ولى عهده وقد ظهرت الدنيا من بنى مروان، واستوليت على مدينة دمشق؛ فبايعنى، ولما سمع الجواب على هذا النمط، أرسل أبا مسلم لمحاربته، فمضى أبو مسلم إلى الشام وحاربه، ووقع عبد الله فى الأسر، ولما بلغ الخبر الخليفة أرسل كاتبه عتبة بن حمزة؛ ليثبت الغنائم، ويطلب السيف الخاص بعباس بن عبد المطلب الذى كان أعطاه السفاح لعبد الله، ولما وصل وسلم الرسالة، غضب أبو مسلم من هذا الكلام، وقال: من يبذل روحه يحمل كل ما وجد ولأمير المؤمنين أم يقهر الخصم، وأن تكون له الولاية كلها، وأرسل عبد الله بن على مع الأسرى إلى الكوفة واتجه مع جيشه إلى خراسان، ومع أن الخليفة قد سر بذلك النصر، لكنه خاف من ذهاب أبى مسلم، وأرسل عتبة بن حمزة فى الحال فى أثره، وكتب ميثاقاً وأقسم قائلاً: إنى لا أخالفك فى شئٍ فارجع فخراسان لك، وأمنحك الشام، ولما وصل عتبة إليه وبلغ الرسالة، رجع أبو مسلم.

حكاية: حكى المسعودى فى تاريخه أنه فى شعبان سنة ست وثلاثين ومائة كان أبو مسلم قد جلس ذات يوم فى مجلس المنصور، فضربه عثمان بن نهيك وشبيب بن أواج بالسيف وقتلاه ولفاه فى بساط وغطاه، وبخل عيسى بن موسى ابن أخى الخليفة وقال: أين أبو مسلم؟ فقال الخليفة: كان هنا الآن، قال: عرفت حقاً أن عقله ورأيه وفكره مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على (كرم الله وجهه)، فقال الخليفة مجيباً: والله لا أعلم عدواً على وجه الأرض أكثر عداوة من ذلك الذى لفوه فى هذا البساط، ولما رأى عيسى قال: " إنا لله وإنا إليه راجعون "، فدخل من بعده جعفر بن حنظلة، فقال الخليفة: ماذا تقول فى شأن أبى مسلم؟ فقال جعفر: إذا كنت تنوى أن تقتل شعرةً من رأسه فما أكثر الدماء التى تسيل، فقال الخليفة: انظر فى ذلك البساط. ولما نظر رأى أبا مسلم قتيلاً، قال: يا أمير المؤمنين، اليوم هو أول يوم من خلافتك، وقال :

زعمت أن الدين لا ينقضى	وكلاً أراه طعماً وبيلاً
اشرب بكأس كنت تسقى بها	فسيرى إلى الموت سيراً جميلاً

وثار محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي (كرم الله وجهه) في المدينة سنة مائة وخمسٍ وأربعين، فأرسل منصور بن عيسى بن موسى من الكوفة مع أربعة آلاف فارس وألفين من المشاة في أثر حميد بن قحطبة وجيشه فحاربوه، وقتلوا محمداً وكان في الخامسة والأربعين، ولما بلغ هذا الخبر أخاه إبراهيم، صعد المنبر في البصرة، وأنشد هذه الأبيات :

أبا المنازل يا خير الفوارس من يفجع بمثلك في الدنيا لقد نجعا
الله يعلم أنى لو خشيتهم وأوحش القلب من تلقائهم فزعا
لم يقتلوه ولم يسلم أخا لهم حتى نموت جميعاً أو نعيش معاً

وبعد ذلك تفرق أبناء محمد وإخوته في البلاد وادعوا الإمامة، فمضى علي بن محمد إلى مصر وقتل هناك، ومضى ابنه عبد الله إلى خراسان وانهزم فيها ثم مضى إلى السند وقتل هناك، ومات ابنه الحسن في اليمن في حبسه، ومضى أخوه موسى الحزن إلى الجزيرة، وأخوه الآخر يحيى إلى الري وطبرستان، ومضى إدريس بن عبد الله إلى المغرب، وبعده خلفه ابنه إدريس بن إدريس بن عبد الله المحض، وبنى مدينة في المغرب تسمى المهديّة، وخرج إبراهيم بن عبد الله المحض مع عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي (كرم الله وجهه) مع جماعة كثيرة من المعتزلة وغيرهم من البصرة، فأرسل الخليفة عيسى بن موسى وسعيد بن سلمة بجيش من الكوفة وتحاربوا، وقتل خمسمائة رجل من الشيعة الزيدية مع إبراهيم، وقال دعبل بن علي الخزاعي في رثائهم (٣٦) :

منازل آيات خلت من علالة ومنزل وحي دارس العرصات
قبور بكوفان وأخرى بطيبة وأخرى بفتح مالهها صلوات

وتوفي أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب، مولى بن تميم شيخ المعتزلة في سنة أربع وأربعين ومائة، وبنى المنصور مدينة بغداد في سنة خمسٍ وأربعين ومائة، وتوفي هشام بن عروة بن الزبير، وكان له من العمر خمسة وثمانون عاماً في المدينة سنة مائة وستٍ وأربعين.

حكاية: قال المنصور ذات ليلة للوزير: ادع لنا جعفر الصادق في خلوة؛ لأنى أريد أن أهلكه، فقال الوزير: إنه مستقر في الكوفة وعكف على العبادة، وإن طلب إيذائه ليس مباركاً، فلم يستمع الخليفة، وأمر بإحضار الصادق، وقال لغلمانه: عندما يدخل الصادق وأرفع القلنسوة اقتلوه، ولما دخل الصادق من الباب وقف الخليفة واستقبله بتواضع، وقال: أى حاجة لك؟، قال الصادق: ألا تستدعنى وأن تتركنى أعمل الطاعات لله، فرده الخليفة معزراً بعد ذلك وارتعش جسده على فجأة وخر مغشياً عليه، ولما عاد إليه وعيه، قالوا: ماذا جرى؟، قال: حينما قدم الصادق رأيت تنيناً وضعت شفة تحت الصفة والشفة الأخرى فوقها، وقال: إذا ما أنيته أبتلعك مع هذه الصفة ولم أعلم من خوفي ماذا أصنع؟؛ فسألته المَعذرة ورددته وغبت عن وعيى.

فاختلى جعفر الصادق مدة، فمضى إليه سفيان الثوري، وقال: إن الناس محرومون من مواعظ كلماتك، فلم اعتزلت؟، قال: بعد هذه العزلة أفضل، فسد الزمان وتغير الإخوان، وأنشد هذه الأبيات :

ذهب الرفاء ذهاب أمس الذاهب والناس بين مخائل ومآرب
يغشون بينهم الخبة والرفا وقلوبهم محشوة بعقارب

وتوفى أبو حنيفة بن النعمان بن ثابت الكوفي مولى تيم الان بن بكر بن وائل تلميذ الإمام جعفر الصادق، وأستاذ داود الطائى فى رجب سنة مائة وخمسين، وهو ساجد فى الصلاة، وكان فى الثمانين من عمره.

حكاية: عقد المنصور مجمعاً واستدعى علماء بغداد، وأمرهم بأن يكتبوا باسم كل عبد ضياعاً، بعضها يدر دخلاً وبعضها تمتلك وبعضها بالوقف، وبعد ذلك حمل عبد هذا الأمر إلى الشعبى أستاذ أبى حنيفة، وقال: يأمر أمير المؤمنين أن تكتب الشهادة، فكتب الشعبى وكتب جميع الفقهاء، فحملها إلى أبى حنيفة الذى قال: أين ينبغى رؤية الخليفة؟ هل يأتى الخليفة هنا أم أذهب إليه حتى تكون الشهادة صحيحة؟، فقال الغلام: لا تقل هراء واشهد، فلم يكتب أبو حنيفة، فقال الغلام: كتب العلماء، ثم قال أبو حنيفة: (لها ما كسبت)، فأوصلوا هذا الكلام إلى سمع الخليفة، فأمر بإحضار الشعبى؛ فسأله

الخليفة هل تجب الرؤيا فى الشهادة؟ فقال الشعبي: نعم، فقال الخليفة: أين رأيتنى حتى كتبت الشهادة؟ فقال الشعبي: لم أستطع أن أطلب مشاهدتك، وعرفت أنها جاءت بأمرك، فقال الخليفة: هذا الكلام بعيد عن الحق، وهذا الشاب أولى بالقضاء منك، وبعد ذلك اختار الخليفة أربعة أشخاص من فحول العلماء هم: أبو حنيفة، وسفيان الثوري، وشريك بن عبد الله، ومشعر بن حرام، وطلب منهم أن يمشوا فى الطريق الذى يسلكونه، فقال أبو حنيفة: أرى فىك فراسة، قالوا : قل، قال: أتخلص من هذا القضاء بكل كيفية، ويهرب سفيان، ويجعل مشعر نفسه مجنوناً ويصبح شريك قاضياً، فهرب سفيان فى الطرق، وقال: اخفونى؛ لأنهم يريدون قطع رأسى، ويتأويل هذا الخبر الذى قال فيه الرسول (ﷺ): من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين^(٣٧)، فأخفوه وأحضرهم هؤلاء الثلاثة عند الخليفة، فقال لأبى حنيفة: ينبغى أن يكون القضاء لك، قال: أيها الأمير أنا لست رجلاً من العرب بل من مواليهم، فإن سادات العرب لن يرضوا بحكمى، فقال جعفر البرمكى: لا يتعلق هذا الأمر بنسبك، والعلم ينبغى للقضاء، فقال أبو حنيفة: لست جديراً بهذا العمل إذا قلت حقاً فلن أليق به، وإذا قلت الكذب فلا ينبغى أن يكون الكاذب قاضياً للمسلمين. يا خليفة الله، لا تجز للكاذب أن يكون خليفة لك، وأن تكون ثقتك وثقة المسلمين فيه، قال هذا وتخلص، وتقدم مشعر وأمسك بيد الخليفة، وقال: كيف حالك؟، وحال الأبناء والنساء؟، فقال الخليفة: أخرجوا هذا المجنون وأسندوا القضاء لشريك، فقاطعه أبو حنيفة ولم يتحدث معه قط.

وفى سنة خمسين ومائة توفى أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن خديج المكي مولى خالد بن أسد، وكان فى السبعين من عمره، وأبو عبد الله بن إسحاق بن يسار مولى قيس بن مخزومة بن بنى عبد المطلب، وفى سنة أربع وخمسين ومائة توفى أبو عمرو البصرى القارى، وهو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحسين بن جهم بن الخزاع بن مالك بن عمرو بن تميم، وكان اسمه ريان، ويقال: يحيى، وكان فى السادسة والثمانين من العمر فى الكوفة، وفى سنة ست وخمسين ومائة توفى أبو عمارة حمزة بن حبيب بن إسماعيل الزيات الكوفى القارى فى حلوان، وفى سنة تسع وخمسين ومائة توفى أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى وهو من أهل الشام.

وتوفى أبو جعفر المنصور يوم السبت السابع من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة بالقرب من مكة، وكان له من العمر ثلاثة وستون عاماً، وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وأربعة أيام.

أبو عبد الله محمد بن عبد الله: ابن محمد بن علي بن العباس، كان ثالث خلفاء بني العباس، وهو الثاني والعشرون بالنسبة للنبي (صلى الله عليه وسلم)، وأمه أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن سهم بن ربي بن أبي سرح، وكان من أبناء ملوك حمير، وكان المنصور يحج البيت في آخر العمر، فمرض في الطريق وتوفى عند بئر ميمون، وكان المهدي معه في مكة فبايعوه في يوم وفاة المنصور، وكان له ثلاثة أبناء: موسى، وهارون، وإبراهيم. فأسند الوزارة إلى معاوية بن عبد الله الأشعري، الذي كان جد محمد بن عبد الوهاب الأشعري، وتوفى في عهده زفر بن الهذيل الفقيه صاحب أبي حنيفة في سنة ثمان وخمسين ومائة، وفي تسع وخمسين ومائة توفى أبو الحرث محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة في الكوفة، وفي سنة مائة وستين توفى أبو بسطام شعبة بن الحجاج مولى لبني أشقرة من الأزدي، وعبد الرحمن بن عبد الله المسعودي، وتوفى أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري في البصرة سنة إحدى وستين ومائة.

حكاية: لما مرض سفيان، أرسل الخليفة طبيباً ليعالجه وكان مسيحياً حاذقاً، ولما رأى الطبيب تفسيرته، قال: إن هذا الرجل أصبحت كبده دماء من خشية الله تعالى وهي تخرج من مثانته قطعة قطعة، فإذا كان إنسان هكذا في دينه؛ فإن هذا الدين ليس باطلاً، وأسلم في الحال، فقال الخليفة: ظننت أني أرسلت طبيباً إلى وسادة مريض فأرسلت مريضاً إلى طبيب.

وتوفى حماد بن سلمة سنة مائة وستين، ومما يروى لما مات المنصور، كان في الخزانة ستمائة ألف درهم وأربعة عشر ألف دينار من الذهب، فتصدق المهدي بها ونوى الحج وزيارة الرسول (ﷺ)، ويذل في الطريق مالاً كثيراً على نحو لا عهد للتاريخ بمثله.

حكاية: قالوا: ظهر المقنع فى عهده، وكان رجالاً أعور على علم تام بالشعوذة والطلاسم وعلى مذهب التناسخ، واسمه الحكيم، وكان على الدوام وراء الحجاب، وادعى أن الروح الكبرى للعالم تخرج من جسده، وإنها تبقى فى الجو إلى أن أتيت للعالم فدخلت فى جسده، وأنا نبي مثل محمد، فأمر الخليفة معاذ بن مسلم، الذى كان والياً على خراسان أن يقبض عليه، فهرب المقنع من خراسان، ومضى إلى كش، وهناك عمل طلسماً لقمر طلع، وبهذا أشار الحكيم السوزنى^(٢٨) لهذا المعنى، فقال :

شعر

إن العشق وقع لغبى من الحماقة (الجهل) حتى تطلع الشمس والقمر من بشر كش
يدعى الألوهية وليس لأحد من الخلق أن يستطيع أن يناله من الجرع والعطش

وكان الناس ينخدعون بهذا الطلسم، وفى آخر الأمر، قبض عليه معاذ بن مسلم وقتله، وما زال فى بلاد ما وراء النهر من يتبعونه، ويسمونهم أصحاب الثياب البيض، وهم يخفون دينهم ومذهبهم.

وكان عمر المهدي ثلاثة وأربعين عاماً، وتوفى فى قرية زرين من توابع سبندان فى ليلة الخميس الثالث والعشرين من المحرم سنة مائة وتسع وستين، وكانت مدة خلافته عشرة أعوام وشهراً، وستة عشر يوماً، ويقال: إن فى مأتمه كانت الجوارى يلبسن ثياباً من الصوف وطوال حياتهن لم يطرحنه.

شعر

فى نهاية بأى أرض سـُـرُوك حينما جعلوا تراب الدنيا على رؤوسهم
الهادى أبو محمد موسى: كان الخليفة الرابع من خلفاء بنى العباس، وهو الثالث والعشرون بعد النبي (ﷺ)، وأمه الخيزران بنت عطا، ووزيره ربيع، وقد مات فى نفس العام، فأُسند الوزارة إلى عمر بن ربيع، وفى عهده خرج الحسن بن على

بن الحسين بن علي (كرم الله وجهه) في المدينة، فأرسل الهادي موسى بن عيسى؛ ليعتقله ويقتله وأرسل رأسه إلى بغداد، وأسر مع الحسن بن علي بن الحسين كلاً من سليمان بن عبد الله بن الحسن، وعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن، وحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن وقاتلوا، وكان الهادي في جرجان وقدم بغداد بعد موت أبيه وتربع على سرير الخلافة، وكانت أيامه عند الناس مثل أيام العيد، وكانوا في رخاء ويحبونه، ومحبة للعلماء أيضاً، وقدم العلماء في زمانه من الأطراف إلى بغداد، وتوفي في المدينة أبو رويم، ويقال: أبو الحسن، وأبو عبد الله، وأبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم مولى جعنة بن شعوب الليثي حليف جمرة بن عبد المطلب المعزلي القاري، الذي كان أصله من أصفهان في سنة تسع وستين ومائة.

وكان للهادي من العمر خمسة وعشرون عاماً، وتوفي يوم الجمعة السابع عشر من ربيع الأول سنة سبعين ومائة في عيسى باد، وكانت مدة خلافته سنة وشهراً وخمسة وعشرين يوماً.

يقولون: إن المهدي جعل الهادي والياً للعهد، وبعده هارون الرشيد، وروى حسن بن سهل عن أبي غانم، قال: كنت مختصاً بخدمة الهادي، وكنت أخشاه على الدوام؛ لأنه كان سفاكاً سريع الغضب، وطلبني ذات يوم، وقال: أنا غاضب من يحيى بن خالد البرمكي، لأنه لم يترك هارون الرشيد يخلع نفسه من الخلافة بسبب ابني، فيجب عليك الآن أن تمضي إليه وتأتيني برأسه؛ لأنني سوف أقتل هارون في نفس هذه الليلة، فقلت: يا أمير المؤمنين إذا تأملت أمر هارون لا توقع هذه النية، فلا شك أنه أقرب للصواب؛ لأنه ابن أمي وأبي، ولما أسديت هذه النصيحة، غضب، وقال: ما شأنك بهذا الهراء؟ فإذا نفذت الأمر فيها، وإلا طرحت رأسك، وطلب الماء في الحال، ولما شرب، قفزت قطرة من الماء في حلقه، وجعل يسعل حتى مات، وخلصهم الله تعالى من ظلمه. قال هرثمة: مضيت في الحال إلى يحيى بن خالد، وأطلعت على مجريات الأمور ومضيت إلى هارون وبايعته.

الرشيد أبو جعفر هارون المهدي: كان الخليفة الخامس لبني العباس، والرابع والعشرين بالنسبة للنبي (ﷺ)، كان عظيماً فاضلاً متواضعاً، بايعه يحيى

بن خالد البرمكى مع أهل بغداد فى الليلة التى مات فيها الهادى، وكان يحيى من أبناء ملوك ساسان، فأُسند إليه الوزارة، وولد المأمون فى تلك الليلة، ويسمون هذه الليلة ليلة الهاشمية، وقالوا فى هذا اليوم أشعاراً منها قول الموصلى (٣٩) :

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة فلما ولى هارون أشرق نورها
بيمن أمين الله هارون ذى الندى فهارون واليهما ويحيى وزيرها

ولد محمد الأمين بعد ستة شهور من خلافة هارون، ومنح هارون خراسان إلى جعفر بن محمد بن الأشعث بن قيس، وتوفيت فى سنة خمس وسبعين ومائة الخيزران أم الرشيد، ومحمد بن سليمان والى البصرة.

وتوفى فى سنة خمس وثمانين ومائة، أبو الحارث الليث بن سعد المصرى، وكان فى الثانية والثمانين من عمره، وتوفى أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن سنان النجفى القاضى فى الكوفة، وكان فى الثانية والثمانين من العمر أيضاً، وتوفى حماد بن زيد. وفى سنة إحدى وثمانين ومائة، توفى عبد الله بن المبارك المروذى القبة، وكان فى الثالثة والستين من عمره، وتوفى أبو يوسف القاضى يعقوب بن إبراهيم فى سنة اثنتين وثمانين ومائة، وكان فى التاسعة والستين من عمره، وتوفى أبو على فضيل بن عياض بن مسعود اليربوعى التميمى الخراسانى فى سنة سبع وثمانين ومائة.

حكاية: قال هارون الرشيد ذات ليلة للفضل البرمكى: احملنى إلى رجل نأس به هذه الليلة، فقد سئم قلبى من هذا العمل؛ فحملة الفضل إلى باب سفيان بن عيينة وصاح، فقال سفيان: من؟، فقال الفضل: أمير المؤمنين، فقال سفيان: لماذا لم تخبرنى حتى أقوم بالخدمة؟، فقال هارون: ليس هذا الرجل الذى أريده، فقال سفيان: إن الرجل الذى تطلبه هو فضيل بن عياض، فمضى الفضل وهارون إلى باب قصر الفضيل، وكان يقرأ القرآن، ووصل إلى هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٤٠) فقال هارون: إذا كنا نطلب النصيحة فهذا هو الصحيح، ثم طرق الباب، فقال الفضيل:

من الطارق؟ قالوا: أمير المؤمنين، قال: أى شأن له عندي، وأى عمل لى معه؟ فقال الفضل: إن طاعة أولى الأمر واجبة، قال: لا تضايقتنى، فقال الفضل: أندخل تحت أمرك أم تحت الحكم (الدين)؟ فقال الفضيل: لا أمر إذا ما عملتم بالحكم فأنتم تعلمون، فدخلوا، فأطفأ الفضيل المصباح حتى لا يرى وجههما، فرفع هارون يده فوقعت فجأة على يد الفضيل، فقال الفضيل: ما أشد نعومة هذه اليد إذا ما نجت من نار جهنم! قال هذا ووقف يصلى، فانخرط هارون فى البكاء، وقال: قل شيئاً، ولما انتهى الفضيل من الصلاة قال: كان جدك عم المصطفى (ﷺ)، فطلب منه أن يجعله أميراً على قوم، قال المصطفى (ﷺ): عليك بنفسك! أى إن النفس فى طاعة الله أفضل من يطيعك الناس ألف عام، إن الإمارة يوم القيامة الندامة، قال هارون: زدنى، قال: لما جعلوا عمر بن عبد العزيز خليفة، نادى سالم بن عبد الله، ورجاء بن حيوة، ومحمداً بن كعب، وقال: لقد ابتليت بهذا العمل، فما تدبير أمرى؟ فقال واحد: إذا أردت أن تنجو من نار جهنم غداً فاعتبر شيوخ المسلمين كأبيك، وشبابهم كأخوتك، والأطفال مثل أبنائك، وعایشهم مثل معایشتهم لأبائهم وأخواتهم وأبنائهم، فقال هارون: زدنى، فقال الفضيل: إن ديار الإسلام مثل دارك، وأهل البيت عيالك؛ فزر الأب وكن كريماً مع الإخوة وأحسن معاملة الأبناء، ثم قال: أخشى على وجهك الكريم أن يحترق بنار جهنم.

شعر

كم من وجه صبيح فى النار فضيح وكى من أمير هناك أسير

فاخش الله، وانتبه إلى ما سوف تجيبه؛ لأنه سوف يسألك يوم القيامة عن المسلمين واحداً واحداً، وسيطلب إنصاف كل واحد، وإذا ما نامت امرأة عجوز بلا طعام ذات ليلة، فإنها ستعلق بك غداً وستعاديك؛ فخر هارون عن وعيه من البكاء، فقال الفضل: كفى فقد قتلت أمير المؤمنين، فقال الفضيل: اسكت يا هاماى فقد قتلت أنت وقومك ولم أقتله^(٤١)، فازداد هارون فى البكاء، فقال هارون للفضل: لقد سماك هاماى؛ لأنه يعرف أنى فرعون، ثم قال هارون: أليس عليك أى دين؟ فقال الفضيل: على دين الله،

وهو الطاعة، فإذا كان يؤاخذنى بها فالويل لى، فقال هارون: أقول عليك دين للخلق، قال: الحمد لله إن لى منه نعماً كثيرة، واست أشكو منه حتى أقولها للناس، فقدم هارون إلى الفضيل بكرة من ذهب، وقال: هذا حلال لأنها جاءتنى من ميراث أمى، فقال الفضيل: نصائحى تلك لم تنفعك، كما إنك بدأت الظلم هنا، إنى أدعوك إلى الفوز والفلاح، وأقول لك: إن ما لديك رده إلى الله، فإنك تعطى إلى ما لا يجب أن تعطيه، قال هذا ونهض من أمام هارون ومضى، فخرج هارون، وقال: إن الرجل فضيل حقاً.

وتوفى أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور البلخى فى مكة، الذى كان مصاحباً لسفيان الثورى، والفضيل بن عياض فى الشام سنة ست وثمانين ومائة.

حكاية: طوف إبراهيم بن أدهم أربعة عشر عاماً فى البادية، وكان يصلى فى الطريق حتى وصل مكة، فاستقبله شيوخ الحرم، فطرح إبراهيم نفسه أمام القافلة حتى لا يعرفه أحد، فوصل إليه خدام الحرم قبل الشيوخ، وسألوا هل اقترب إبراهيم بن أدهم؟ لأن شيوخ الحرم قدموا لاستقباله، قال: ماذا يريدون من هذا الزنديق؟ فصفعه الخدم على قفاه قائلين له: أنت الزنديق، فقال إبراهيم: أقول هذا كذلك، ولما انفضوا عنه، قال إبراهيم لنفسه: يا أيتها النفس! لقد رأيت جزاءك، فطلبوا منه المعذرة فى الوقت الذى عرفوه فيه، وسكن مكة، وكان يعيش من كسب يده، فتارة يبيع الحطب، وتارة أخرى يعمل بستائياً. قيل: إنه شعر ذات ليلة فى الشتاء ببرد شديد فى غار، وكان فيه حتى السحر، وكان يخشى عليه من الموت، فخطر فى باله أن يلبس فرواً، فأدفاً الفرو ظهره فى الحال، ودخل فى النوم، ولما استيقظ رأى تنيناً كان الفرو يدفنه، فقال: يا إلهى لقد أرسلته إلى لطفاً منك، ولا طاقة لى أن أراه مقهوراً، فوضع رأسه على الأرض فى الحال ومضى.

وتوفى أبو عيسى سليم بن عيسى الحنفى الكوفى القارى فى الكوفة، وأبو الحسن على حمزة الكسانى القارى، وأبو عبد الله محمد بن الحسن الشيبانى القاضى فى الرى سنة تسع وثمانين ومائة.

حكاية: من النعم والألطاف التي سبغها الله تعالى على هارون الرشيد، فواحدة منها أن كان له وزير آية في الكرم والطف والخلق والحلم هو وأبناؤه، وكان ليحيى بن خالد البرمكي أربعة أبناء: فضل، وجعفر، ومحمد، وموسى. فكان الفضل وجعفر وزيران ومحمد وموسى أميران، وكانت لهم الولايات، ولم يكن لأى وزير فى التاريخ مثل هذا الثراء الذى كان للبرامكة، وكان سبب غضب الرشيد على البرامكة، أنه كان يحب جعفر بن يحيى حباً إلى أبعد غاية، حتى إنه لم يكن يطيق صبراً على فراقه لحظة، وكان لهارون أخت تسمى العباسة، وكانت مشغوفة به، ولم تكن أن تتخلف عن هارون بأى حال، وكان إذا جلس هارون فى الحرم بمجلس طرب لم تتخلف عن خدمته فى أى حال، وكان جعفر يطلبها فى الخلوة، وكان يتحاشى الدخول بسببها، حتى قال هارون ذات يوم: أعلم سبب امتناع جعفر عن مجلسنا والسبب العباسة والوحشة فى مجلسي بسببها، ولكننى أزوجك إياها بشرط أن لا يكون بينكما سوى الكلام، وعلى ألا يكون بينكما مزاح، ولا أى اجتماع قط، وأقصد هذا السبب ما دمت أنت محرماً لها فيمكنك أن تدخل فى مجلس الحرم بلا تكلف ولا تحرج. وانعقد بينهما عقد الزواج بعد ذلك، وجلس جعفر فى مجلس أمير المؤمنين بلا كلفة، وكان يتحدث مع العباسة ولكنه استاء من شىء، وهو أن الخاتم لم يكن فى إصبع من أصابعه، ومهما كان يصنع الواحد منهم فى سمع الآخر حلو الكلام من وعاء الحلو، إلا إنهم لم يستطيعوا أن يضعوا رطب الطرب فى قدح الفرح، وكان جعفر وسيماً، وقد وضعت العباسة حرقه عشقه فى المقلاة والطناس، حتى سكر من خمر الهوى، وأرسلت إليه رسالة تقول فيها : تعال لأجنى من شجرة وصالك ثمرة الروح، فأنا من شدة العشق مثل التفاحة التى تتألف من شقين، ولما وصلت هذه الرسالة إلى جعفر أرسل جواباً يقول فيه :

شعر

من ذا الذى لا يريد أن تكون روحه ومعه شوقته الظاهرة والخفية
لقد شئت أن أجعل قلبى شطرين وأخشى أن تكون وسطه

ولو أن المانع الدينى والشرعى قد ارتفع من بيننا، وأن عقد النكاح رفع من أمامنا حجاب الامتناع.

شعر

أرى ماءً وبى عطش شديد ولكن لا سبيل إلى الورود^(٤٢)

إذا كان القلب فداء تقبيل قدم ذلك الثمل بى فإنه فى يدى، لقد نهضت عن سرير الملك ويحثوا عن فرصة فى قصر الخلافة وطلبوا خلوة، وحققوا المراد من بعضهما.

شعر

ذلك الجوهر الإنسانى الذى هو أفضل من الياقوت حمله من صندوق ياقوت المحبة
لقد سكب سن قلمه الدم مثل السيف ولكن سهم الطرب تجاوز الهدف
بدون الأخذ والعطاء جعل من العشرين ثلاثين وضرب واحداً فى الستين وكتب
شق الصدف وأخذ بالعقيق وبعد ذلك فضل النار على الماء
أخذ الورد والياقوت من خميلة الثمار وزرع الزارع الياسمين له على تلك الخميلة

ولما وصل الأمر من المشاهدة إلى الملاعبة، وكأنا ينعمان مع بعضهما بالوصال فى الخفاء، حتى شب للعباسة ولدان من جعفر، فأرسلت الولدين إلى مكة حتى يتربيا، وكانت تخفى هذا الأمر عن أمير المؤمنين حتى تنتهى فترة دولته، وحدث أن جرى كلام بين العباسية وإحدى جوارى هارون، فبلغت تلك الجارية الخليفة بهذا الأمر وكررت الحديث عن ذكر الولدين؛ فتألم أمير المؤمنين من ذلك الأمر^(٤٣).

وجاء فى كتاب خلق الإنسان، أنه حينما ثار يحيى بن عبد الله المحض فى طبرستان، مضى الفضل بن يحيى لمحاربته، ورغب إلى الفضل أن يطلب له الأمان من أمير المؤمنين،

فكتب إليه هارون كتاب الأمان بخط يده واستودعه عند جعفر، فقال لجعفر ذات ليلة: امض إليه وأنجز عمله، فأرسل جعفر يحيى إلى خراسان؛ ليخفيه عند علي بن عيسى بن مامان، وكان بين جعفر وعلي حقد دفين، فأخبر هارون بهذا الأمر في الحال، فصمم الخليفة على إسقاط آل برمك، وسافر للحج في سنة ثمان وثمانين ومائة، وأخذ معه يحيى وجعفر والفضل والجارية التي أفضت إليه بخبر العباسية، ولما وصل إلى مقصده وأدى مناسك الحج، استدعى ابنى العباسية، وجاء في تاريخ الطبري، أنه قتلها، ويقول المقدسي: إنه طرحهما في بئر، ولما عاد في ليلة السبت أو شهر صفر سنة تسع وثمانين ومائة، أرسل مسروراً الخادم؛ ليقطع رأس جعفر، ففضى على هذا المعدن للكرم وتلك الدنيا للمرومة، وكان له من العمر خمسة وخمسون عاماً.

شعر

عليك سلام الله وقفاً فإنني رأيت الكريم الحر ليس له عمر
وفي نفس الوقت الذي قتلوا فيه يحيى قتلوا معه ثلاثة أبناء آخرين، وكتبوا أمراً من السلطان، وأرسلوه إلى أطراف البلاد جاء فيه بقتل كل أولاد البرامكة في كل مكان، وصادر كل ضياعهم وأموالهم واستولى عليها، وأرسل هارون جثة جعفر إلى بغداد ليصلبوه وعلقوا رأسه على رأس جسر، ولم يبق على وجه الأرض أحد من بني برمك إلا محمد بن خالد البرمكي وكان رجلاً زاهداً ولم يخض في أمر الملك، وأسقط أسرة البرامكة التي نزلت فيهم آية الكرم، وكان من أول خلافة هارون إلى انقراض دولة البرامكة تسعة عشر عاماً واثنى عشر يوماً، وقال الشعراء الكثير من المراثي فيهم، ومنها قصيدتان طويلتان لعلي بن معاذ^(٤٤).

شعر

يا أيها المغتر بالدهر والدهر ذو صروف وذو غدر
إن كنت ذا جهل بتصرفه فانظر إلى المصلوب بالجسر

فبينما جعفر في ملكه عشية الجمعة في القمر
إذا عثر الدهر به عثرة ياويلتافي عسرة الدهر
فغرد البائس في ليلة السبت قبلاً مطلع الفجر
وجيء بالشـيخ وأولاده يحيى مغباً في الغل والأسر
كأنما كانوا على موعد كموعده الناس إلى الحشر
فأصبحوا للناس أحدىثة مبحان ذي السلطان والأمر

وممن قال فيهم سلم الخاسر^(٤٥) حيث يقول :

خوت أنجم الجدوى وشلت يد الندى وغاضت بحار الجود بعد البرامك
هوت أنجم كانت لأبناء برمك بها يعرف الهادى طريل المسالك

شعر

أيها الطفل إذا كان الدهر من ثدى الحرص والطمع فإنه في يوم أو يومين سعادة وإقبال البرامكة
لا تغتر بكمالك في مهد العمر فاذكر زمان كرماء البرامكة^(٤٦)

وفي عهد هارون توفى الإمام موسى بن جعفر الصادق (رضى الله عنه) في بغداد سنة ست وثمانين ومائة، وكان في الرابعة والخمسين من عمره، وتوفى أبو عمرو حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي البزار الكوفي القارىء في سنة تسعين ومائة، وبعد ذلك مضى هارون على خراسان، وأبقى محمداً الأمين في بغداد وصحب معه المأمون، وأسند لمحمد من حد المغرب إلى سفح جبل حلوان، وإلى المأمون من سفح حلوان حتى حد المشرق، وقال لهرثمة أن يعتقل على بن عيسى؛ فأرسله إلى بغداد ومضى إلى طوس بنفسه، ونزل في قصر حميد بن عبد المجيد، وتوفى يوم السبت الرابع من جمادى الآخرة سنة مائة وثلاث وتسعين، وكان عمره أربعاً وأربعين سنة وأربعة أشهر، وصلى عليه صالح بن بشر، وكان حاجبه في هذا الوقت الفضل بن ربيع، وكتبه إسماعيل بن صبيح،

وكان له ثلاثة عشر ولداً، وأربع بنات، وزوجتان، وكانت مدة خلافته ثلاثة وعشرين عاماً وشهرين وسبعة عشر يوماً (رحمه الله).

الأمين أبو عبد الله محمد بن هارون: كان الخليفة السادس لبني العباس الخامس والعشرين بعد النبي (ﷺ)، وكان كريم الطرفين، وأمه زبيدة بنت عم هارون الرشيد جعفر بن المنصور، وبنت زبيدة مدينة تبريز وقزوین، وتخرت تبريز بعد ذلك في سنة مائة وإحدى وثمانين، ثم أمر أمير المؤمنين المتوكل بتعميرها، وفي سنة مائتين وتسع وأربعين خربها الزلزال مرة أخرى، فعمرها الأمير وهودان بن روادى الذى كان والياً على العراق وأذربيجان، وتنبأ أبو طاهر الشيرازى المنجم بعد ذلك أنها ستخرب حسب دلائل النجوم فى وقت صلاة العشاء، فأمر الأمير وهودان منادياً ينادى، وخرج الناس وكانوا ينظرون للمدينة وخربها الزلزال فى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وبعد ذلك أمر الأمير وهودان أبا طاهر المنجم ليختار وقتاً سعيداً لتعمير تبريز حتى لا تتخرب بالزلزال، فاختر أبو طاهر فى تلك السنة فى طالع برج العقرب، إلا إنه لم يتعهد بوقوع السيل، ووضع صورة طالع الزيج على هذا النحو.

ولما مات الخليفة، حمل الفضل بن الربيع بناء على أمر محمد الأمين جميع أموال هارون الرشيد إلى بغداد، ولما عرف المأمون استودعها فى مجلس الأمين، وأسند محمد الأمين الوزارة إلى الفضل بن ربيع، وأمر المأمون بالوزارة للفضل بن سهل، الذى كان من كفاءة الدنيا وأعيان الزمان، وبسط المأمون بساط العدل والإنصاف، وأعطى الرعية من خراج عام، ورفع عن وجهه البرقع الذى كان الخلفاء يضعونه على وجوههم، وكان يذهب للمسجد كل يوم ويحادث العلماء والفضلاء، وكان يقيم بنفسه أمور الشرع ومصالح الملك، واشتغل محمد الأمين باللهو والطرب فى بغداد وترك أمور الرعية للفضل بن ربيع، الذى رغبه فى هذا وأوحى إليه أن يخلع إخوته، وبدأ بداية باستدعاء القاسم والمؤتمن من بلاد الموصل والجزيرة، حيث كانت لهما وطلب منهما أن يخلعا نفسيهما، ولما امتنع المأمون أمر بأن يمنعا اسمه من الخطبة والسكة، وأرسل محمد الأمين إلى مكة؛ ليمزقوا تلك الصفحات التى كان الرشيد قد كتبها وعلقها على باب الكعبة،

وهناك أمر بعض الناس أن يبايعوا ابنه موسى، وسموه الناطق بالحق، وكان هذا بناءً على غواية الفضل بن ربيع، ولما وصل إلى هناك كان الأمر قد وصل سرعان ما رأى نقض العهد.

ومغزى هذه الحكاية أن أضّر شيء على الملك وزير ليس له دين؛ لأنه يضر بمصالح الملك من أجل غرض يحققه، وتحجب حجب حقه وغيرته شمس رأى الملك، وقالوا :

الوزير الطيب هو الذى يحترس من الوزر وهو دليل الحظ والإقبال للملك وإذا ما جعل الوزير الهوى أميره فإن جميع المملكة تكون هباء من هوائه

ولما أصبح الأمين خليفة، أطلق سراح على بن عيسى، وأنعم عليه، وأكرمه إكراماً لا حد له، وظل الأمين فى الخلافة ثلاثة أعوام وخمسة وعشرين يوماً، وبعد ذلك خلعه وحبسوه، وجعلوا الخلافة من بعده لعمه أبى إسحاق بن إبراهيم، وأطلقوا سراح الأمين من الحبس بعد أربعة وعشرين يوماً وبايعوه وجعلوه خليفة، وكانت له الخلافة مرة أخرى مدة عام وستة أشهر وعشرين يوماً، وفى النهاية أرسل علياً بن عيسى بجيش لمحاربة أخيه، وسير المأمون طاهراً بن الحسين لصدّه، وتوجه طاهر بالجيش، وأسرع به، حيث استولى على الرى وتجاوزها، وحارب على بن عيسى وهزم علياً، وتوجه جيشه إلى بغداد منهزماً، وأخذ أكثرهم الحذر، وكتب طاهر رسالة فى الحال إلى الفضل بن سهل، وراعى فى تلك الرسالة غاية الإيجاز فى الكلام، والاختصار فى الحديث، وكان مضمون الرسالة: "بعد قبول الخدمة ليكن معلوماً لرأيك الأنور أننى كتبت فى الوقت الذى كان فيه رأس على بن عيسى أمامى، والخاتم فى إصبعى والسلام".

ولما وصلت الرسالة إلى أمير المؤمنين المأمون، سلموا الخلافة له فى نفس اليوم، وسمى المأمون طاهراً ذا اليمينين، وأمر بأن يتوجه إلى بغداد، وأرسل هرثمة إلى بغداد مدداً له، واستولى طاهر على بغداد فى سنة ثمان وتسعين ومائة، وألقى محمد الأمين فى الماء؛ فانتشله رجال طاهر وحبسوه فى جوسبق قاضى بغداد، وقتله غلام طاهر الذى كان يسمى فردوس، وكان فى الثامنة والعشرين من عمره، ومدة خلافته عام وسبعة

أشهر وثمانية عشر يوماً، وكان مقتله ليلة الأحد الخامس والعشرين من المحرم سنة تسع وثمانين ومائة، وكان له ولدان: الناطق بالحق موسى، والعالم بالحق عبد الله.

ويقولون: إن طاهراً أمر بقتل العالم بالحق عبد الله وهو حي، وكان ذلك في ليلة قدم فيها قروى من بغداد في الفجر، ونام بجوار قبر في المقبرة، فرأى فجأة شعلة تظهر مع جماعة من الفرسان وتابوتاً، ومشاة يجرون خلف جواد هذا الأمير، وكانوا يقبلون ركابه ويتضرعون، وكان يضربه بالسوط ويبعده، ووقع في التراب، حتى وصلوا إلى رأس قبر ودفنوا هذا التابوت، وسووا القبر بالأرض، فوقع ذلك الماشي على رأس هذا القبر وكان ينوح، وسحبوه وحملوه ومضوا، فعرف القروى أن من في التابوت حي، ففحرق القبر وأخرج التابوت، فرأى شاباً وسيماً، وقال: من أنت؟ قال: أنا رجل كاتب حافظ وهؤلاء أعدائي، فقد غلبوني وقبضوا علي، وحملوني إلى القبر على تلك الحال التي رأيته، ولما قدر الحق تعالى الحياة لي أوصلك إلي، ألا تستطيع أن تخفيني؟ فقال القروى: إن قريتي قريبة وأحملك إلى هناك، وحمله إليها وأنزله في داره، وهياً له كل ما يحتاج، وأصبح معلماً لأبنائه، وظل مجهولاً حتى توفي في عهد المعتصم سنة تسع عشرة ومائتين.

وتوفي أبو بكر شعبة بن عباس بن سالم الأسدي الكوفي في زمانه سنة مائة وأربع وتسعين، وتوفي أبو سعيد ورش القاري، وهو عثمان بن سعيد المقرئ في مصر سنة خمس وتسعين ومائتين.

المأمون أبو العباس عبد الله بن الرشيد: كان الخليفة السابع لبني العباس والسادس والعشرين بالنسبة إلى النبي (ﷺ)، كان ملكاً عاقلاً عادلاً فاضلاً واشتغل بالفنون والعلوم، وأقام مرصداً في بغداد وينسب إليه الزيج المأموني، ولما ولي الخلافة واستقر في مرو، كان طاهر بن الحسين في بغداد واستقر أمر العراق، ثار نصر بن المسيب في الرقة سنة تسع وتسعين ومائة، واستولى على الموصل، فأرسل المأمون الحسن بن سهل الساماني، الذي كان أختاً للفضل إلى بغداد، وأمر بأن يمضي طاهر لحرب نصر، ويعود هرثمة إلى خراسان، فأسر طاهر نصر بن المسيب وأرسله إلى المأمون، وبقي في الرقة والياً عليها.

ولما قدم الحسن بن سهل بغداد، كان أبو السرايا غلام هرثمة من رجال الدهر وأبطال المدينة، فقطع مرسومه ومضى إلى الكوفة، وأظهر واحداً من السادات الطالبين المعروفين ويسمى طباطبا وبايعه، وطرد رجال الحسن بن سهل من الكوفة وجعل الخطبة باسمه، فأرسل الحسن بن سهل الجيوش وهزمهم جميعاً وقوى أمره، وطلب هرثمة ليجيش الجيش وهزم أبا السرايا، وثار أهل بغداد على الحسن بن سهل وكانوا كارهين له، فأراد هرثمة أن يمضى إلى دار الخلافة؛ ليعرض حال الحسن وتغافلته، فكتب الحسن للفضل رسالة وأخبره بحال هرثمة، وقال الفضل للمؤمن: كانت ثورة أبي السرايا بأمر من هرثمة ولو كنت طلبته ما خرج أبو السرايا، فأمر المؤمن أن يكتبوا ولاية قم له، وأمره بأن يعود من هناك.

وكان هرثمة بسبب ذلك على ثقة بعهد أمير المؤمنين، وقال: أمضى أولاً وأجدد عهد الخدمة، وأخبر أمير المؤمنين بحقيقة الأحوال، ولما بلغ مرو، قال الفضل: إن هرثمة لم يطع أمر أمير المؤمنين، ويريد أن يكون خليفة، وبناء على ذلك أمر أن ينزلوه ويأتوا به مقيد اليدين إلى المأمون، ولما أراد هرثمة عرض عذره، لم يدعه الفضل، وأمر أن يلكموه وحملوه إلى السجن وقضوا عليه في الليل.

ولما كان المأمون يحب نسل النبي (ﷺ)، استدعى الرضا على بن موسى من بغداد بكل مظاهر الإعزاز، وجعله نائبه وولى عهده، وأرسل الخبر إلى أطراف الدنيا وأخذ البيعة له على أن يكون الخليفة بعد المأمون، إلا إنه لم يقبل، وذات يوم أثناء الحوار ذكر أمير المؤمنين ظلم الحسن بن سهل، وكراهية الخلق له ومبايعته لإبراهيم بن المهدي وأحوال هرثمة وقتله، ولما ذكر هذه الأوضاع مضى بنفسه إلى بغداد من أجل أن يدفع إبراهيم بن المهدي، وأمر أربعة من المشاة على باب سرخس حتى قتلوا الفضل في الحمام، وقدم طوس من سرخس وزار قبر أبيه، وكان معه الإمام بن موسى الرضا، يقولون: أكل كثيراً من العنب ذات يوم ومرض، وفارقت روحه المباركة جسده، وجزع المؤمن على وفاته كثيراً، ويعتقد جماعة من الشيعة أنهم دسوا له السم في العنب، ودفنوه في طوس سنة ثلاث ومائتين.

وتوفى أبو يزيد طيغور بن عيسى بن سروشان بن مؤيد البسطامي في سنة مائتين وأربع، وكان يبلغ من العمر مائة عام، كان آدم، طيغور، وعلى ثلاثة إخوة، وكان جدهم مجوسياً، وذكر محمد بن علي الصعلوكي في كتاب النور، أن أبا اليزيد أربعة أولهم: سلطان العارفين أبو يزيد طيغور بن عيسى بن سروشان، وثانيهم: أبو اليزيد القاضي طيغور بن ابن موسى يعقوب بن آدم بن عيسى بن سروشان، وثالثهم: أبو يزيد طيغور بن علي بن آدم بن عيسى بن سروشان، والرابع من قبيلة أخرى: وهو أبو يزيد طيغور بن حسن بن عامر البسطامي (رحمهم الله)، وقال: إن ولادة أبي اليزيد كانت في سنة إحدى وثلاثين ومائتين في بسطام، وعاش ثلاثة وسبعين عاماً، وتوفى في سنة أربع ومائتين، وجده سروشان والي قومس، وهي دمنغان، ويقولون: إنه صاحب مروءة وسخاء، وأمن على يد إبراهيم بن عرفة، الذي كان من صوفية العرب، وقدم بسطام في بداية الإسلام، وكان ابنه عيسى مصاحباً للصالحين على النوام، وتزوج خالة ذي النون المصري، واسمها عز العزيز، وولد منها آدم، وطيغور، وعلي، وتوفى أبوه بعد أربعة أعوام.

وخدم أبو يزيد مائة وثلاثة عشر شيخاً كان آخرهم جعفر الصادق وكان سقاه، قال له الصادق ذات يوم: خذ هذا الكتاب من الطاق، فقال أبو اليزيد: أي طاق؟، فقال الصادق: لم تر طاقاً في المنزل منذ مدة!، قال: وما شأنى به ولم أشاهده، فقال الصادق: مادام الأمر كذلك امض إلى بسطام، وبذلك يكون قد تم أمرك، قال يا يزيد: جاهدت ثلاثين عاماً في سبيل الله، ولم أجد شيئاً أصعب من العلم ومتابعته، وإلا كان اختلاف العلماء سبباً لسوء حظي، واختلاف العلماء رحمة إلا في وجدانية الله، وقال: كنت في هذا الحزن، وطلبت من الله؛ ليدفع عن قلبي الرغبة في النساء والطعام، وقلت لنفسى: كيف يليق بى أن أسأل مثل هذا السؤال؟، ولم يسأله رسول الله (ﷺ)، فصمت فرفع الله تعالى عن قلبي بركة هذه الرغبة، فإذا لم أتناول الطعام لمدة عام فلا يختلف الأمر بالنسبة لى، والمرأة التي تقدم على تصبح هى والجدار سواء.

فسأله ماذا كان أصعب شيء رأيته في الطريق؟، قال: إن وصفه غير ممكن، قالوا: وماذا كان أسهل شيء رأيته نفسك في طريق الله؟، قال: أقول هذا، قال: طلبت

نفسى ذات ليلة بالطاعة، فتكاسلت، وطالما يقول إنسان مرة واحدة: سبحان الله، لم أسقها الماء عاماً، وقلت: إذا تكاسلت بعد هذا فلن أعطيك الخبز عاماً.

وتوفى الشيخ أبو محفوظ المعروف بفيروز الكرخى فى سنة مائتين، وكان أبوه وأمه مسيحيين، وأرسلاه إلى معلم ليعلمه المسيحية، فهرب منهما ومضى لخدمة على بن موسى الرضا.

حكاية: قال محمد بن الحسن: رأيت معروفاً فى المنام، قلت: ماذا صنع الله بك؟ قال: غفر لى، قلت: أبزهدك؟ قال: لا، ولكن بكلمة سمعتها من ابن السماك فى الكوفة، حيث قال: كل من يرجع بالأمر كله إلى الله تعالى، فإن الله تعالى يرجع إليه بالرحمة، ويعهد إليه بكل الخلق له؛ فوقع كلامه فى قلبى، ورجعت إلى الله ورفعت يدي عن كل الأعمال ماعدا خدمة على بن موسى الرضا، وقلت هذا الكلام له، فقال: إذا قبلت هذا فهو كاف لك.

وتوفى أبو شعيب صالح بن حماد بن عبدالله بن إسماعيل الرسى السوسى فى خراسان سنة مائتين واثنين، وتوفى الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعى فى مصر سنة مائتين وأربع فى ليلة الجمعة السابع من رجب.

حكاية: قيل: إن شجاراً وقع بين هارون الرشيد وزبيدة، فقالت لهارون: يا من أنت من أهل جهنم، فقال هارون: إذا كنت من أهل جهنم فأنت طالق، فتفارقا، وكان هارون يحب زبيدة، فاستدعى علماء بغداد واستفتاهم فى هذه المسألة، فلم يتكلم أحد، قالوا: إن الله يعلم إذا كان هارون من أهل الجنة أو النار، وكان الشافعى فى ذلك الوقت طفلاً، فوقف فى وسط الجميع، وقال: أنا أجب عن هذا، فتعجب الناس، فاستدعاه هارون إليه، وقال: أجب، فقال الشافعى: أنت محتاج إلى فى هذا الأمر أم أنا محتاج إليك؟ فقال هارون: لى حاجة بك، فقال الشافعى: إذا أنزل عن العرش وأجلسنى عليه وأجلس أمامى باحترام حتى أرد عليك؛ لأن درجة العلم عالية، ففعل هارون ما طلب، فقال الشافعى: أسألك سؤالاً؛ فأجب أولاً وعلى ذلك أجيبك، فقال هارون: قل، فقال الشافعى: ألم تكن قادراً على اجتراح أى معصية قط، وأنتك امتنعت عنها من خشية الله؟

فقال هارون: نعم، قال: قل كيف كان ذلك، قال ذهب ذات ليلة إلى حرم أبي، أردت أن أرتكب معصية مع إحدى السراري، إلا إنى امتنعت وتبت عن ذلك خوفاً من الله، فقال الشافعي: قل بالله مثل هذا، فقال هارون: والله هو كذلك، فقال الشافعي: حكمت أنك من أهل الجنة، فقال العلماء: بأي دليل؟، قال: بذلك الدليل الذي يقول فيه الحق تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (٤٧)؛ فقالوا من كان في طفولته هكذا، فكيف يكون في شبابه!، وكانت مدة عمره أربعة وخمسين عاماً.

وتوفي أبو داود سليمان بن داود الطيالسي في سنة مائتين وأربع وكان في الحادية والسبعين من عمره، وتوفي هشام بن محمد السائب الكلبى، ويزيد بن هارون بن زاذان الواسطى، وكان في التاسعة والثمانين من عمره، وهو من أصحاب الحديث فى واسط سنة ست ومائتين، وتوفي فى نفس السنة جرير بن حازم، وشبابة بن سوار المدنى، والحجاج بن محمد الأعور الفقيه، وعبد الله بن النافع الصايغ المدنى مولى لبنى مخزوم، ووهب بن جرير، ونوفل بن إسماعيل، وروح بن عبادة، وهيثم بن عدى.

وتوفي محمد بن عمرو بن الواقدي مولى بنى هاشم المعروف بالواقدي سنة سبع ومائتين، وكان فى السابعة والسبعين من عمره، وتوفي فى نفس السنة يحيى بن الحسين بن يحيى بن زيد بن على (كرم الله وجهه) فى بغداد، وصلى عليه المؤمن، وتوفي أبو عمرو نفيل بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد بن حرجة المكى المخزومى القارئ بمكة، وقتل المؤمن إبراهيم بن عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس المعروف بابن عائشة، ومحمد بن إبراهيم الأفريقى مع جماعة أخرى كانت فى الحبس فى سنة ثمان ومائتين، وتوفي أبو القاسم النبيل، وهو الضحاك بن مخلد بن سنان الشيبانى، ومحمد بن يوسف الفارابى فى سنة إحدى عشرة ومائتين.

وتوفي الشيخ أبو سليمان عبد الرحمن الداراني فى سنة خمس عشرة ومائتين، وداران قرية من أعمال دمشق، وكان أحد الحواري مريده، قال: قال الشيخ: إن القناعة من الرضا بمكانة الورع من الزهد؛ فالأول هو الرضا، وهذا أول الزهد، وقال: لقد

وصلنا بالرضا لدرجة لو وضعوا فى عيننا اليمنى سبع طبقات من جهنم، فلا يستقيم فى خاطرننا لما لم توضع فى عيننا اليسرى.

وتوفى فى نفس السنة هود بن خليفة بن عبد الله بن عبيد الله بن أبى بكر، ومحمد بن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصارى، وإسحاق بن الطباع، وأبو عمرو معاوية بن عمرو، وأبو عمرو قبيضة بن عقبة من بنى عامر.

ولما بلغ المأمون بغداد، استدعى طاهراً من الرقة، وأرسله إلى خراسان، ومنحه إياها من جبل حلوان حتى أقصى بلاد المشرق، وفى نهاية الأمر، فإن خبث نيته وفساد ضميره كان باعثاً له على العصيان؛ فخلعه المأمون وطرح اسمه من الخطبة، وفى سنة سبع ومائتين يوم الجمعة من شهر جمادى الأولى، ذكر الخطبة باسم القاسم بن على، وكفر بنعمة المأمون حتى نام فى ذلك الأسبوع ذات ليلة فى بيته ومات، ولم يعرف أحد سبب موته، وتلك عاقبة كفران النعمة فكل من أنكر نعمة وليه فسيصيبه الزمان بالبلاء، وكان للمأمون رغبة فى زيارة أنوشيروان العادل.

هكاية دخمة أنوشيروان: قيل إن المأمون أراد أن يرى مبانى المدائن وتلك القصور والقصر الذى كان لأنوشيروان، فصحب معه الحصن بن سهل الكاتب، وأحمد بن خالد الأحول وشاهدوا هذه الأبنية وأبدوا إعجابهم بها، وقال بعد ذلك: يجب أن أنزر أنوشيروان، فقالوا: فى موضع كذا رجل شيخ يعلم أين دخمة أنوشيروان، فأحضروه، ولما قدم على المأمون أثنى عليه بلغة العجم، ثم قال: إن جد جدى كان حارس دخمة أنوشيروان وألت إلى بالوراثة.

قال: سيزورنى ملك من ملوك العرب من أقرباء النبى (ﷺ)، وقدم أدلة وأنت تشبه هذا الرجل، فتعجب المأمون، وأمر بأن يضيّفوه ثلاثة أيام، ثم استدعى الشيخ وقال: أظهر لنا دخمة أنوشيروان، فقال الشيخ: إنها فى الجبل ومن هنا إلى هناك خمسون فرسخاً، وعندما تمضى تجد وادياً عليه اثنى عشر فرسخاً، وعليه جبل طوله سبعة فراسخ، الدخمة على رأس هذا الجبل، دار منحوتة من صخر صلب وجوسق بطول ثلاثمائة ذراع، أرضه من فضة، وسقفه مزين بالذهب والجواهر النفيسة،

ووضع فى ممره عرش من ذهب وألؤلؤ وقد طرحت على هذا العرش ثياب منسوجة بالذهب والجوهر وعليه الملك الذى كان يملكه، وعلق تاج على رأس الوسادة، وطلوا جسده بعقاقير حتى لا يفسد ولا يتغير، وصنعت طلاس فى هذا الجوسق حتى لا يستطيع أحد أن يدخل هذا المكان ما عدا ملك العرب الذى أشار إليه، وأنا أرى كل هذه الأمارات فيك.

فقال المأمون: ينبغي أنك تعبت من الوصف، فقال الشيخ: لقد خربوا طريق هذا الجبل حتى لا يستطيع أحد أن يمضى إلى هناك، فينبغى أن ندبر أمر تعمير هذا الطريق، فأمر المأمون بأن تجمع الآلات والعلماء والعمال والأخشاب، فوضعوها على الجبال، ومضى المأمون وجمع من خواصه وذلك الشيخ، ولما وصلوا إلى نهاية الجبل شيّدوا هذه الطرق، ولما انتهوا منها، مضى المأمون مع ثلاثة أشخاص، وخادم جنيبته الذى أمسك يده، وحملوا معهم عشرين دسنة ثياب مزركشة وعدة مئات من الكافور والمسك والعنبر، ولما اقتربوا من الدخمة ترجل المأمون حتى وصل إلى بابها، فقال الشيخ: إذا كنت ذلك الذى أشار إليه فأمسك حلقة الباب وحركها، فأمسك المأمون حلقة الباب وحركها؛ فسقط مفتاح من أعلى الباب، فقال الشيخ: صبح أنك ذلك الذى أشار إليه؛ ففتحو الباب، فرأوا عدة فرسان بتمام أسلحتهم، وقد لبسوا الطلسم وهجموا نحوهم وحملوا عليهم، فقال الشيخ للمأمون: اطرح السوط من يدك فألقاه فسكنوا، ومضوا من هناك، ووصلوا إلى وسط القصر، فرأوا على ركن الضفة أربعة أسود وقد اتجهوا إليهم، فقال الشيخ: انشر كمنك عليها، فنشره فسكنت، ولما وصلوا باب الدخمة رأوا أربعة سيوف حادة، كان قد علقها أعلى الباب فكانت تأتي وتذهب، ولم يكن لأحد القدرة على أن يقترب منها، فقال الشيخ: اخلع العمامة عن رأسك وادخل بشجاعة، فخلع العمامة عن رأسه فسكنت السيوف، فدخل وشاهدوا تلك العجائب من البسط والفرش والأدوات الذهبية، وفى وسط القصر قوالب ملقاة من الذهب والفضة وحوائط مرصعة بالجواهر النفيسة، ووقف خمسة غلمان وقد لبسوا الطلاس، وحاملين السلاح على يمين العرش، وخمسة على اليسار، وخمسة من الأمام، وخمسة من الخلف، وقد تحركوا جميعاً إليهم واتجهوا نحوهم.

فقال العجوز: يا أمير المؤمنين صِحْ وقل من أنا؟ فصاح المأمون، وغاب عن وعيه من الهيبة، وظن أنه حي، وبعد ذلك تفقد المأمون ثلاثة مواضع وأبدى تواضعاً، وتوجه ناحية العرش وجلس، ووقف الحسن بن سهل، وأحمد بن خالد، وكان المأمون ينظر في وجه الملك وكان يرى ثيابه وبعضها قد تمزق، فطرح عليه المأمون ثياباً جديدةً وستر بها عرشه ونثر عليه الكافور والمسك والعنبر، وكان قد بدا البياض في جانبي لحية أنوشيروان وقد ربط عصا من الديباج على رأسه كتب عليها أربعة أسطر من اللؤلؤ بشكل الكتابة، وكان المأمون ينظر فيها، وقرأ هذه الآية ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (٤٨)، فقال العجوز بعد ذلك: اقرأ ما كتب على هذه العصا، فقرأ وكان أول سطر منها: الدنيا التي خلقها الله وأى جهد لى، وكان ثانى سطر: ليس لى فى الدنيا خلود فأى راحة فيها، وثالث سطر: ليس لى العمر الخالد فأى رغبة لى فيها، ورابع سطر: ما الذى يجوز فعله حتى حيث لا يجوز معرفته، ووضع كلتا يديه على صدره، ووضع خاتماً من الجواهر فى إصبعه، وكانت كل كوة منها مضيئة، وكان المأمون ينظر فى كل ناحية إلى ما حوله فى تعجب، فرأى لوحة من الذهب مكتوبة بخط منير عليها بعد موتى بعدة أعوام يأتى ملك من العرب يزورنا ويكسوننا بثوب جديد ويعطرننا، وكانت صفته واسمه ونسبه إلى آدم هكذا، فنظروا فكانت تلك الصفة صفة المأمون، ولو لم يكن جسدنا خلى من الروح فنحن نعذره ونضيفه، أما تلك الكتابة التى تحت ركبتى فهى أجر مجيئه إلينا، فيأخذه ويقبل عذرنا، والثلاثة أشخاص الذين كانوا معه، فأحدهم ناقص التجربة، وهو يخوننا فينبغى للملك سوط يؤدبه به.

ولما قرأ المأمون هذا اللوح وضع يده تحت ركبتة؛ فرأى حجراً كتب عليه فى ذلك الجبل عشرة كنوز من الذهب والفضة والجواهر فى موضع كذا فليحملها وليعذرنا، فحمل المأمون هذه الكتابة وقبل ركبتة ويده وعاده، ولما خرج طلب الخادم أن يزوره، وأثناء عودته أخرج خاتم أنوشيروان وأخفاه، ولما مضوا فى الطريق، قال المأمون لأحمد والحسن: إنه كان ملكاً عظيماً عالماً بكل شئ، ولكن الكلام الذى قاله صعب، فالناقص يخوننى وليس كلامه كذباً، فكروا فيما يمكن أن يكون هذا؟، قالوا: الناقص هو الخادم ولا نعلم ماذا صنع، فسالوا الخادم وفتشوه، فوجدوا خاتم أنوشيروان معه، فعاد

المؤمن ماشياً وقبل جانب عرشه، ووضع الخاتم فى إصبعه، ولما نظر رأى أربعة أسطر مكتوبة على أركان العرش الأربعة: كل من له الملك ليست له السعادة، وكل من ليست له زوجة ليس له مدير فى بيته، وكل من ليس له ولد ليست له فرحة، وكل من ليست له هذه الثلاثة ليس مريضاً.

ثم خرج المؤمن، وقرأ هذه الآية ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (٤٩) ولما وصل إلى هذه الكنوز كما دل عليه أخذها، وحمل الجمال والدواب بالذهب والجواهر.

ويقولون: إن ثراء المؤمن وأبنائه والأشياء التى صنعوها كل هذا منها، ولما وصل المدائن أمر أن يمثلوا بالخادم، وأن يعلقوه فى شجرة حتى يعتبر الناس، والطريق الذى كان قد مهد فى الجبل أمر بتخريبها، وأكرم الشيخ العجمى إكراماً عظيماً.

وفى سنة سبع عشرة ومائتين مضى المؤمن إلى مصر وقتل عبدوس، وفى سنة مائتين وثمانى عشرة، جعل أخاه أبا إسحاق ولى عهده ولقبه بالمعتصم، وأرسل لكل أطراف العالم إعلماً بذلك حتى يبايعوه، وعزم على غزو الروم فى العام نفسه، ولما وصل ديارها، يقال: إنه نزل عند نبع يسمى بندرود، وأرسل الجيوش إلى أطراف بلاد الروم، وكان جالساً ذات يوم على حافة هذا النبع، وأدلى قدميه فى الماء وأكل كثيراً من التمر؛ فانتابته القشعرة ومرض، وتوفى ليلة الخميس، السابع عشر من رجب فى العام المذكور، وفى ذلك اليوم كان عمر المؤمن ثمانية وأربعين عاماً، وحملوا نعشه إلى طرطوس ودفنوه بها، ويقول أبو سعيد المخزومى فى رثائه :

شعر

هل رأيت النجوم أغنت عن	المؤمن أو عن ملكه المرسوس (٥٠)
خلفوه بعمرصتى طرسوس	مثل ما خلفا أباه بطرس

وكانت مدة خلافته عشرين عاماً وخمسة أشهر واثنين وعشرين يوماً، وأمه مراجل البادغيسية، وهو من الخلفاء الذين منحوا مبلغ ألف ألف درهم لشخص واحد، ولم يُحى بعده أحد سنة مقبولة^(٥١).

المعتصم أبو إسحاق محمد بن الرشيد: كان الخليفة الثامن من خلفاء بني العباس والسابع والعشرين بالنسبة للنبي (ﷺ)، أمه أم ولد ماردة بنت شبيب، تولى الخلافة بعد أخيه، وقدم بغداد ونظم أمور الملك، وكان أول من اهتم باستخدام الترك، وشيد سامراء وجعلها داراً للخلافة، وفتح عمورية بلاد الروم، ونقل بلاطه إلى بغداد واشترى تسعين غلاماً من الترك، وكان عظيماً شجاعاً وبلغ من القوة لدرجة أنه يقتلع النقش من اليد بإصبعه، وأسند الوزارة لمحمد بن عبد الملك الزيات، وتوفى في زمانه أبو نعيم الفضل بن ركين مولى طلحة بن عبد الله في الكوفة، وبشر بن غياث المريسى وعبد الرحمن بن الرجا البغدادي في سنة مائتين وتسع عشرة، وفي هذا العام ضرب المعتصم الإمام أحمد بن حنبل ثمانية وثلاثين سوطاً؛ ليقول بخلق القرآن.

هكاية: يقولون إنه لما كانت الغلبة للمعتزلة في بغداد، قالوا: ينبغي أن يكلفوه حتى يقول القرآن مخلوق، فحملوه إلى قصر الخليفة، وكان الحارس على الباب، قال: أيها الإمام خذ حذرک على أن تكون رجلاً شجاعاً، فقد سرقت وضربوني ألف عصا ولم أقر حتى وجدت الخلاص في النهاية، وصبرت على الباطل، فأتت أولى الناس بالصبر على الحق، فقال أحمد: إن هذا الكلام شجعنى، فضربوه وكان شيخاً ضعيفاً فشده بين عاقبين، وضربوه ثمانية وثلاثين سوطاً حتى يقول بأن القرآن مخلوق، إلا إنه أبى، وفكوا عنه قيد العذاب في ذلك الوقت، وكانوا قد قيدوا يديه وجاءت يد من الغيب وربطت قيد عذابه، فلما رأوا هذا أطلقوا سراحه، ومات في ذلك الوقت، وقال له قوم في آخر العمر ماذا نقول في قوم ضربوك؟ قال: إنهم ظنوا أنى على الباطل، إلا إنهم ضربوني من أجل الحق، فلا خصومة لى معهم في يوم القيامة إلا هذا الجرح.

وتوفى محمد بن على بن موسى الكاظم في بغداد سنة مائتين وتسع عشرة في الخامس من ذى الحجة، وتوفى أبو عيسى خالد بن خلیل الكوفى القارئ في سنة

مائتين وعشرين، وتوفى عمرو بن مرزوق الباهلى البصرى، وأبو النعمان عازم بن محمد بن الفضل السدوسى، وأبو أيوب سليمان بن حرير الراسخى البصرى الأزدى، وسعيد بن الحكيم بن أبى مريم البصرى، وأحمد بن عبد الله العرابى، وسليمان الشاد الكوفى، وعلى المدينى، الذين كانوا من نقلة الأخبار وأصحاب الحديث فى سنة مائتين وثلاث وعشرين، وتوفى أبو دلف القسم بن عيسى العجلي، وقالون بن عيسى بن مينا المدنى القارى فى سنة أربع وعشرين ومائتين، وتوفى بشر بن حافى المروزى فى بغداد سنة مائتين وسبع وعشرين، ويقال: فى سنة مائتين وسبع وخمسين فى بغداد، وكان يكنى بأبى نصر، وكان مريداً لخاله أبى على بن حشرم، قال: رأيت المصطفى (ﷺ) فى الرؤيا، فقال: يا بشر، أتعلم لماذا اختارك الله من بين رفاقك؟ قلت: لا يا رسول الله، قال: بمتابعتك سنتى، وخدمة الصالحين، وإسداء النصح إلى الإخوة، ومحبة الصحابة وأهل بيتى، فهذا ما أوصلك إلى منازل الصالحين.

وتوفى فى نفس السنة أبو الوليد بن هشام بن عبد الملك الطيالسى، وكان فى الثالثة والتسعين من عمره، وعبد الله بن عبد الوهاب الحجبى بن بشار الميعادى الرمادى، ومحمد بن كثير العبدى.

حكاية: قد حكى أن بابك الخرمى ثار فى عهد المعتصم، وكان زنديقاً ينكر الله عز وجل، ولم يكن يؤمن بالحلال والحرام، ولم يكن يعرف أن الأمر والنهى حق، ويقال: إن أمه كانت من قرية من أعمال آذربيجان، وإن رجلاً من نصارى سواد العراق زنى بها، وولدت منه بابك.

وقد حكى المقدسى فى تاريخه أنه اجتمع له من الزنادقة واللصوص والمفحدين عشرون ألف فارس، وقتلوا ألف ألف مسلم، فأرسل الخليفة الأفشين بن كاوس لمحاربته، وأسند إليه ولاية آذربيجان، فاعتقله الأفشين وأرسله إلى الخليفة، فأمر المعتصم فمثّلوا به وعلقوا رأسه فى بغداد على جسر فى يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين ومائتين.

وفى نفس العام ثار توفيل بن ميخائيل قيصر الروم، وتوجه المعتصم لمحاربته، وفتح عمورية، وكان قاضى القضاة أحمد بن أبى داود يعاصره، ومن الفقهاء العظام إسماعيل المزنى وربيع المرادى، وكان المعتصم يميل إلى الاعتزال ويعتقد فى خفض الفرد، وكان له ثمانية أولاد وثمانى بنات، وبقي له ثلاثة أبناء هم: هارون، وجعفر، ومحمد. وكانوا يسمونه الخليفة المثلثين؛ لأنه كان الخليفة الثامن لبنى العباس. ولد ببغداد فى قصر الخلافة سنة مائة وتسع وثمانين، وعاش ثمانية وأربعين عاماً، وتوفى فى سر من سنة مائتين وسبع وعشرين، وكانت مدة خلافته ثمانية أعوام وثمانية شهور وثمانية أيام.

الواثق بالله أبو جعفر هارون: كان الخليفة التاسع من خلفاء بنى العباس والثامن والعشرين بالنسبة للنبي (ﷺ)، وأمه أم ولد قراطيس، تولى الخلافة بعد أبيه، وكان يشبه المأمون فلقبوه بالمأمون الأصغر، وكان له ولد هو أبو عبد الله محمد، وكان وزيره محمد بن عبد الملك، وتوفى أبو محمد خلف بن هشام البزار القمى فى بغداد فى سنة تسع وعشرين ومائتين، وكان بين الشيخ أبى الحسن أحمد بن أبى الحوارى الدمشقى، ومريده سليمان الدرامى عهد على أن لا يقوم بينهما خلاف، وكان سليمان متغيراً ذات يوم، فقدم أحمد، وقال: يا شيخ التنور مشتعل فبماذا تأمر؟ فلم يجب سليمان، وقال أحمد هذا ثلاث مرات، فقال سليمان: امض واجلس فيه، فمضى أحمد وجلس فيه، ولما مضت ساعة طلب سليمان أحمد، فقالوا: لا نعلم أين هو؟ فتذكر سليمان الحال، وقال: انظروا فى التنور فأروه فيه وأخرجوه، ولم تحترق منه شعرة واحدة، فقال أحمد: إن كل من ينظر فى الدنيا راغباً فيها محباً لها أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه، وقال: كل من يعمل عملاً دون أن يتبع سنة رسول الله (ﷺ) فعمله باطل، وتوفى على بن جعد مولى بنى المخزوم، وكان من أصحاب الحديث.

وقتل الواثق أحمد بن نصر الخزاعى فى سنة مائتين وإحدى وثلاثين، وتوفى أبو حذيفة بن واصل بن عطاء شيخ المعتزلة الذى قال: إن الفاسق من أهل الملة ليس مؤمناً ولا كافراً، وتوفى أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين فى ربيع الأول سنة مائتين وثلاثين، وثار جماعة من الأعراب وتعرضوا للقوافل، فأرسل بوغاء الكبير ليدفع

شرهم، وثار نصر بن مالك فى بغداد وقتل، وعاش الواثق أربعة وثلاثين عاماً، وتوفى يوم الأربعاء الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة مائتين واثنين بمرض الاستسقاء، وكانت مدة خلافته خمسة أعوام وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً.

المتوكل على الله أبو الفضل جعفر بن محمد بن هارون: كان الخليفة العاشر من خلفاء بنى العباس والتاسع والعشرين بعد النبى (ﷺ). أمه أم ولد، وأصبح خليفة بعد أخيه، كان يحب الفقهاء والمحدثين، وأسند الوزارة لأبى الوزير، وقتل محمد بن عبد الملك فى التنور الحديدى، الذى صنعه فى عهد المعتصم لتعذيب الناس، وتوفى القاضى محمد بن سماعة صاحب محمد بن الحسن الشيبانى، وكان فى المائة من عمره، ويحيى بن معين فى سنة مائتين وثلاث وثلاثين.

عزل المتوكل القاضى أحمد بن أبى داود، وابنه أبى الوليد محمد بن أحمد فى سنة مائتين وخمس وثلاثين، واسترد من أبى الوليد مائة وعشرين ألف دينار وجوهرة تساوى أربعين ألف دينار، وجعل أبى محمد يحيى بن أكثم قاضى القضاة، وتوفى الشيخ أبو حامد أحمد بن خضرويه البلخى، وكان فى الخامسة والتسعين من عمره، وكان لأحمد زوجة تسمى فاطمة بنت أمير بلخ، زهدت الدنيا وكانت آية فى التصوف، ومضت مع أحمد لزيارة بايزيد، ورفعت النقاب عن وجهها، وكانت تقول كلاماً فاحشاً، فغضب أحمد من ذلك ولما دخل، وضعت النقاب على وجهها، قال أحمد: ينبغى أن يكون الأمر على عكس ذلك ما معنى أن تخفى وجهك عنى، ولا تخفيه عن بايزيد، قالت فاطمة: لأنك محرم طبيعتى وهو محرم طريقتى ومنك بالهوى رسم، وهو مع الله، والدليل على هذا الكلام؛ لأنه ليس فى حاجة إلى الصحبة وأنت محتاج إلى، فقال أحمد: يكرم كل من خدم الدراويش بثلاثة أشياء: التواضع، وحسن الأدب، والسخاء.

وتوفى القاضى أبو عبد الله أحمد بن أبى داود بعد وفاة ابنه أبى الوليد بعشرين يوماً فى نفس السنة، وتوفى أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافى، والإمام أحمد بن محمد بن حنبل، وأبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبى مرة المؤذن المكى القارئ فى نفس السنة، وتوفى أبو عمرو بن عبد الرحمن

بن أحمد بن بشير بن ذكران القرشي الدمشقي في سنة مائتين واثنين وأربعين،
والشيخ أبو عبد الله حارس بن أسد المحاسبي في بغداد سنة مائتين وثلاث وأربعين.
أصله من البصرة، وكان في وقته شيخ المشايخ ببغداد.

يقول الشيخ أبو عبد الله بن خفيف: اقتنوا بخمسة من مشايخنا، واهتدوا بأحوالهم،
وسلموها للآخرين، ولا تعارضوا، الأول: الحارث المحاسبي، والثاني: الجنيد البغدادي،
والثالث: رويم، والرابع: عباس بن عطاء، والخامس: عمرو بن عثمان؛ لأن هؤلاء جمعوا بين
العلم والحقائق، وكل من له اعتقاد بغيرهم فلا يجدر به إلا أن يقتدى بهم. قال الحارث:
المراقبة علم القلب بحضرة الله تعالى، والرضا هو الراحة تحت أحوال الأحكام،
والصبر هدف سهم البلاء، والتفكر في الأسباب هو رؤية خفاء الله، والتسليم هو الثبات
في وقت نزول البلاء بلا تغيير في الظاهر والباطن، وعلامة الأنس بالحق هو الوحشة من
الخلق، والفرار من كل شيء سوى الله، والإنفراد بخلوة ذكر الله تعالى.

وتوفي عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة في سنة مائتين وأربع وأربعين، والشيخ أبو
الفيض ذو النون المصري سنة مائتين وخمس وأربعين، قال: علامة غضب الله تعالى
على العبد الخوف من الدراويش، وقال: يأتي الفساد للشخص من ستة أشياء: ضعف
النية عن العمل للأخرة، والوحدة بلا علم، وأن يغلب عليه طول الأمل مع قرب الأجل،
والبعد عن رضا الله، ومتابعة الهوى، وترك سنة الرسول (ﷺ)، واتخاذ ذلة السلف
حجة للخلف، وعدم رؤية فضائلهم.

وتوفي الشيخ أبو تراب النخشي، وهو عسكر بن حصين صاحب حاتم الأصم،
وأبو حاتم العطار البصري في نفس السنة.

يقول أبو العباس السيارى: كنت مع أبي تراب في البادية، فقال أحد الأصحاب:
أنا ظمآن، فضرب أبو التراب بقدمه فظهر نبع ماء، فقال ذلك الدراويش: لى رغبة فى
شرب هذا الماء فى قدح، فضرب بيده الأرض، وأعطاه قدح ماء أبيض، وكان معنا هذا
القدح فى مكة، ثم قال لنا: ماذا يقول أصحابك فى الأعمال التى يصنعها الله تعالى مع
أوليائه من الكرامات؟ قلت لم أر أحداً قط يؤمن بهذا إلا قليلاً، قال: كل من لا يؤمن
بهذا فهو كافر.

وتوفى أبو الوليد هشام بن عمار بن نصر بن إبان ميسرة السلمي القاضي
الدمشقي في نفس السنة، وفي سنة سبع وأربعين ومائتين توفى أبو عمر حفص بن عمر
بن عبد العزى. صهبان الأزدي الدوري القاري النحوي، وأبو الحسين أحمد بن يحيى
بن إسحاق الرواندي^(٥٢)، وله من الكتب المصنفة مئة وأربعة عشر كتاباً، وأبو نعيم
إبراهيم أبو العباس الصولي الكاتب والشاعر.

ويقولون: إن المتوكل أمر ففتحوا تربة أمير المؤمنين الحسين (رضي الله عنه)
وسووها بالأرض ومنع الناس من مجاورة تربته، وكان له ثلاثة أبناء: المنتصر بالله
محمد، والمستعين بالله أبو عبد الله، والمؤيد بالله إبراهيم. وجعل ولاية العهد لكل الثلاثة
وأقطع كل ابن إقطاعاً في أطراف البلاد، وقد قال الشعراء قصائد في ذلك،
ومن جملتهم يقول بن المديبر :

شعر

يا بيعة مثل بيعة السحرة فيها لكل الخلائق خيرة
أكدها جعفر وصيرها إلى بيعة الثلاثة البررة
وفي ذلك يقول على بن الجهم^(٥٣) :

قل للخليفة جعفر يا ذا الندى وابن الخلايف^(٥٤) والأئمة المهدي
لما أردت صلاح دين محمد وليت عهد المسلمين محمداً
وثنيت بالمعتز بعد محمد وجعلت ثالثهم أعز مؤيداً

وأقام المتوكل كثيراً من العمان في سامراء وبنى بالقرب منها قصرًا عاليًا سماه
القصر الجعفري، وكان مدمناً للخمر، وقتلوه في ذلك القصر، وكان سبب قتله أنه قتل
إبنانج كبير غلمان المعتصم، فحقد عليه الترك واتحدوا مع المنتصر، ودخلوا عليه ذات

ليلة وهو في لهوه ومتعته ومزقه إرباً إرباً مع الفتح بن خاقان، وكان له من العمر أربعة وأربعين عاماً، ومدة خلافته أربعة عشر عاماً وتسعة أشهر وتسعة أيام.

المنتصر بالله أبو جعفر محمد: كان الخليفة الحادي عشر من خلفاء بني العباس والثلاثين بعد النبي (ﷺ)، أمه أم ولد حبشية الرومية، ووزيره أحمد بن الخصيب بن الضحاك، كان شريراً كثير الشر؛ لأنه سعى في قتل أبيه، وتوفي بعد ستة أشهر بمرض الخناق، ويقولون: لم يكن ملك قط أأصل من شيرويه، وهو بن برويز بن هرمز بن أنوشيروان والى عهد أردشيريابك كان له ستة عشر أباً كلهم ملوك، وكان المنتصر أكثر الخلفاء أصالة، ومن العجيب أن أصل الملوك والخلفاء، هم الذين قتلوا آباءهم واستولوا على الملك، فلا عجب أنه مات بعد أبيه بستة أشهر^(٥٥).

المستعين بالله أبو العباس أحمد بن المتوكل: كان الخليفة الثاني عشر من خلفاء بني العباس، الحادي والثلاثين بالنسبة للنبي (ﷺ)، أمه أم ولد مخارق، ووزيره أبو موسى، وكتابه الشجاع بن القاسم، فقتل كلاهما، وأسند الوزارة لأحمد بن صالح بن شيرازاد، وكان خليفة على خلق كريم، وتوفي في أيامه في سنة مائتين وثمان وأربعين أبو هشام محمد بن يزيد الرقاشي، وأيوب بن محمد الوراق، وأبو بكر محمد بن العلاء الهمداني في الكوفة، وأبو موسى أحمد بن صالح المصري في مصر، وأبو جعفر بن سوار الكوفي، وحسن بن الصالح البزاز، وهو من كبار أصحاب الحديث، وهشام بن خالد الدمشقي ومحمد بن سليمان الجهنى في مصيصه، وحسن بن محمد بن طالود، وأبو حفص الصيرفي في سامراء، ومحمد بن زنبور المكي في مكة، وسليمان بن أبي طيبة، وموسى بن عبد الرحمن.

وفي نفس السنة توفي بغا التركي، وكان عمره إحدى وتسعين سنة، وهو من غلمان المعتصم، وخلفه ابنه موسى، وتوفي إبراهيم بن محمد التيمي قاضى البصرة، ومحمود بن خدّاش، وأبو مسلم أحمد بن أبي شعيب الحراني، والحارث بن مسكين البصري، وأبو طاهر أحمد بن عمرو بن السرج.

وثار فى طبرستان فى نفس العام حسن بن زيد العلوى وفتح ديلم الرى، وثار أبو الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن على (رضى الله عنه) فى الكوفة، وأمه بنت حسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر الطيار، وقتل وحملوا رأسه إلى بغداد وعلقوه، وكان عادلاً كريماً ورعاً، ويحبون خلقه الكريم، وقال ابن أبى طاهر شعراً فى رثائه :

سلام على الإسلام فهو مودع	إلى ما مضى آل النبى فودعوا
فقدنا العلا والمجد عند إفتقادهم	وأضحت عروس المكرمات تضعضع
أجمع عين بين نوم ومضجع	ولا بن رسول الله فى التراب مضجع
فقد أقفرت دار النبى محمد	من الدين والإسلام فالدار يقلع
وقتل آل المصطفى فى خلالها	وبدد شمل منهم ليس يجمع
ألم تر آل المصطفى كيف نضفى	نفوسهم من المنون فتتبع
بنى طاهر واللؤم منكم سجية	وللفدر منكم حاسر ومقنع
قواطعكم فى الترك غير قواطع	لكنها فى آل أحمد تقطع
لكم كل يوم مشرب من دمائهم	وغلتها من شربها ليس تنقع
رماحكم للطالبيين شرع	وفيكم رماح الترك للقتل شرع
لكم مرتع فى دار آل محمد	وداركم للترك والجيش مرتع
أخلتم بأن الله يرعى حقوقكم	وحق رسول الله فيكم مضيع
وأضحوا يرجعون الشفاعة عنده	وكيف لمن يرميه بالوتر يشفع
فيغلب مغلوب ويقتل قاتل	ويخفض مرفوع ويدنا المرفع

وثار فى العام نفسه محمد بن جعفر بن الحسن بن على بن عمر بن على بن الحسين بن على (كرم الله وجهه) فى الرى، ودعا للحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن أبى القاسم بن الحسين بن زيد بن الحسن بن الحسن بن على (كرم الله وجهه)

صاحب طبرستان، وحاربه أهل خراسان، وأسروه وحملوه إلى محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر، وتوفي في حبسه بنيسابور، وبعد ذلك خلع الترك الخليفة، وقتلوه بعد تسعة أشهر، وكان في الخامسة والثلاثين من عمره، وقتل يوم الأربعاء الثالث من شوال سنة مائتين واثنتين وخمسين، وكان بدء الفتنة بين البلاية والسعدية، وكانت مدة خلافته ثلاثة أعوام وتسعة أشهر.

المعتز بالله أبو عبد الله محمد بن الزبير بن المتوكل: كان الخليفة الثالث عشر من خلفاء بني العباس، والثاني والثلاثين بالنسبة إلى النبي (ﷺ)، وتوفي في عهده صفوان العقيلي صاحب ديار مصر في الحبس بالشام، وتوفي الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن موسى الكاظم، وكان في الثانية والأربعين من عمره، وصلى عليه أحمد بن المتوكل، ودفنوه في قصره في سامراء، ولما أصبح المعتز خليفة، أسند الوزارة لأحمد بن إسرائيل، وأرسل الأوامر إلى أطراف البلاد، ودخل الناس في بيعته، وكان محمد بن طاهر بن عبد الله أمير بغداد، وخلعه المؤيد من الخلافة، وقتل الترك في سنة مائتين وثلاث وخمسين وصيف الخادم، وقبضوا على أحمد بن إسرائيل الوزير، وصاحب الديوان أيوب، وحسن بن مخلد الكاتب وقيدوهم، وسحبوا المعتز من بيته وكانوا يضربونه حتى خلع نفسه وحبسوه، ومات في السجن جوعاً يوم السبت الرابع والعشرين من شعبان سنة مائتين وخمس وخمسين، ودفنوه في سامراء، وكان في الرابعة والعشرين من عمره، وكانت مدة خلافته ثلاثة أعوام وثلاثة أشهر، وكان له ولد يسمى المنتصف بالله أبو العباس، فبايعوه وكانت له الخلافة من وقت صلاة الظهر حتى صلاة العصر، وقتلوه بعد ذلك.

المهتدي بالله: كان الخليفة الرابع عشر من خلفاء بني العباس، والثالث والثلاثين بعد النبي (ﷺ)، وأمه أم ولد بنت رومية، وكان رجلاً شديد الزهد عابداً يلبس الصوف، ويصلي من الليل حتى النهار في الخلوة، ولم يستطع أحد في أيامه أن يشغل نفسه باللهو والمحرمات، وثار في عهده أولاد الليث بن الصفر في سنة مائتين وست وخمسين، وقتله الترك، وهو في الثامنة والثلاثين من عمره، وكانت مدة خلافته أحد عشر شهراً.

وتوفى أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف الجعفي البخارى فى نفس السنة، وكان فى الثانية والستين من عمره، وذكر الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادي فى كتابه تاريخ بغداد^(٥٦) قال محمد البخارى: ذكرت مائة ألف حديث صحيح، ومائتى ألف غير صحيح، واخترت من كتاب الصحاح مدة ستة عشر عاماً ستين ألف حديث، والأحاديث التى اختارها البخارى لا تصل عشرة آلاف حديث.

المعتمد على الله أبو العباس أحمد بن المتوكل: كان الخليفة الخامس عشر من خلفاء بنى العباس، والرابع والثلاثين بالنسبة للنبي (صلى الله عليه وآله)، وكانت أمه أم ولد قينان الكوفية، وكان الوزير عبد الله بن يحيى بن خاقان الذى كان وزيراً لأبيه، ولما توفى أسند الوزارة إلى حسن بن مخلد ويعهده لسليمان بن وهب، ثم وصلت إلى صاعد، وجاء المعتمد من سامراء إلى بغداد، وأقام فى دار الخلافة فى الجانب الشرقى، وأصاب سامراء الخراب، وأرسل أخاه الموفق أبى طلحة محمد إلى اليمن والحجاز، وانتهى أمر الصفاريين فى أيامه.

فى سنة سبع وخمسين ومائتين توفى الشيخ سرى السقطى خال الجنيدي، وكان فى الثامنة والتسعين من عمره فى بغداد، قال: العارفون لهم صفة الشمس وهم يضيئون (الطريق) للجميع، ويشكلون الأرض، التى تتحمل الموجودات، ولهم صفة الماء؛ لأن حياة القلوب تكون بهم، ولهم لون النار؛ فهم الذين يربون السذج والبسطاء، وقال: لن تصير كاملاً طالما لا تؤثر دينك على شهواتك.

وفى سنة خمسين ومائتين توفى أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازى فى نيسابور، قال: بقدر ما تحب الله فإن الخلق يحبونك، ويقدر أن تخشى من الله يخشاك الخلق، ويقدر أن تكون مشغولاً فإن الخلق ينشغلون بك، وكل من يستحى من الله تعالى فى حال الطاعة فإن الحق تعالى يستحى أن يعذبه على أى ذنب.

وتوفى أبو محمد الحسن العسكري يوم الجمعة السابع من ربيع الأول سنة مائتين وستين فى سرمن، وكان فى التاسعة والعشرين من عمره، وتوفى أبو الحسن مسلم

بن الحجاج أبو مسلم القشيري ليلة الإثنين سنة مائتين وإحدى وستين، قال: صنف هذا المسند الصحيح من ثلثمائة ألف حديث مسموعة، وجميع ما رواه مسلم عن شيوخه أحد عشر ألف حديث، ووصل يعقوب بن الليث الصفاري بجيش جرار ديار العراق، ونزل على ضفة دجلة وسط واسط بغداد في دير العاقول، فتوجه إليه المعتمد ووصل إليه في يوم الخميس الخامس من رجب في السنة المذكورة وانهزم الصفاريون، وتركوا مالا وبواباً كثيرة، وقال يعقوب وهو في حالة النزاع:

ملكك خراسان وأكناف فارس وما أنا عن ملك العراق بآيس
إذا ما أمور الناس ضاعت وأهملت ورثت فصارت كالرسوم الدؤارس
وتوفى يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شوال سنة مائتين وخمس وستين في جندی شابور من توابع الأهواز.

وتوفى موسى بن بغا التركي في سنة مائتين وأربع وستين، وتوفى إبراهيم بن يحيى المزني صاحب محمد بن إدريس الشافعي في مصر يوم الخميس من ربيع الأول في نفس السنة المذكورة، وتوفى في نفس السنة أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن وهب صاحب مالك بن أنس، ويونس بن عبد الأعلى، وكان في الثانية والتسعين من عمره، وخالد بن يزيد بن سنان في مصر، وتوفى الشيخ أبو حفص عمرو بن أسلم الحداد النيسابوري في سنة مائتين وست وستين، وكان عثمان الحيري مريداً له، وقدم شاه شجاع الكرمانی زیارته ومضى في صحبته إلى بغداد.

حكاية: مضى الشيخ ذات يوم مع رفاقه إلى الصحراء واستمتعوا بالنزهة، فقدم غزال فجأة من الصحراء، ووضع رأسه في جانب الشيخ، فضربه أبو حفص طبانجه على وجهه وكان يصيح، فقال الرفاق: ما هذا؟ قال ظهرت لنا البهجة بالسعادة، قلت: لو كان لنا خروف لصنعت لكم الليلة طعاماً حتى لا يتفرق الرفاق لكان هذا أفضل، فجاء هذا الغزال في الحال، فقال المريدون: أيها الشيخ من يكون له هذا الحال مع الله، لما يلطم طبانجه على وجهه ولما يصيح؟ ولو أن الله تعالى أراد بفرعون الخير لأجرى النيل على هواه؟ وقال: الخوف مصباح القلب وكل ما كان القلب من خير وشر يمكن

أن يرى بهذا الصباح. ومضى الموفق أبو طلحة فى شهر صفر سنة مائتين وسبع وستين؛ لمحاربة صاحب الزنج، وكان ابنه فى المقدمة، وحاربوا كثيراً، وقتلوا صاحب الزنج فى سنة مائتين وسبعين، وكانت مدة صاحب الزنج أربعة عشر عاماً وأربعة أشهر.

وتوفى أبو سليمان داود بن على الأصفهاني الفقيه فى بغداد، وأبو أيوب سليمان بن وهب الكاتب فى نفس السنة، وتوفى أحمد بن طولون صاحب مصر يوم السبت العاشر من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين، وكان فى الخامسة والستين من عمره ومدة ملكه سبعة عشر عاماً، وتوفى الشيخ أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار النيسابورى سنة إحدى وسبعين ومائتين، ووجد الصحبة مع سلم وأبى تراب النخشبى، قال: التوكل هو التعلق بالله، ولو استطعت أن تنجز عملك مع الله، فذلك أفضل من أن تشغل نفسك بالحيرة والتدبير.

وتوفى أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني^(٥٧) فى السادس عشر من شوال سنة مائتين وخمس وسبعين، قال: كتبت خمسين ألف حديث وجمعت أربعة آلاف وثمانمائة فى كتاب السنن.

وتوفى شيخ المشايخ أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي فى سنة سبع وسبعين ومائتين، وأصله من نهاوند ومولده ونشأته فى بغداد، كان فقيهاً على مذهب سفيان الثوري، وكانت له صحبة كل من سرى السقطي، والحارث المحاسبي، ومحمد بن على القصاب، قال: لم تأخذ التصوف من القيل والقال، ولكنه من الجوع وترك الدنيا، والخروج على المألوف. وقال: أغلقت جميع الطرق على الخلق إلا من كان له سنة رسول الله (ﷺ)، وقال: لو أن سالكاً اتجه إلى الله بوجهه ألف عام وبعد لحظة يشيح بوجهه فإن الذى فات منه يصبح أكثر من الذى وجده، وقال: كل من لا يحفظ القرآن ولا يكتب الحديث لا تليق له الريادة، وسبب ذلك أن علمنا يحتم العمل بالكتاب والسنة.

وقبض أبو محمد بن طلحة فى سنة مائتين وإحدى وسبعين على صاعد وحبسه وتوفى فى حبسه سنة مائتين وست وسبعين، وتوفى أبو طلحة بن محمد ليلة الخميس

الثاني والعشرين من صفر سنة مائتين وثمانٍ وسبعين، وكان في التاسعة والأربعين من عمره، وتوفي ممدشاد الدينوري في سنة مائتين وتسعٍ وسبعين، قال: يستلزم أدب المريد على نفسه احترام المشايخ، وخدمة الإخوة، والخروج من حطام الدنيا، والمحافظة على أدب الشريعة. وكان من معاصري المعتمد من الفقهاء: أبو علي حسن بن محمد البزار الزعفراني تلميذ الإمام الشافعي، وأبو القاسم الإنمطي تلميذ المازني وربيع، ومن المشايخ أبو محمد بن سهل بن عبد الله التستري.

حكاية: يقولون عندما مرض عمرو بن الليث الصفار وعجز الأطباء عن علاجه، قال له: إن هذا الأمر بالنسبة لسهل سهل؛ لأنه مستجاب الدعوة، فأحضروا سهلاً، فقال: تستجاب الدعوة لمن يتوب ويرجع إلى الله، ولك مظلومون في السجن فيجب عليك أولاً أن تطلق سراحهم، فأمر عمرو بإطلاقهم وتاب توبة نصوحاً، فقال سهل: يارب بقدر ما أطلعتني على معصيته أظهر له عز الطاعة، ومثلما كنت تلبس باطنه ثوب التوبة، ألبس ظاهره لباس العافية، ولما تمت المناجاة، برأ عمرو في الحال وعرض عليه مالاً كثيراً، فلم يأخذها وخرج، فقال الخادم: لو كانوا يقبلون شيئاً وكنت وضعت في شيء، فقال الشيخ: ينبغي أن تنتظر إلى الذهب، فنظر الخادم فشاهد الصحراء كلها ذهباً، قال: من حاله مع الله هكذا يأخذ شيئاً من المخلوق؟!!

حكاية: لما مات يعقوب بن الليث الصفار حمل أخوه عمرو خزانته، وجمع الجيش وطلب اللجوء إلى الخليفة، فأقامه الخليفة وأعطاه إمارة خراسان وبغداد، فعين عبد الله بن طاهر نائباً عنه، ومضى عمرو بن الليث بالجيش من خراسان إلى الري في سنة مائتين وثمانٍ وسبعين، فغضب الخليفة من هذا وعزله من هذه النيابة، واستولى على الري وجرجان وكرمان، فحرك المعتمد الجيش بنفسه ومضى لمحاربته، وتوفي هناك في ليلة الثلاثاء الثامن عشر من رجب سنة مائتين وتسعٍ وسبعين، وكان في الثامنة والأربعين من عمره، وكانت مدة خلافته ثلاثة وعشرين عاماً وأحد عشر شهراً.

المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن طلحة: كان الخليفة السادس عشر من خلفاء بني العباس، والخامس والثلاثين بالنسبة للنبي (ﷺ)، أمه أم ولد ضرار الرومية

ووزيره عبد الله بن سليمان، ولما توفي، صار قاسم بن عبد الله وزيراً له، وكانوا يسمونه السفاح الثاني، وكان صاحب رأى وتدير وشجاعة، يقال: إنه عندما أفضت له الخلافة لم يكن في الخزانة أكثر من اثني عشر درهماً، وكان قبله قحط عظيم وحروب وفتن كثيرة، وفي عهده امتلأت الخزانة، وعمرت البلاد، ورخصت الأسعار، وأصبحت الرعية في رخاء.

وفي سنة تسع وسبعين ومائتين وصل من مصر حسين بن عبد الله المعروف بابن الجصاص رسول خمارويه بن أحمد بن طولون^(٥٨)، ومعه كثير من الهدايا لزواج قطر الندى بنت أبي الجيش بن خمارويه من على المكتفى بن المعتضد، وفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين قتل أبو الجيش أباه خمارويه في دمشق، وحمله إلى مصر، وصار ملكاً عليها.

وتوفي في نفس السنة إبراهيم بن إسماعيل القاضي، والحارث بن أبي أسامة، وهلال بن الوفي، وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين في الثامن والعشرين من شهر رمضان توفي أبو عمرو مقدم بن داود الرعيني في مصر، وكان من كبار أصحاب مالك، وفي هذه السنة توفي أبو جيش بن خمارويه وخلفه أخوه هارون، وفي هذه السنة أسند المعتضد قضاء بغداد إلى يوسف بن يعقوب، وقبض على أحمد بن الطيب بن مروان الفرجي صاحب يعقوب بن إسحاق الكندي، وسلمه لوالد غلامه، فعاقبه وفي سنة أربع وثمانين ومائتين أحضروا سرى رافع بن هرثمة إلى بغداد وعلقوه، وفي نفس العام كان قد وضع السيف على رقبة أبي ليلة الحارث بن عبد العزيز بن أبي دلف في الحرب، ولكن حصانه حال برأسه السيف عنه فقتل، فأرسله عيسى النوشري إلى بغداد.

وفي سنة خمس وثمانين ومائتين توفي أبو إسحاق محمد الحربي ألقبه المحدث يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي الحجة، وكان في الثمانين وبضع سنين من عمره، وتوفي في نفس الشهر أبو العباس محمد بن يزيد النحوي المعروف بالمبرد في بغداد، وكان في التاسعة والسبعين من عمره.

وتوفى نصر بن أحمد الساماني صاحب بلاد ما وراء النهر في بلخ وخلفه أخوه إسماعيل بن أحمد، وتوفى أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي أستاذ المكتفي بالله، وله مصنقات كثيرة، وأحمد بن أبي الطاهر الكاتب صاحب كتاب أخبار بغداد في المحرم سنة مائتين وثمانين، وتوفى أبو سهل محمد بن أحمد الرازي المحدث سنة مائتين واثنين وثمانين، وتوفى عبد الله بن شريك المحدث في بغداد، وأبو محمد بن الحسين بن جنيد، وبكر بن عبد العزيز بن أبي دلف في طبرستان في سنة مائتين وخمس وثمانين، وتوفى أبو العباس محمد بن يونس الكريمي المحدث، وكان له من العمر مائة وست وستون عاماً في بغداد سنة مائتين وست وثمانين يوم الخميس الخامس عشر من جمادى الآخرة، وفي هذا العام نشبت حرب بين إسماعيل بن أحمد الساماني، وعمرو بن الليث الصفاري في بلخ ووقع عمرو في الأسر.

مضى المعتضد إلى ثغور الشام طالباً وصيف الخادم وأسره في سنة مائتين وسبع وثمانين، وتوفى أبو عبد الله محمد بن أبي الساج في أذربيجان في نفس السنة، وأحضروا عمرو بن الليث إلى بغداد، وقد أجلس على جمل، وطافوا به حول المدينة، وأرسلوه إلى الحبس في جمادى الأولى سنة مائتين وسبع وثمانين، وتوفى أبو على بشر بن موسى بن صالح بن عميرة المحدث الأسدي في بغداد سنة مائتين وسبع وثمانين، وتوفى أبوه أبو محمد بن موسى بن صالح في أيام المعتمد سنة مائتين وسبع وخمسين، وكان في الثامنة والسبعين من عمره، وابنه في الثامنة والتسعين، وفي نفس السنة توفى أبو المثنى معاد بن المثنى بن معاد الغبري، وتوفى وصيف الخادم في أول المحرم سنة مائتين وتسع وثمانين، وصابوه بلا رأس حتى عصر المقتدر، وكان للمعتضد ثلاثة أبناء: على، وجعفر، ومحمد. وتوفى ليلة الاثنين الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة مائتين وتسع وثمانين في بغداد، وكان له من العمر تسعة وأربعين عاماً، ومدة خلافته تسعة أعوام وتسعة أشهر.

المكتفي بالله أبو محمد علي بن أحمد: كان الخليفة السابع عشر للعباسيين، والسادس والثلاثين بالنسبة للنبي (ﷺ)، وأمّه أم ولد ظلوم، ووزيره قاسم بن عبد الله.

وكان المكتفى فصيحاً جميلاً، وعمر جامع بغداد الواقع فى حرم دار الخلافة، وكان قبل ذلك سجنًا يسمى مطامير شيده المعتضد، وبنى دار الشاطئية، وكان أبو حمزة البزاز البغدادى من قرناء الجنيد، وصحب السرى السقطى، الذى كان عالماً بقراءات القرآن، والفقيه الذى كان من أبناء عيسى بن إبان كان الإمام أحمد بن حنبل يسأله فى مسائل الفقه، فكان يقول: ماذا تقول أيها الصوفى فى هذه المسألة؟ فكان يقول المجتمعون جاءه الحال فى الجمعة، وسقط من على المنبر وتوفى.

وتوفى فى نفس السنة الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد مسروق الطوسى فى بغداد، وكانت له الصحبة مع الحارث المحاسبى، والسرى السقطى، قال: كل من حفظ حق الله تعالى فى قلبه، فإن الله تعالى يحفظه فى حركات أعضائه، وتوفى أبو حمزة النيسابورى، وهو من أقران الجنيد والخراز وأبى تراب فى نيسابور.

حكاية: مما يروى: إنه كان يمضى إلى البادية متوكلاً بلا دلو وحبل، ونذر أنه لا يطلب شيئاً كان من أى شخص، فسقط بغتة فى بئر، فجلس متوكلاً فقدم شخص ورفع رأس البئر، وقال: لا قدر الله أن يكون أحد سقط فيه، فقالت النفس له يقول الحق تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (٥٩)، فقال أبو حمزة: إن التوكل أقوى من هذا ولكنه يبطل بالفجور والرياء، إن هذا الرجل الذى ينظر على من أعلى يرى نفسه كذلك فى البئر، فاتجه إلى القبلة ونكس رأسه، فقدم عليه أسد فجأة ورفع رأس البئر ومد يده فيه، وأدلى قدميه، فقال أبو حمزة: لا أرافق القطة فى الطريق فآلهموه إن هذا خلاف العادة فأطرق الباب ودخل، فأمسك بقدم الأسد وخرج فسمع صوتاً يقول له: يا أبا حمزة نجيناك من التلف بالتلف، فوضع الأسد وجهه فى التراب ومضى، وتوفى فى نفس السنة ربيع بن سليمان المرادى المؤذن صاحب الإمام الشافعى فى مصر، وتوفى فى السنة نفسها يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الآخرة عبد الله بن أحمد بن حنبل، وتوفى ليلة السبت الثانى عشر من جمادى الأولى أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب، وكان معاصراً لمحمد بن يزيد المبرد، وقالوا فى حقهما :

شعر

أيا طالب العلم لا تخرطن وعد بالبرد أو ثعلب
تجد عند هذين علم الورى فلأنك كالجمل الأجرب
علوم الحقائق مقرونة بهذين من المشرق والمغرب

وفى نفس السنة توفى أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص، وهو من أقران الجنيد، ونورى فى الرى، قال: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن على أناة، والاحتفاظ بالبطن خاويًا، وقيام الليل، والبكاء قبل السحر، وصحبة الصالحين، ورأى فى نفس السنة الشيخ أبو عبد الله عمر بن عثمان المكي، وأبو عبد الله النسايجي، كما كانت له الصحبة مع أبي سعيد الخراز، وكان شيخ هذه الطائفة فى أصول الطريقة، وتوفى فى بغداد، وقال: كل شيء يدخل وهمك أو يمر بخاطرك أو فى قلبك من الحسن والبهاء والأنس والضياء والجمال والنور والخيال، فإن الله تعالى منزّه عن هذا لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (٦٠).

وتوفى أبو حازم عبد العزيز بن عبد المجيد القاضى الحنفى فى بغداد فى المحرم من سنة مائتين واثنين وتسعين، وكان يبلغ من العمر بضعة وتسعين، وفى نفس العام غلب ابن الخليجي على مصر وأحرقها.

حكاية: ثار زكرويه بن مهرويه فى الكوفة فى عهد المكتفى، ودعا الخلق لمذهب القرامطة، وكان له ولدان: يحيى وحسن، وكان على وجه حسن علامة سوداء، وكان يقول: هذه علامة السامية ولقبوه بصاحب الشامة السوداء، ودعا طائفة بنى كلاب فى البادية وتابعوه، ونزلوا فى الشام، واستولوا على دمشق وحمص، وكان المكتفى فى سامراء، فأخبروه فجمع الجيش ومضى إلى الرقة، واستقر هناك، وكان يرسل الجيوش تباعًا، وأرسل محمد بن سليمان مع عشرين ألف رجل، وأمر محمد بأن ينشروا عشرين ألفًا من النفط فى أطراف معسكرهم، ولما اصطفوا فى اليوم التالى، وحمل عليهم الخوارج، أشاح عنهم محمد بن سليمان؛ فتعقبوه ووقعت النار فيهم، وكل من نجا من شر النار

وقع فى أسر السيف الحسام، وأسر صاحب الشامة مع ابنه، وأرسلوهم إلى حضرة الخليفة مقيدىن فعوقبوا، وبعد ذلك ثار محمد بن هارون فى طبرستان، فكتب الخليفة رسالة إلى إسماعيل السامانى فقتلوه.

وتوفى فى آخر أيامه أبو الحسين بن أحمد بن محمد الثورى الذى كانت ولادته ونشأته فى بغداد، وأدرك صحبة السرى، وأحمد بن الجرارى، وكان من أقران الجنيد، وتوفى فى سنة خمس وتسعين ومائتين، وفى كل يوم كان يخرج من بيته فى بداية أمره يحمل معه خبزاً يتصدق به فى الطريق، وكان يعقد النية للصيام، ويمضى للمسجد؛ ليوذى صلاة الظهر، وبعد ذلك يذهب للحنوت، فكان أهل البيت يظنون أنه ياكل شيئاً فى السوق، وكان أهل السوق يظنون أنه ياكل فى البيت، وظل على تلك العادة عشرين عاماً، قال: لما كان البرقع غطاء الآلام، فإن الحريم فى هذا الزمان رمم، فقال أحمد المعادى: لم أر من هو أكثر تعبداً من الثورى، قالوا: ولا الجنيد؟ قال: ولا الجنيد، وقال مرتعش: سمعت من الثورى أنه قال: كل من تراه يدعى أن له مع الله تعالى حالاً، انظر إذا كانت هذه الحال خارجة عن حدود الشرع فلا تقترب منه، وفسدوا السم للمكفى، وأحضر محمد بن يوسف القاضى، وعبد الله بن على بن أبى الشوارب، فأُسند ولاية العهد إلى أخيه جعفر، وتوفى يوم الأحد الثالث عشر من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين، وكان فى الحادية والثلاثين من عمره، ومدة خلافته ستة أعوام وستة أشهر واثنين وعشرين يوماً.

المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن المعتضد: كان الخليفة السابع عشر من خلفاء بنى العباس، والسابع والثلاثين بعد النبى (ﷺ)، أمه أم ولد شعب، ووزيره عباس بن الحسين الهاشمى، وقتل يوم السبت التاسع عشر من ربيع الأول سنة مائتين وست وتسعين، بأمر عبد الله بن المعتز، ومحمد بن جارود، وحسن بن حمدان، ووصيف بن سوارتكين، وأصبح المقتدر الذى لم يبلغ الحلم خليفة، وتناقص ملك خلفاء بغداد فى عصره، وخرج من يده ملك فارس وأصفهان، وثار ناصر الحق حسن بن على فى ديار الديلم وقتل، وأسند الوزارة إلى على بن محمد بن موسى يوم الأربعاء الرابع عشر من ذى الحجة سنة مائتين وست وتسعين، ووزر ثلاثة أعوام وتسعة أشهر، ولما انتظمت

الأحوال على مقتضى السياسة والكياسة، اختلف الأمراء وقامت الخصومة بينهم، وخلعوا المقتدر وأخرجوه من دار الخلافة وأمانوه، وحبسوه فى بيت يونس بن مظفر، وأحضره محمد بن المعتضد إلى دار الخلافة وبايعوه ولقبوه بالقاهر بالله ، وأصبح بازوك حاجبه ، واستقدموا العظماء والأعيان؛ ليبايعوه فى يوم الاثنين السابع عشر من المحرم سنة مائتين وسبع وتسعين ، وأثناء تلك الحال قدم جماعة من المشاة الحشم إلى باب الجوسق ، وكانوا فى حوار مع بازوك ، فطرحوا بازوك وأبا الهيجاء عن فرسهما وقتلوهما ورفعوا رأسيهما على الرماح ، وقدموا دار الخلافة وقهروا القاهر وأرسلوه لنفس المجلس ، وأخرجوا المقتدر من قصر يونس وجدوا له البيعة ، فأسند الوزارة إلى على بن مقله ، فعادت إلى الدولة هيبتها وسعد الحظ التعيس، وظهر للعالمين التقدير الإلهى والحكم الأزلئ بقوله تعالى : ﴿ تُوْتِى الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِنْ تَشَاءُ ﴾ (٦١)، فقد عزل الخليفة بلا سبب وجلس مكانه آخر، وعاد إليه الملك بلا سعى ولا اهتمام فى خلال ثلاثة أيام، وازدان عرش الخلافة به ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٦٢).

حكاية: قال أحد العظماء: فى اليوم الذى بايعوا فيه القاهر، مضيت إلى محمد بن جرير الطبرى، فسأل ما الخبر؟ قلت: إن الجيش بايع محمداً بن المعتضد، وقال: ومن سيكون وزيره؟ قلت: محمد بن داود الجراح، قال: ومن سيكون القاضى؟ قلت: حسن بن المثنى، فنكس رأسه مدة، ثم قال: هل انتهى هذا العمل؟ قلت: لماذا؟ قال: يستحق هؤلاء الثلاثة هذا العمل؛ لأنهم جديرون به والزمن فى تدهور، ولا يمكن إسناد الأمر إلا لذى الكفاءة ونعطى العمل لمن يستحقه، ويقصر أهل الزمان عن هذه الرتبة، ولا يسلمون بإسناد الأمر إلى الأكفاء، وقد وقع ما قال، ولم يدم هذا العمل لهم أكثر من ثلاثة أيام حتى يعلم العقلاء أن فضل الفضلاء كان سبب يأسهم، وأن الزمان متحامل دائماً على الفضلاء.

حينما يعين فضل الله يصبح العبد الحقير ملكاً
وإذا أظهر قهره لأحد فإن صاحب التاج يصبح تاجه أعواداً

وأصبح محمد بن عبد الملك بن يحيى بن خاقان وزيراً للمقتدر، وبعده على بن عيسى بن داود الجراح، ثم أسند الوزارة إلى على بن محمد بن موسى الفرات، وبعده حامد بن العباس، وكان آخر وزرائه الفضل بن جعفر بن موسى بن الفرات، وكان أحمد بن إسماعيل الساماني أميراً لخراسان في عهده، وبعد ذلك لنصر بن أحمد بن إسماعيل، وتوفي في عصره أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز البغدادي صاحب ذي النون المصري، وأبى عبد الله النساجي، وأبى عبيد التستري، وسرى السقطي، وبشر الحافي، قال: رأيت إبليس في المنام، وكان يمضى بعيداً عني، قلت: تعال، قال: ماذا أصنع معك؟! إنني أخدع الناس بذلك، ولكنك بعدت عني، قلت: ماذا لك؟، قال: إذا انصرفت عني الدنيا فنظر إلي، وقال: لي معك نكتة أخرى أخدعك بها، قلت: ما هي؟، قال: صحبة الصبيان.

وتوفي في نفس السنة موسى بن إسحاق الأنصاري، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة الكوفي في بغداد، وكان من علماء أهل الحديث، ويوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن عماد الدين زيد القاضي في بغداد، وكان في الخامسة والتسعين من عمره، وأبو عون البرزوي المبدل، وكان في الثمانين من عمره، وأبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق، وكان في الرابعة والثمانين من عمره.

وتوفي أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المغربي أستاذ إبراهيم بن شيبان، وتلميذ على بن زرن، وكان يبلغ من العمر مائة وعشرين عاماً، وأبو محمد داود بن علي بن خلف الأصفهاني الفقيه الذي ألف كتاب الأصول إلى معرفة الأصول، وكتاب الإنظار، وكتاب الابتصار، وقال الكثير من الشعر والنثر في عنقوان شبابه منها :

شعر

على كبدى من خفية البين لوعة	يكاد لها قلبي آسى يتصدع
يخاف وقوع البين والشملى جامع	فيبكي بعين دمعها متسرع
فلو كان مسرورا بما هو واقع	كما هو محزون لها يتوقع
لكان سواء برؤه وسقامه	ولكن وشك البين أدهى وأوجع

وله أيضاً :

فما بعد الرحيل من اجتماع	تمتع من خليلك بالوداع
ومن حال ارتفاع واتضاع	فكم جرئت من هجر وعدو
شربت ولم يضق عنها ذراعى	وكم كأس أمر من المنايا
وإن طالت تؤول إلى انقطاع	تعالى الله كل مواصلات

وله أيضاً :

بالقول والشوق فى زفراته بادى	لا خير فى عاشق يخفى صبابته
حتى على العيس والركبان والحادى	يخفى هواه ولا يخفى على أحد

وانتقل أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيرى من الرى إلى نيسابور، وصحب الشاه الكرمانى، ويحيى بن معاذ الرازى، وتزوج ابنة أبى حفص الحداد، وتوفى بعد وفاة أبى حفص بثلاثين عاماً، قال: لا يكمل المرء ما لم تتساوى فى قلبه أربعة أشياء: المنع، والعطاء، والعز، والذل. وقال: تكلم مع الله بحسن الأدب، ومع الرسول (ﷺ) بمتابعة السنة، وملازمة ظاهر الشريعة، ومع الأولياء بالاحترام والخدمة، ومع أهلك وعيالك بحسن الخلق، ومع إخوانك بوجه باسم دون ذلك أو خطباً، ومع الجهلاء بالدعاء وطلب الرحمة لهم.

وقال عظماء هذا العصر فى الدنيا ثلاثة أشخاص، لا رابع لهم: أبو عثمان فى نيسابور، والجنيد فى بغداد، وأبو عبد الله بن جلا فى الشام.

وكان أبو الفوارس شاه شجاع الكرمانى من أبناء الملوك، وأدرك صحبة أبى تراب النخشبى، وأبى عبيد التستري، ومات قبل عام ثلاثمائة، وقال: علامة التقوى الورع، وعلامة الورع الامتناع عن الشبهات. وقال: كل من يخفى غضبه عن الحرام، ويحفظ نفسه عن الشهوات، ويعمر سريره بالحفظ الدائم، وظاهره بمتابعة السنة، ويعلم نفسه أكل الحلال فلن تخطئ فراسته.

وفى سنة إحدى وثلاثمائة توفى عبد الله بن ناجية المحدث فى بغداد، وفى سنة اثنتين وثلاثمائة توفى أبو عمران موسى بن القاسم بن الحسن بن الأشهب، وكان من كبار فقهاء الشافعية والعلماء المحدثين، وفى سنة ثلاثٍ وثلاثمائة توفى أبو يعقوب إسحاق بن محمد النهرجورى حيث كان يجاور مكة فى ذلك المكان، وأبو محمد رويم بن أحمد البغدادي أستاذ عبد الله بن خفيف، وكان من كبار المشايخ مقرأً للقرآن، وفقياً فى مذهب داود، قال: حكمة الحكيم هى أن يسهل على الإخوان فى الأحكام، ويصعب على نفسه فيها، لأن التسهيل عليهم هو تتبع العلم، والتشديد على نفسه من الورع، وقال أبو عبد الله، قلت لرويم: أوصني بوصية، قال: إن هذا العمل هو فداء للروح، فأقدم إذا كان ميسراً لك، وإلا فلا تشغل نفسك بترهات المتصوفين. قال رويم: مضيت فى يوم شديد الحرارة بطريق من طرق بغداد فظمئت، فطلبت الماء من بيت، ففتحت فتاة الباب وفى يديها كوز من الماء، ولما رأتنى قالت: أيشرب صوفى فى النهار؟! ولم أفطر بعد ذلك اليوم قط.

وتوفى أبو عبد الرحمن بن شعيب بن على بن سنان النسائي فى نفس السنة، وتوفى يوسف بن الحسين شيخ الرى الذى كانت له الصحبة مع ذى النون المصرى، وأبى تراب النخشبى، ورفيق أبى سعيد الخراز العالم فى العلوم الدينية، قال: عندما ترى مريداً يعمل بالرخصة: فاعلم أن الخير لا يرتجى منه، وكتب رسالة إلى الجنيد قائلاً: يذيقك الله لذة النفس، فإذا ما ذقتها فإنك لم تجد ذوقاً لأى شىء، وقال: إن مصيبة الصوفية فى صحبة الغلمان، ومعاشرة الخصوم، وملاطفة النساء..

وتوفى أبو العباس أحمد بن عمر بن شريح القاضى فى سنة ثلاثمائة وسبع، وجاءوا بيوسف بن أبى الساج إلى بغداد محمولاً على جنبه، وطافوا به فى المدينة، وتوفى أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطا الأديب، وكان من كبار المشايخ وأقران الجنيد، وصاحب إبراهيم المارستانى، وأبو محمد عبد الله بن محمد الخراز الرازى الذى كان فى مكة سنة ثلاثمائة وتسع، وتوفى أبو محمد أحمد بن محمد بن الحريرى، وكان من كبار صحابة الجنيد، وصحب سهل بن عبد الله التستري، وخلف الجنيد فى سنة ثلاثمائة وإحدى عشرة، قال: كل من استولت نفسه عليه يصبح أسيراً

فى حكم الشهوات، ويكون محصوراً دائماً فى سجن الهوى، فإن الله تعالى يحرم الخيرات على قلبه، ولا يجد لذة من كلام الحق، ولو أجراها كثيراً على لسانه.

وتوفى أبو الحسين بيان بن محمد الحمال الواسطى فى مصر سنة ثلاثمائة وست عشرة، سألوه عن معظم أحوال الصوفية، فقال: الاعتقاد فى المضمون، وكتمان السر، والتخلى عن الدنيا والآخرة، وعدم الاستخفاف بالأمور. قال: أبو على الرودبارى: ألقوا "بياناً" أمام سبع فجعل يشمه، ولكنه لم يضره ولم أخرجوه، قالوا: ما الذى كان فى قلبك عندما كان السبع يشمك؟، قال: كنت أنظر فى اختلاف العلماء فى فضلات السباع.

وصحب أبو عبد الله محمد بن فضل البلخى، أحمد بن خضرويه فى سنة تسع عشرة وثلاثمائة، وكان أبو عثمان الخيرى يميل إليه؛ فكتب إليه رسالة فحواها ما علامة الشقاء؟، قال: ثلاثة أشياء: يوم يكون له فيه علم ويبقى من العمل محروماً، ويصبح عمله يوماً ويحرم من إخلاصه، ويصبح له صحبة الصالحين يوماً ويحرم من احترامهم، فطردوه من بلخ، فسكن سمرقند وتوفى هناك.

وكان للمقتدر أربعة أبناء: محمد، وإبراهيم، والفضل، وإسحاق، وقتل فى صلاة العصر فى بغداد يوم الأربعاء السابع والعشرين من شوال سنة ثلاثمائة وعشرين، وكانت مدة عمره ثمانية وثلاثين عاماً وخمسة شهور، ودامت أيام خلافته خمسة وعشرين عاماً.

القاهر بالله أبو منصور محمد بن أحمد المعتضد: كان الخليفة التاسع عشر لبني العباس، والثامن والثلاثين بعد النبي (ﷺ)، آلت إليه الخلافة بعد أخيه، وكانت أخلاقه سيئة وسيرته، كما كان سفاحاً، ضاق الناس منه فى شدة وكرب، فاعتقلوه وسلموا عينيه وجعلوا ابن أخيه خليفة بعده، وكان وزيره أبا على محمد بن مقله، فعزله فى سنة ثلاثمائة وإحدى وعشرين، وأسند الوزارة إلى أبى جعفر محمد بن القاسم بن عبد الله بن سليمان، فعزله أيضاً، وأسندها إلى أبى العباس أحمد بن عبد الله الحصنى،

وتوفى أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد العماني في بغداد في نفس السنة،
وكان في زمانه خليفة لخليل بن أحمد البصري في الشعر واللغة :

يا طبيبـية شئـ بالني	رائعة بين السدير واللى
أما ترى رأسى حاكى لونه	طرة صبح تحت أذيال الدجى ا
واشتعل المبيض فى مسوده	مثل اشتعال النار فى حول الغضى

وعارضه أبو القاسم على بن محمد بن داود بن الفهم التنوخى الأنطاكى^(٦٢)
فى هذه القصيدة، وقال :

لولا انتهائى لم أطلع نهى الهوى	مدى الصبا نطلب من حاز المدى
إن كنت قصرت فما قصر قلب	دامياً ترميه الحاظ الدمى
ومقلة إن مقلت أهل القضا	أغصت وفى أجفانها جمر الغضى
وكم ظباء رعيها الحاظها	أسرع فى الأنفس من حد الظبى

وتوفى أبو بكر محمد بن على الكتانى البغدادى فى مكة، وأبو على أحمد بن محمد
الروبارى فى مصر سنة ثلاثمائة واثنين وعشرين، وخلع القاهر يوم الأربعاء لخمس
خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وكانت مدة خلافته عاماً وستة
أشهر وستة أيام.

الراضى بالله أبو العباس محمد بن جعفر المقتدر: كان الخليفة العشرين من
خلفاء بنى العباس، والتاسع والثلاثين بالنسبة للنبي (ﷺ)، أمه أم ولد ظلوم،
ووزيره أبو على محمد بن على بن مقله، ويعدّه أبو على عبد الرحمن بن عيسى بن داود
الجراح، ويعدّه أبو جعفر بن أبى القاسم الكرخى، ويعدّه أبو القاسم سليمان بن
الحسن بن مخلد، ويعدّه أبو الفتح فضل بن جعفر بن الفرات، وآخرهم أبو عبد الله
أحمد بن محمد البريدى، وكان كاتبه بن جعفر الخصيبى، وحاجبه على بن صليق،
وتوقيعه (اشكر الله يزدك)، ويقال: (المنتقم بأعدائه)، وكان الراضى آخر خليفة خطبوا له

على المنبر، كان رجلاً فاضلاً شجاعاً، وبعده اتجه الخلفاء إلى الناس، وله أشعار كثيرة منها في وصف حاله مع المعشوق :

يصفرو وجهي إذا تأمله طرفي ويحمر وجهه خجلاً
حتى كأن الذي بوجنته من دم قلبي إليه قد نقلاً

وتوفي أبو إسحاق إبراهيم بن داود الرقي، وكان من كبار مشايخ الشام، ومن أقران الجنيد وابن جلا، وأبو بكر محمد بن موسى الواسطي وأصله من فرغانة، وكانت له الصحبة مع الجنيد ونوري في سنة ثلاثمائة وست وعشرين، وتوفي أبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش النيسابوري، وصحب أبا حفص، وأبا عثمان، والجنيد في سنة ثلاثمائة وثمان وعشرين في بغداد.

حكاية: قال مرتعش: نزلت ذات يوم في محلة، وكان الجو حاراً؛ فظلمت وطلبت ماء من بيت؛ فأحضرت فتاة ذات جمال كوراً من الماء، فصار قلبي فريسة حسننها، فجلست هناك حتى خرج صاحب البيت، فقلت: أيها السيد، أعطوني من دارك شربة ماء وسلبوا قلبي، فقال: لا تحزن إنها ابنتي وأزوجك إياها، ثم مضيت معه إلى البيت، وعقد عقد النكاح فأرسلني إلى الحمام، وأخذوا خرقتي وألبسوني ثوباً جميلاً، ولما حل الليل أدخلوني المنزل مع العروس، فاشتغلت بالصلاة، فسمعت صوتاً فجأة أثناء الصلاة يقول: يا مرتعش لقد اختلفت بذلك الرأي عنا فقد خلعنا عن ظاهرك ثوب أهل الصلاح، وإذا أبديت رأياً آخر نخلع ثوب المعرفة عن باطنك، ولما سمعت ذلك صحت قائلاً: ردوا إلي مرقعتي، فأحضروها فلبستها وخرجت. قال: كل من يظن أن فعله ينجيهِ من النار، أو يصل به إلى الجنة فيقيئاً أنه ألقى بنفسه في الخطر، وكل من يثق في فضل الله، فإن الله تعالى يدخله الجنة، كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ (٦٤).

وتوفي الراضي في بغداد يوم الخميس السادس من جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وكانت مدة خلافته ستة أعوام وأحد عشر شهراً وثمانية عشر يوماً.

المتقى لله إبراهيم بن المقتدر: كان الخليفة الحادى والعشرين من خلفاء بنى العباس، والأربعين بالنسبة إلى النبى (صلى الله عليه وآله)، وكانت أمه أم ولد، ووزيره سليمان الحسن بن مخلد، وبعده أبو الحسن أحمد بن ميمون، وبعده أبو إسحاق محمد بن أحمد القراريطى، وبعده أبو العباس أحمد بن عبد الله الأصفهانى، وبعده أبو الحسن على بن محمد بن على بن مقله، وقاضى القضاة أحمد بن عبد الله بن إسحاق الحرمى، وكان نصر بن أحمد أميراً على خراسان، وبعده ألت لابنه نوح بن نصر، وفى أيام الراضى أدرك أبو محمد عبد الله بن المبارك صحبة حمدون القصار، وتوفى فى نيسابور سنة سبع وعشرين وثلاثمائة.

حكاية: قال عبد الله بن المبارك: خرجت فى عام من الأعوام للحج، وبعد الحج أمضيت ساعة فى الحرم، واستغرقت فى النوم، فرأيت فى المنام ملكين قدما على من السماء، فسأل أحدهما الآخر هذا العام كم ألف شخص جاء للحج؟ قال: ثلاثمائة ألف، قال: حج كم شخص مقبول؟ قال: لم يقبل حج أحد منهم، فقال عبد الله: لما سمعت هذا حزنت، قلت إن كثيراً من الخلق جاءوا من بلاد بعيدة وتحملوا المشقة ﴿من كل فج عميق﴾^(١٥)، وطروا الصحارى ويضيع كل هذا؟ ثم قال هذا الملك: فى دمشق رجل يسمى علياً بن موفق لم يأت للحج، إلا أنهم قبلوا حجه، ومنحوه كل شىء.

فقال عبد الله: لما استيقظت من نومي، قلت ينبغى أن أزور هذا الرجل، فمضيت إلى دمشق، فدخلت باب داره فرأيت شخصاً، وقلت: ما اسمك؟ قال: باره بوزى، فقصصت له هذه الرؤيا، فقال: ما اسمك؟ قلت: عبد الله بن مبارك، فصاح وسقط، قلت: خبرنى بخبرك، وقل لى ماذا صنعت حتى أصبحت مقبولاً هكذا؟ قال: كنت راغباً فى الحج مدة من الزمان، فجمعت ثلاثمائة درهم، وعزمت هذا العام على المضى إلى ذلك اليوم الذى حملت فيه زوجتى، فشمت رائحة الطعام من بيت الجار، فقالت لى: أحضر لى قليلاً من هذا الطعام من ذلك البيت، فمضيت إلى هناك وطلبت الطعام، فخرجت لى أرملة وقالت: لم يذق أبنائى الطعام منذ عدة أيام، فوجدت اليوم حماراً ميتاً فجنث بقطعة منه وطهوت طعاماً لأبنائى، فلا يصلح هذا لأكلك، فلما سمعت هذا تألم قلبى

وقلت: إن حجي على باب البيت، فأعطيتها في الحال الثلاثمائة نزرهم، وقلت: أنفقي على أبنائك، فقال عبد الله بن مبارك: لما سمعت هذا، قلت: صدق الملك الرؤيا، وصدق الملك في حكم القضاء.

وتوفي أبو علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي الذي كان له صحبة مع أبي حفص وحمدون بن قصار، وأبو الحسن علي بن محمد المزين البغدادي الذي كان من أصحاب سهل بن عبد الله، والجنيد في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، وتوفي أبو بكر عبد الله بن طاهر الأبهري من أبناء عدي بن حاتم الطائي، وكان مصاحباً للشبلي صاحب يوسف بن الحسين، وتوفي في مصر أبو الحسين علي بن محمد بن سهل الصايغ الدينوري وكان من كبار المشايخ، قال أبو عثمان المغربي: لم أرَ من المشايخ أكثر رزاة من يعقوب، وأعظم هيبة من أبي الحسين الصايغ، وفي سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة توفي أبو عيسى محمد بن عيسى الحافظ الترمذي.

وكان المتقي عالماً زاهداً، ثار الديالة في عهده واستولوا على أطراف بغداد، وفي أثناء ذلك كان توزون أبو الوفاء التركي أمير أمراء جيش بغداد؛ فقبض عليه وسمل عينيه، وجعل ابن عمه خليفة مكانه في يوم السبت الثالث من صفر سنة ستمائة وثلاث وثلاثين، وكانت مدة خلافته أربع سنوات.

المستكفي بالله أبو القاسم عبيد الله بن المكتفي: كان الخليفة الثاني والعشرين من خلفاء بني العباس، والحادي والأربعين بالنسبة للنبي (ﷺ). أمه أم ولد، ووزيره أبو الفرج محمد بن علي السامري، وبعده محمد بن يحيى بن شیرزاد، وأسند قضاء الجانب الشرقي لبغداد إلى محمد بن عيسى المعروف بابن أبي موسى الحنفي، وتوفي أبو بكر دلف بن خلف الشبلي البغدادي صاحب الجنيد، وكان في السابعة والثمانين من عمره في سنة ثلاثمائة وأربع وثلاثين، واستولى الديالة في عهد المستكفي على بغداد وأعمالها ومعظم المدن، وكان بويه من رؤساء الديالة، وكان له ثلاثة أبناء: أحمد، وأبو علي، وأبو الجواد، وكان أحمد أكبرهم فاستدعاه الخليفة إلى بغداد، وحرّضه على قمع الترك وإسقاطهم وأمله بإمارة بغداد، فساق الجيش وقدم، فانهزم الترك فخلع عليه الخليفة

وأصبح أميراً لبغداد، ثم عزل شيرزاد عن العمل، وأسند الوزارة لعلی بن مقله، وبدأت الأحوال فى الازدهار، وبعد ذلك خلع معز الدولة أحمد بن بويه الخليفة، وسمل عينيه فى شعبان سنة ثلاثمائة وأربع وثلاثين، وكانت مدة خلافته سنة وأربعة أشهر.

المطيع لله أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر: كان الخليفة الثالث والعشرين من خلفاء بنى العباس، والثانى والأربعين بعد النبى (ﷺ). كانت أمه جارية تسمى مشغلة، لم يكن له حكم فى البلاد مع أن الخطبة والسكة كانت باسمه، ورضى بما كان يعطى له، وكان معز الدولة أحمد بن بويه الحاكم المطلق، وكان أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد مذهب الأمر وهو ديلمى، وأبو الحسن على بن محمد بن على بن مقله كاتباً مطيعاً، وتوفى أبو الحسن الأقطع المغربى فى زمانه سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وتوفى أبو على حسن بن أحمد الكاتب فى سنة ثلاثمائة وإحدى وأربعين، وأبو سعيد ابن الأعرابى وهو أحمد بن محمد زياد المصرى، وكان مجاوراً للكعبة ومات هناك، وكان له صحبة مع الجنيد، وعمرو بن عثمان، ونورى، وتوفى أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير البغدادى صاحب الجنيد، ورويم، ونورى، وسمنون فى نفس السنة.

وتوفى أبو العباس أحمد بن محمد الدينورى العالم الفاضل، وكان مصاحباً ليوسف بن الحسين، وابن عطا، والحريرى، وأبى بكر الطمستانى الذى كان وحيد زمانه فى العلم والورع، وصاحب إبراهيم الدباغ فى سنة ثلاثمائة وأربعين، وتوفى أبو العباس القاسم بن القاسم السيارى فى سنة ثلاثمائة واثنين وأربعين، وتوفى أبو عمر ومحمد بن إبراهيم الزجاجى النيسابورى، وأبو محمد جعفر بن محمد، وأبو الحسين على بن أحمد بن سهل البوشنجى الذى كان من أهل فتوة خراسان، وصحب أبا عثمان، وابن عطا، والحريرى، وأبا عمرو الدمشقى فى سنة ثلاثمائة وثمان وأربعين، وتوفى أبو بكر محمد بن داود الدينورى المعروف بالرقى، وكان عمره يزيد عن المائة فى سنة ثلاثمائة وخمسين، وتوفى أبو محمد عبد الله بن محمد الرازى فى نيسابور سنة ثلاثمائة وثلاث وخمسين، ولد هنا وكبر وصحب أبا عثمان، والجنيد، ورويم، ويوسف بن الحسن، وسمنون، وكان أبو الحسين بندار بن الحسن الشيرازى عالماً فى الأصول، وعظيماً فى الحال

وكان له صحبة الشبلى وتوفى فى زنجان، وفى النهاية أصاب المطيع الشلل، وخلع نفسه، وأعطى الخلافة لابنه فى سنة ثلاثمائة وخمس وخمسين، وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة.

الطائع لله أبو بكر عبد الكريم بن المطيع: كان الخليفة الرابع والعشرين من خلفاء بنى العباس، والثالث والأربعين بالنسبة للنبي (ﷺ). وبناء على الوصية أصبح خليفة، وخلعه بهاء الدولة بن عضد الدولة فى آخر عهده، وسلمه إلى ابن عمه، وتوفى فى عهده سنة ثلاثمائة وست وستين أبو عمر وابن إسماعيل بن نجيد الذى صحب أبا عثمان، ورأى الجنيد، وكان آخر من مات من أصحابه، قال: بلاء العبد رضاه عن نفسه فضلاً عما هو أعلى منه^(٦٦).

وكان أبو القاسم إبراهيم بن محمد النصر الآبى شيخ خراسان فى وقته، وصحب الشبلى، وأبا على الرودبارى، ومرتعش، وكان مجاوراً لمكة وتوفى هناك، وتوفى فى صور أبو عبد الله أحمد بن عطاء الرودبارى ابن أخت أبى على الرودبارى الذى كان شيخ الشام فى عصره فى سنة ثلاثمائة وتسع وأربعين، وتوفى الشيخ أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازى، وله من العمر مائة وخمسة أعوام، وبرواية أبى القاسم الصفار مائة وأربعة عشر عاماً ليلة الثالث والعشرين من رمضان سنة ثلاثمائة وإحدى وسبعين، وكان شيخ الشيوخ ووحيد عصره، وصحب الجنيد، ورويم، والجريرى، وابن عطا، قال: الإرادة على الدوام هى المشقة وترك الراحة، وقال: أكثر شئ ضرراً بالمريد التساهل مع النفس فى المضى، والأخذ بالرخص وقبول التأويل.

حكاية: قال: أردت فى بداية أمرى أن أمضى إلى الحج، ولما وصلت بغداد كانت أفكار كثيرة فى رأسى؛ لأننى لم أمض لزيارة الجنيد، ولما نزلت فى البادية، كان معى حبل ودلو فعطشت، فبلغت بئراً، فرأيت غزالاً كان يشرب منه، ولما مضيت لرأس البئر هبط ماؤه، فقلت: يا إلهى أعبد الله أقل قدراً من هذا الغزال؟، فسمعت صوتاً يقول: الغزال ليس له حبل ودلو واعتماده علينا، ففرحت وطرحت الحبل والدلو ومضيت، فسمعت صوتاً يقول: يا عبد الله كنا نختبرك؛ لنعرف كيف أنت؟، فارجع واشرب الماء،

فرجعت فارثتف الماء إلى رأس البئر؛ فتوضأت وشربت ومضيت، فما مستنى الحاجة إلى المدينة، ولما عدت وقدمت بغداد كان ذلك يوم الجمعة، فدخلت الجامع فوقعت عين الجنيد على، فقال: يا عبد الله لو أنك صبرت لنبع الماء من تحت قدمك.

وتوفى فى بغداد فى نفس السنة أبو الحسن على بن إبراهيم الحصرى البصرى المقيم فى بغداد شيخ الوقت، وصاحب أقوال عجيبة وأعمال، وكانت له صلة بالشبلى، وتوفى الطائع فى سنة ثلاثمائة واثنى عشر وسبعين، وكانت مدة خلافته سبعة عشر عاماً.

القادر بالله أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر: كان الخليفة الخامس والعشرين من خلفاء بنى العباس، والرابع والأربعين بالنسبة إلى النبى (ﷺ). كان رجلاً صاحب رأى وتدبير ويعتز به ملوك الديلم، وكان يحضر ديوان المظالم الذى ينعقد فى داره كل يوم اثنين وخميس، ولم يعيش أحد من خلفاء بنى العباس مدة أطول منه، وتوفى وفاة طبعية، وكان وزيره أبا الفضل حاجب بن النعمان، وأمير خراسان نوح بن منصور بن نوح.

وكان آل سامان أمراء خراسان، وحماة بلاد الإيمان. وهم تسعة ملوك وكان عهدهم أزهى العهود، واسمهم فى هذه الرباعية :

كان آل سامان تسعة أشخاص عظماء واشتهروا بإمارة خراسان
إسماعيل وأحمد ونصر ونوحين وعبد الملك ومنصوران^(٦٧)

ولما هزم السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين، عبد الملك بن نوح على باب مرو، سلم له ملك خراسان يوم الاثنين السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاثمائة وتسع وثمانين، وقدم أرسلان بن إيلبك بن نصر بن على بخارى، وهرب عبد الملك بن نوح من جيشهم، ومضى إلى بلاد ما وراء النهر، واستولى السلطان محمود على خراسان بالكامل، وجعل غزنين داراً للملك.

وكان أبو عثمان سعيد بن سلام المغربى فريد عصره وصحب ابن الكاتب، وحبيب المغربى، وأبا عمرو الزجاجى، ورأى ابن الصائغ ونهرجورى. وتوفى فى نيسابور فى عهد

القادر فى سنة ثلاثمائة وثلاثٍ وسبعين، قال: التقوى هى الوقوف مع الحدود، ولا يقصر فى هذا ولا يتجاوز ذاك، وقال: إن كل من يختار صحبة الأغنياء على الدراويش يبتليه الحق تعالى بموت القلب.

وتوفى الشيخ أبو القاسم بشر بن ياسين فى نيسابور سنة ثلاثمائة وثمانين، وقال: حقيقة العلم ما كشف على السرائر، وتوفى القادر فى سنة أربعمائة وأربع عشرة، وكانت مدة خلافته إحدى وأربعين سنة وأربعة أشهر.

القائم بأمر الله أبو جعفر عبد الله بن أحمد: كان الخليفة السادس والعشرين من خلفاء بنى العباس، والخامس والأربعين بالنسبة إلى النبى (ﷺ). كانت أمه جارية تسمى بدر الدجى، وفى عهده ثار جفرييل أبو سليمان داود بن طغرل بيك بن ميكائيل بن سلجوق، من نور بخارى فى سنة أربعمائة وخمسٍ وعشرين، ومضى إلى خوارزم، وقدم خراسان من خوارزم سنة أربعمائة وستٍ وعشرين، وفى ذلك الوقت كانت غزنين وخراسان لطهير الدولة مسعود بن محمود، فمضى لمحاربتة فى ناحية ديد آباد، وتحاربوا فى ذلك المكان الذى يسمونه الباه، وانهزم السلطان مسعود، وعاد إلى غزنين وقطع أمله فى خراسان، وقسم السلاجقة خراسان بينهم، ومضى الأمير ألب أرسلان إلى العراق، وكان الأمير قتلмыш حاكماً للرى، وحاربه فى قرية نمك وانهزم، واستولى ألب أرسلان على الرى، وجلس على عرش الإمارة فى يوم الأحد الثالث عشر من ذى الحجة سنة أربعمائة وخمسٍ وخمسين، ودخل فى ملكه الجبال والعراق وأجزاء من خراسان، ومضى لغزو الروم فى سنة أربعمائة وستٍ وخمسين وحارب القيصر وهزمه وقبض عليه وعرضه فى المزاد، ثم عفا عنه وردّه إلى الروم.

وسعد السلطان بالشهادة فى غرة ربيع الأول سنة تسعٍ وأربعين وأربعمائة، وخلفه السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان.

وتوفى فى عهد القائم بأمر الله الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن شهریار بن رادان بن فرخ الكازونى يوم الأحد من ذى القعدة سنة أربعمائة وستٍ وعشرين، وكان فى الثالثة والسبعين من عمره، وتوفى الرئيس أبو على حسين بن عبد الله بن سينا فى سنة أربعمائة وسبعٍ وعشرين فى همدان، وقيلت هذه الرباعية فى تاريخه.

ولد حجة الحق أبو علي بن سينا في سنة ثلاثمائة وثلاثٍ وسبعين

وألف ثلاثمائة وإحدى وتسعين مؤلفاً في العلوم، وخرج (توفى) من هذه الدنيا في سنة أربعمائة وسبع وعشرين.

ولد الشيخ أبو سعيد فضل الله بن أبي الخير الميهني^(٦٨) يوم الأحد غرة محرم سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، وكان عمره ألف شهر بالتمام، وهو ثلاثة وثمانون عاماً وأربعة أشهر، وتوفى ليلة الجمعة الرابع من شعبان سنة ست وأربعين وأربعمائة، وتوفى في صباح الأربعاء غرة رجب سنة سبع وخمسين وأربعمائة أخو فرج الزنجاني، وهرب البساسيري في عهد القائم، وأحضر السلطان الخليفة إلى بغداد، ولما وصلوا باب المدينة، كان السلطان يسير مترجلاً في ركاب الخليفة، وكان الخليفة يبالغ في الاحتفاء به، وقال له : اركب يا ركن الدين، ومن ذلك اليوم تبدل لقب السلاطين من الدولة إلى الدين. وتوفى القائم في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، وكانت مدة خلافته أربعة وأربعين عاماً وثمانية أشهر.

المقتدى بأمر الله أبو القاسم عبد الله بن محمد بن القائم: كان الخليفة السابع والعشرين من خلفاء بني العباس، والسادس والأربعين بالنسبة للنبي (ﷺ). كانت أمه جارية تسمى علم. وكان رجلاً صالحاً، سديد الرأي، صاحب كرامات. وزيره محمد بن أحمد بن جرير، ويَعده آلت الوزارة لأبي شجاع محمد بن الحسين، وفي زمانه استولى ملك شاه على خراسان، وبنى إمارة بغداد، وجوسق السلطان، ومات فجأة في بغداد سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، وفي يوم وفاته رحل عن الدنيا خمسة عشر ملكاً من بلاد كبلاد الترك والهند على سبيل المثال، وكانت مدة خلافته تسعة عشر عاماً وثمانية أشهر.

المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدى: كان الخليفة الثامن والعشرين من خلفاء بني العباس، والسابع والأربعين بالنسبة إلى النبي (ﷺ). أمه جارية تركية. وكان رجلاً فاضلاً، وصاحب نعم، محباً للفقهاء، وألف الكتاب المستظهرى في أصول الفقه باسمه.

كان الإمام الغزالي في زمانه، وكان أبو طاهر ابن الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير في العاشرة من عمره عندما توفي أبوه. وعاش خمسين عاماً، وتوفي سنة أربعمائة وثمانين، وتوفي ملك شاه في أيامه، وكان الشغب في خراسان مدة أربعة أعوام وأربعة أشهر، ووقعت الفتنة في العالم حتى ذلك الوقت الذي قدم فيه السلطان محمود بن ملك شاه خراسان في سنة أربعمائة وتسعين، ودير شئون الملك، ورتب الأعمال، وجعل الملك من ولاية غزنين حتى بلغ للسلطان سنجر وعاد إلى العراق، وسقطت دولة بني بويه في عهده واستولى الشبانكاره على فارس، وتوفي المستظهر سنة خمسماية وثلاث، وكانت مدة خلافته خمسة وعشرين عاماً.

المسترشد بالله أبو المنصور الفضل بن المستظهر: كان الخليفة التاسع والعشرين من خلفاء بني العباس، والثامن والأربعين بالنسبة للنبي (ﷺ). وفي عهده هاجم السلطان سنجر العراق، وحارب قراجه، وقتل خصمه، ومنح ملك العراق لابن أخيه محمود شاه، وجعله نائباً عنه فيه، وارتفعت راية الدولة السنجرية، وتجاوز علمه نجم كيوان (زحل)، واتصلت أطراف المملكة بالترك والهند والروم والعرب وانقاد له ملوك العالم، ولما أصبح المسترشد خليفة، هرب أخوه أبو الحسن من بغداد ومضى إلى الأمير ديبس بن صدقة، فأعزه، وأقام مدة عنده.

وخرج المسترشد من بغداد؛ لمحاربة السلطان مسعود بن ملك شاه السلجوقي، ولما بلغ مراغة حارب السلطان مسعود، ووقع في الأسر، واستشهد على يد الملاحدة في سنة خمسماية وعشرين، وقبره هناك، وكانت مدة خلافته سبعة عشر عاماً وسبعة أشهر.

الراشد بالله أبو جعفر منصور بن المسترشد: كان الخليفة الثلاثين من خلفاء بني العباس، والتاسع والأربعين بالنسبة للنبي (ﷺ). لما سمع الراشد أن الملاحدة قتلوا أباه اهتم بهم حتى يثار لأبيه، فقتله الملاحدة على باب أصفهان في سنة خمسماية وإحدى وعشرين، وقبره هناك في مدينة لها سور، وكانت مدة خلافته عشرة شهور وأحد عشر يوماً.

وتوفى أيل أرسلان بن إتسز في خوارزم في التاسع عشر من رجب سنة خمسماية وسبع وستين، وكانت مدة ملكه ما يقرب من عشرة أعوام، وكان ابنه الأصغر السلطان شاه ولي عهده فأصبح خليفة بعده في عهد المستضىء، وتوفى المستنجد في سنة ست وستين وخمسماية. وكانت مدة خلافته عشرة أعوام.

المستضىء بأمر الله أبو محمد الحسن بن المستنجد: كان الخليفة الثالث والثلاثين من خلفاء بني العباس، والثاني والخمسين بعد النبي (ﷺ). أصبح خليفة بعد أبيه، واستولى في عهده ملك الغور على بلاد الهند وغزنة، والخوارزميون على خراسان، والسلاجقة على العراق، وفي عصر المستنجد التمس أقسنغر صاحب مراغة من دار الخلافة أن تكون الخطبة باسم ابن السلطان محمد شاه بن محمد السلجوقي الذي كان مريباً له، فوصل هذا الخبر الأتابك أيلدكز في همدان، فغضب من هذا الخبر، وأرسل ابنه جهان بجيش؛ لمحاربة أقسنغر وتحاربوا، فهرب أقسنغر ومضى إلى قلعة روبيين دز على حدود مراغة، وحاصر جهان محمد وتصالحو في النهاية، وعاد جهان إلى أبيه، وكان هذا الوضع في سنة ثلاث وستين وخمسماية، ويقال: في سنة سبع وخمسين وخمسماية.

وتوفى الأتابك أيلدكز في سنة سبع وستين وخمسماية في همدان، وأصبح ابنه جهان أتابك وكان له عظمة وشوكة بحيث إنه لما تسلطن السلطان طغرل بن أرسلان ذكر اسمه سلطاناً على السكة وفي الخطبة، وكان جهان حاكماً مطلقاً. ولما مات أقسنغر في مراغة، وخلفه ابنه فلك الدين، وبسبب أنه استولى على تبريز، جهز جهان جيشاً، وحاصر فلك الدين في القلعة النحاسية (روبين دز)، وأرسل أخاه قزل بن أرسلان؛ ليحاصر تبريز وقبض جيش مراغة على رجلين من رجاله وحملوهما إلى المدينة، فألبسهما القاضى صدر الدين التشريفة، وأرسلهما إلى جهان، فأعجب بذلك كثيراً ويحدث القاضى واصطالح معهم على أن يمنحهم تبريز، وجعلوا مراغة لفلك الدين.

وأقر جهان، قزل أرسلان على تبريز، ومضى إلى العراق ومات، فقدم قزل أرسلان العراق، وكان يريد جرياً على قانون الأتابكة أن يكون مطلق الأمر بناء على

عادة أخيه الأتابكي، فكبر السلطان طغرل واستقل، فلم يلتفت إليه كثيراً، ولذلك السبب وقعت بينهما الحرب، وانهزم قزل أرسلان وقدم معظم جيشه إلى السلطان، وظل مريضاً مدة من الزمان ثم برأ من مرضه، فجمع جيشاً وقبض على السلطان وقيده وضربه على باب بيته خمس مرات وادعى السلطنة. وكان نائماً ذات ليلة في همدان في شعبان سنة خمس مائة وسبع وثمانين، فقتله شخص ولم يعلم من قتله، وظن الناس في تلك الأوقات بسبب تعصب جمع من الأعيان من أصحاب الإمام الشافعي، أنه صلب ولهذا كان السبب ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ (٦٩).

وكان حاكم الموصل وديار بكر الأتابك قطب الدين مودود بن زنكي بن أقسنغر، وتوفي أخو الأتابك نور الدين محمود بن سام في سنة خمس مائة وخمس وستين، وخلفه ابنه الأصغر غازي، وفي سنة خمس مائة وإحدى وسبعين وقعت الحرب بينه وبين صلاح الدين حاكم مصر، وهرب سيف الدين غازي وتوفي في صفر سنة خمس مائة وست وسبعين، وجعلوا أخاه عز الدين مسعود خلفاً له، وتوفي في آخر شعبان سنة خمس مائة وتسع وثمانين، ولما توفي فخر الدين قزل أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا، وأكثر بلاد ديار بكر جعلوا ابنه نور الدين محمد خليفته، وتوفي في سنة خمس مائة وإحدى وثمانين، وخلفه ابنه قطب الدين سقمان، وكان في الشام الأتابك نور الدين، وأقر كيفية تطهير الحمام الزاجل للأخبار على طريقة أهل بغداد في سنة سبع وستين وخمس مائة، وما زال هذا معهوداً.

وفي شوال سنة خمس مائة وثمان وستين، وبعد ذلك بسبب عدم خروج صلاح الدين صاحب مصر لغزو الفرنجة عزم على المجيء لمصر فمرض ومات في الخامس عشر من الشهر المذكور، وكان ابنه إسماعيل في الحادية عشرة من عمره، فخلفه وسموه الملك الصالح، ولما مات استولى ابن عمه غازي بن قطب الدين مودود صاحب الموصل على البلاد التي كانت له، وكان في مصر أسد الدين شيركوه الذي كان ابن عبد السلاجقة أصبح ملكاً حاكماً، بسبب أن العاضد خليفة الإسماعيلية كان قد ضعف وشاور الذي كان وزيره قد سيطر عليه، فأرسل العاضد إلى نور الدين أتابك الشام وطلب منه المدد؛ ليدفع خطر وزيره، فأرسل نور الدين شيركوه مع اثني عشر ألف رجل.

فخاف الوزير أنه عندما يصل يستولى على ملكه فطلب المدد من الفرنجة، فنزل شيركوه ذات ليلة في الجانب الغربى من النيل وتحارب الفريقان، فانهزم جيش مصر والفرنج ولجأوا إلى ساحل النجاة، فاستولى شيركوه على الإسكندرية، وترك ابن أخيه صلاح الدين هناك، ومضى إلى الصعيد الأعلى واستولى عليه، واستولى الفرنجة على مصر والقاهرة.

فأرسل كامل الشجاع بن شاور الوزير برسالة إلى الأتابك نور الدين، وادعى الصداقة، وتعهد بأن يرسل إليه مالا في كل عام، فرضى نور الدين، واستولى شيركوه وقتل شاور الوزير وحكم شهرين وخمسة أيام، وتوفى في الثانى والعشرين من جمادى الآخرة في نفس السنة، وأصبح صلاح الدين يوسف حاكماً لمصر، وأرسل أخاه الأكبر شمس الدين توران شاه إلى بلاد النوبة، فاستولى عليها وغنم منها وعاد كما استولى على بلاد اليمن، وكان العاضد في يوم الجمعة الثانى من المحرم سنة خمس مائة وست وستين، فجعل الخطبة باسم المستنجد خليفة بغداد، وسرعان ما وقع بينه وبين نور الدين جفوة بسبب ملك مصر، وفي سنة خمس مائة وإحدى وسبعين قامت بينه وبين سيف الدين غازى صاحب الموصل الحرب وهرب سيف الدين، ومضى صلاح الدين إلى تلك البلاد التى كانت فى حوزة الملك الصالح بن الأتابك نور الدين حتى بلغ حدود متيع^(٧٠)، وهرب وحاصر حصن حلب، وكان فيه الملك الصالح، ولما تعذر فتحه عاد إلى الصلح، واستولى على ميفارقين فى سنة خمس مائة وإحدى وثمانين وبعد ذلك أنجز أعمالاً عظيمة حتى آخر عمره، واستولى على بلاد كثيرة من الفرنج وديار بكر وغيرها، وكان أبناؤه وأقاربه وإخوته، كل منهم حاكماً على بلد من قبلكه، وتوفى فى دمشق سنة خمس مائة وتسع وثمانين.

وكان قد جعل ولاية العهد لابنه الأكبر نور الدين على، فاستقر فى دمشق خليفة له وسموه الملك الأفضل، ولكن لم يقدم له الولاء بعض نوى قرياه الذين كانوا ولاية بلاد الشام. وانفرد بالحكم فى مصر أخ آخر له يسمى عثمان وتلقب بالملك العزيز، وقدم دمشق فى سنة خمس مائة وتسعين، وحاصرها، وطلب الملك الأفضل المدد من عمه الملك الغازى، فقدم الظاهر صاحب حلب وناصر الدين ناصر بن محمد بن تقي الدين صاحب

جما، وأسد الدين شيركوه حفيد شيركوه الكبير صاحب حمص بجيش عظيم مدداً للملك الأفضل، ولما رأى الملك العزيز أن أمره كبر رضى بالصلح، وقرروا له بيت المقدس، وأعمال فلسطين، ومصر للملك العزيز، والملك الأفضل دمشق، وطبرية، وأعمال الغور، والملك الظاهر الحلة، واللاذقية، والساحل، وأن يكون إقطاع مصر للملك العادل، ومضى كل واحد من هؤلاء الملوك إلى بلادهم.

واستولى يوسف بن عبد المؤمن على ولاية نقصة، وهى من أعمال إفريقيا فى المغرب، وكان أول الأتابكة فى فارس تكله السلغرى، ولما توفى أصبح الحكم للأتابك مظفر الدين سعد بن زنكى.

وكان وزير المستنجد أبو جعفر أحمد بن محمد بن شعيب البلدى، فقتله أبو الفرج محمد بن عبد الله وزير المستضى، وتوفى سيدى محى الدين أحمد بن الحسن الرفاعى فى سنة خمس مائة وخمس وسبعين، وخلفه سيدى على بن عثمان بن أخته. وتوفى فى سنة خمس مائة وإحدى وثمانين، وخلفه أخوه سيدى عبد الرحيم، وتوفى فى عصر الخليفة الناصر فى سنة خمس مائة وثلاث وتسعين، وتوفى المستضى فى سنة خمس مائة وثمانين، وكانت مدة خلافته أربعة عشر عاماً.

الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضى: كان الخليفة الرابع والثلاثين من خلفاء بنى العباس، والثالث والخمسين بالنسبة للنبي (ﷺ). وفى أيام خلافته كانت بسايتين آمال الناس ناضرة، وتنتظر عين السعادة إلى جماله المنقطع النظير، وانقطعت أسباب الفساد كلها من الدنيا، ومحيت آثار الفتنة من صفحات الآلام فى عهد دولته، ودامت سلطنته أكثر من سلطنة معظم الخلفاء، واستولى على بيت المقدس من الفرنجة. وكان عظيماً فاضلاً شجاعاً صاحب رأى، وكان قد جعل ولاية العهد فى حياته للمستضى، وأمر بأن يذكروا اسمه فى الخطبة، وأن يزينوا السكة بحلية اسمه، وكان قد تولى عقد البيعة أبو الفضل عبد الله بن على، وقبله كان فى بغداد قحط عظيم.

وكانت أيامه رخاء وحلت الراحة بدل المشقة، وبلغت راية رفعتة أقاصى العالم. وتوفى فى أيامه ملك الشعراء أفضل الدين الخاقانى الحاقانى فى تبريز سنة اثنتين

وثمانين وخمسمائة^(٧١)، وفي عهده كانت بلاد خوارزم، وجزء من خراسان، والعراق في حوزة السلطان معز الدين تكش بن أرسلان، وارتفعت بعده راية دولة السلطان سكندر علاء الدين، وكانت ولاية الجبال، والغور جزء من خراسان تحت سيطرة غياث الدين، ومعز الدين اللذين كان يتصل نسبهما بمحمد بن سام، وكانت ولاية ما وراء النهر للسلطان جلال الدين طمغاج خان إبراهيم بن الحسين، وبعد ذلك وصلت لابنه، وبعد ذلك استولى السلطان سكندر على تلك الولاية.

وكان أبو الفضل محمد بن علي بن أحمد المشهور بابن البيضا وزيراً لناصر، استدعاه أمير المؤمنين من شيراز في سنة أربع وثمانين وخمسمائة، وأسند إليه ديوان الإنشاء، وارتدى خلفه الوزارة في رجب سنة تسعين وخمسمائة، وأرسله بعد فتح خوزستان للاستيلاء على بلاد العجم.

ولما بلغ حلوان، تقدم إليه قتلغ إينانج بن جهان بهلوان، فاحترمه الوزير وتوجهها متفقين إلى همدان، وكان جيش الخوارزميين هناك، وكان رئيسهم مياجوق، ولما وصل الوزير بالجيش، هربوا وسلمت همدان للوزير، وتعقب مع قتلغ إينانج الخوارزميين، وهزمهم في جرجان، وعاد جيش الخليفة من بسطام واستولى على الري، وبسبب ذلك خلت الولاية من جيش الخوارزميين، وعزم قتلغ إينانج، وأمراء العراق على مخالفة الوزير، ومضوا إلى الري وبدأوا العصيان؛ فحاصر الوزير الري وتوجه قتلغ إينانج إلى آبه، ولم يسمح له أتباع الوزير، وتوجه من هناك بالجيش قاصداً كرج، فمضى الوزير في عقبه وتحاربا، فانهزم قتلغ إينانج.

وجاء الوزير إلى همدان حيث توفي، وكانت مدة وزارته عامين، ووصل خوارزم شاه في أعقاب ذلك، وأخرجه من القبر وأحرقه، وأرسل رأسه إلى خوارزم وتوجه إلى بغداد.

وأرسل الخليفة الشيخ شهاب الدين السهروردي برسالة إليه، ولكنه لم يسمع كلامه، وسقط في الطريق ثلج غزير على الجيش؛ فخاف السلطان وعاد، وبعد ذلك أسند الوزارة إلى مولانا فريد الدين أبي الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم القمي.

فى سنة ستٍ وثمانين وخمسمائة استشهد الشيخ شهاب الدين أبو الفتوح يحيى بن أوكا السهروردى المعروف بخالق البرايا فى حلب، وكان فى الثامنة والثلاثين من عمره، ويقال: إنه كان فى الخمسين. وتوفى فى عهده السلطان تكش خوارزم شاه فى سنة خمسمائة وستٍ وتسعين، وتوفى فى جمادى الأولى السلطان غياث الدين أبو الفتح محمد بن سام الغورى فى سنة خمسمائة وتسعٍ وتسعين، وكان السلطان سليمان بن قليج فى الروم، واستولى على مدينة ملطى من أخيه معز الدين قيصر شاه بعد حصارها عدة أيام فى رمضان سنة خمسمائة وسبعٍ وتسعين، ومضى من هنا إلى أرزن الروم وكان بن محمد سليق من الحكام القدامى هناك فخرج لاستقباله ليصطلح، فقبض عليه السلطان وقيده وأخذ أرزن الروم بحد السيف وسقطت دولة هؤلاء القوم.

وقدم الملك العادل، والملك العزيز بجيشهما من مصر إلى الشام فى رجب سنة خمسمائة وثلاثٍ وتسعين وحاصر دمشق وأسر الأفضل وأرسله إلى القلعة، وأصبحت مصر للعزيز ودمشق للعادل، وأرسل الأفضل علياً من حبسه إلى الخليفة الناصر واستغاث بهذين البيتين :

مولاي إن أبا بك وصاحبه عثمان قد غصبا بالسيف حق على
فانظر إلى خط هذا الاسم كيف لقي من الأواخر ما لقي من الأول

وتوفى عزيز مصر فى العشرين من محرم سنة خمسمائة وخمسٍ وتسعين، فاجتمع الأمراء واستدعوا الأفضل، فوصل مصر فى الخامس من ربيع الأول من السنة المذكورة، فاستقبله إخوته وقادة مصر وأعيانها، وأعد كل من أخيه الملك المؤيد مسعود، وفخر الدين جركس الأمير مراسم الضيافة، فحضر فى بيت أخيه، وكان فخر الدين جركس أميراً عظيماً، ولهذا السبب ساء ظنه وهرب ومضى إلى بيت المقدس واستولى عليها، واجتمع عبيد الناصر الذين كانوا الأفضل عليه، ولما اجتمع قراة زردقوش وقرأ سنقر، وميمون القصرى أرسلوا رسالة إلى الملك العادل فحواها: تعال لنكون مدداً لك ونأخذ مصر، وكان مشغولاً بمحاصرة مردين، وكان مطمعه أن يستولى عليها وألا تقلت مصر.

ودخل الأفضل مدينة القاهرة فى السابع من ربيع الأول، وسمع أن جركس هرب، واتفق معه جماعة من أمراء ناصر، فقبض على بعض الأمراء الناصريين الذين كانوا فى مصر مثل: شقير، وأبيك أفتس، ووايل بيكى، وكانوا شجعاناً مبارزين فحبسهم.

وتمكن الأفضل فى مصر، وكان مدبر الملك سيف الدين باركح^(٧٢)، وأرسل حكام بلاد الشام للأفضل، ودعوه للاستيلاء على دمشق، فأبدى الأفضل تهاوئاً وتحالف معهم فبلغ الخبر العادل، وترك ابنه الكامل فى مردين وقدم دمشق بسرعة وطلب عبيد الناصرى بيت المقدس، وعزم على المجئ، ووصل كذلك ابنه الكامل، ولما رأى الأفضل أن الأمر لن يكون سهلاً مضى إلى مصر، فأنفذ الملك العادل جيشاً إلى مصر فى سنة خمس مائة وتسع وتسعين، وخرج الأفضل بجيش قليل وحارب وانهزم ومضى إلى قلعة سرخد، واستولى على ميفارقين وتلك النواحي. وتمكن الملك العادل فى مصر وجعل الخطبة والسكة باسمه، واصططح مع إخوته ثمانية، وفى هذه الأعوام جمع أرسلان شاه صاحب الموصل الجيوش، ومضى إلى حران، والرها التى كانت خاصة بالعادل، وكان معه قطب الدين محمد صاحب سينجار، ونصيبين، وصاحب ماردين، ولما بلغ حران كان الجو حاراً؛ فمات كثير منهم بالمرض، وكان الفائز ابن الملك العادل فى حران، فأرسل شخصاً وطلب الصلح، وكان نور الدين قد سمع أن الصلح أبرم بين الملك العادل والملك الظاهر والأفضل اصططح معه، ومضى كل واحد إلى مقره.

وكان قد وقع بين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، وبين ملوك الفرنجة حروب شديدة، وتوفى فى مدينة سلا فى الثامن عشر من ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وستمائة، وخلفه ابنه محمود، ودان له بالطاعة أهل مدينة مهدية الذين عصوا أباه، واستقرت له البلاد، وكان الأتابك مظفر الدين سعد بن زنكى فى فارس، وفى كرمان كان الملك دينار وهو من أمراء الغور، وتوفى بمرض الصدر فى ذى القعدة سنة خمس مائة وإحدى وتسعين، وكان ابنه علاء الدين قرخ شاه الذى كان حاكم بم من قبل خلفه، ومضى إليه سانس خيل غزان سيف الدين ألب أرسلان، وتوفى قرخ شاه فى رجب سنة خمس مائة واثنين وتسعين، وخلفه أخوه شجاع الدين، وخرب غزان كثيراً.

وكان فى الغور، وغزة، وبعض من الهند السلطان شهاب الدين، وتحارب مع بنى كوكر فى المحرم سنة ستمائة وست، وركب إليهم فى الخامس من ربيع الأول، وسمع أن لهم جيشاً كثيفاً بين جيلم وسودره، فمضى سريعاً ووصل إليهم فى الخامس والعشرين من ربيع الآخر فى السنة المذكورة، وتحاربوا حرباً شديدة، فوصل فجأة غلام السلطان قطب الدين أيك بجيش فشد عليهم وقتل كثيراً منهم، فهرب الهنود، ومضوا إلى جبل كبير وأشعلوا ناراً عظيمة، وطرحوا أنفسهم فيها، واحترقوا ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (٧٣)، وغنم الجيش مغانم عظيمة، وهرب ابن كوكر حينما احترق إخوته وأهله ولجأ إلى ابن دانيال مع قطب الدين ومضى السلطان من معبر الجبل فى غرة رمضان سنة ستمائة واثنيتين، وأقام له قصرًا على شاطئ نهر السند فى موضع يسمى داسل، وقدم هنديان أو ثلاثة لقتله، وخرجوا من الماء ذات يوم فى وقت الظهيرة وقتلوا السلطان.

فاجتمع الأمراء وكان للسلطان غلام عاقل فقام مقام أيبك، فأجلسوه على العرش ولقبوه بالسلطان شمس الدين، واشتهر فى أطراف وأقطار بلاد الهند.

وكان كوشلوك خان فى التركستان، وهزمه جيش جنكيز خان فى سنة ستمائة وست عشرة. ومضى جنكيز خان إلى أرض إيران فى سنة ستمائة وست عشرة، وفى هذه الأعوام المذكورة ألقى الخليفة الناصر فى بغداد عن الخلق ضريبة حق السعى وهى مثل التمغا، وكان سبب ذلك وفاة ابنته فاشتروا عدة أبقار للصدقة، وكان ذلك فى وقت حساب التمغا، فأمر الخليفة بالألا يجمعوا الضريبة من أحد بعد، وأقام كثيراً من المبرات فى بغداد، وأمر بأن ينادى المنافون فى شطرى بغداد طالبين من الفقراء أن يتناولوا طعام الإفطار فى رمضان، وكانوا يوزعون فيها لحم الخراف والخبز الرقيق وحلوى النشا، وبنى خانقاه على شاطئ الفرات يسمى مرزبانية.

وتوفى فى عهده سيدى محى الدين إبراهيم الأعراب بن على الرفاعى فى سنة ثمان وتسعين وخمسائة، وأصبح ابن عمه سيدى شمس الدين محمد بن عبد الرحيم الرفاعى خلفاً له، وتوفى فى سنة ستمائة وسبع، وأقام مقامه أخوه سيدى قطب الدين أبو الحسن بن عبد الرحيم، وتوفى فى سنة أربع وعشرين وستمائة، وخلفه عمه سيدى

نجم الدين وتوفى ملك الشعراء ظهير الدين طاهر بن محمد الفريابي^(٧٤) فى سنة خمس مائة وثمان وتسعين فى شهر ربيع الأول فى تبريز، وتوفى سيد الشعراء جمال الدين شاهبوز بن محمد الأسهرى^(٧٥)؛ النيسابورى فى تبريز فى سنة ستمائة، ودفن كل منهم إلى جانب الخاقانى فى سرخاب، وتوفى مولانا الإمام فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازى فى هراة فى غرة شوال سنة ستمائة وست^(٧٦).

وكانت ولادة المبارك الناصر فى رجب سنة خمس مائة وثلاث وخمسين، وعاش أربعة وسبعين عاماً وأربعة أشهر، وتوفى فى بغداد يوم الأحد الثانى من ذى القعدة سنة ستمائة وسبع وعشرين، وغسله ابن الجوزى، وكانت مدة خلافته سبعة وأربعين عاماً.

الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد بن الناصر: كان الخليفة الخامس والثلاثين من خلفاء بنى العباس والرابع والخمسين بالنسبة للنبي (ﷺ). أصبح خليفة بعد أبيه واحترقت قباب موسى الجواد فى عهده، وبنى جسر الحديد فى بغداد، وكان أول حكم أمر به الإغناء من الضريبة فى جميع ممالكه، وألا يؤخذ أى درهم فضى قط من العظماء، وأمر بأن ينادى فى بغداد بأن كل من له مظلمة عند أمير المؤمنين الناصر، فيقدمها حتى تصل أموالهم إليهم، فقدم الناس الذين سلبت أموالهم وعرضوا مظالمهم، فأمر بأن تدفع إليهم أموالهم من خزانة الدولة، واتفق علماء بغداد بأنه لم يكن لخليفة آخر ما للظاهر من حسن السيرة، وسداد السريرة، والشفقة على الناس، وإكرامهم، ولكن مدة حكمه كانت قصيرة مثل أيام الورد، وكانت مدة خلافته تسعة أشهر.

وكان فى أيامه السلطان عز الدين كيكافوس بن كيخسرو بن قليج أرسلان فى الروم، وتوفى بمرض السل، وأخرجوا أخاه علاء الدين كيقيباده الذى كان فى القلعة وجعلوه ملكاً، لأن ابنه كان طفلاً، وخالف عمه صاحب أرزن الروم، وصالحهما الملك الأشرف صاحب الأخلاط، وكان السلطان بدر الدين لؤلؤ فى ديار بكر، والاتاك أوزبك فى تبريز، وتوفى قطب الدين محمد عماد الدين زنكى بن قطب الدين مودود بن أقسنغر حاكم تبريز، وخلفه ابنه شاهنشاه، وكان أبناء الملك العادل فى المدن الأخرى.

وفى الشام كان الملك المعظم من أبناء الملك العادل، وفى مصر الملك الكامل، وفى شيراز الأتابك سعد الدين بن زنكى، وفى كرمان الملك شجاع الدين.

ولما مضى براق الحاجب إلى الهند مر فى تلك النواحي، فطمع الكرمانيون بناء على رغبة عبيده الذين كانوا خدمه وحشمه فهاجموه، ولكنه لاينهم ولاطفهم، وقال: أمر من هنا، وليست لى معكم مصلحة، إلا إنهم لم يستمعوا إليه، وحارب مع قومه حرباً عنيفة وقتل منهم الكثير، وقتل الملك شجاع الدين، واستولى على كرمان.

وتوفى الظاهر يوم الجمعة الثالث عشر من رجب سنة ستمائة وثمان وعشرين، وكانت مدة خلافته تسعة أشهر وأربعة أيام.

المستنصر بالله أبو جعفر المنصور بن الظاهر: كان الخليفة السادس والثلاثين من خلفاء بنى العباس، والخامس والخمسين بالنسبة للنبي (ﷺ). كان صاحب خيرات، كريماً، وعمر قباب موسى الجواد، وأقام المدرسة المستنصرية فى بغداد، وانقرض الخوارزميون فى عهده واستولى المغول، ومضى جورماغون إلى بغداد، وحارب شرف الدين إقبال سرايى^(٧٧)، وكان جمال الدين قوشتمور قائد الجيش، فخرج الخليفة من بغداد، واستحضر الخواص والعوام، وأراد أن يخرج بنفسه لمحاربة المغول، فقال الملوك والأمراء: لا ينبغى للخليفة أن يتعب نفسه ونحن العبيد نمضى إليهم ومضوا جميعاً وحاربوا فى بسالة، وهزموا المغول فى جبل حمري^(٧٨)، وتعقبهم جيش الخليفة وقتلوا كثيراً منهم، واستردوا أسرى نيل وبنوق^(٧٩).

وتوفى الشيخ شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن سعد بن الحسين بن القاسم بن محمد عبد الله بن عبد الرحيم بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق السهروردى فى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، وذكر بن الفوطى المؤرخ^(٨٠): قدم الشيخ شهاب الدين بغداد فى رجب سنة خمس وخمسين وخمسائة، ودخل طريق العزلة، والمعاملة مع الله فى سنة خمسائة وست وستين، وتوفى يوم الأربعاء غرة المحرم سنة ستمائة واثنين وثلاثين.

وفى أيامه كان السلطان ركن الدين فى بلاد الروم، وفى مصر الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، وفى الموصل بدر الدين لؤلؤ. وفى سنة ستمائة وتسع وثلاثين عين سيد تاج الدين محمد بن صلابة حاكماً على أردبيل، وهجم المغول ثانية على ديار بكر فى سنة ستمائة واثنين وأربعين، واستولوا على حران والرها وعلى ماردين صلحاً، وهرب شهاب الدين غازى إلى مصر، وتوطد له فيها الأمر.

وكان فى فارس الأتابك أبو بكر، وفى كرمان ركن الدين قتلغ السلطان بن براق الحاجب، وفى خراسان أرغون آقا، وفى خوارزم جينتمور.

وتوفى المستنصر فى يوم الجمعة العاشر من جمادى الآخرة سنة ستمائة وأربعين، وكانت مدة خلافته اثنى عشر عاماً وعشرة أشهر.

المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله بن المستنصر: كان الخليفة السابع والثلاثين من خلفاء بنى العباس، والسادس والخمسين بعد النبى (ﷺ). لما ازدانت مرافق الخلافة بجماله وأصبحت إرادته نافذة فى بلاد الإسلام، أمر بأن جميع الخيرات التى ظهرت فى أيامه أن يقرروها ويضاعفوها، وتمسك السلطان شمس الدين إيلتمش بحبل ولانه، واستعصم بذيل جلالته.

وفى أيامه خلع حسام الدين خليل بن بدر خورشيد البلوجى الذى كان من أكابر الأكراد طاعة الخليفة، ولجأ إلى المغول، وكان قبل ذلك يلبس لباس الصوفية، وعد نفسه من مريدى سيدى أحمد الرفاعى، وفى هذا الوقت تشاور مع جمع من المغول. فمضى إلى خوانجان وهى من توابع النجف، وهاجم جماعة من أتباع سليمان شاه وقتل وأغار، فعلم سليمان شاه الخبر، فطلب من الخليفة الإذن وتوجه إليه، ولما وصل حلوان كان قد نصب كميناً لسليمان شاه فى موضع يسمى سهر، وتحارب مع حسام الدين وانهزم، وسار خليل فى أعقابهم فنصب الجنود لهم كميناً، وحاصروهم، وقتلوا كثيراً منهم، وأسروا خليلاً وقتلوه.

وفى الروم كان السلطان عز الدين كيكاوس، ولما عاداه أخوه علاء الدين وتوجه إلى أنكرية^(٨١)، فأحضره من هناك، وحبسه فى قلعة هشيبار لمدة سبعة أعوام،

ولما توفي عز الدين، صار علاء الدين ملكاً حتى عهد المستعصم، وأعد بدر الدين لؤلؤ جيشاً في الموصل، وطلب المدد من تاج الدين محمد صلاحية صاحب أربيل، فأرسل له ألف رجل، فاتجه بدر الدين لؤلؤ إلى ماردين، كما حشد سلطان ماردين جيشاً وطلب المدد من حلب ولما تقابلا، انهزمت ميمنة المارديين، وتعقبهم جيش الموصل وغنموا، فهجم ابن القاهري قائد جيش حلب على قلب جيش الموصل، وألحق به الهزيمة، فهرب بدر الدين لؤلؤ مع عشرة رجال، وجاء إلى الموصل وسلبوا خزانته.

وتوفي الملك الصالح أيوب في مصر، وفي سنة ثمان وأربعين وستمائة تفررت سلطنة مصر للملك المعظم توران شاه بن أيوب بن الكامل الذي كان ملكاً على حصن كيفا، وتحارب مع جيش الفرنجة الذي كان قد استولى على دمياط وأطراف مصر، وقتل ما يقرب من ثلاثين ألفاً من الفرنجة، ووقع ملكهم أفريدش في الأسر، واستخلص دمياط، وبعد ذلك اتفق المماليك البحرية على قتل السلطان، وكان أيبك التركمانى الذى كان رئيس الأمراء قد حضر مائدة السلطان، وفي أثناء الحديث ضرب السلطان بالسيف، فهرب السلطان في بيت جوبين، فأنصرم المماليك النار في البيت، فصعد إلى السطح، فرشقه أيبك بسهم، فلقى بنفسه في البحر، فقبضوا عليه وقتلوه ركلاً وطرحوه في البحر، وكان من عهد شيركوه حتى انقراض دولتهم ثمانية وثمانون عاماً.

ولما عرف أسرى الفرنج هذا الخبر حطموا القيود وجعلوا يقتلون المسلمين، فدخل الخدام التركمانيون، وحاصروهم في حلقة وقتلوا ثلاثة عشر ألفاً منهم في لحظة واحدة، وقرروا لأفريدش مائتي ألف دينار. واستولى أيبك التركمانى على مصر في سنة ستمائة واثنين وخمسين، ولم يبق أحد من أبناء الملك الكامل، وقتله الأمير أقطاي جامة في القلعة، وأمر أن تكون الخطبة والسكة باسمه، وأصبح سلطاناً. وكان السلطان ركن الدين في كرمان، وقدم أخوه من عند منكوكان في سنة ستمائة وخمسين، فهرب ركن الدين وطلب الأمان من دار الخلافة، فلم يمكنوه من هذا خوفاً من المغول، وتوجه من هناك إلى منكوكان، فتعقبه قطب الدين ودخل على يارغو، وسلموه إلى قطب الدين بعد أن ثبت ذنبه فقتله، وأصبحت له سلطنة كرمان.

وكان الأتابك مظهر الدين أبو بكر في فارس، وتوفي سيدي نجم الدين بن أحمد بن علي الرفاعي في سنة ستمائة وثمانٍ وأربعين، وأصبح سيدي شمس الدين أحمد بن محمد بن عبد الرحيم ابن أخته خلفاً له.

وكان انقراض ملك خلفاء بني العباس بالمستعصم، فمضى هولاكو لمحاربته وقتله مع معظم أهل بغداد، وسيأتي هذا الخبر في القسم التاسع من تاريخ المغول، وكان مقتله يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر سنة ستمائة وستٍ وخمسين، ومدة خلافته خمسة عشر عاماً وثمانية أشهر وأربعة أيام.

نسبه: عبد الله بن منصور بن محمد بن أحمد بن حسن بن يوسف بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن جعفر بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (رضوان الله تعالى عليهم).

هوامش القسم الثالث

(١) قس بن ساعدة بن عدى بن مالك، من بني إيراد، أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية، كان أسقف نجران، ويقال: إنه أول عربي خطب متوكئاً على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه: أما بعد. وهو معبود في المعمرين، طالت حياته وأدرك النبي (ﷺ) قبل النبوة ورآه في سوق عكاظ. الزركلي: الأعلام، ج٥، ص١٩٦.

(٢) عندما يتصدى البناكتي لذكر أنساب العرب في بداية تاريخهم، لا يكتفى بذكر ما يقول الناسيون، وإنما يلحق أنساب العرب القدماء أنساب غيرهم من الشخصيات في الجاهلية وغيرها من شعراء وكرماء وملوك وفقهاء، وهذا من الدليل على قدرة البناكتي على الاستيعاب والنظر في التاريخ على أنه علم، كما يجمع المعلومات في عموم وشمول، إنها ليست مجرد روايات تروى وأخبار تقص. (٣) سورة البقرة: آية ٢٤٨.

(٤) وقد ذكر القرطبي في تفسيره وكذا ابن كثير أن التابوت أنزله الله على آدم (ﷺ)، فكان عنده إلى أن وصل إلى يعقوب (ﷺ)، فكان في بني إسرائيل يغلبون به من قاتلهم حتى عصوا فغلبوا على التابوت، غلبهم عليه العمالقة، أما ما كان في التابوت فكان فيه سكين، اختلف علماء التفسير في توليها والأغلب أنها ما كانت سبباً في سكن قلوبهم واطمئنانهم، أما البقية مما ترك آل موسى، وآل هارون فهي عصا موسى، وعصا هارون، ورضاض الألواح. انظر القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ٢/٢٤٩. ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ١/٣٠٢.

(٥) هذه الرواية غير صحيحة فمن المعلوم والمعروف والمشهور أن أباه توفي وهو ما زال (ﷺ) في بطن أمه. (٦) سورة البقرة: آية ٢٨١.

اتفق جمهور علماء التفسير على أن هذه الآية هي آخر ما نزل من القرآن، وحكى عن أبي بن كعب، وابن عباس، وقتادة، أن آخر ما نزل قوله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ...﴾، ولكن القول الأول أعرف وأكثر وأصح وأشهر.

أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٢، ص٢٧ (بيروت بدون تاريخ). وينظر كذلك، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ج١، ص٢٢٤ (بيروت ١٩٨٤).

(٧) سورة الحجر: آية ٩٤، ٩٥.

(٨) روى البخارى فى صحيحه عن البراء بن عازب (رضى الله عنه): أن القيلة حوت فى صلاة العصر، وليس فى صلاة الصبح، أما ما ذكره البناكتى فقد رواه الإمام مالك عن ابن عمر، والرأى الأول أولى.

الإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى: فتح البارى بشرح صحيح البخارى، ج٨، ص٢١ (القاهرة ١٤٠٧هـ).

(٩) لا يوجد من زوجات النبى (صلى الله عليه وسلم) اللاتى دخل بهن من هى بهذا الاسم، ولكن ذكر القرطبى أن النبى (صلى الله عليه وسلم)، تزوج أسماء بنت النعمان الكندية، ولكنه لم يدخل بها. ونرى أن هذا الخطأ وقع من النساخ.

القرطبى: الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص١٦٧.

(١٠) عبارة وهى التى وهبت نفسها للنبى (صلى الله عليه وسلم)، مأخوذة من الآية رقم ٢٢ من سورة الأحزاب.

(١١) عطار بن حاجب بن زرارمة التميمى، خطيب من سراة بنى تميم، قيل وقد على كسرى فى الجاهلية، وطلب منه قوس أبيه فردها عليه، وكساه حلة ديباج، ولما ظهر الإسلام وفد على النبى (صلى الله عليه وسلم) فكان خطيبه واستعمله على صدقات بنى تميم، وارتد بعد وفاة النبى (صلى الله عليه وسلم) وتبع سجاح، ثم عاد إلى الإسلام، وقال فى سجاح:

أضحت نبيتنا أنثى يطاف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

الزركلى: الأعلام، ج٤، ص٢٣٦.

(١٢) هذه الرواية غير صحيحة، حيث إن مسيلمة قتل فى ميدان المعركة، واشترك فى قتله وحشى قاتل حمزة بن عبد المطلب، ورجل من الأنصار.

الشيخ محمد الخضرى بك: إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء، ص٢٢ (القاهرة نشر دار الوفاء، بدون).

(١٣) من المعروف أن الحكم فى عهد الخلفاء الراشدين، لم يكن وراثياً، بل كان شورياً، وهذا يناهى ما ذكره المؤرخ، من أن أبا بكر جعل ولاية العهد لعمر (رضى الله عنهما).

(١٤) هذه عبارة خطأ، حيث إنه لا يطلق هذا اللقب إلا على النبى (محمد صلى الله عليه وسلم) فقط.

(١٥) عندما تحدث البناكتى عن عمر (رضى الله عنه)، استطرد وذكر سلمان الفارسى كثيراً، وكان حديثه عنه طويلاً كما سرد قصة إسلامه، وكان حديثه عن سلمان الفارسى أطول من عمر (رضى الله عنهما).

(١٦) صححت فى الهامش "مائة وخمسة وتسعين حديثاً".

(١٧) سورة البقرة: أية ١٢٧.

(١٨) يهتم البناكتى بسيرة صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فيذكر دائماً سنهم، وعدد الأحاديث التى رويها عن النبى (عليه السلام)، ولذلك يمكن القول بأن هذا القسم من الكتاب يعد مرجعاً مهماً فى التعرف على رواية الأحاديث النبوية.

(١٩) هكذا فى الأصل.

(٢٠) المئات: مكيال معروف قديماً يزن رطلين، والرطل اثنتا عشرة أوقية.

ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٤٩١.

(٢١) يميل البناتكتي إلى تعداد الأبناء وتعيينهم بأسمائهم، ونرى أن هذا إفراط منه في الدقة، كما أنه يعنى عناية كبيرة باختلاف الروايات في تحديد الولادة والوفاة.

(٢٢) هو أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الطبري الرازي، كان من فلاسفة المذهب الشيعي وفقهائه، يعد من علماء إيران الكبار في القرن السادس الهجري، الذين برعوا في العلوم الإسلامية، وله الكثير من المؤلفات في كثير من الفنون، وكان من المعارضين لابن سينا، وله الكثير من المؤلفات العربية والفارسية.

زهره خاظمي: فرهنگ ادبيات فارس، ص٢٦٧، ٢٦٨ .

(٢٣) هكذا في الأصل.

(٢٤) الشرع لا ينسب إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، ولكن الشرع يضاف إلى الإسلام - وهو الدين - فيقال: الشرع الإسلامي، والشرعة الإسلامية، يحاول كثير من المستشرقين إضافة اسم النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى الشريعة، فيقولون: الشريعة المحمدية، ويقولون عن أمة الإسلام: المحمديون، وذلك تشبيهاً بالمسيحيين، ولذلك يحذر من الخلط.

(٢٥) سورة المائدة: آية ٤٥ .

(٢٦) هكذا في الأصل.

(٢٧) هكذا في الأصل.

(٢٨) هكذا في الأصل.

(٢٩) أم الولد: هي الأمة التي تحمل من سيدها، وتتجب فإذا ولدت ولداً سميت أم ولد، وعندئذ لا يجوز بيعها ولا التصرف فيها.

(٣٠) الحديث رواه أبو داود، وسكت عنه.

انظر عون المعبود في شرح سنن أبي داود، ج١١، ص٣٧٣ .

(٣١) سورة الزمر: آية ٣٠ .

(٣٢) هذه العبارات وردت باللغة العربية هكذا في متن الكتاب.

(٣٣) سورة النحل: آية ٩٠ .

(٣٤) يلاحظ على البناتكتي في هذا الموضوع، أنه لا يسرد الوقائع فقط، لكنه عندما يذكر حقيقة تاريخية يرى فيها العظة والعبرة يذكرها بأسلوب تغلب عليه المحسنات البديعية رغبة منه في أن يعرضها في مظهر يقع في النفس موقعاً طيباً، كما أنه يتصدى للتعقيب عليها، كما يذكر كلاماً في الحكمة، وهذا ينهض دليلاً على أن التاريخ ليس مجرد سرد للوقائع، بل هو الاستفادة من هذه الوقائع، والخروج منها بالعبرة والعظة.

(٣٥) ذكر البناتكتي هذا البيت مترجماً إلى الفارسية، ولم يذكر أصله العربي.

(٣٦) اختلف المؤرخون في اسمه وكنيته ولقبه، فذكروا له ثلاثة أسماء هي: الحسن، وعبد الرحمن، ومحمد، ويكنى بأبي علي، وأبي جعفر، تربى في أسرة عريقة تعرف بالفضل والعلم والأدب، واشتهر جلهم بالشعر كما يقول ابن رشيق القيرواني، ويعد دعبل من العلماء والمتكلمين ومن حملة الأدب والتاريخ، ومن الواقفين

على اللغة والرواية، وله كثير من المؤلفات إلى جانب ديوان شعر، ولد سنة ١٤٨هـ، وتوفي سنة ٢٤٦هـ.
دعبل بن علي الخزاعي: ديوان دعبل، جمعه وقدم له عبد الصاحب عمران الدحيلي، الطبعة الأولى (بيروت ١٩٧٢م)، صه وما بعدها.

(٣٧) الحديث رواه الترمذي، وأبو داود، وابن ماجه.

الترمذي: سنن الترمذي، ج ٣، ص ٦٠٥ (دار الحديث - القاهرة).

(٣٨) هو الحكيم تاج الشعراء محمد بن علي السوزني، ولد في كلاش من توابع سمرقند، مضى إلى بخارى؛ لتحصيل العلوم الدينية مثل التفسير والحديث، كما يعرف اللغة التركية واللغة العربية، تحتوى أشعاره على الكثير من الأحاديث والإشارات إلى الآيات القرآنية، وله ديوان شعر يحتوى على القصائد والغزليات والقطع والمسمطات والرباعيات.

حكيم سوزني سمرقند: ديوان حكيم سوزني، باهتمام دكتور ناصر الدين شاه حسيني، (تهران ١٣٦٦ شمسي).

(٣٩) هو أبو إسحاق إبراهيم بن ماهان، ويقال له أيضاً: ميمون، لم يكن من الموصل، ولكنه سافر إليها وأقام بها مدة فنسب إليها، لم يكن في زمانه مثله في الفناء واختراع الألحان وغنى للرشد، ولد بالكوفة سنة ١٢٥هـ، وتوفي في بغداد سنة ١٨٨هـ، وقيل سنة ٢١٣هـ.

شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ج ١، ص ٤٢، ٤٣ (بيروت بدون تاريخ).

(٤٠) سورة الجاثية: آية ٢١ .

(٤١) شبه الفضل وزير هارون بهامان وزير فرعون، وهذا المعنى مأخوذ من القرآن الكريم.

(٤٢) ذكر البناكتي لكن في هذا البيت ليكن تأثر بالأسلوب الفارسي، ويمكن أن تكون من خطأ النساخ.

(٤٣) البناكتي يؤرخ بأسلوبين مختلفين في كتابه، وأقصد من ذلك أنه في مواضع السرد التاريخي يختار أسلوباً سهلاً وعبارات معناها في ظاهر لفظها، أما إذا تحدث عن أمر مهم أو أمر مستطرف فإنه يغير أسلوبه السهل الواضح بأسلوب النثر الفني الذي يتضمن المجاز والسجع، ولكنه مع ذلك لا يذكر جملاً طويلة، كما يعقب على الخبر المهم دائماً بذكر الشعر العربي والفارسي وغيرهما، ويبدو هذا جلياً في وصفه لما وقع بين الفضل بن يحيى والعباسة، كما تصدى لوصف العلاقة بينهما بذكره كلاماً يخرج عن نطاق الحشمة.

(٤٤) وردت هذه القصيدة كاملة في كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر).

أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ج ٢، بيروت بدون تاريخ، ص ٣٩٨ .

(٤٥) هو سلم بن عمرو، كان من شعراء الدولة العباسية، ومنقطعاً إلى البرامكة، وكان فاسقاً ماجناً باع مصحفاً كان ورثه عن أبيه فاشترى بثمنه طنبوراً، وقيل اشترى بثمنه دفتر شعر، فشاع في الناس خبره، فسمى الخاسر بذلك، ولكنه كان يقول: أنا الرابع ولست بالخاسر، وكان تلميذاً لبشار بن برد، توفي سنة ١٨٠هـ.

ابن المعتز: طبقات الشعراء، تحقيق عبد القادر أحمد فرج (القاهرة ١٩٥٦)، ص ١٠٠ .

(٤٦) يبدو البناء كى متعاطفاً مع البرامكة، وربما كان تعاطفه هذا مرده أنه فارسي منهم، لقد بالغ في وصفهم بالجد والكرم، وقال: إن آية الكرم نزلت فيهم، وذكر الكثير من الأبيات العربية، والقليل من الأبيات الفارسية التي قيلت فيهم.

(٤٧) سورة النازعات: الأيتان ٤٠، ٤١ .

(٤٨) سورة آل عمران: آية ١٣ .

(٤٩) سورة الحديد: آية ٢٠ .

(٥٠) ورد هذا البيت في مروج الذهب.

هل رأيت النجوم أغنت عن المأمور ن أو عن ملكه المأمور

المسعودي : مروج الذهب، ج٤، ص٦٥ .

(٥١) يقص البناء كى هذه القصة على أنها حقيقة، ولكننا نرى أنها قصة خيالية. ويمكن أن تكون أسطورة من الأساطير لأنها من الخيال، لأن كل ما ذكره لا يقبله العقل، وعلى كل حال فإن القصة التي ذكرها قصة مستطرفة، ونستطيع أن نقول: إنه اهتم بها لما تحويه من عبرة وعظة وحكمة، وإن كانت من نسج الخيال.

(٥٢) من أهالي راوند التي تقع بين أصفهان وكاشان، وكان من خطباء عصره المشهورين، وله من الكتب ما يزيد عن المائة، كان فيلسوفاً مجاهراً بالإلحاد، ألف الكثير من الكتب في الطعن في الدين منها كتاب خلق القرآن، اختلف في تاريخ وفاته، فيقول مؤلف لغتنامه: في سنة ٢٤٥هـ، وقال الزركلي وابن الجوزي: في سنة ٢٩٨ هـ، وقيل: صلبه أحد السلاطين في بغداد.

على أكبر دهخدا: لغتنامه، ج٣، ص٣١١، طهران ١٣٢٥ خورشیدی.

(٥٣) هو أبو الحسن على بن الجهم بن بدر بن الجهم، أصل أسرته من البحرين، ومن عليّة القوم ولكنها هاجرت خراسان. ويعد ذلك إلى بغداد، ولّى المأمون أباه الجهم بريد اليمن، كما ولاه الواثق شرطة بغداد، ولد سنة ١٨٨ هـ أو قبلها ببسبر، ذهب إلى الكتاب، وظهرت عليه النجاسة منذ طفولته، وله قصائد أنشدها في عهد المعتصم والواثق والمتوكل الذي قربته واتخذة جليساً ونديماً وجعله من خواصه، إلا أن العلاقة ساءت بينهما، ونال على يد المتوكل ما نال من سجن وتعذيب ونفي، وقتل في شعبان سنة ٢٤٩ هـ، وقد رثاه جماعة من الشعراء بعد قتله.

على بن الجهم: ديوان على، عنى بتحقيقه خليل مردم بك، ص ٣-١٧ (بيروت بدون تاريخ).

(٥٤) كتبت هذه الكلمة في الأصل "الخلايف" تأثراً بالأسلوب الفارسي.

(٥٥) يلتفت البناء كى في هذا الموضع إلى حقيقة تاريخية مستطرفة، فهو في هذا الموضع يوازن بين الساسانيين والعباسيين، فيوضح أن أبناء الملوك والخلفاء الذين أصلهم من أبناء ملوك وخلفاء، قتلوا أبناءهم، واستولوا على الملك بعدهم.

(٥٦) هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن المهدي، ولد سنة ٣٩٢ هـ في قرية درزنجان، وهي تقع جنوب بغداد، حفظ القرآن الكريم وتعلم القراءات، كما درس الحديث والفقه، تجول في كثير من البلاد، ويحتوى تاريخ بغداد على تراجم للخلفاء والأمراء والوزراء والقادة والقضاة وغيرهم من أعيان مدينة بغداد إلى جانب المحدثين الذين أولاهم اهتماماً خاصاً، وتوفى سنة ٤٦٣ هـ.

دكتور/ أكرم ضياء العمري: موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، الرياض ١٩٨٥، ص ١٧ .

(٥٧) هو أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، واحد من كبار وحفاظ الحديث وعلومه طاف معظم البلاد الإسلامية، وجمع كتاب السنن، وعرض على الإمام أحمد بن حنبل: فاستحسنه وأثنى عليه.

محمد فريد وجدى: دائرة معارف القرن الرابع عشر الهجرى، ج٥، ص ٣١٣ .

(٥٨) كتب هذا الاسم "الطولون" فى المتن.

(٥٩) سورة البقرة: آية ١٩٥ .

(٦٠) سورة الشورى: الآية ١١ .

(٦١) سورة آل عمران: آية ٢٦ .

(٦٢) سورة الحديد: آية ٢١ .

(٦٣) وردت هذه القصيدة عند المسعودى كاملة.

المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٤، ص ١٣٣ .

(٦٤) سورة يونس: آية ٥٨ .

(٦٥) سورة الحج: الآية ٢٧ .

(٦٦) يكثر البناتكى من ذكر المتصوفة، ويسرد قدراً كبيراً من قصصهم التى تدل على سلوكهم، وبذلك يكون قد أضاف بعداً جديداً إلى كتابه التاريخى، لأنه قد ضمنه أخبار المتصوفة التى لا تجدها بهذه الكثرة فى الكتب التاريخية الأخرى.

(٦٧) بيتى الشعر إشارة إلى ملوك الدولة السامانية.

(٦٨) هو أبو سعيد فضل الله بن أبى الخير محمد بن أحمد الميهنى، من الشعراء الإيرانيين، وشيخ من شيوخ الصوفية المعروفين، ولد فى سنة ٣٥٧ هـ. سافر إلى مرو وحصل الفقه هناك وبعد ذلك مارس الرياضة الصوفية حتى أصبح من كبار شيوخ التصوف المعروفين فى القرن الخامس الهجرى، كان من المبدعين فى الشعر الصوفى، وهو أول من استخدم الرىاعيات وضمنها جميع الأفكار الصوفية، والفلسفية، والدينية، وتوفى سنة ٤٤٠ هـ .

محمد بن المنور: أسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبى سعيد، ترجمة الدكتور / إسعاد عبد الهادى قنديل، ومراجعة الدكتور / يحيى الخشاب، ص ١٣ ، ١٤ (القاهرة بنون تاريخ).

(٦٩) سورة الأحزاب: الآية ٢٥ .

(٧٠) هكذا فى الأصل.

(٧١) هو أفضل الدين إبراهيم بن على الخاقانى كان يتخلص بالحقائقى فى بداية أمره. وإد سنة ٥٠٠ هـ يعود الفضل فى تعليمه وتثقيفه إلى عمه ميرزا كافى الدين، وبعد الخاقانى من كبار شعراء القصيدة فى إيران، وله الكثير من القصائد المتعددة المطالع، وله ديوان شعر كبير طبع فى الهند وإيران.

ديوان خاقانى شيروانى : طبعة على عبد الرسول ص ١٧ (تهران ١٣١٦ هـ .ش).

(٧٢) هكذا فى الأصل.

(٧٣) سورة الزمر: آية ١٥ .

(٧٤) هو ظهير الدين طاهر بن محمد القاريابي كان في غاية الفضل والمقام. ليس له نظير في الشعر وقد اتفق أهل العلم على أن كلامه أرق من كلام الأنوري، وكان يسير في سبكه وشاعريته على نسق الأنوري توفي في تبريز سنة ٥٩٨ هـ .

زهرا خانلري فرهنگ أدبيات فارسي، ص ٣٦٥ .

(٧٥) هكذا في الأصل.

(٧٦) للبناكتي شغف بجمع الأحداث المهمة في كتابه فهو مثلاً إذا تحدث عن خليفة، إنه توفي في عام كذا ذكر أسماء بعض الشعراء الذين توفوا في نفس السنة ليربط الصلة بينهم وبين الخليفة الذي توفي، فهو بذلك يستطرد في تاريخه وبذلك يمد القاري بفائدة عظيمة.

(٧٧) هكذا في الأصل.

(٧٨) هكذا في الأصل.

(٧٩) هكذا في الأصل.

(٨٠) هو كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق تاج الدين المعروف بابن الفوطي الشباني الحنبلي، ولد سنة ٦٤٢ هـ ببلاد الشام وتوفي سنة ٧٢٣ هـ، ومن أشهر مؤلفاته (مجمع الآداب في معجم الألقاب)، وقد نشرته وزارة الثقافة والإرشاد القومي بالجمهورية العربية السورية في عدة أجزاء ضمن مطبوعات مديرية إحياء التراث القومي.

ابن الفوطي: مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق الدكتور/ مصطفى جواد، دمشق بدون تاريخ، ص ١، ٢ .

(٨١) أنقره عاصمة تركيا الآن (أنكارا) .

القسم الرابع

فى أخبار السلاطين العظام والملوك الكرام الذين كانوا
فى أيام خلفاء بنى العباس وكان لهم الملك فى إيران مستقلين
عن بنى العباس .

وهم سبع طوائف، وعددهم تسعة وستون فرداً، ومدة ملكهم من وقت ثورة يعقوب
بن الليث الصفار، حتى آخر أيام خور شاه ملك الملاحدة أربعمئة عام.

الطبقة الأولى - الصفاريون

وهم ثلاثة، ومدة ملكهم أربعون عاماً وخمسة أشهر

يعقوب بن الليث الصفار: ظهر فى أيام المهتدى بالله أبو عبد الله محمد بن الواثق
ال خليفة الرابع عشر لبنى العباس فى سنة مائتين واثنين وخمسين، وكان هو وأخوه
عمرو بن الليث فى خدمة إبراهيم بن النصر السجستانى فى بست، فأرسل إبراهيم
يعقوب بجيش جرار؛ لمحاربة عمار بن ياسر حاكم هرات، فمضى يعقوب وانتصر
واستولى على تلك الولايات وأقام هناك، ولما أقام العدل بين الناس عظمت شوكته،
فاستولى على سجستان، وكرمان، وخراسان.

ولما أفضت الخلافة إلى المعتمد على الله أبو العباس أحمد بن المتوكل، أرسل
الأمير محمد بن طاهر الذى كان والياً على العراق بجيش، فهزمهم يعقوب وأسر
محمد بن طاهر، وقصد فارس وخوزستان واستولى عليهما وأقام فى نيسابور،

وتوفى هناك فى سنة مائتين وخمس وستين، وكانت مدة ملكه خمسة عشر عاماً وخمسة أشهر، وفى عهده شق أحمد بن عبد الله السجستانى عصا الطاعة وكان من خدم أخيه واستولى على خراسان، وبلغ أمره حداً وصل فيه إلى نيسابور، ومنح الناس ثلاثمائة ألف دينار وخمسمائة جواد وألف خلعة، وهو أحد ملوك القاهرة.

عمرو بن الليث: خلف أخاه بحكم وصيته، واستولى على البلاد جميعاً، حتى إنهم جعلوا الخطبة باسمه فى بغداد، وشيد فى شيراز المسجد العتيق، وبلغ الغاية فى الملك وكان يحمل مطبخه فى أسفاره ثلاثمائة جمل، وفى آخر عهده ثار الأمير إسماعيل بن أحمد السامانى، وأسره فى حرب معه، وأرسله إلى حضرة المعتضد فى جمادى الأولى سنة مائتين وسبع وثمانين، وتوفى فى سجن بغداد جوعاً، وكانت مدة ملكه ثلاثة وعشرين عاماً.

طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث: لما أسروا عمرو، هرب طاهر ومضى إلى سجستان، وبقي هناك مدة وبعد ذلك قدم فارس، فأرسل المعتضد بدر الذى كان قائد قواد أمراء بغداد بجيش؛ فهرب منه طاهر، ومضى إلى سجستان، وتوفى فى سنة مائتين وثلاث وتسعين، وكانت مدة ملكه ستة أعوام.

الطائفة الثانية - السامانيون

وهم عشرة، ومدة ملكهم مائة عام

وثلاثة وشهران وخمسة عشر يوماً

الأمير إسماعيل بن أحمد السامانى: أول السامانيين، كان ملكاً عادلاً عالماً حصيف الرأى، ثار فى سنة مائتين وسبع وثمانين، وفتح كل بلاد ما وراء النهر، وخراسان، وفارس، وكرمان، والعراق، وبعض بلاد الهند، وأقام فى بخارى، وكان يصادق أهل العلم مطيعاً متقادماً لأوامر الخلفاء، وتوفى فى سنة مائتين وخمس وتسعين، وكانت مدة ملكه ثمانية أعوام.

أبو النصر أحمد بن إسماعيل: كان ولي عهد أبيه، وأصبح ملكاً بعده، ووجد الرعاية في دار الخلافة، وبعد ذلك قتل على يد جماعة من العبيد في سنة ثلاثمائة وواحد، وكانت مدة ملكه ستة أعوام وثلاثة أشهر.

نوح بن نصر الأمير أبو الحسن نصر بن أحمد: أصبح ملكاً بعد أبيه، وكان ذلك في عصر المستنفي بالله الخليفة الثاني والعشرين من خلفاء بني العباس، وتوفي في سنة ثلاثمائة وإحدى وثلاثين، وكانت مدة ملكه ثلاثين عاماً.

نوح بن نصر: كان ولي عهد أبيه وخلفه بناء على وصيته، وتوفي في سنة ثلاثمائة وثلاث وأربعين، وكانت مدة ملكه اثني عشر عاماً.

عبد الملك بن نوح: أصبح ملكاً بعد أبيه بحكم الوصية، وتوفي في سنة ثلاثمائة وإحدى وخمسين، وكانت مدة ملكه سبعة أعوام وستة أشهر وستة عشر يوماً.

منصور بن نوح: أصبح ملكاً بعد أخيه، وتوفي في سنة ثلاثمائة وست وستين، وكانت مدة ملكه خمسة عشر عاماً وتسعة أشهر.

نوح بن منصور: كان ولي عهد أبيه، وخلفه، وفي عهده ثار ولاية خراسان، وأمر ناصر الدين بن سبكتكين الذي كان شرطى غزنة، وأسند إليه قيادة جيش خراسان، ليهلكهم في سنة ثلاثمائة وأربع وثمانين، وتوفي نوح بن منصور في سنة ثلاثمائة وثمان وثمانين في عهد الخليفة القادر بالله أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر الذي كان الخليفة الخامس والعشرين من خلفاء بني العباس، وكانت مدة ملكه إحدى وعشرين سنة وثمانية أشهر.

أبو الحارث منصور بن نوح: خلف أباه بحكم الوصية، فثار عليه بكتوزن في سرخس وأسره وباع أخاه، وتوفي في سنة ثلاثمائة وتسعين، وكانت مدة ملكه عاماً وتسعة أشهر.

عبد الملك بن نوح: لما أصبح ملكاً أراد أن يسترد جيوش خراسان من محمود بن سبكتكين، فاتجه إليه ووقعت بينهما الحرب وانهزم جيش عبد الملك، وقدم بخارى

منهزمًا، فثار عليه ملك الترك أيلك خيلان وأسرته في شعبان سنة ثلاثمائة وتسعين، واستولى على ما وراء النهر دفعة واحدة، وكانت مدة ملكه ستة أشهر.

المنتصر إسماعيل بن نوح: لما أسر أخوه، فر إلى خراسان، ومنها مضى إلى خوارزم، فأرسل السلطان محمود بن سبكتكين في أثره حتى اعتقلوه وقتلوه، وبلغت دولة السامانيين نهايتها.

الطبقة الثالثة - الديلمية

وهم خمسة عشر، ومدة ملكهم مائة
 وخمسة وثمانون عاماً وثلاثة أشهر

الأمير عماد الدولة أبو الحسن على بن بويه الديلمي: كان في خدمة ناصر الأكبر الأتروش حسن بن على بن عمر الأشرف بن الإمام زين العابدين الذي كان ملك الديلم، وكان معه في المبايعة بالخلافة، ولما جعلوه شهيداً، هرب عماد الدولة، ومضى إلى خراسان في سنة ثلاثمائة واثنين، واجتمع عليه كثير من الديلمية فقصده والى خراسان، فهرب ومضى إلى أصفهان، وكان الوالي هناك مظفر الدين بن ياقوت فحاربه وأسره، فاستولى عماد الدولة على أصفهان، فقصده ياقوت بن المظفر من شيراز، وانهزم في الحرب، فقدم عماد الدولة فارس في إثره، ومضى منها إلى خوزستان واستولى على تلك البلاد، وكذلك خزائن بغداد ودعوا له في الخطبة بعد الخليفة، وترك معز الدولة في بغداد في أيام المتقي لله أبي إسحاق إبراهيم بن المقتدر في سنة ثلاثمائة وتسع وعشرين، وأرسل ركن الدولة إلى العراق، وأقام في شيراز وتوفى بها في سنة ثلاثمائة وثلاثين، ويقولون: إنه من سلالة بهرام كور، وكانت مدة ملكه ستاً وعشرين سنة.

الأمير ركن الدولة أبو على الحسن بن بويه: مضى إلى شيراز بعد أخيه، وأرسل معز الدولة أبي الحسن أحمد بن بويه إلى بغداد، وعزم من هناك السفر إلى مصر والشام، وتوفى في عهد ركن الدولة، وبعد مدة قسم الملك على أبنائه، فأسند فارس لعضد الدولة، والعراق لمؤيد الدولة، وهمدان ودينور إلى فخر الدولة، وسلم أصغر أبناء

أبى العباس إلى عضد الدولة، وتوفى فى شيراز سنة ثلاثمائة وثمانٍ وخمسين، وكانت مدة ملكه ثمانٍ وعشرين عاماً.

الأمير عضد الدولة أبو شجاع خسرو بن ركن الدولة: كان ملكاً عادلاً عالماً كريماً، وصار ملكاً بوصية من أبيه، كان الناس فى عهده فى رخاء عظيم، ومن معاصريه من خلفاء بنى العباس: الطائع وهو الخليفة الرابع والعشرون، والقادر. ومن المشايخ والأئمة الكبار: الشيخ أبو عبد الله خفيف، والقاضى أبو بكر الباقلانى، والقاضى أبو بكر البضاوى، والأستاذ أبو على النسوى.

قيل: إن صوفيين من الشام قدما لزيارة الشيخ أبى عبد الله، فلم يجدها فى الخانقاه، فسألوا أين هو؟ قالوا: إنه مضى إلى قصر عضد الدولة، فقالوا أى شأن للشيخ بالسلطان؟! ثم قالوا: يا أسفاه لقد ضاع الأمل الذى كان لدينا !، ثم قالوا: لنطف فى المدينة ثم نعود، فمضيا إلى السوق وجلسا على دكان خياط، فضاع مقراض لهذا الخياط فقبضوا عليهما على أنه معهما وساقوهما إلى قصر عضد الدولة، فحكم بقطع يديهما، وكان الشيخ حاضراً، فقال: اصبروا فإذا ما تريتتم وتأنيتم علمتم أن هذا ليس من عملهم، وأن هذا المقراض فى موضع كذا مع فلان، فمضوا ووجدوه وتخلصا، ثم قال للصوفيين: أيها الرجلان العظيمان إن رأيكما كان صحيحاً بالنسبة لى، وإن مجيئى لقصر السلطان يكون لمثل هذه الأعمال، فصار الصوفيان مريدين له، وعظم شأنهما بصحبته. وطالما تعلم أن كل من لا يمد يد المعونة للناس يذهب عمره هباء، قال الشيخ: الإرادة تعب دائم، والترك راحة، والرياضة كسر النفس بالخدمة، ومنع النفس عن الفترة فى الخدمة، والقناعة هى عدم طلب ما ليس فى يدك، وعدم الحاجة إلى ما ليس فيها.

ولما قرب أجل الشيخ، قال للخادم: أنا عبد عاصٍ مذنب قصير العمر، ضع غلاً فى رقبتى وقيداً فى قدمى، واجعل وجهى شطر القبلة حتى يقبل الحق تعالى بكرمه، فأراد الخادم أن يصنع ذلك، فسمع صوتاً يقول: احذر أيها الغافل، لا تفعل حتى لا تجعل عزيزنا ذليلاً.

ومن آثار عضد الدولة: دار الشفاء ببغداد، وشيراز، ومشهد أمير المؤمنين على، ونهر كرخه، وتوفى فى شيراز سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، وكانت مدة حكمه أربعاً وثلاثين سنة.

الأمير مؤيد الدولة أبو منصور بن بويه بن الحسن: صار ملكاً بعد أخيه، ودارت بينه، وبين فخر الدولة، وشمس المعالى قابوس الذى كان والياً على طبرستان وقهستان حروب كثيرة، وعاد منها وكان فى الأغلب مظفراً ومنصوراً، وتوفى فى سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، وكانت مدة ملكه سبعة أعوام وستة أشهر.

الأمير فخر الدولة أبو الحسن على بن حسن: صار ملكاً بعد أخيه، وكان له ثلاثة أبناء: مجد الدولة أبو طالب رستم، وشمس الدولة أبو طاهر محمد، وعز الدولة أبو شجاع على، وتوفى فى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، وكانت مدة ملكه ثلاثة عشر عاماً وخمسة عشر شهراً.

الأمير مجد الدولة أبو طالب رستم: أصبح ملكاً بعد أبيه بناء على الوصية، وثار فى زمانه السلطان محمود بن سبكتكين، واستولى على مملكته، وتوفى مجد الدولة فى سنة أربع عشرة وأربعمائة، وكانت مدة ملكه عاماً واحداً.

الأمير شرف الدولة أبو الفوارس شيرزىل^(١) بن عضد الدولة: كان فى كرمان، قدم شيراز فى عهد القادر بالله ومضى منها إلى بغداد، واستولى على جميع ممالك أبيه، إلا أن سيف القدر أصابه فجأة، وكانت مدة ملكه ستة أشهر.

الأمير مصمم الدولة أبو كالجيار المرزبان بن عضد الدولة: كان ولى عهد أبيه، وكان فى بغداد، وبعد والده كان أميراً على بغداد مدة أربعة أعوام وستة أشهر فى أيام القادر بالله، وبعد ذلك جاء شرف الدولة إلى بغداد، واستعاد الإمارة وتوجه معه إلى شيراز، ولما توفى شرف الدولة بايعوه، وبعد ذلك ثار عليه أبو القاسم وأبو نصر ابنا عز الدولة، وقتلاه فى سنة خمس عشرة وأربعمائة، وكانت مدة ملكه تسعة أشهر.

الأمير بهاء الدولة أبو نصر بيروز بن عضد الدولة: كان ولي عهد شرف الدولة وأمير بغداد، جاء إلى فارس بعد أخيه، ولقبه الخليفة القادر بالله بلقب شاهنشاه قوام الدين، وتوفي في سنة أربعمئة وتسع وثلاثين، وكانت مدة ملكه أربعاً وعشرين عاماً وثلاثة أشهر.

الأمير سلطان الدولة أبو شجاع بن أبي نصر: كان ولي عهد أبيه وصار من بعده ملكاً، ولما عاد من بغداد، أسند القائم بأمر الله ولاية بغداد إلى شرف الدولة أبي علي الحسن بن أبي نصر، ودامت إمارته خمسة أعوام وشهرين، وتوفي في بغداد، فثار عليه أخوه قوام الدولة أبو الفوارس شيرزل، إلا أنه لم ينتصر، وتوفي سلطان الدولة في سنة أربعمئة وإحدى وأربعين، وكانت مدة ملكه اثني عشر عاماً وأربعة أشهر، ومن الشعراء الذين عاصروه الأستاذ المنطقي^(٣)، وكيا الغضائري^(٤)، ويندار رازي.

الأمير العماد لدين الله عز الملوك أبو كاليجار المرزيان أبو شجاع: لما توفي والده، ظل النزاع بينه وبين عمه جلال الدولة أبو طاهر فيروز خسرو أربعة عشر عاماً، وبعد ذلك قدمت إليه دار الخلافة الخلعة واللواء في شهر صفر سنة أربعمئة وخمس وخمسين، وظل أربعة أعوام والياً لبغداد في عهد القائم بأمر الله، ومضى الشبانكاره في أيامه إلى دار بجرد، وهم من سلالة أردشير بابك، وكانوا في صحراء أرزن، وكان محمد بن يحيى كبيرهم، فاستولى على هذه النواحي، وكان ينفخ في البوق خمساً، وهم يملكون هذه الكورة في فارس إلى الآن.

الملك الرحيم أبو نصر خسرو فيروز بن عز الملوك: أصبح والياً على بغداد بعد أبيه، وتحدث معه في الصلح السلطان طغرل بك السلجوقي وأسره وقتله، وكانت مدة إمارته في بغداد سبعة أشهر.

الملك أبو منصور بولادستون، والملك أبو سعيد خسرو شاه: ابنا عز الملوك، ووقعت بينهما حروب وقتل أبو سعيد وواجهت فارس المنصور، ونوت أمه أن تقتل صاحب العادل بهرام بن باقيه، وكان الفضل بن حسن قائد قواد صاحب من الغوغاء،

واعتقل أبا منصور، وحبسه فى القلعة سنة أربعمائة وتسع وخمسين حتى توفى وسقط ملكهم، واستولى فضلوويه على فارس، فقدم الملك قاورد السلجوقى من كرمان، فهرب فضلوويه ولجأ إلى السلطان ألب أرسلان، واستولى على فارس بضمان، إلا أنه عاد للعصيان، فأسره نظام الملك، وقتل فى قلعة إصطخر فارس.

الملك أبو على كىخسرو بن عز الملوك: كان من أكابر الديالة، ورضى عن السلطان نوبندكان، وتوفى فى سنة أربعمائة وسبع وثمانين. والله أعلم.

الطائفة الرابعة - الغزنويون

وهم ستة عشر ملكاً. ومدة ملكهم
مائة وأربعون عاماً وستة أشهر

السلطان يعين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين: كان ملكاً عادلاً فاضلاً كاملاً، توفى ناصر الدين سبكتكين في سنة ثلاثمائة وثمانٍ وسبعين، واستقر حكم جيش خراسان، فأراد عبد الملك بن نوح أن يسترد منه الجيوش، ولهذا السبب مضى إليه وحاربه وعاد منهزماً، فاستقل محمود بخراسان وسجستان وتشرف بخلعة ومنشور من دار الخلافة وتلقب بالسلطان، وبعد ذلك مضى إلى جرجان والعراق واستولى على تلك البلاد من أولاد فخر الدولة الديلمي، ومضى إلى الهند، واستولى على كثير من مدنها، وقلاعهم، وفتح سمنا، وخرب المعابد في سنة ثلاثمائة وأربع وتسعين.

وعاصره من المشايخ: الشيخ أبو الحسن على الخرقاني، وأبو سعيد فضل الله بن أبي الخير الميهني. يروون أن السلطان محمود مضى لزيارة الشيخ أبي الحسن، فأرسل إليه رسولاً: ليقول للشيخ: إن السلطان قدم من غزنین من أجلك، وعليك أن تقدم من الخانقاه الخاص بك إلى قصره، فقال للرسول: إذا كان لا يحضر، فاقرأ هذه الآية ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾^(٤)، فقدم الرسول الرسالة، وقال الشيخ: اعذرني فقل لمحمود: إني في ﴿ أَطِيعُوا ﴾، فقد تأملت إلى حد أني خجلت من ﴿ أَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾، ولن أخذ بـ ﴿ أُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾.

فأخبر الرسول محمود فأدركته الرقة، وقال: قف فإنه ليس ذلك الرجل الذى ظنناه
فخلع ثوبه على إيان، وألبس عشر جوار ثياب الغلمان، ووقف حاجباً لإيان، وجعل
الامتحان فى صومعة الشيخ، ولما دخلوا باب الصومعة سلموا، فرد الشيخ السلام، إلا
إنه لم يقف، فالتفت إلى محمود ونظر إلى إيان، فقال محمود: لما لم ينهض الشيخ؟
قال: إن هذا دأبه، ولكن ليس له طائر، ثم قال لمحمود: تقدم إلى، لقد جعلوك رئيساً،
ولما جلس محمود قال: قل شيئاً، قال: لا تخرج مع المحرمات، فأشار محمود فخرجت
الجوارى، فقال محمود: قل لى شيئاً عن بايزيد، فقال الشيخ: قال بايزيد: إن كل من
رأى أمن الشقاء، فقال محمود: إن النبی (ﷺ) أقدم، وقد رآه أبو جهل وأبو لهب
وهما من أهل الشقاء، فقال الشيخ: الزم الأدب يا محمود، وتصرف فى ولايتك،
فما رأى المصطفى (ﷺ) إلا أصحابه الأربعة، وبعض صحابته، والدليل على ذلك قول
الله تعالى ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُصِرُونَ﴾ (٤)

فسر محمود من هذا الكلام، وقال: عظمى، قال: احفظ أربعة أشياء: التعفف،
وصلاة الجماعة، والكرم، والشفقة على خلق الله، فقال محمود: ادع لى، قال: أدعو فى
الصلوات الخمس اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، قال: ادع لى دعاء خاصاً، قال:
يا محمود لتكن عاقبتك محموداً، ثم وضع محمود بدره من ذهب أمام الشيخ، ووضع الشيخ
قرصاً من شعير أمامه، قال: كل فمضغ واعترض حلقه، فسأله الشيخ: أيعترض حلقك!،
قال: نعم، قال: أنت تريد كذلك أن تعترض بديرتك حلقى، خذها فقد رفضتها، ثم قال
محمود: أعطنى تذكاراً منك، فأعطاه الشيخ قميصاً له، ولما عاد محمود، وقف له
الشيخ، فقال محمود: عندما جئت أولاً لم تعرن اهتماماً والآن تقف إلى، كيف هذا؟،
فقال الشيخ: جئت فى البداية برعونة الملك وكبريائه، والآن تذهب منكسراً مسكيناً.

ثم ذهب السلطان ومضى فى ذلك الوقت: ليحارب الكفار وكان يخشى أن ينهزم،
وفجأة نزل فى ركن، ووضع وجهه على التراب، ووضع قميص الشيخ على يده، وقال:
يا إلهى بعزتك وفضل هذه الخرقه انصرنى على الكفار، على أن أوزع كل الغنائم التى
تغنم منهم على فقراء المسلمين، وفجأة ظهر الظلام من ناحية، ووضع كل سيف من

سيوفهم في سيف الآخر وقاتلوهم ومزقوهم وانتصر جيش الإسلام. ورأى محمود في تلك الليلة في المنام أن الشيخ كان يقول: يا محمود لقد أخذت بركة خرقتنا، حتى أنك إذا أردت أن تدخل الكفار جميعاً في الإسلام لاستجبت.

وفي آخر عهد السلطان محمود، استدعى إسرائيل بن سليمان بن سلجوق من بلاد ما وراء النهر، وبسبب خوفه من كثرتهم أرسله إلى قلعة كالنجار في أرض السند حتى توفي هناك، وكان سبب ثورة السلاجقة وضعف الغزنويين، وتوفى السلطان محمود في سنة أربعمائة وعشرين، وكانت مدة ملكه تسعة وثلاثين عاماً.

السلطان مسعود بن محمود: كان محمود قد أوصى أن تكون سلطنة العراق وخراسان لمسعود، وملك الهند وغزنة لمحمد، فالتمس مسعود من أخيه أن يجعله شريكاً له في الخطبة، فلم يستجب له محمد، فاتجه مسعود إلى غزنة وقبض قبل وصوله على يوسف بن سبكتكين بن محمد وأرسله إلى القلعة، فوصل مسعود وحبس يوسف أيضاً، واستولى على جميع ممالك أبيه.

وفي أيامه عبر آل سلجوق نهر جيحون ودخلوا خراسان واستقروا في أطراف آبيورد وميمنة، فأرسل السلطان مسعود فرمان يهددهم فيه؛ فردوا عليه قائلين: إن هذا أمر الله فما يريدك يكون، فعرف الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير هذا الخبر وقدم بن إسشت؟^(٥) وجفري وطغرل وأخوه لزيارته، فسلموا وقبلوا يد الشيخ ووقفوا أمامه، فنكت الشيخ رأسه، ثم رفعه وقال لجفري: لقد منحوك خراسان، وقال لطغرل: ومنحك أيضاً العراق، فقدموا إليه الخدمة وعادوا.

ووصل السلطان مسعود، ميمنة بعد ذلك وكانت معمورة، فلجأ الناس إلى القلعة ووافق الشيخ، وحارب السلطان أربعين يوماً، وأصدروا في ميمنة واحداً وأربعين حكماً، فجرح وقتل كثير من جنود السلطان، فقال الشيخ لحسن المؤذب: يجب أن نمضى إلى البادية هذه الليلة، وهي قرية على بعد فرسخين من ميمنة، ونقرئ تلك العجوز منا السلام، ونقول لها أن ترسل الجرة المملئة بسمن البقر التي جعلتها لنا، فتركوا حسناً بجوار الحصن وخرج من بين الجيش ولم يشاهده أحد، وأحضر جرة السمن هذه.

وأمر الشيخ في الفجر بأن يحضروا قدراً، ووضعوا السمن فيه وغلوه، وفجأة دار الحديث عن الصلح وخرج رئيس ميهنة وخلعوا عليه وعاد وأخذ معه واحداً وأربعين رجلاً، فأمر السلطان بقطع أيديهم جميعاً، وقدموا ووضعوا أيديهم في السمن، فبكى الشيخ، وقال: لقد قطع مسعود يد ملكه، وهاجر السلطان بعد العقاب ومضى إلى مرو، فقدم آل سلجوق وحاربوه وهزموه، وكان لمسعود معهم حروب كثيرة، ثم هزموه في النهاية في سنة أربعمائة واثنين وثلاثين واتجه إلى غزنة، ولما سها عن محمد استقل بنفسه، ولما وصل مسعود، أرسله محمد، وابنه أحمد بن محمد إلى القلعة وقتله في سنة أربعمائة وثلاث وثلاثين، وكانت مدة ملكه ثلاثة عشر عاماً.

السلطان محمد بن محمود: أصبح ملكاً بعد أخيه، فاتجه إليه مودود بن مسعود وغلبيه وقتله مع جميع أبنائه؛ ثاراً لأبيه في سنة أربعمائة وأربع وثلاثين، وكانت مدة ملكه عاماً واحداً.

السلطان أبو الفتح مودود بن مسعود: لما فرغ من القصاص، أصبح ملكاً بعد عمه، واستولى على جميع بلاده، وتوفي في سنة أربعمائة وإحدى وأربعين، ومدة ملكه ثمانية أعوام.

السلطان مسعود بن مودود: لما توفي أبوه كان طفلاً، وأصبح الملك باسمه عدة أيام، فاتفق عظماء البلاد على أن يجعلوا عمه ملكاً، وكانت مدة ملكه عشرة أيام.

السلطان علي بن مسعود: لما أصبح ملكاً، كان عبد الرشيد بن محمود محبوساً في القلعة، فتخلص وتجمع الجيش وهزم علياً، وكانت مدة ملكه عامين.

السلطان عبد الرشيد بن محمود: أصبح ملكاً بعده، وتوفي في سنة أربعمائة وخمسين، وكانت مدة ملكه سبعة أعوام.

السلطان أبو المظفر إبراهيم بن مسعود بن محمود: كان ملكاً عاقلاً، ودامت أيام دولته من سنة أربعمائة وخمسين إلى أربعمائة وتسعين، ولم يبن بناء من أجله أيام ملكه، لكنه بنى مسجداً ومدرسة وخيرات كثيرة، وكانت مدة ملكه اثنين وأربعين عاماً، وأصبح ابنه ملكاً من بعده، وتوفي في سنة خمسماية وثمانين وحكم ستة عشر عاماً.

السلطان أرسلان شاه بن مسعود: خلف أباه بناء على وصيته، وقبض على زمام البلاد، وهرب منه أخوه بهرام شاه، ولجأ إلى السلطان سنجر السلجوقي الذي كان ابن خاله، وقدم غزنة بالاتفاق معه وحارب أرسلان شاه وهزمه، وأجلس بهرام شاه على العرش وعاد إلى خراسان، وعاد أرسلان شاه وهرب بهرام ومضى إلى السلطان سنجر، واستولى على الجيش بتمامه، وقدم غزنة في سنة خمسماية واثنى عشرة، فقتل أرسلان شاه، وكانت مدة ملكه أربعة أعوام.

بهرام شاه بن مسعود: أصبح ملكاً بعد أخيه، وثار في عهده علاء الدين حسين بن الحسين، وهو أول الغور، فهرب بهرام شاه، فترك علاء الدين أخاه سيف الدين في غزنة وعاد، فقدم بهرام شاه، وقبض عليه سيف الدين، وأجلسه على بقرة وطوفه في المدينة، فبلغ هذا الخبر علاء الدين فاتجه إلى بهرام شاه، وتوفي بهرام شاه قبل وصوله في سنة خمسماية واثنين وثلاثين، وكانت مدة ملكه عشرين عاماً.

خسرو شاه بن بهرام شاه: خلف أباه بناء على وصيته، ولما وصل علاء الدين، هرب خسرو شاه ومضى إلى الهند، فأعمل علاء الدين القتل والسلب وترك أبناء أخيه غياث الدين أبو الفتح محمد، وشهاب الدين أبو المظفر أبناء سام بن الحسن، وقبض عليهم بخديعة خسرو شاه وأرسلهم إلى القلعة، وانقرضت دولة الغزنويين، وسيأتي تاريخ الغوريين في القسم السابع من تاريخ الهند، وتوفي خسرو شاه في سنة خمسماية وخمسين.

الطائفة الخامسة - السلاجقة

وهم أربعة عشر . ومدة ملكهم

مائة وتسعة وثلاثون عاماً وسبعة أشهر

السلطان ركن الدين أبو طالب طغرل بك بن محمد بن ميكائيل بن سليمان بن سلجوق: أول السلاجقة، لما أرسل السلطان محمود، إسرائيل بن سليمان بن سلجوق إلى القلعة توفي هناك في زمان ابنه مسعود في سنة أربعمائة واثنين وثلاثين، فنثار طغرل واستولى على خراسان، فأرسل إليه القائم بأمر الله الخلة والمنشور، ونا خلع القائم البساسيري الذي كان قائده استعان بطغرل بك، فقدم وقتل البساسيري، وأحضر القائم إلى بغداد ولقبه بركن الدين وعاد إلى خراسان، وتوفي في سنة أربعمائة واثنين وأربعين، وكانت مدة ملكه عشرة أعوام.

السلطان عز الدين أبو شجاع ألب أرسلان محمد بن طغرل بك: كان ملكاً مهيباً شجاعاً مقداماً، أغار على الدنيا، كلها ومضى مع فضلويه إلى فارس واستولى عليها، وكان هذا الإقليم في قبضة ملوك السلاجقة مدة خمسة وثمانين عاماً، من آخر أيام الديلمة إلى ظهور دولة السلغريين، وحكم من قبلهم في تلك المدة سبعة حكام: الأول: فضلويه شيبانكاره، الثاني: ركن الدين خمارتكين، الثالث: الأتابك جلال الدين جاولي الذي دفع الشيبانكاره عن فارس، الرابع: الأتابك قراجة، الخامس: الأتابك منكو، السادس: الأتابك بوزابه، والسابع: ملك شاه السلجوقي.

ومضى السلطان عز الدين ألب أرسلان مع اثني عشر ألف فارس إلى أرمانبوس قيصر الروم الذي كان له ثلاثون ألف فارس، فهزهم ووقع القيصر في الأسر على يد

غلام رومى كان فى غاية الحقارة، لأن العارض لم يكتب اسمه فى أثناء عرض الجيش، فقال سعد الدولة شحنة بغداد: اكتبه فيجوز أن يقبض على ملك الروم، ويتقرير على أن يعطى القيصر أرمانىوس كل يوم ألف دينار، فقد أعطاه الأمان.

واتجه إلى ما وراء النهر فى آخر عهده، واستولى على قلعة برم، فجاءوا بالحاكم، فسأله عن أشياء، فلم يصدق، فأمر السلطان أن يعاقبه، فاستل سكيناً وقصد السلطان فهاجمه الغلمان ولكن السلطان منعهم، وأراد أن يرشقه بالسهم، ولأن أجل السلطان كان قد انتهى، أخطأ السهم، ووصل إلى السلطان وطعنه بالسكين فى بطنه، وأهلك السلطان فى سنة أربع وخمسين وأربعمئة، وكانت مدة ملكه اثنى عشر عاماً.

السلطان معز الدين أبو الفتح ملك شاه بن ألب أرسلان: كان ملكاً عادلاً عالماً أخضع معظم بلاد العالم تحت سيطرته، وكان نظام الملك حسن وزيره، وقالوا هذا البيت^(٧) فى الرد على سؤاله :

جملة ما هو آت جاءت فى بيت فاسمع أيها صاحب نظام الملك مولانا حسن
الشرط والتعبير والتعجب هو المدة والنفى والخبر والإنكار والصلة هو التفخيم والاستفهام وأنا

وكان معاصراً له من الأئمة: إمام الحرمين، وتوفى فى سنة سبع وسبعين وأربعمئة، وكانت مدة ملكه ثلاثة وعشرين عاماً.

السلطان ركن الدين أبو الفوارس بركيارك بن ملك شاه: كان ولى عهد أبيه، وخلفه بناء على وصيته، وحارب إخوته محمود ومحمد، وتوفى محمود فى أيامه، وثار الحسن بن على بن الصباح الحميرى، وأرسل عبد الملك بن عطاش إلى أصفهان ليستولى عليها، وتوفى السلطان بركيارك فى سنة مائتين وتسع وثمانين، وكانت مدة ملكه اثنى عشر عاماً.

السلطان غياث الدين أبو شجاع محمد بن ملك شاه: أصبح ملكاً بعد أخيه، وقصد بغداد، وحاربه إياز وصدقة اللذان كانا عبيدين لأبيه، فقتل صدقة وأسر إياز، ولما عاد توجه إلى قلعة الملك، طرحه عبد الملك بن عطاش من البوابة، وقتله أحقر قتلة فى سنة خمسمائة واثنين، وكانت مدة ملكه ثلاثة عشر عاماً.

معز الدولة أبو الحارث سنجر بن ملك شاه: كان والى خراسان فى عصر إخوته، وبعد ذلك أصبح ملكاً، فثار عليه مغيث الدين أبو القاسم محمود بن محمد وانهزم، وبعد ذلك جاء لخدمته وطلب المعذرة، فأسند إليه السلطان نيابة العراق عنه، وتوفى أبو القاسم بعد أربعة أعوام، وفى أيامه عبر الغز نهر جيحون، فأوعز مدبر الملك العجمى الذى كان وزيراً للسلطان أن يغير عليهم، فوقع السلطان فى الأسر واستولى الغز على ملك خراسان وكرمان وفارس، وكان جمع من ممالك السلطان امتزجوا بالغز فساعدوه على الهرب وحملوه إلى قلعة ترمذ، وتوفى هناك فى ربيع الأول سنة خمس مائة واثنين وأربعين، وكانت مدة ملكه أربعين سنة، وقال الأبيات التالية، وهو فى حالة النزاع :

استول على الدنيا وافتح القلعة بالعمود	وسخرت لى الدنيا عندما سيطر عقلى على جسمى
استوليت على كثير من الحصون مباحياً	وما أكثر ما حطمت فى الحرب بركة من قدى
ولما دهمنى الموت كان ذلك بلا جدوى	فالبقاء بقاء الله والملك ملك له

السلطان ركن الدين أبو طالب طغرل بن محمد بن ملك شاه: خلف أباه، نيابة عن عمه، وحكم غياث الدين أبو الفتح مسعود بن محمد نيابة عن عمه بعد أخيه سبعة عشر عاماً، وثار فى أيامه عزيز سلطان، واندلعت الحروب بينه وبين أخيه وتحدث مواليه وخدامه عن استقلالهم مثل: الأتابك أيلدكز فى أذربيجان، والأتابك جهان بهلوان فى العراق، والسفريين فى فارس.

السلطان مغيث الدين أبو الفتح ملك شاه بن محمود بن محمد: أرسل أبناءه مسعود، ومحمد، وتاج الدين الوزير إلى فارس مع نورابه^(٨)، ومضى بنفسه إلى بغداد، فحملهم نورابه إلى أصفهان، وأجلس محمداً على العرش، فاتجه إليه السلطان وقتل نورابه، ولما توفى عمه، خلفه ملك شاه ولكنه لم يهتم بالأمراء، فاتفقوا واعتقلوه فى حفل وحبسوه، وكانت مدة ملكه ثمانية أعوام، وقدم فى أيامه عدة أفواج من التركمان من نواحى القبجاق، فغلب يعقوب بن أرسلان مع جمع كثير على خوزستان، وقدم الأتابك مظفر الدين سنقر بن موبود السفري فارس فى شهور سنة خمس مائة وثلاث وأربعين، وثار على ملك شاه واستولى على فارس، وتوفى فى سنة خمس مائة وسبع وخمسين،

وحكم بعده الأتابك زنكى بن مودود أربعة عشر عاماً، وتوفى فى نهاية سنة خمسماية وإحدى وسبعين، فخلفه ابنه الأتابك تكله، وحكم عشرين عاماً فى فارس، وتوفى سنة خمسماية وإحدى وتسعين.

السلطان غياث الدين أبو شجاع محمد بن محمود السلجوقى: كان له الملك بعد أبيه، وحاصر بغداد، وسمع فى ذلك الوقت أن أخاه ملك شاه، والأتابك أيلدكز الذى كان زوج أم أرسلان بن طغرل حاصراً مع أرسلان همدان، فعاد لهذا السبب ليواجههم، فانهزموا، وعزم على المضى إلى بلاد أيلدكز. وتوفى بمرض السل فى سنة خمسماية وثلاث وخمسين، وأمر وهو فى النزع بأن يركب أمراء الجيش، وأن يعرضوا عليه كل أمواله التى فى الخزائن، وجواريه، وغلماؤه، فنظر إليهم من بعيد وبكى، وقال: إن كل هذه الأشياء من الأمراء والجيش والحشم والخدم والذهب والجواهر واللاكى لا يمكن أن تخفف عني شيئاً، ولا تستطيع أن تضيف لحظة إلى عمري، وما أتعس هؤلاء الذين يسعون لطول العمر فى الدنيا! ومنح هذه الأموال إلى الحاضرين، وكان له ولد طفل فقال: أعلم أن القواد لن يطيعوك، واستودعه عند أقسنقور أحمد الدميلي والى مراغة، وكانت مدة ملكه ثلاثة أعوام وأربعة أشهر.

السلطان مؤيد الدين أبو الحارث سليمان شاه بن محمد بن مسعود: انقسم الأمراء بعد غياث الدين، فانهاز بعضهم إلى أخيه ملك شاه، والبعض إلى سليمان شاه الذى كان عمهم، ولما بلغ سليمان شاه أصفهان، كان معه أتابكة تكله فارس، وشمله التركى والى خوزستان، فاستودعه ابن القاضى صدر الدين الخجندى أصفهان، وأراد الجيش الذى كان على حدود همدان، إلا إنهم لم يطيعوه، فمضى سليمان شاه لمحاربتهم، ووقع فى الأسر فى ربيع الأول سنة خمسماية وست وخمسين، وخنقوه وكانت مدة ملكه ستة أشهر.

أرسلان بن طغرل: كان ابن زوجه الأتابك أيلدكز، وجعلوه ملكاً فى همدان، وحكم خمسة عشر عاماً وسبعة أشهر وتوفى فى همدان، وكان الأتابك محمد بن أيلدكز هو الحاكم العام، وي بعده اعتلى العرش أخوه قزل بن أرسلان، وقتل على يد الفدائيين، وانتهى ملك السلاجقة فى هذه الديار، أما سلطنة بلاد الروم فكانت فى حوزة أحفاد السلطان علاء الدين قليج بن أرسلان بن سليمان حتى ذلك الوقت وانتهت.

الطائفة السادسة - الخوارزميون

وهم ثمانية . وكانت مدة ملكهم

مائة وثمانية وثلاثون عاماً

خوارزم شاه بن محمد بن بيلكاتكين: كان من موالى السلاجقة، ولما أسند الأمير بركيارك ولاية خراسان إلى الأمير حبش بن التونتاق في سنة تسعين وأربعمائة، أرسل محمد بن بيلكاتكين إلى خوارزم، وسماه خوارزم شاه، فأقام العدل والإنصاف، وكان يحب العلماء والصالحين، وقضى عصره في الرخاء، وتوفي في سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، وكانت مدة ملكه واحداً وثلاثين عاماً.

خوارزم شاه أئسنز بن محمد: أصبح ملكاً بعد أبيه، واستولى على بعض الممالك في التركستان وصحراء القبايق، وعاش إحدى وستين سنة، وأثناء حكمه خدع رجلين من الملاحدة واشترى روحهما وأرسلهما إلى السلطان سنجر ليقتلاه، فعرف خبرهما أديب صابر^(٩)، فكتب أوصافهما وأرسلها إلى مرو ليقتلوهما، ولما علم أئسنز الخبر، طرح أديب في جيحون.

وقصد السلطان سنجر خوارزم في سنة خمس مائة واثنين وأربعين وحاصر قصبة هزاراسب، وكان الأتوري^(١٠) عند السلطان، فكتب هذين البيتين على سهم، وألقى بها على قلعة هزاراسب :

أيها الملك، حسبك ملك كل هذه الأرض	ولك الكسب من دولة الدنيا
واستول اليوم في حملة واحدة على هزاراسب	وغداً لك خوارزم ومائة هزاراسب

وكان رشيد الدين الوطواط^(١١) فى هزارةسب، فكتب الجواب على سهم ورماء :
لو أن عدوك أيها الملك رستم البطل فإنه لن يستطيع أن ينال حماراً واحداً من هزارةسب
ولما تم الاستيلاء على هزارةسب، غضب السلطان من الوطواط، وقال: اخلعوا
سبعة أعضاء من أعضائه، فقال أحد المقربين من السلطان: إن الوطواط طائر ضعيف
وليس له طاقة السبع أجزاء، فأمر بأن يقدر شطرين، فضحك السلطان وعفا عنه،
وتوفى السلطان، وعاش رشيد الدين الوطواط طويلاً، وتوفى أئسى خوارزم شاه،
وكان رشيد الدين يمشى أمام جنازته ويبكى وكان يشير بيده، ويقول :

أيها الملك كان الفلك يرتعد من عقابك وكان أمامك يعمل عمل العبيد
أين عاقل حتى يرى أن كل هذه المملكة كانت تساوى هذا !
وكانت مدة ملكه ثلاثين عاماً .

أيل أرسلان بن أئسى: أصبح ملكاً بعد أبيه، وكان له ولدان: علاء الدين تكش،
وسلطان شاه، وتوفى فى التاسع عشر من رجب سنة خمس مائة وسبع وستين،
وكانت مدة ملكه خمسة عشر عاماً وسبعة أشهر.

سلطان شاه بن أيل أرسلان: كان ولى عهد أبيه، وخلفه، وكانت مذبرة ملكه أمه
ملكة ترکان، وكان أخوه الأكبر علاء الدين تكش فى جند، وثار عليه بمدد كور خان
القراخانى، فلجأ السلطان شاه، وأمه إلى الملك المؤيد حاكم خراسان، وجلس علاء
الدين على العرش يوم الاثنين الثانى والعشرين من ربيع الآخر سنة خمس مائة وثمان
وستين فى خوارزم.

فمضى سلطان شاه مع الملك المؤيد إلى خوارزم، وكان الملك المؤيد فى المقدمة،
فهجم عليهم علاء الدين وأسر المؤيد وشرطه شطرين على باب القصر فى يوم عرفة
سنة تسع وستين وخمس مائة، فهرب السلطان شاه، وأمه إلى لهستان، وتعقبهم تكش
واستولى على هذه الديار وقتل ملكة ترکان وعاد ووجد التمكين له فى خوارزم،
وبعد ذلك قتل أحد رسل كورخان ووقع بينهما العداء، فلجأ سلطان شاه إلى كورخان،

فأرسل كورخان قراماي^(١٢) معه بجيش، فالتقى تكش فى نهر جيحون أثناء مروره، وقتل كثيراً منهم وعاد قراماي ومضى.

وفجأة مضى سلطان شاه إلى سرخس وهاجم الملك دينار، وهو أحد أمراء الغور فالتقى الملك دينار نفسه فى الخندق، وسحبوه من شعره إلى القلعة، ومضى سلطان شاه إلى مرو وبقي الملك دينار فى القلعة، فأرسل مهتر أغوز رسولاً إلى طغان شاه وطلب منه بسطام بدلاً من سرخس، فأرسل الأمير عمر بن فيروز الكوى ليسلم إليه الملك دينار القلعة، ويمضى إلى بسطام، فمضى سلطان شاه مع ثلاثة آلاف فارس إلى سرخس فواجه طغان شاه مع عشرة آلاف رجل من نيسابور، وتحاربوا فى شهر ذى الحجة سنة خمس مائة وست وسبعين، فانتصر سلطان شاه، واستولى على سرخس وطوس، وطلب طغان شاه المدد من السلطان تكش ولسطان الغور، ولكن بلا جدوى. وتوفى فى يوم الاثنين الثانى عشر من المحرم سنة خمس مائة وإحدى وثمانين، وخلفه ابنه سنجر شاه، وتربع السلطان تكش على العرش فى يوم الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى سنة خمس مائة وخمس وثمانين فى راندكان، وذاع صيته فى أطراف البلاد، وعاد إلى خوارزم.

وبعد ذلك وقعت حروب كثيرة بين الإخوة وفى النهاية مضى السلطان تكش إلى أخيه فى خراسان، ولما وصل الخصم أراد الأعيان أن يصلحوا بينهما، ولكن لم يتيسر هذا، وفى تلك الأثناء أرسل حاكم قلعة سرخس ويسمى جعفر رسالة إلى السلطان تكش يستحضره، فمضى السلطان على عجل إليه، فسلمه الحاكم الخزائن والمؤمن، وتوفى سلطان شاه حزناً على ذلك بعد يومين ليلة الأربعاء آخر رمضان سنة خمس مائة وتسع وثمانين، وكانت مدة ملكه عامين وشهرين.

السلطان علاء الدين تكش: أصبح ملكاً مستقلاً بعد أخيه، واستولى على جيش خراسان كله والمملكة، وانتهت دولة السلاجقة فى هذه الديار، وكان له ولدان: ناصر الدين ملك شاه، وقطب الدين محمد، فجعلهما واليين على خراسان، وقصد العراق فى سنة خمس مائة وتسعين، وقبل ذلك بعامين أخبر قتلغ إينانج بن بهلوان الأتابك محمد بن أيلدكز

بسبب أن أمه قتيبة خاتون دست السم للسلطان طغرل بن أرسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملك شاه السلجوقي، فعرفته الجارية الخبر، فقال السلطان: اشربي، فشربت وماتت، فحبس السلطان قتلغ إينانج، ولما أطلق سراحه، اتفق مع أمراء العراق في هذه الأثناء أن يستقبلوه في سمنان، وأعاداه السلطان مع جيش العراق في المقدمة.

وكان السلطان طغرل قد أقام معسكراً عظيماً على بعد ثلاثة فراسخ ونزل، ولما اقترب قتلغ إينانج، ركب السلطان طغرل وتحارباً، وفي أثناء القتال ضرب السلطان طغرل ركبة جواده بعمود فسقط الجواد، فمضى إليه قتلغ إينانج وقتله وأرسل جثته إلى السلطان تكش، وأرسل رأسه إلى الخليفة الناصر في بغداد، وعلقوا جسده في يوم الخميس التاسع والعشرين من ربيع الأول سنة خمس مائة وتسعين على عود في سوق الرى.

وحملوا أحد نذماء السلطان طغرل إلى الوزير نظام الملك مسعود، فقال له: أهذا كله هو شهرة طغرل بك؟ ولم يكن له طاقة جيش الإسلام، فقال ذلك النديم للوزير :

كان هومان أقوى من بيثرن في القوة ويصبح الفضل عيباً إذا ما عادت الشمس فتوجه السلطان تكش من الرى إلى همدان، واستولى على معظم العراق، وتوفى بن ملك شاه الذى كان ولى عهده في ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، فجعل قطب الدين محمد ولياً للعهد، وأرسله في سنة أربع وتسعين وخمسمائة؛ لمحاربة غابر بكو خان أيغور، فأسره قطب الدين مع الأمراء وأرسله مع أبيه، فأمن غابر يكو خان على حياته، وبعد ذلك استولى السلطان على أصفهان، وأعطاه لابنه تاج الدين على شاه، وتوجه من هناك لمحاصرة قلعة الموت، وقتل صدر الدين محمد وزان في هذه القلعة، وقتلوا الوزير نظام الملك مسعود بن على طعنًا بسكين، فأرسل السلطان قطب الدين إلى قهستان، وحاصر قلعة ترشيز أربعة أشهر، وبعد ذلك توجه السلطان من خوارزم قاصداً الملاحدة، ولما وصل بالقرب من شهر ستانة إلى منزل جاءه عرب (بئر العرب)، توفى بمرض الخناق في التاسع عشر من شهر رمضان سنة ست وتسعين وخمسمائة، وكانت مدة ملكه سبعة أعوام.

السلطان قطب الدين محمد بن تكش: خلف أباه بناءً على وصيته، وبلغت دولته الذروة العليا، لأنه استولى على مملكة سلاطين الغور وسخر جميع أنحاء بلاد ما وراء النهر، وزوج ابنته للسلطان عثمان الذى كان من سلالة أفراسياب فى شهور سنة ست وستمائة، وباتفاق معه توجه إلى كور خان، ولما وصل ولاية طراز كان "تابنكو" أمير جيش كور خان هناك، فتحاربوا ووقع تانيكو فى الأسر وانهزم جيشه ورجع السلطان، وكان كوشلوك خان بن تايانك خان ملكاً لنايمان، ولما سمع ضعف حال كور خان، هاجمه وأسره واستولى على كل خزائنه وأمواله وجيشه الذى كان قد أعده وجهزه فى مدة خمسة وتسعين عاماً، وتوفى كور خان بعد ذلك بعامين.

وتوجه السلطان محمد فى شهور سنة أربع عشرة وستمائة إلى بغداد، وذلك لأنه قبل ذلك قد وقعت بينه وبين الناصر الخليفة جفوة وخلافات، واستقرت فى صدرهما الأحقاد، ولهذا السبب كان السلطان قد استفتى أئمة البلاد خاصة مولانا فخر الدين الرازى الذى قال: إن بنى العباس ليسوا نوى حق فى تولى الخلافة، وإن الخلافة من حق السادات من ذرية الحسين (رضى الله عنه)، ورشح سيد علاء الدين الترمذى الذى كان من السادات العظام، من أجل أن يجلسه على كرسى الخلافة ولما وصل دماغان، سمع أن الأتابك سعد بن زنكى السلفرى جاء إلى حدود الرى قاصداً العراق، فبادر السلطان بإرسال جيش على طريق كرك؟^(١٣)، ولما وصل إلى موضع خيل بزركى؟^(١٤)، تحارب مع الأتابك وأسرته وأمنه على حياته وأعاده بعد مدة.

ولما وصل السلطان إلى همدان، كان الأتابك أوزبك قد جاء من أنزيبجان قاصداً همدان، وانهزم، وتوجه السلطان فى آخر الخريف قاصداً بغداد، وفى وسط هضبة أسد آباد شق طرقيلاً وضباب كثيف، ولهذا هلك معظم الجنود والبواب، وكانت تلك أول نكبة نزلت بالسلطان فعاد، وبعد ذلك سمع خبر جنكيز خان فتوجه إليه بجيش عظيم، وتوجه إلى أترار وحارب جيش المغول فى تلك الحدود، فانهزم منهم وقدم العراق، ومضى من هناك إلى جزيرة أبسكون فى بحر الخزر، وتوفى فى سنة ستمائة وثمانين عشرة، وكان له ولدان: جلال الدين، وغياث الدين، وكانت مدة مملكته اثنتين وعشرين سنة.

السلطان جلال الدين: حارب جيش المغول حروباً كثيرة بعد أبيه، ومضى إلى الهند وعاد وسيأتي ذكره في القسم التاسع من تاريخ المغول.

السلطان غياث الدين: عاد إلى فارس بعد واقعة أبيه، ومضى من هناك إلى كرمان، ويقال: إنه أول سلاطين كرمان، وقتله براق الحاجب في قلعة كواشير في سنة ستمائة وخمسة وعشرين، وبلغت دولة الخوارزميين منتهاها. والله الباقي.

الطائفة السابعة - ملوك قهستان

الذين يسمون بالملاحدة، وهم ثمانية.

ومدة ملكهم مائة وسبعة وسبعون عاماً

الحسن بن الصباح: وهو حسن بن علي بن محمد بن جعفر بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن محمد الصباح الحميري، قدم أبوه من اليمن إلى الكوفة ومنها إلى الري، واستوطن هناك، وولد حسن هناك، وكان من شيعة إسماعيل بن جعفر الصادق (عليه السلام)، كان رجلاً صالحاً ورعاً، ويعتقد في اعتقاد أهل العلم. ودليل عظمته قلعة الموت.

وفي سنة أربعمائة وسبع وسبعين، فإن لفظ الموت عبارة عن هذا التاريخ، وثار واستولى على معظم بلاد قهستان، وأرسل إليه المصطفى لدين الله نزار صاحب دعوة الإسماعيلية عهد النيابة والولاية، فأنفذ حسن، الدعاة إلى الأطراف والاكثاف، وقال: ليست معرفة الله بالعقل والنظر، لكنها بتعليم الإمام، وإذا كان نظر العقل كافياً في معرفة الله، لما اعترض أهل النظر على أحد سواهم، وكانوا جميعاً سواء، وجعلوا عدة كلمات موجزة حباثل خديعتهم، وسموا هذا إلزاماً، وظن الجهال والعوام أن تحت هذا اللفظ الوجيز معاني كثيرة ودقيقة، ومن جملتها واحدة، إنه كان يسأل المعارضين على مذهبه هل العقل كافٍ أم غير كافٍ؟ أي إذا كان العقل كافياً لمعرفة الله، فإن كل من له عقل ما استطاع المعارض أن ينكر عليه شيئاً، وإذا قال هذا المعارض: إن العقل ليس كافٍ مع النظر العقلي، فلاشك أن معلمنا لم يفهم مذهبه، وإذا قال: هل يكفي العقل أو لا يكفي؟، فإن إثبات ما يريده من هذا السؤال أن التعليم واجب مع العقل،

ومذهب المعتزى أن التعلیم مع العقل ليس واجباً، وما دام الواجب ليس واجباً ربما كان التعلیم واجباً، وللعقل معنى فى رأيه، وربما لم يكن جائزاً ويبقى العقل وحده، وإلا لن تحصل معرفة الله وهذا قسمان، واهتم بإبطال القسم الثانى، ويقول: أبطلت مذهبهم وليس كذلك، لأن مذهب جمهور أهل الدنيا، أن وجود العقل لا يكفى بالعقل، وينبغى استعمال العقل على شرط، والتعلیم والهداية يعينان، فعلم أنه لم يستطع إبطال رأى الجمهور، كما أن وقف التعلیم على شخص معين يحتاج إلى دليل، ودليله ما يقول: بما أنى أثبت التعلیم وغيرى ليس أهلاً لهذا التعلیم، فبعد ذلك يكون تعيين المتعلم بناء على قولى، وهذا كلام ظاهر الفساد، وبمثابة أن يقول الشخص الإمام هو فلان والبرهان على هذا الكلام ما أقوله، وإذا قال: الإجماع حق، إذا كان قولى صحيحاً، وأبطلت قول الآخرين، وبذلك يكونون قد اجتمعوا على الباطل، وعلى ذلك فجوابه أن الإجماع عند الجمهور حق بناء على القرآن والسنة، وليس الشأن كذلك عندك، وعلى ذلك فإن مذهبك مبنى على قولك وليس مفيداً لك، وليس له خارج هذا حجة أخرى.

وبالجملة فقد سعى الحسن فى الاستيلاء على البلاد المتصلة برودبار الموت وما حولها، وجعل كل موضع يتيسر بالخدا ع ثابتاً، وكان يقتل كل من لم يعمل وفق خداعه ويحاربهم، وكلما رأى أحجاراً كثيرة بنى قلعة، وسمى الموت بلدة الأقبال.

وفى سنة أربعمائة وأربع وثمانين أرسل حسين القابنى الذى كان من دعائه إلى قهستان نيابة عنه، وأرسل السلطان ملك شاه قائداً يسمى أرسلان فى سنة أربعمائة وخمس وثمانين فهزمهم، وكان نظام الملك حسن بن على بن إسحاق الطوسى وزيراً لملك شاه، وفى ليلة الجمعة الثانى عشر من رمضان سنة خمس مائة وخمس وثمانين كان يمضى فدائى على حدود نهاوند فى موضع يسمى صحنة يرتدى زياً صوفياً أمام محفته، فجرحه فجأة فاستشهد، وكان أول شخص يقتله الفدائيون، وتوفى الحسن ابن الصباح فى عهد السلطان سنجر فى ربيع الآخر سنة ثمانى عشرة وخمس مائة، وكانت مدة ملكه خمسة وثلاثين عاماً، ويقال: أربعين عاماً.

وكان كياپزرك أميد، والحسن كلاهما داعية، وكان كيا قائد جيش الحسن وأرسله ليستولى على قلعة لميسر وجعله ولى عهده، وسكن فى تلك القلعة أيام الحسن عشرين عاماً وخلفه، وتوفى فى جمادى الأولى سنة خمسماية واثنين وعشرين، وكانت مدة ملكه أربعة عشر عاماً.

كيار محمد بزرگ أميد: خلف أباه بناء على وصيته، وجعل التشيع سنته، وكان على مذهب الحسن الصباح وأبيه، وتوفى فى ربيع الأول سنة خمسماية وخمس وخمسين، وكانت مدة ملكه ثلاثة وثلاثين عاماً.

الأمير أبو عبد الله الحسن بن محمد بزرگ أميد: اشتهر بـ (على ذكره السلام)، ويقال: إنه من نسل المصطفى لدين الله نزار، وأصبح ملكاً بعد ذلك ودعا إلى الإلحاد، وجمع الناس فى السابع عشر من رمضان سنة تسع وخمسين وخمسماية، وصلى العيد، وأخرج رسالة قال فيها: إن الإمام المخفى محمد بن الحسن صاحب الزمان، أرسل إلى رسالة ورفع التكليف عن الخلق، فتبعه أكثر أهل قهستان ورودبار، وتوفى فى ربيع الأول سنة خمسماية وسبع وسبعين، وكانت مدة ملكه اثنين وعشرين عاماً.

علاء الدين محمد بن الحسن: أصبح ملكاً بعد أبيه بناء على الوصية، وسلك طريقة أبيه فى الإلحاد، وتوفى فى ربيع الأول سنة ستمائة وسبع، ويقال: فى سنة خمسماية وتسع وتسعين، وكانت مدة ملكه اثنين وعشرين عاماً.

جلال الدين حسن بن محمد: أصبح ملكاً بعد أخيه، ويسمونه حسن الذى أسلم حديثاً، لأنه ترك طريق الإلحاد ولم يتجاوز جادة الشريعة، وكان رفيقاً للسلطان جلال الدين فى غزوة كرج، وتوفى فى رمضان سنة ستمائة وثمانى عشرة، ومدة ملكه تسعة عشر عاماً.

وكان علاء الدين محمد بن الحسن ولى عهد أبيه وخلفه بحكم الوصية، وكان فى التاسعة من عمره منزوياً أكثر أوقاته، وفى عصره مضى هولاكو خان بن تولى خان بن جنكيزخان إلى إيران، وأرسل كبتوقانويان فى المقدمة قاصداً بلاد الملاحدة،

فاستولى على معظم القلاع، وأكثر من الإغارة والقتل، وفى ليلة الأربعاء آخر شوال، ويقال: فى ذى القعدة سنة ستمائة وثلاث وخمسين، كان حسين المازندراني حاجب علاء الدين فى شيركوه جرحه ببلطة وقتله، وأجلس ابنه خور شاه على العرش، وكانت مدة ملكه واحداً وثلاثين عاماً.

ركن الدين خور شاه: أصبح ملكاً بعد أبيه، ولم تكن له ثقة فى حسين المازندراني، وكتب رسالة وأعطاهها لعدائى ليحملها إليه، ولما قرأها جرحه وقتله، وانتصر خور شاه وقال: قتلت أبى فائداً أقتلك، وأمر بإحراق أبنائه فى الميدان، ووصل هولاكو فى السابع عشر من شوال سنة خمسماية وأربع وخمسين على قلعة ميمون دز، ونزل خورشاه من القلعة بعد متاعب كثيرة وتخريب القلاع فى يوم الأحد الأول من ذى الحجة سنة ستمائة وأربع وخمسين فى صحبة مولانا نصير الدين الطوسى، وأصيل الدين الزورنى، والوزير مؤيد الدين، وأبناء رئيس الدولة، وموفق الدولة، وقال مولانا نصير الدين الطوسى فى هذا الباب :

لما أصبحت سنة العرب ستمائة وأربعاً وخمسين ففى فجر يوم الأحد الأول من ذى القعدة
تخلى خورشاه ملك الإسماعيلية عن العرش ووقف أمام عرش هولاكو
وأرسله هولاكو خان إلى منكو خان، وتوفى فى الطريق، وكانت مدة ملكه
سنة واحدة.

هوامش القسم الرابع

- (١) ورد هذا الاسم في بعض النسخ "شربتك".
- (٢) هو أبو محمد منصور بن علي المنطقي الرازي، من الشعراء المعاصرين للصاحب بن عباد، واتصل به وأطلعه على أشعاره، وجاءت كثير من هذه الأشعار في كتب التذاكر، وتوفي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري.
- زهرخانلري: فرهنگ، أدبيات فارس، ص ٤٨٥.
- (٣) هو أبو زيد محمد بن علي الغضائري الرازي أو الهروي، من المعاصرين للسلطان محمود الغزنوي ومن مداحيه، وكان برفقته عندما فتح سومنان، وهناك بقصيدة أشار فيها إلى هذا الفتح، كما عاصر السلطانين مسعود بن محمود، ومولود بن مسعود، وتوفي في سنة ٤٣٢ هـ.
- محمد عوفي: لباب الألباب، جلد دوم، ص ٥٠، د/ ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات إيران، ج ١، ص ٥٧٧.
- (٤) سورة النساء: الآية رقم ٥٩.
- (٥) الأعراف: آية ١٩٨.
- (٦) هكذا في الأصل.
- (٧) الواقع أنهما بيتان وليس بيتاً واحداً، كما جاء في المتن.
- (٨) هكذا في الأصل.
- (٩) هو شهاب الدين صابر بن إسماعيل الترمذي، مضى من ترمذ إلى بلخ و خوارزم، ومدح السلطان سنجر، وأعطاه السلطان سنجر رسالة إلى أتنس في خوارزم، واستطاع أن يقتفي أثر العنصرى والغرضى في قرض الشعر، ويشتمل ديوانه على الكثير من القصائد والغزليات، وطبع في طهران، وقتل غريقاً في نهر جيحون.
- دكتور / زهرای خانلری: فرهنگ ادبيات فارس، ص ٤٠.
- (١٠) هو أُوحد الدين محمد بن محمد الأنوري، من كبار شعراء القرن السادس الهجري، درس في المدرسة المنصورية بطوس، وخدم السلطان سنجر السلجوقي ومدحه، ويحتل الأنوري مكانة عظيمة بين شعراء الفرس، وقد اعتبره بعض النقاد الإيرانيين، أنه واحد من ثلاثة يلقبون بالأنبياء في الشعر الفارسي وهم: الفردوسي، والأنوري، والسعدي، وله ديوان شعر مطبوع، وتوفي في تبريز بين سنتي ٥٨٥، ٥٨٧ هـ.
- ديوان أنوري: با مقدمة وتصحيح سعيد نفيس، ص ١٧، (تهران ١٣٣٧ هـ.ش).

(١١) هورشيد الدين محمد بن محمد بن عبد الجليل العمرى الكاتب المعروف برشيد الدين الطواط، ولد فى بلخ والتحق بالمدرسة النظامية، وقام بخدمة علاء الدولة أئمز الخوارزم شاه، وأصبح شاعره وكاتب رسائله، واتصل بالكثير من المشاهير فى عصره، وله الكثير من المصنفات الفارسية والعربية فى سنة ٥٧٣ هـ .

د/ ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات إيران، جلدووم، ص ٦٢٨، وكذلك تاريخ الأدب فى إيران لبراون، الترجمة العربية، ص ٤١٧ .

(١٢) هكذا فى الأصل.

(١٣) هكذا فى الأصل.

(١٤) هكذا فى الأصل.

القسم الخامس

في ذكر ملوك بني إسرائيل من عهد موسى (عليه السلام) إلى آخر ملوكهم متتيا الذي سماه بختنصر صدقيا، وهم ثلاث طوائف، وعددهم تسعة وخمسون ومدة حكمهم تسعمائة وإحدى وأربعون سنة وستة أشهر.

الطائفة الأولى

من موسى كريم الله (عليه السلام) حتى إيشوش بن شاول الذي يسمونه في العربية طالوت، وهم تسعة عشر، ومدة حكمهم خمسمائة عام.

لما وجب على المؤرخ أن يكتب تاريخ وشعب كل طائفة وفق اعتقادهم، وأن يتحرز من تناول معتقداتهم بالتجريح والتزييف والتبديل والتغيير، ومما لاشك فيه أن كثيراً من بعض تواريخ معتقداتهم أن تكون صحيحة، إذ إن الله تعالى يقول ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾^(١)، فإنه طبقاً لمعتقدات هذه الطائفة المسمون في كتبهم وسننهم بحذافيره والعهد على الراوى، وكذلك شعب وتواريخ النصارى والهنود وأهل الصين والمغول ومعتقداتهم ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾^(٢).

موسى كريم الله (عليه السلام): ابن عمران بن قهان بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليهم السلام)، عاش يعقوب (عليه السلام) مائة وسبعة وأربعين عاماً، وكان له

اثنا عشر ولداً هم^(٣): روبييل، وشمعون، ولاوى، ويهوذا، ودان، وتفتاييل، وجاد، وأشر، ويستاخير، وزبولون، ويوسف، وبنيامين، وكانت أم روبييل وشمعون ولاوى ويهوذا تسمى لايا^(٤)، وأم يوسف وبنيامين وراحييل بنت لاوى النبى (ﷺ). وما بين دخول يوسف مصر ودخول موسى (ﷺ)^(٥) أربعمئة عام، وعاش يوسف بعد أبيه خمسين عاماً، وتوفى وله من العمر مائة عام وعشرة، ولما جاء موسى (ﷺ) أمر الله فى صحراء طور سيناء فى غزة الشهر الثانى من السنة الثانية من خروج بنى إسرائيل من مصر، لأن بنى إسرائيل كان لهم من يعدون مجموع الأبناء وهو أحد عشر سبطاً من بنى إسرائيل دون عد سبط لاوى، وكانوا فى العد الأول ستمائة وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين رجلاً، وكان هارون يكبر موسى بثلاثة أعوام، وأخته مريم كانت زوجة كالب بن يوفنا بن فارص بن يهوذا واسم أمه أباحية، وفى التوراة أنها برحايث بنت لاوى.

وكان لروبييل أربعة أبناء، هم: أخنوخ وفلو وحصرون وخرمى، وكان عدد أبنائهم ستة وأربعين ألفاً وخمسمائة رجل، وعمرهم أكثر من العشرين، وأقل من الخمسين، ولكن إناث هؤلاء لم يذكرن فى جميع الأسباط، وكان شريف هؤلاء القوم إلى صور بن شداد. وكان لشمعون ستة أبناء هم: نوبييل ويامين وأوهد وياخين وصوخروشاول، وكان أبناء هؤلاء تسعة وخمسين ألفاً وثلاثمائة ورجال جيش، وشريف هؤلاء القوم شلومى إيل بن سورى شداد، وكان للاوى ثلاثة أبناء: كيرشون وشريف أبنائه الياصاف بن لايل، وقهات وشريف أبنائه الصافان بن عزى إيل، ومرارى وشريف أبنائه سورى إيل بن اينجايل، وكان لهم أبناء كثيرون .

أما سبب أن موسى (ﷺ) كان من هذا السبط، فلم يذكره فى عداد الجيش، وكان خدمت خاص خباء المحضر^(٦) الذى كان يكلمه الله تعالى مع موسى مفوضاً عليهم، وكان عددها عن شهر أرينه وأكثر من اثنين وعشرين ألفاً، وكان ليهودا خمسة أبناء: شيلا وببرص وعبروا ريان وزارح الذى كان له خمسة أبناء: رموى وإيثان وهمان وخلقوك ودارع، وهؤلاء الخمسة كانوا أنبياء فى وقت ابتلاء بنى إسرائيل فى مصر بجور، وتسלט فرعون فى الوقت الذى تجلى فيه الله تعالى على موسى، وكان لببرص

ابن يسمى حصرون الذى كان له ابن يسمى كاليو، وله ابن يسمى حور، وله ولد يسمى أورى، وله ولد يسمى بنصل إيل^(٧)، وهو الذى كان له مسكن فى زمان موسى (عليه السلام) يقال له: خباء المحضر، وكان الله تعالى يكلمه هناك فى ذلك الصندوق^(٨) الذى كانوا يضعون فيه ألواح العشر آيات، ويسمونه صندوق الشهادة، وكانوا يقدمون ذبائحاً قرايين لتلك الآلات^(٩) التى كانوا يحتاجون إليها فى ذلك الوقت من الذهب والفضة والنحاس الأصفر والخشب، وكان يصنع هذا كله مهندس عظيم لدرجة أنه لم يكن له نظير، وله خادم يسمى أهلى بن ياخى ساماخ من نسل دان وكان موصوفاً بهذه الصفات، وكان أبناؤه أربعة وسبعين ألفاً، وشريفهم يحشون ابن عم نادوا، وكان لليون ولد يسمى حوسم، وأبناؤه اثنان وستون ألفاً وسبعمئة رجل، وشريفهم أحي غيور ابن عمى شداد، وكان لمعشائ أربعة أبناء: محصل وغونى ويصر وسلم، وأبناؤهم ثلاثة وخمسون ألفاً وأربعمئة رجل، وشريفهم أحي راع بن غينان، وكان لكاد ستة أبناء: صيفيون وجيكشونى وأصبون وعيرى وأردوى وأرايلى، وأبناؤهم خمسة وأربعون ألفاً وستمئة وخمسون رجلاً، وشريفهم الياف بن داعوايل، وكان لشوار أربعة أبناء: يمنا ويشوا ويشوى ويريفا، وأبناؤهم واحد وأربعون ألفاً وخمسمئة رجل، وشريفهم يرعى إيل عمران، وكان ليساحار أربعة أبناء: بولاغ ونورا ويور وشمرون وأبناؤهم خمسة وخمسون ألفاً وأربعمئة رجل، وشريفهم نثرايل بن صوعار.

وكان لزوولون ثلاثة أبناء: سيرد وإيلون ومحلل، وأبناؤهم سبعة وخمسون ألفاً وأربعمئة رجل، وشريفهم إالى أو بن خليون، وكان ليوسف ابنان: منسى وأفرايم، وأبناؤهم اثنان وسبعون ألفاً وخمسمئة رجل أبناء منسى وأربعون ألفاً وخمسمئة، أبناء أفرايم، وشريفهم أولى شاماع بن عميهود واثنين وثلاثون ألفاً من أبناء منشا، وشريفهم كملى إيل بن بدهصور.

وكان لابن يمين عشرة أبناء: ببلغ وينحر وأشبيل وكبرا ونعما وأخى وروش وهويم وجويم وارد، وأبناؤهم خمسة وثلاثون ألفاً وأربعمئة رجل، وشريفهم أوى دان بن كدعونى.

وكان لموسى (عليه السلام)، ولدان: كيرشوم واليعبزر، وأخ يسمى هارون الذى يسميه اليهود أهرون كهوهين، وأخت تسمى مريم يسميها اليهود مريام، وكان لهارون أربعة أبناء: ناداو والعازار وأويهو وإيثامار، وكان للعازار ولد يسمى بنحاص. ويروى البعض أن الخضر (عليه السلام) الذى يسمونه إيلياهو هو بنحاص هذا، وكان قارون بن بصحار وهو ابن عم موسى (عليه السلام) الذى غاصت به الأرض، وله ثلاثة أبناء: أسيرو وألفانا وأوى أساف، وكان ثلاثتهم أنبياء، وعندما كان بنو إسرائيل فى التيه أنبأ الرسل شموايل (عليه السلام) وابنه هيمان بن يوايل من نسل أوى أساف، وهيمان هذا هو الذى كان قد كلفه داود (عليه السلام) مع أساف (عليه السلام)، وعدة أشخاص آخرين من أبناء عمومته لخدمة خباء المحضر، فكانوا يسبحون ويهللون، وأنعم عليهم سليمان (عليه السلام) بهذا المنصب بناء على التقاليد القديمة.

نسبه: هيمان بن يوايل بن شموايل بن ألقانا بن يروحا بن اليهو بن تروح بن صفوف بن ألقانا بن ماحت بن عماساي بن ألقانا بن يوايل عزريا بن صصفينا بن ماحت بن أسبر بن أوى أساف (عليهم السلام).

وجعل موسى (عليه السلام) فى آخر عمره يوشع بن نون الذى يسميه اليهود يهوشوع خليفة على بنى إسرائيل، وكانت مدة عمر موسى (عليه السلام) مائة وأربعين سنة، ويقال: مائة وعشرين سنة.

يهوشوع: كان يهوشوع بن نون بن أليشاع بن عميهود بن لعدان بن شرشلح بن أفرايم بن يوسف (عليه السلام)، أصبح خليفة بعد موسى (عليه السلام)، وخاطبه الحق تعالى أن ارحل من هذا الموضع، واعبر من أمام مدينة بريحور^(١٠) نهر الأردن، وسأجفف نهر الأردن من أجلكم، ولما رحلوا ووصلوا شاطئ نهر الأردن، وصلت قدم من يحملون صندوق الشهادة الذى كان فيه اللوح المحفوظ^(١١) إلى شاطئ النهر؛ فانقسم النهر قسمين: قسم بقى كأنه جدار، والقسم الآخر كان يجرى على عادته الطبيعية، وما بين ذلك بقى يابساً، والناس الذين حملوا الصندوق وقفوا فى وسط النهر حتى عبر جميع بنى إسرائيل من هناك، ولما تجاوزت أقدام هؤلاء القوم هذا المكان جرى الماء مرة أخرى، ولما رأى بنو إسرائيل هذه المعجزة أطاعوه جميعاً.

ولما وصلوا مدينة بريحور كان لها سور منيع، فأمر الجيش أن يطوف في اليوم الأول حوله جماعات جماعات، وظلوا هكذا ستة أيام، وركب في اليوم السابع، وطافوا على عادتهم كل يوم، ولكنهم طافوا على الدوام في اليوم السابع، وأمر بالآ يتحدث مخلوق، كما أمرهم في المرة السابقة أن يكبروا وينفخوا في الأبواق قائلين: إن الله أعطاكم هذه المدينة، ولما كبروا^(١٢) تصاعد الصوت من الجيش سقط بقدرة الله تعالى سور هذه المدينة، واتجه الجيش إليها ونهبوها.

ولما بلغ هذا الخبر إلى المدن والأقاليم فإن سكان بعض هذه المدن ويسمونهم كدعون^(١٣)، أعلنوا له الطاعة فأمنهم، وبعد ذلك تشاور خمسة ملوك من ملوك هذه الولايات قائلين: لنمض ونستول على مدينة كدعون، ونقتل أهلها حتى لا تتعلم بلادنا منهم ولا يطيعونهم، واجتمعوا وهاجموا الكدعانيين، فعلم يهوشوع الخبر، فخاطبه الحق تعالى قائلاً: لا تخف فسوف أسلمهم إليك، فبيتهم يهوشوع وهزمهم جميعاً، فأمر الله تعالى عليهم حجارة لدرجة أن الذين ماتوا بالحجارة، كانوا أكثر ممن ماتوا بالقتل، وفي أثناء هذه الحرب لم يكونوا قد قهروا العدو كله فحلّ الليل، ونظر يهوشوع إلى الشمس، وأمر الشمس ألا تبرح موضعها؛ ليهزموا العدو ويفنوه، وتوقفت الشمس بقدرة الله تعالى ست ساعات حتى هزموا الأعداء، وقتل واحداً وثلاثين ملكاً في وقت قصير، واستولى على بلادهم ووزعها على بني إسرائيل، وعبد بنو إسرائيل في زمانه وبعده بمدة طويلة الله تعالى، وكانت مدة عمره مائة عام وعشرة.

غثنى إيل بن قناز: كان من أسباط اليهود، ضل بنو إسرائيل وخرجوا عن طاعة الله بعد يهوشوع، فسلط الله عليهم كوشان رشعائم؛ فعذبهم ثمانية أعوام، فشكا بنو إسرائيل إلى الله، فأعانهم الحق تعالى على يد غثنى إيل حتى قتل كوشان، وكانت مدة حكمه أربعين عاماً.

أهود بن جير بن بنيامين: كان من سبط بنيامين، ولما بقى بنو إسرائيل بعد غثنى إيل بلا حاكم ضلوا الطريق مرة أخرى، فجعلهم الحق تعالى أسرى في يد الملك عفلوان، فأغار عليهم عدة مرات، وكانوا عبيداً له مدة ثمانية عشر عاماً، ولما اتجهوا

إلى الله بعد ذلك أرسل إليهم أهود هذا حتى مضى بحيلة إلى الملك موارد وقتله، فأمن بنو إسرائيل واستراحوا، وكانت مدة حكمه ثمانين عاماً.

شمكار بن غياث: قام مقامه، وكان رجلاً شجاعاً بطلاً، وهزم جيش فلسطين عدة مرات، وكانت مدة حكمه عاماً واحداً.

باراق بن أوى نوعم: كان من سبط يعثابى، وكان دوورا على مذهب نبيه اليهودى، فخطبه الحق تعالى قائلاً: أرسل إلى باراق ليسوق الجيش ليمضى لمحاربة ياوين ملك القيصرية؛ لأنه يعذب بنى إسرائيل منذ عشرين عاماً، إذ إنى سوف أخذل ياوين أمام باراق، فجمع باراق الجيش ومضى لمحاربته؛ فنصره الحق تعالى وهزمهم وهرب بيسرا قائد جيش العدو مترجلاً، فاستدرجته امرأة تسمى ياعيل زوجة جبوريقتى إلى منزلها وقتلته، وبقيت الملكة مرة أخرى فى يد بنى إسرائيل، وكانت مدة حكمه أربعين سنة.

كدعون بن يراش: كان نبياً من سبط منسا، وكانوا يسمونه يربعل، ولما سلك بنو إسرائيل طريقه مرة أخرى، سلط الحق تعالى ملوك الميديين عليهم، فعذبوهم سبع سنوات، فلجأ معظم بنى إسرائيل إلى الجبال، وابتلوا بأنواع الظلم والعدوان، ولما اتجهوا إلى الله ثانية أمر الله تعالى كدعون، ليحشد جيشاً وهزم بثلاثمائة رجل، مائة وخمسين ألفاً، وقبض على زبرج وصلمتاع من ملوك الميديين وقتلهم، وكانت مدة حكمه ثلاثين عاماً.

أوى ميلخ: لما توفى كدعون كان له اثنان وسبعون ولداً، وكان أوى ميلخ من سرية أهل شخيم، مضى إلى أقرباء أمه بعد وفاة أبيه، وينوع من الحيل قتل فى يوم واحد سبعين من إخوته وهرب واحد منهم يسمى بونام، فانصبت عليه لعنته وقتلوا أوى ميلخ، وكانت مدته ثلاثة أعوام.

تولاغ بن فور: كان من سبط ببساخار، وأصبح حاكماً من بعده، وكانت مدته اثنين وعشرين عاماً.

يفتاح كلعادى: كان نبياً من سبط منشا، وضل بنو إسرائيل بعد بانئبو^(١٤)، فسلط الله تعالى عليهم أبناء عمون، فعذبوهم ثمانية عشر عاماً، ولما عادوا إلى الله أرسل إليهم الحق تعالى يفتاح، فجهز جيشاً، وقتل أبناء عمون، وكانت مدته ستة أعوام.

أوصان: كان من سبط يهودا، وحكم بعده، وكانت مدته سبعة أعوام.

إيلون: كان من سبط زبولون، وقام مقامه ومدته عامان.

عوون: كان من أبناء أفراييم، وحكم من بعده ومدته ثمانية أعوام.

سمسون بن مانوح: كان نبياً من سبط دان، وكان بطلاً شجاعاً عظيماً، بحيث إنه هزم جيش فلسطين بفك حمار، وأسر في آخر العمر بحيلة من زوجته، وفي حالة انهزامه هزم عدة آلاف من الرجال، وهو مدفون في أران، وكانت مدة حكمه عشرين عاماً.

عالى أمام: كان نبياً من أبناء إيثارمار بن هارون (عليه السلام)، حكم من بعده، ولما ضل أبنائه ومنعهم بلا اضطهاد، فلم يقبل الحق تعالى هذا، فأرسل إليه رسالة على لسان شموائل؛ ليعزله وأبنائه من حكم بني إسرائيل، وكانت مدته أربعين عاماً.

سموئيل: كان من أبناء أوى أساف النبي من سبط راوى، وأمه تسمى حنا فقدم إلى عالى أمام وكان يلزم بيت الله، فسمع نداء ذات ليلة فظن أن عالى أمام يستدعيه، فنهض ومضى إليه، فقال عالى: لم أستخدمك، فعاد إلى بيته حتى سمع النداء ثلاث مرات ومضى إلى عالى ثم عاد، فعرف عالى أمام الحال، وقال: يا بنى عندما تسمع النداء فى هذه المرة أجب وأنت فى موضعك ولا تأت، ولما سمع فى المرة الرابعة، قال: لبيك ونهض، فقال الحق تعالى: سوف أقوم بعمل فى بنى اسرائيل كل من يسمع عنه تصم أذناه، والآن لا أصيب عالى وأسرته بأكثر مما أصبت بهم من قبل، وأعلمهم الآن أنه وأسرته سيكون لهم الحكم حتى آخر الزمان بذلك الذنب الذى عرفه من عمل أبنائهم، وأقسمت بعزتى وجلالى أنه لن يكون لذنوب أسرة عالى كفارة لا بقربان ولا بغيره، وبعد ذلك انقطع النداء، وناداه عالى فى الفجر وسأل عما وقع، فقال له: ما حدث على الحقيقة، فأجاب عالى: إن الأمر إلا لله.

وبعد ذلك وصل حكم بنى إسرائيل إلى شموائل، وأعطى أبنائه فى أثناء حياته لبوايل وافيا، ولكن أبنائه لم يسلكوا الطريق المستقيم، فقال شيوخ بنى إسرائيل:

إن أبناءك لا يتبعونك وينبغي لنا ملك يحكمنا كيشان الطوائف، فعرض شموائل على الحق تعالى، ويأمر من الله جعل من يسمى شاوول ملكاً عليهم في زمانه، وكانت مدة حكمه وأبنائه خمسة أعوام.

شاوول: كان من سبط بنيامين ويسميه العرب طالوت، جعله شموائل خليفته على بنى إسرائيل، وهو أول شخص سمي ملكاً من بنى إسرائيل، وأمر بمظاهر الحكم من قلان وقوبجور ونمرى والحقوق الديوانية الأخرى، ومع أنه كان ملكاً، إلا إنه لم يحكم من غير سؤال شموائل، وبعد ذلك قتله يهوناثان وأوى نازار مع أبنائه في جبل كلبودع، وكان مدة ملكه عامين.

إيشبوشث: كان عم أبيه إينو ملكاً بعد وفاة أبيه، وفي الوقت الذي قتل فيه شاوول، جعل سبط يهودا داود ملكاً عليهم، وكان أمير جيش داود يراو بن صوريا وقائد جيش إيشبوشث أوا بن نير، فتحاربوا وقتل بنى رابو؛ ثاراً لدم أخيه عسا إيل، وبعد ذلك قتل إيشبوشث أيضاً، وبقي هؤلاء الأسباط بلا ملك مدة خمسة أعوام، وقدم بعد ذلك اثنا عشر سبطاً من بنى إسرائيل إلى مدينة خورزين عبيداً لداود (عليه السلام) وباعوه، وكانت مدة حكم إيشبوشث عامين.

الطائفة الثانية

داود (عليه السلام) وأبنائه حتى متيا الذي قتله بخت نصر.
وهم واحد وعشرون، ومدة ملكهم أربعمئة وواحد وأربعون
عاماً ونصف .

داود (عليه السلام): ابن إيشاي بن عوفيد بن بوغو بن سلما بن يخشون بن عميناداب بن
رام بن حضرون بن ببرص بن يهود بن يعقوب (عليه السلام).

وكان نبياً وملكاً وشجاعاً، وكانت بداية شجاعته عندما كان يرعى غنم أبيه فاخطف
دب شاة من القطيع، فتعقب الدب حتى وصله، واستخلص منه الشاة، وفي تلك الأثناء
هاجم أسد داود فقتلها معاً.

وكان شاوول في ذلك الوقت ملكاً على بني إسرائيل، فثار عليه جيش فلسطين،
وكان في طبيعتهم بطل يسمى كليات يسميه العرب جالوت، ولما التقى الجمعان خشي
طالوت وجيشه جالوت، وكان جالوت يطلب من يخرج إليه مبارزاً مدة أربعين يوماً، ولم
يستطع أحد أن يبرز إليه، فأمر طالوت منادٍ ينادي في جيشه ثلاثة أيام تباعاً قائلاً:
من يقتل هذا المجوسى، سأزوجه ابنتى وأجعله غنياً وأعتقه وأباه.

وفي أثناء هذه الأيام قال إيشاي لابنه داود: يعود الجيش هذه المرة متأخراً قدم
إليهم قادراً من الزاد لإخوة بير، وخبرنى عن الجيش، وسلامة الإخوة، ولما مضى داود،
رأى أخاه الأكبر: فزجره قائلاً: لماذا جئت وسلمت الغنم؟، ولما أوصل إليه رسالة وهدية
أبيه وعاد وصلت لذلك الشخص امرأة مناديه، وسمع هذا المنادى يقول: أخرج من عهدة
هذا الأمر، فأخبروا الملك فطلبه وألبسه درعه، ولكنه كان طويلاً وثقيلاً فخلعه،

فقال طالوت: كيف تقاوم هذا العدو بغير جيوش ولا سلاح؟ قال: حينما كنت أرعى الغنم اختطف دب شاة من القطيع، وكان معه أسد فى ذلك الوقت وقتلتهما بقوة الله وخلصت الشاة، وإن هذا المجوسى لن يكون شراً منهما، قال هذا الكلام ومضى، وحمل فى الطريق خمسة أحجار بأسماء إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون، ووضعهم فى كيس المقلع، ولما وصل المعركة رآه جالوت، وقال: أنا ذلك الكلب الذى أتيت إلى المقلع أقدم حتى أقدم لحمك لطيور السماء وكلاب الأرض، فدرس داود يده فى الكيس، فصارت هذه الأحجار حجراً واحداً بقدرة الله تعالى، فوضعها فى المقلع وضربه فى جبهته، فسقط جالوت، فجرى داود واستل سيفه من وسطه وقطع عنقه.

ولحقت الهزيمة بجيش جالوت، وتلا تلوه بنو إسرائيل وقتلوا معظمهم، وسأل طالوت قائد جيشه نير من هذا الرجل؟ قال: لا أعلم، فطلبوه، فقدم داود ومعه رأس جالوت فى يده وقدمه إلى طالوت، فسأله عن حسبه ونسبه فاحتجزه عنده وجعله على رأس الجيش.

ولما قتل طالوت وهب الحق تعالى ملك بنى إسرائيل إلى داود، وأقام العدل بين الناس، وكان له تسعة عشر ولداً: سليمان وأمنون ودانيال وأوشالوم وأنونيا ويوحنا وشمعا وشورار وناثان وينفع ويانى بع واليشامع والياذا ع واليغيط واليشامع واليفاطو وبرعه وشعطيا وبثوعلم، وكان أوشالوم ابن بنت ملك الكرج التى تسمى منحا، فحارب أباه وقتل وأمل الملك لدينا، ولما تقرر الملك لسليمان أراد دينا أن يتزوج زوجة أبيه، فقتله سليمان بهذا الذنب، وكانت مدة ملك داود (٤٠) أربعين سنة.

سليمان بن داود (عليهما السلام): جعله داود ولياً للعهد فى حياته، وأجلسه على العرش، ولما تقرررت السلطنة له، جمع أمراء هزاره وصده وأشراف بنى إسرائيل وتوجه إلى معبد^(١٥) كان فى كدعون، شيده خباء المحضر فى زمن موسى (عليه السلام)، ومذبح مسين الذى كان قد شيده بصل إيل بن أورى ومكث هناك، وقدم ألف قربان لحضرة الحق فى هذا المذبح ذات ليلة.

وتجلى الحق تعالى على سليمان، وقال: اطلب منى ما تريد أمنحك إياه؟، فقال سليمان: لقد أحسنت إلى أبى وأجلستنى على العرش مكانه، وهؤلاء القوم كثيرون جداً ولا حصر لهم، وما أريده من الحضرة أن تهبنى العقل والعلم، حتى أذكر عظمتك بذلك الحدث لهؤلاء القوم، فقال الحق تعالى: طالما أنك لم تلتمس منى المال والعمر والنصر على العدو، وطلبت العقل والعلم حتى تنشر العدل بذلك بين خلقى، فقد وهبتك كليهما، وأضفت لهما المال والمهابة التى لم تكن لأى ملك قبلك ولا بعدك.

ولما وجد هذه العناية وهذا التفضل من الحضرة الإلهية، رجع وتولى حكم بنى إسرائيل، وكان أول حكم حكمه أن امرأتين كانتا مقيمتان فى منزل واحد، واتفق أن حضرتهما الولادة، فجاء لكل واحدة ولد، ولم يكن فى هذا البيت أحد سواهما، وفى اليوم الثالث توفى ولد إحداهما، فأخذت ولدها الميت فى الوقت الذى كانت فيه المرأة الأخرى نائمة، فوضعت بجانبها وأخذت وليدها الحى، وفى الفجر نظرت المرأة إلى ولدها فوجدته ميتاً، فحزنت حزناً شديداً، ومن شدة الحزن لم تنظر إلى الوليد، ثم صار معلوماً لها أن هذا الولد ليس ولدها، ونظرت إلى الولد الآخر فعرفته، فصاحت ووضعت يدها عليه قائلة: هذا ولدى!، فنازعتها المرأة الأخرى فيه قائلة: لا، إنه ابنى، وتوجهتا إلى سليمان بسبب هذا النزاع لطلب الإنصاف، وعرضتا قضيتهما أمام الأمراء والوزراء بالحضرة، فعجزوا جميعاً عن الفصل فى هذا النزاع، فقامتا بعرضهما على حضرة سليمان، فقال: أحضروا سيفاً، وطلب المرأتين مع وليهما، وقال: اشطروا الطفل الميت شطرين، وأعطوا كل امرأة شطراً منه، وقسموا الطفل الحى كذلك بهذا الشكل. فصرخت إحدى هاتين المرأتين قائلة: لا بحق الله، لا تقتلوا هذا الطفل الحى، وأعطوه لها حتى تذهب، وقالت تلك المرأة التى كانت قد صنعت الحيلة: لا، يجب أن تشطروا الاثنين إلى نصفين حتى يصلنى ويصلك نصيب من الاثنين كما أمر الملك، فأمر سليمان أن يعطوا هذا الولد الحى لهذه المرأة التى لا ترضى بقتله، فهى والدة الطفل الحى، وأعطوا الطفل الميت لهذه المرأة الأخرى، فبقى جملة الحاضرين فى دهشة وتعجبوا من هذا الحكم، وأقروا له بالعلم والعدل الملكى.

وفى العام الرابع عشر من توليه الملك، اتجه لعمارة بيت المقدس وجمع المال الكثير من أجل ذلك، بحيث أنهم صهروا ما فى المخازن من ذهب وقضة، وكان يتم وضعها فى الشوارع والأزقة على شكل أحجار كبيرة، وعمر بيت المقدس بشكل مبهر مدة سبعة أعوام، ولما تم ذلك التعمير، دعا إلى وليمة عظيمة لدرجة أنه ذبح بها اثنين وعشرين ألف بقرة، ومائة وعشرين ألف خروف، وبقية ما تحتاج إليه هذه الوليمة على هذا القياس، وأقاموا احتفالات عظيمة فى ذلك المذبح الذى كان قد شيده^(١٦)، ووضعوا عليه القرايين، وتوجه سليمان (عليه السلام) إلى بيت المقدس، وصلى هناك وتضرع إلى الحق تعالى، فهبطت من السماء نار كما كان معهوداً فى زمن موسى (عليه السلام)، وحرقت كل هذه القرايين، وخاطب الحق تعالى سليمان فى هذه الليلة قائلاً له: لقد قبلت صلاتك وقرايينك، ما دمت وأبناؤك على نهج عبدى داود ولا تتجاوزون ذلك، ولن أنزع الملك من أسرتك وأبنائك^(١٧).

وبلغت عظمة ملكه أنه حكم على الجن والإنس، وكانت له السيادة والملك على المريع المسكون، وكان له ألف امرأة، وسبعمائة سيدة، وثلاثمائة من السراى، وجرى العادة بأن يقرر لماندته فى كل يوم ثلاثين جوالاً كبيراً من الدقيق، وثلاثين رأس بقرة، ومائة خروف غير لحوم الصيد وأنواع الطيور، وكان له أربعون ألف حمار، وأثنى عشرة ألف جنيبة، واشتهرت عظمتة وملكه، وكانت مدة ملكه أربعين سنة، وذكر الواحدى: إن ملك سليمان كان سبعمائة عام وستة أشهر.

رحو عام بن سليمان وإخيا وشمعيا: كان هؤلاء الثلاثة أنبياء معاصرين له، وكان إخيا شيلونى قد وجد ذات يوم فى عهد سليمان يروعام بن نواط الذى كان غلام سليمان فى الطريق وحده، وقد ارتدى ثوباً جديداً، فوضع يده فى هذا الثوب ومزقه اثنتى عشرة قطعة، وقال ليروعام: خذ عشر قطع من هذا الثوب، فقد أمر الحق تعالى بذلك لأن نساء سليمان أضلنّه، فأهمل فى طاعته، ولم يستطع أن يقوم بجميع أحكام الدين مثل داود، وأنزع الملك من عشرة أسباط من بنى إسرائيل من أسرته وأعطىها لك، وأمنح الملك لسبطيين من أبنائه لعبدى داود، وقبل أن يذكر قصة الخلع هذه، قال إخيا ليروعام: كان البارئ تعالى قد قال لسليمان، فقصد سليمان يروعام لكنه

هرب ومضى عند شيشاق ملك مصر، وبقي هناك حتى توفي سليمان، ولم أفضى الملك ليروعام اجتمع بنو إسرائيل جميعاً؛ ليجلسوا يروعام بن نواط على العرش مكان أبيه، والتمس منه الرؤساء والشيوخ، وقالوا له: إن أباك كان حملاً ثقيلاً علينا، وإذا ما خففت عنا مراسم الملك فنحن ندين بالعبودية من قلوبنا وأرواحنا للقصر، فامتنع عن الجواب ثلاثة أيام، وقال بعد ذلك: إن خنصرى أغلظ من خنصر أبى، فإذا كان هو عليكم حملاً ثقيلاً، فأنا حمل أثقل.

ولما سمعوا منه الكلام على هذا النحو انصرفوا عنه، ولم يبق معه سبط يهوذا وبنيامين طويلاً، وأرسل على عادة أبيه من يسمى أزورا؛ لتحصيل الخراج، واتحد بنو إسرائيل جميعاً وقتلوه بحجر، ولم يسمع رحو هذا الخبر فر إلى بيت المقدس، ومن هذا اليوم استاء عشرة أسباط من بنى إسرائيل من أسرة وأبناء داود، ومنذ ذلك اليوم إلى انقراض دولة بنى إسرائيل لم يحكم أحد بنى إسرائيل جميعاً، وجعل هؤلاء الأسباط العشرة يروعام بن نواط ملكاً عليهم، وجمع رجوعام من سبط يهوذا وبنيامين فى بيت المقدس مائة وثمانين ألف رجل ليحارب يروعام، فأرسل البارئ تعالى رسالة على لسان شميعة النبى لرجوعام قائلاً له: لا تحارب إخوتك، لأن عزك عن الملك كان من عندى، فليرجع كل منكم إلى بيته، فرجعوا، وكانت مدة ملك رجوعام على سبط يهوذا وبنيامين سبعة عشر عاماً .

أويا بن رجوعام: فى العام الثامن عشر من ملك يروعام بن نواط أصبح ملكاً بعد أبيه على سبط يهوذا وبنيامين، كما كان يحيد مثل أبيه عن طريق داود (عليه السلام) وضل، كما كان معاصراً ومخاصماً ليروعام، وكانت مدة ملكه ثلاثة أعوام.

أساء بن أويا: أصبح ملكاً بعد أبيه فى العام العشرين من ملك يروعام، وسلك طريق داود (عليه السلام) وخرب جميع المعابد التى كانت فى مدن يهوذا وبنيامين، وما شيده يعيشا ملك بنى إسرائيل، وكانت مدة مملكته إحدى وأربعين سنة.

يهوشافاط بن أساء: أصبح ملكاً بعد أبيه، وسلك طريق داود (عليه السلام)، وكانت مدة ملكه ثمانية أعوام.

يورام بن يهوشافاط: كانوا يسمونه بهرام، وهو معاصر ليورام بن آحاز، حكم بني إسرائيل، وسار سيرة آحاز، وكانت مدة ملكه ثمانية أعوام.

أخزيا هو بن يورام: أصبح ملكاً في السنة الثانية عشرة من ملك يورام بن آحاز، وسار سيرة أبيه كذلك، وكانت مدة ملكه عاماً واحداً، ولما توفي، كانت أمه عثليا بنت آحاز قتلت جميع الأمراء من نسل داود (عليه السلام)، واستولت على ملك سبط خودا، وخلصت أخت أخزيا هو يهوشفيغ من يسمى يهواش بن أخزيا هورا من بين القتلى واحتفظت به ستة أعوام في بيت المقدس، وفي العام السابع ضم يهوذا ذاع الذي كان أمام وزوج يهوشفيغ في خفية من عثليا خمسة من قادة الجيش، وباعوا يهواش وأجلسوه ملكاً في بيت المقدس، ولما سمعت عثليا ذلك مضت إلى هناك ورأت الحال، فمزقت ثوبها، فطردوها من بيت المقدس وقتلوها، وأجلسوا يهواش مكان أبيه أخزيا هو على العرش.

يهواش بن أخزيا هو: سار سيرة داود (عليه السلام)، وأمر ببناء ما كان عامراً في بيت المقدس في عهد سليمان وتخرّب، وهاجمه غلماناه في النهاية وقتلوه، وكانت مدة ملكه أربعين سنة.

إمصيا بن يهواش: قام مقام أبيه، وسلك طريق داود (عليه السلام)، وكانت مدة حكمه تسعة وعشرين عاماً.

عزريا بن إمصيا: يلقبونه بعزنا أيضاً، وسلك طريق داود (عليه السلام)، وكانت مدة حكمه اثنين وخمسين عاماً.

يوثام بن عزريا: خلف أباه، وسار سيرة داود (عليه السلام)، وكانت مدة حكمه ستة عشر عاماً.

أحاز بن يوثام: خلف أباه، وسار سيرة يروعام بن نواط، وكانت مدة حكمه تسعة عشر عاماً.

حزقيا بن أحاز: كان شيخ داود (عليه السلام)، وخرب جميع المعابد، ولم يكن من الملوك قبله ولا بعده من كان مثله في زهده وتقواه، وكان معاصراً لنبجாமودشتي^(١٨) النبي (عليه السلام)^(١٩)، وهو الذي هزم جيش فلسطين الذي كان يهاجم بنى إسرائيل، وفي العام الرابع عشر من ملكه ثار سنخاريب، واستولى على جميع البلاد والمعمورة التي كانت في حوزة سبط اليهود، وبعد ذلك أرسل من رجاله: ترتان، وروساريش، وروشاقى بجيش في مكان لاجين عند حزقيا وهدده، ولما سمع الياقيم بن حلقيا وشوفارمواح هذا الكلام، فلم يجيبا ولجأ إلى حزقيا ومزقا ثيابهم، واستاء كذلك من سماع هذا ومزق ثيابه ولبس ثوب الفقراء، ومضى إلى بيت المقدس، ومزق هؤلاء الأشخاص المذكورين مع قادة جيشه ثيابهم وارتدوا ثياب الفقراء، وأرسلهم إلى يشيعا النبي وطلبوا منه المعونة، وأرسل في جوابه: لا تخش إرهاب هؤلاء القوم إن شاء الله، وسوف أسمع شيئاً عن أخبار ملكهم، وأنه رجع لبلاده وقتل.

وعاد روشاقى بعد ذلك، فأرسل الحق تعالى ملكاً؛ لقتل جيش سنخاريب، ومات في ليلة واحدة مائة وخمسة وثمانون ألفاً، ولما نزلت بهم هذه المصيبة عابوا، ومضى إلى مدينة نينوى، وشغل في معبده بعبادة صنم له سمى نسروح، وضربه بالسيف كل من شن أيعصر وأذملمخ وقتلاه، وخلفه ابنه إيسرخدون، وبعد ذلك مرض حزقيا، فمضى إليه يشيعا، وقال: أوص، فإنك سوف تموت، فتضرع حزقيا إلى الله، فجاء يشيعا هتاف من الله يقول: قل لحزقيا إن تضرعك قد بلغنا وسامحتك، وستشفى في اليوم الثالث، وزدت في عمرك خمس عشرة سنة، وأكف يد تعدى الملك عنك من أجل عبيد داود وأبيك، وهذا ما وقع، وكانت مدة ملكه تسعة وعشرين عاماً .

منشأ بن حزقيا: كان من أولاد سليمان، خلف أباه، وهو في الثانية والعشرين من عمره، وسلك طريق الكفر والزندقة، وعمر كل معبد خربه أبوه، وجعل معبوده تسخير جميع الكواكب التي عبدها، ووضع المعبود الذي صنعه في بيت المقدس، وأراق دماء كثيرة، وأبعد سبط يهودا عن طريقه كذلك، فغضب الحق تعالى، وعهد إليهم بإسقاطه، وأن يخرّب بيت المقدس، وأن يلحق بهم كل سوء، وبقي اثنين وعشرين عاماً كافراً عاصياً،

وقبض عليه ملك الجزيرة بعد ذلك، ووضعه فى قفص من حديد، وأمر أن يضرمو النار تحته؛ ليقتل على مهل، ولما كان يسخر الكواكب كان يسخر كل يوم كوكباً من الكواكب السيارة، ويطلب شفاعتها، فلم يفته كوكب منها، وبعد أن عجز قال: أمض إلى باب الحق تعالى، وأجربه أيضاً، ولما ناح وهو صادق رحم الحق تعالى نحييه وعويله وكسر حرارة هذه النار، ولما تخلص من هذا العذاب، تاب توبة نصوحاً، وبقي صاحب توبة طيلة ثلاثة وثلاثين عاماً، وكانت مدته خمسة وخمسين عاماً.

أمون بن منشأ: خلف أباه، وهو فى الثانية والعشرين من عمره، وسلك طريق الكفر والزندقة، ودهمه غلمان أبيه وقتلوه، وكانت مدة ملكه عامين.

يوشياهو بن أمون: خلف أباه، وهو فى العشرين من عمره، وسلك طريق العدل والإنصاف، وسار على نهج داود (عليه السلام)، وأعاد ترميم بيت المقدس.

يرميا النبي: كان معاصراً لأمون وحولدا نبية، وكانا ينصحان بنى إسرائيل، ولكنهم لم يستمعوا إليهما، كانت حولدا امرأة صالحة ونبية، وكان أرزل شلوم اسم شخص ابن بقوانس بن جرجيس بن يوشياهو بن حلقيه أمام، وإحقيقام بن شافان وعيجور بن منجا وسافا محرر، وأرسل عسايا عبده إليه، وسأله كيف ستكون عاقبة أمرى وأمر قومى؟، فأرسل إليه هذا الجواب: إن البارئ تعالى أمر بأنه سيصيب هؤلاء ببلاء عظيم؛ لأنهم خرجوا عن فرائضى وشرائعى وعبدوا الأصنام وأحرقوا أبناءهم بسببها، وقل للملك يهودا: بما أنك رجل صالح، وسمعت هذه الأخبار وبكيت، ومزقت ثيابك وتضرعت وانتحبت، فإن الحق تعالى لن يأتى به فى أيامك وسيجعلك تمضى سالماً.

ولما سمع جواب رسالته، جمع كل شيوخ بيت المقدس، ومضى إلى بيت المقدس وكان معه الأنبياء الذين كانوا فى هذا الوقت وأحضر هؤلاء القوم، ووقف يوشياهو على عمود من أعمدة بيت المقدس، وعاهد الحق تعالى أن يأمر الجميع بأن يتبعوا فرائضه وسننه وشرائعه وكتابه بقلوبهم وأرواحهم، وعاهدوه جميعاً على هذا، بعد ذلك قال لحلقيا الإمام: إن كل شئ وضعوه فى بيت المقدس لعبادة الأصنام أخرجها كلها وأحرقها، وما كانوا قد وقفوه من أجل مصالحهم خربوه بتمامه، وكذلك المنازل التى بنوها

فى أطراف تلك المناطق وقتلوا الناس الذين كانوا مجاورين للمعابد، وكانوا يخدمون الأصنام جميعاً، كما أحرقوا جميع الأشياء التى صنعها منشأ، ووضعها فى بيت المقدس، وجميع المعابد التى أقامها يروعام بن نواط، ولم يكن أحد من الملوك القدماء مثله فى الطاعة والعبادة، وثار فى آخر عمره من يسمى فرعون نكوه ملك مصر على ملك الموصل على شاطئ الفرات، فمضى إليه يوشاهيو، فقتله برغونجو فى موضع مور، وكانت مدة ملكه إحدى وثلاثين سنة.

يهو أهاز بن يوشياهو: خلف أباه، وهو فى الثالثة والعشرين من عمره، وعمل السوء، وحبسه برغونجو فى مدينة ريله من توابع حماة وأجلس أخاه الياقيم مكانه، ولما مضى إلى مصر حمله معه ومات هناك، وكانت مدة ملكه ثلاثة أشهر.

الياقيم بن يوشياهو: نصبه برغونجو ملكاً، واسمه يهوياقيم، وكان مثل أخيه زنديقاً كافراً، وظهر فى عهده نروخت نصار الذى يسميه العرب بختنصر، أطاعه يهوياقيم هذا ثلاث سنوات، ثم تمرد عليه بعد ذلك، فسلط الحق تعالى جيش الكلدانيين وجيش دمشق وموا وعمون على سبط يهودا حتى محوهم من على وجه الأرض بذنوب منشأ جده، وبسبب الدماء التى أراقها بغير حق، وكانت مدة ملكه أحد عشر عاماً. وكان يرميا وأورياهو النبيان معاصرين له، وكانا ينصحانه، ولكنه لم ينتص.

يهوياخين بن الياقيم: خلف أباه، وهو فى الثامنة عشر من عمره وسلك طريقه، وقدم فى زمانه عبيد بختنصر ملك بغداد إلى بيت المقدس، واعتقلوه فى حصن، ووصل بختنصر أيضاً، فاضطر يهوياخين وأمه وعبيده للمضى إليه، وتولى بختنصر فى العام الثامن من ملكه عليهم، وعلى جميع الخزائن التى كانت فى بيت المقدس وهذه النواحي، كما استولى على كل شىء ذهبى صنعه سيدنا سليمان (عليه السلام) من أجل بيت المقدس، وعين جميع الرؤساء والأعيان مع عشرة آلاف رجل شجاع لهذا الموضوع، وحمل يهوياخين مع والده وحشمه وخداه إلى بغداد، وكانت مدة ملكه ثلاثة أشهر.

متتيا بن يوشياهو: حمل بخت نصر يهوياخين إلى بغداد، وأجلس محله عمه متتيا وسماه صدقيا، وأصبح ملكاً وهو فى الحادية والعشرين، وسلك مسلك أخيه

وتمرد على بختنصر فى الشهر العاشر من العام التاسع من حكمه، وقدم بخت نصر فى نفس الشهر بيت المقدس، وحاصره مدة عامين حتى السنة الحادية عشرة من حكم الملك صدقيا، حيث ظهر قحط عظيم فى تلك البقعة، فهرب صدقيا فى نصف الليل مع الجيش، فتعقبه جيش الكلدانيين، وقبضوا عليه بالقرب من مدينة برنجا، وانفض جيشه عنه وحبسوه وقتلوا أبناءه أمام عينيه، وحملوه إلى بغداد، وبعد ذلك فى اليوم السابع من الشهر الخامس فى العام التاسع عشر من حكم بخت نصر قدم من يسمى فردرزازان^(٢٠)، وهو أمير من جملة عبيده، قدم بيت المقدس، وأشعل النار فى المحراب وبيت الملك وكل البيوت التى كانت حول بيت المقدس، وأحرقها كلها وهدم أسوار هذه البقعة من أساسها، وحمل معه من يسمى سرايا، وكان الإمام الأكبر وصفيها هو الذى كان أمام الروم والخادم الذى كان أمير العرض مع ستين رجلاً آخرين من أهل هذه البقعة إلى بخت نصر وقتلهم جميعاً فى موضع يسمى ودلاته، وجعلوا سبط يهودا يهاجر من وطنه المألوف وشربوه، وكان فى الرعية أقلية التى بقيت بعد هذا القتل والنهب من يسمى كدليا بن أحيقاف بن شافان فوكل بهم، ولما سمع الأمراء والجيش هذا الخبر بأن الملك كدليا أصبح على رأس رعية بيت المقدس، قدم جمع عظيم مع ايشماعيل بن نتنيا، ويوحانان بن قنانيح^(٢١)؟، وسرايا بن تنحومت، ونازينا بن حفحاني عند كدليا فى مكان يسمى مصفاة، فاقسم معهم وسرهم، وقال لهم: عودوا وكونوا عبيد الملك.

وفى الشهر السابع من هذه القضية قدم ايشماعيل مع عشرة رجال وكدليا ومن كانت لهم تبعة الجيش معه، وقتلهم فى موضع مصفاة وتفرقت الرعية التى كانت هناك من صغير وكبير، ومضوا إلى مصر وخلقى بيت المقدس من هذه الطائفة، وكان هذا جلاء طائفة بنى إسرائيل عن هذا الموقع وانقراض دولتهم، وكان حزقييل معاصراً لذى الكفل ويرميا النبيين.

الطائفة الثالثة

وهم تسعة عشر. وكانت مدة ملكهم مائتين وإحدى وستين سنة وتسعة أشهر وسبعة أيام .

يروعام بن نواط: يروعام ذلك هو الذى هرب من سليمان (عليه السلام)، وكان قد توجه إلى مصر، وفى زمان ابنه أجلسه رحوعام السبط العاشر لبني إسرائيل على عرش الملك، ولما تمكن فكر مع نفسه، أنه طالما أن عادتهم أن يذهبوا للحج إلى بيت المقدس كل عام، فإن قلوبهم تذهب إلى ملكهم رحوعام، فيقتلونه ويجعلونه ملكاً، والنتيجة أن الحيلة فى تلك القضية أن صنع الهين من ذهب، وأقول لا حاجة بكم أن تذهبوا إلى بيت المقدس للحج، فها هو ريكم الذى أخرجكم من مصر، وبهذه الحيلة أخدمهم حتى يبقى الملك لى، وقدم هذه الفكرة إليهم، ووضع أحدهما فى بيت آيل، والثانى فى دان، وكان الناس يذهبون إلى هذين الموضعين للحج، وخلعوا قلوبهم بهذه الكيفية عن البارئ تعالى، وانشغلوا بعبادة الأوثان، وكانت مدة ملكه اثنين وعشرين عاماً.

ناداو بن يروعام: خلف أباه فى العام الثانى من ملك أسا، وحذا حنوه، وكانت مدة ملكه عامين.

بعشا بن أخيا: كان من سبط إيساخار، وقتل ناداو، وقضى على أسرة يروعام على نحو ما كان قد قال النبى إخيا: شيلونى ويرهو وميخايهو والياهو هؤلاء الأنبياء الثلاثة كانوا معاصرين له. ولأنه انشغل بالكفر والزندقة، فقد أرسل الحق تعالى رسالة إليه على لسان يرهو فحوها: لقد رفعتك من التراب وجعلتك ملكاً على قومك، وبما أنك اقتديت بيروعام، وأخرب بيتك مثل بيته، وتاكل الكلاب جميع أسرتك من منهم فى المدينة

أو القرية، وكل ما هو في الصحراء تأكل جوارح الطير لحمهم، وكانت مدة ملكه أربعة وعشرين عاماً.

إيلا بن بعشاء: خلف أباه وسلك طريقه، وهجم عليه عبده المسمى زمري وقتله وجعل جميع أتباعه وأشياعه علفاً للسيف، وجلس مكانه وأسقط أسرته على حد قول بيهو بن حياني، وكانت مدة ملكه عاماً واحداً وشهرين.

زمري: ولما سمع بنو إسرائيل هذا الخبر، كان قائد جيشهم يسمى عمرى جعلوه ملكاً عليهم، وكانت ترسا اسم قصبه أصبح زمري فيها ملكاً، فحاصروه وقتلوه، فمضى زمري إلى بيت إيلا وأمر بإضرام النار في تلك البيت وأحرقوه فيها، وانقسم الناس طائفتين، انضم بعضهم لعمرى المذكور، والبعض الآخر إلى جانب توني بن كشاف، وكان النصر في عاقبة الأمر لأنصار عمرى، وجعلوه ملكاً ودام ملك زمري سبعة أيام.

عمرى: اقتدى أيضاً بيروعام، وكانت مدة حكمه اثني عشر عاماً.

أحاو بن عمرى: أصبح ملكاً على بنى إسرائيل في العام الثامن والثلاثين من ملك آسا، وسلك طريق بيروعام، وكانت زوجته تسمى إيزبول، وهى أكثر منه كفرًا، فنادت ميخايهو النبى، وقالت: سيأتى ملك دمشق لقتالنا، فماذا ستكون عاقبتنا معه؟ قال: رأيت أن جميع بنى إسرائيل مشتتون على رؤوس الجبال مثل الأغنام بلا راع، ورأيت الحق تعالى جالساً على كرسي مملكته، وجلس جميع الملائكة على يمين ويسار، ويقول لأحاو: من يستطيع أن يخدع؟، وقال كل منهم شيئاً، وكانت الريح واقفة عند الحق تعالى، وقالت: أخدمه، فسأل بأى كيفية؟، قالت: أدخل فى قم أنبيائه الكلام الكذب، فقال البارى تعالى: تقولين صدقاً، فاخرجى وتقدمى واعلمى الآن وأدركى أن كل ما سيقوله أنبيأؤه سيكون كذباً، وسيلحق بك الضرر، فضربه صدقياهو بن كنعامشتى على فمه، وقال: انصرف عنى أيها النبى وصله فإن كلامك صحيح، قال: اعلم من ذلك اليوم أنك تهرب من ركن لآخر، أو أن تختفى، فقال أحاو: أدخلوه فى السجن حتى أقدمى، فقال ميخايهو: إذا عدت فساكون كاذباً، ولما ركب للحرب لحقت به الهزيمة، وأصابه سهم فى وقت هزيمة أحاو، فحملوه إلى داره فى سومرون وتوفى فى الطريق،

وربطوا زوجته فى ذلك المكان التى كانت قد تبللت بدمه فى ذلك المكان الذى كانت الكلاب قد لعقت فيه دم ناورث، فلعلقت الكلاب أيضاً من دمه فى نفس الموضع، كما قال الخضر (عليه السلام).

إيلياهو: هو الخضر، وكان معاصراً لأحاو، وأمر باحتباس المطر ولا يهطل وكان الأمر كذلك، وبعد ذلك جاء خطاب الحق بأن يمضى إلى هذا المقام فى وادى كريت بالقرب من الأردن، فمضى، وكان يشرب من هذه الواحة وتأتيه القربان بالقوت، ولما أمر الخضر (عليه السلام) باحتباس المطر؛ فجفت هذه الواحة بسبب ذلك، فجاء الخطاب مرة أخرى بأن يمضى إلى ولاية الفرنج، فإن هناك أرملة أمرناها بأن تتزوجك، فمضى ونزل على هذه المرأة العجوز، فأظهرته هذه العجوز على بؤسها قائلة أنها تملك حفنة من الدقيق فى غرارة، وقدر من الزيت فى جرة، فقال الخضر: لا تخل غرارتك هذه من الدقيق، وجرتك لا تخل من الزيت حتى ينزل المطر ويكون الرخاء فى الدنيا، وقد كان.

وبعد احتباس المطر ثلاثة أعوام، أمر الحق تعالى بأن يمضى إلى أحاو ويأمره بإنزال المطر، ولما بلغ أحاو، قطع رقاب ثمانى مائة وخمسين رجلاً فى يوم واحد، وادعوا نبوة الأصنام، ومنهم الأربعمائة الذين كانوا ياكلون على مائدة إيزويل زوجة أحاو فى واحة وادى قيشون، وبعد ذلك أمر بنزول المطر، وخاطب أحاو قائلاً: لقد قتلت رجلاً بريئاً يسمى ناورث، وورثت حديقته، ويلعق الكلاب دمك فى نفس الموضع الذى لعقوا فيه دمه، وقال لإيزويل: لتاكل الكلاب لحكمك فى الموضع النجس الذى يسمى يزرعيل، ويجعلوا دارك مثل دار يروعام. وقد كان.

واتفقت معظم الطوائف على أن الخضر لم يمت وأنه حى، ومذهب بنى إسرائيل أنه فى بداية ملك يورام بن أحاو أنهم حموه من النار، وكانوا ملائكة ولفوه فى ربة وارتفع إلى السماء، وكانت مدة ملك أحاو اثنين وعشرين عاماً.

أخزياهو بن أحاو: خلف أباه فى السنة السابعة عشرة من ملك يهوذا فافاط وسلك مسكله ومرض، وأثناء مرضه أرسلوا الرسل إلى صنم يسمى رفوف^(٢٢)؛ ليعلموا عاقبة أمره،

فاتصل الخضر بهم فى الطريق، وقال: إنه سيموت فى هذا المرض، وقد كان، وكانت مدة ملكه اثنتى عشرة سنة.

*** بن أحو^(٢٣): كان الخضر واليشاع ويخايهو معاصرين له وثلاثتهم أنبياء، أصبح ملكاً بعد أخيه، وارتفع الخضر فى زمانه، وكانت مدة ملكه اثنتى عشرة سنة.

يورام بن يهوشافاط بن أسا: رشق يورام بن أحو بسهم فى العام الأول من حكم أخزياهو ملك سبط اليهود وقتله، وأمر بقتل زوجة أحو فى الموضع التى كانت فيه، وأكلت الكلاب لحمها، كما قال الخضر (عليه السلام)، وكان لأحو سبعون ولداً قتلهم جميعاً من أتباعهم وأشياعهم، وكانت مدة ملكه تسعة وأربعين عاماً.

يهو اخاز بن ييهو: خلف أباه فى العام الثالث والعشرين من ملك يهواش، وسلك طريق يروعام، وكانت مدة ملكه سبعة عشر عاماً.

يوأشبن يهواخاز: خلف أباه، ولما مرض مضى إلى اليشاع النبى، وأكثر من التضرع قائلاً: إننا عجزنا عن مواجهة جيش دمشق، فقال: أمسك السهم والقوس، ولما أمسك بهما وضع اليشاع يده على يده، وقال: افتح النافذة، ولما فتحها أمره بأن يطلق السهم، فأطلقه، قال: الرمح يحميك واعلم أنه سوف تلحق الهزيمة بجيش دمشق، وقال بعد ذلك: ألق هذه السهام التى فى يدك على الأرض، فرماها ثلاث مرات وتركها، فناداه اليشاع، وقال: كان ينبغى لك أن تلقيها على الأرض خمس أو ست مرات حتى ينهزم جيش دمشق بعدد هذه المرات، والآن ستهزمهم ثلاث مرات، وتوفى اليشاع بعد ذلك، وفى نفس العام قصد جيش موأ وهذه الولاية، وتوفى شخص فى هذه الأثناء، فأخرجوه ليدفنوه، ولما رأوا أن الجيش اقترب ألقوا هذا الميت وهربوا خوفاً منه، واتفق أن سقط على قبر اليشاع ووصل جسده إليه، فحى فى الحال، ومعجزاته كثيرة وكانت مدة ملكه ستة عشر عاماً^(٢٤).

يروعام بن يواش: خلف أباه فى العام الخامس عشر من ملك إمصيا، واسترد الكثير من الولايات التى كانت قد خرجت من يده، مثل دمشق وحماة وغيرهما، وكان يشيعا ويونس وهوشيع أنبياء معاصرين له، ودام ملكه واحداً وأربعين عاماً.

زخريا بن يروعا: خلف أباه فى العام الثامن والعشرين من ملك عزريا، وكانت مدة ملكه ستة أشهر.

شلوم بن زخريا: داهمه وقتله وأصبح ملكاً، وكانت مدة ملكه شهراً واحداً.

مناحيم بن كادى: قتل شلوم وأصبح ملكاً، وكانت مدة ملكه عشرة أعوام.

فقيحا بن مناحيم: قام مقام أبيه ومدته عامان.

فقح بن رميا: ملك من العام الثانى والخمسين من ملك عزريا، وقتل فقيحاً، وأصبح ملكاً، وكانت مدته عشرين عاماً.

هوشيع بن إيلا: صارع فقحا وقتله فى العام الثانى عشر من ملك أحاو ملك سبط يهوذا الذى كان الابن الحادى عشر لسليمان (عليه السلام)، وأصبح ملكاً، وكانت مدة حكمه تسعة أعوام، وكان آخر الملوك الذين حكموا على العشرة أسباط من بنى إسرائيل، وأثناء ملكه ثار شلمن أيسر ملك الموصل والجزيرة، فخضع له هوشيع وقبل أن يؤدى الخراج، وبعد ذلك أرسل رسولاً خفية إلى مصر الذى يسمى سوا، ففهم ذلك ملك الموصل؛ فسجنه ومضى إلى مدينة شومرون وحاصرها ثلاثة أعوام، وفتحها وأغار عليها فى العام التاسع من ملك هوشيع، ومحق بنى إسرائيل من هذا المكان، وكان انقراض دولة الأسباط الأحد عشر لبنى إسرائيل على يده ماعدا سبط يهوذا الذى كان ملكهم من أبناء داود (عليه السلام)، والذى كان يقيم فى بيت المقدس، ولم يبقَ أحد من ملوكهم فى بلاده، وتفرقوا جميعاً ولم يبقَ لهم إلى يومنا هذا وجود. وظهرت بعد تلك الواقعة سامراء، وهى أن شلمن أيسر نقل بعض الناس من بابل وسوس ومواقع أخرى وجاء بهم إلى الشام ووطنهم مكان بنى إسرائيل، ولما كانوا لا يعرفون التوراة اتَّجَهَ إليهم وحوش الأرض وهوامها وكانت تفترس بعضهم، ووقع فيهم خوف عظيم، فشكوا إلى من جاء بهم، وتعلق بهم شخص من بنى إسرائيل فاستبقاهم وعلمهم، ولكنهم لم يستطيعوا أن يتعلموا التوراة كما ينبغى، وهم السامراء ويقرأون التوراة الآن قراءة خاطئة، ويوجد معظمهم فى دمشق وأطرافها.

هوامش القسم الخامس

- (١) سورة المائدة: آية ١٣ .
- (٢) هذا المعنى منخوذ من قول الله عز وجل ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾، سورة الإسراء: آية ٤٣ .
- (٣) الأسماء الصحيحة: رأوبين - شمعون - لاوى - يهوذا - دان - نفتالى - جاد - أشير - يساكر - زقولون - يوسف .
- (٤) أولاد لينة هم: رأوبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويساكر وزقولون.
- (٥) لم يدخل موسى (عليه السلام) مصر، بل ولد بها. وبالتالي فالعبارة خطأ.
- (٦) خباء المحضر: هى خيمة الاجتماع التى كان موسى يقيم فيها، وينزل عليه الوحي هناك.
- (٧) بنصل إيل: اسم شخص معناه (فى ظل الله)، وهو الذى كلفه موسى بصناعة خيمة الاجتماع السابقة الذكر.
- (٨) المقصود (تابوت العهد)، وهو تابوت له مواصفات خاصة، وكان به ألواح الوصايا، وعصا هارون، وقنينة بها بعض المن، طعام فترة التيه. وهو أكثر عناصر الديانة اليهودية قداسة.
- (٩) لم تكن القرابين تقدم للآلات، بل لرب العبريين حسب مفهوم ذلك العصر.
- (١٠) المقصود مدينة أريحا الكنعانية فى ذلك الوقت.
- (١١) المحفوظ: المقصود "ألواح الشهادة" التى كان مدون بها الوصايا العشر.
- (١٢) لم تذكر التوراة أنهم كبروا بل تذكر فقط أنهم هتفوا دون تحديد القول.
- (١٣) المقصود: الكنعانيون أهل كنعان اسم فلسطين القديم.
- (١٤) هكذا فى الأصل.
- (١٥) المقصود بهذا المعبد هو ما يسمى (المسكن)، وهو اسم لخيمة الاجتماع التى ذكرنا أن بنصل إيل بن أوري هو الذى قام بصناعتها على حسب أوامر الرب لموسى، وكانت تسمى أيضاً "المسكن" للاعتقاد الذى ساد وقتذاك بأن الرب يسكن بداخل أو يحل فى هذه الخيمة. أما اسم المدينة فكان (شيلوه).
- (١٦) المقصود هو "ميكال سليمان" الذى بناه سليمان عام ٩٦٠ ق.م. تقريباً.
- (١٧) تتسم الكتابات اليهودية عن الهيكل بالمبالغة. من ذلك أن العمل فى بنائه استمر سبع سنين؟! مع أنه بناء صغير لا تتعدى أبعاده ٢٠ × ٢٠ متراً، كذلك تبدو المبالغات فى النص فى أعداد القرابين التى قدمت للرب.

- (١٨) هكذا في الأصل.
- (١٩) كان النبي أشعيا معاصراً للملك حزقيا بن آحاز، ولا أعرف شيئاً عن الاسم الذي ذكره الكاتب.
- (٢٠) الاسم الصحيح هو نيوثرادان قائد جيش نبوخذ نصر الذي أحرق هيكل سليمان، ودمره عن آخره. علماً بأن جميع الأسماء الواردة أغلبها غير صحيح.
- (٢١) هكذا في الأصل.
- (٢٢) هكذا في الأصل.
- (٢٣) هكذا في الأصل، لأن الاسم كان ساقطاً على حد قول مصصح الكتاب.
- (٢٤) يلحظ على البنناكتي في تاريخه للأمم غير الإسلامية خاصة عند تاريخه للوكنهم أو غيرهم، فإنه يعقد الصلة بين الملك الذي يتولى الملك من قبله، وذلك بأن يجعل نهاية الملك السابق، بداية للملك اللاحق، وبذلك يدرج مدة حكم كل منهم تاريخاً دقيقاً، وبذلك يسرد تواريخهم في وحدة متصلة، وكأن مدة حكمهم أشبه بحلقات تتألف منها سلسلة واحدة.

القسم السادس

فى تاريخ النصارى والفرنجة ونسب مريم أم عيسى إلى
داود (عليهما السلام)، وذكر مملكة الفرنجة والقيصرية والباباوات،
وهم خلفاء المسيح إلى يومنا هذا، وهى شهر سنة سبعمائة
وسبع عشرة من الهجرة .

وهما طائفتان: القياصرة والباباوات. وعدد القياصرة مائة واحد، وعدد الباباوات
مائتان واثنان. ومدة ملكهم ألف وثلاثمائة وسبعة وثلاثون عاماً.

وينبنى هذا القسم على باين :

الباب الأول : فى معرفة بلاد الفرنجة والأرمن من بحار وسواحل وجزر،
وذكر القياصرة وهم ملوكهم.

الباب الثانى : فى معتقدات النصارى فيما يختص بحق المسيح (ﷺ)،
وذكر باباواتهم، وهم خلفاء المسيح (ﷺ).

الباب الأول

فى معرفة بلاد الأرمن والفرجة وملوكهم ،
وينبنى هذا على ثلاثة فصول

الفصل الأول

فى بيان حدود بلاد الأرمن من المدن والضباع

إن بلاد الأرمن كانت قبل بلاد الفرنجة، وهى هناك بمنزلة الدهليز، ويطلق اسم أرمينيا على موضعين: الكبرى والصغرى، وطول أرمينيا الكبرى ممتد من حدود أرزنجان حتى حدود سلماس، وعرضها من أول بلاد جورجيا إلى أقصى وان ووسطان^(١)، وطول أرمينيا الصغرى من طرف الشام إلى نهاية بلاد الروم ويسمونها أوج، وعرضها من حدود مالطة إلى حدود أنطاكية، وتحيط الجبال بتلك البلاد من كل ناحية، وأجزاءها الخمس معمورة وهى: أماس وسيس وطرشوس وأذنة ومسيس، ومن مدنها وقراها العظيمة المشهورة ما يقرب من عشرين ألف قرية معمورة، وتتصل ببلاد الروم بأربعة طرق: أولها: من ناحية القيصرية، ويسمونه طريق خوشوخوار وطريق دولو، والثانى: طريق لولوه، وهو معدن الفضة أعلى قلعة البلوج، وهذا طريق قوافل سبر، والثالث: طريق قرامان، وهو محاذ لساحل بحر الروم حتى مدينة أماس، والرابع: طريق مدينة مالطة، ويمتد حتى جانب حلب وديار الشام، والمسافة بين طريق مسيس إلى جزيرة قبرص تقطع فى يوم واحد فى البحر، وفى هذه الجزيرة عدة مدن معمورة ويحضرون الصوف الجيد المعروف بالصوف القبرصى من هناك، كما أن العلق (اللبان) ينبت هناك.

الفصل الثانى

فى معرفة الفرنجة وبحارهم وجزرهم

أرض الفرنجة منبسطة وعريضة، وهى مملكة واسعة فى الجانب الغربى الشمالى من الربع المسكون وحدودها: أولاً: من الجنوب بحر الروم ويمتد طوله من المغرب إلى المشرق بين طنجا والشام، والثانى: من الطرف الشمالى لبلاد الروس والترك وغيرهما، والثالث: الحد الشرقى بلاد اليونان، والرابع: بحر المحيط الغربى المعروف ببادقيانس^(٢)، وتتقسم هذه المملكة إلى ثلاثة أقسام: أولها: من جهة المشرق بلاد ألمانيا، والثانى: وسط بلاد أفريقيا، والثالث: آخر بلاد الأندلس.

وأصل هذه المملكة مدينة روما العظمى وحاضرتها فرنكستان، وأول شخص بناها ستورنوس، واسمه فى التوراة النمرود، وكان له ولد عاق فخشى أن يكون له أخ فاعتقل أباه، وجعله خادماً، فهرب ستورنوس^(٣) من استيلاء وغلبة ابنه، ومضى إلى أرض الروم، فوجد مكاناً عظيماً نزهاً خصباً، فبنى مدينة روما، وبنى كل قائد بناء حسب منزلته، وبعد ذلك عندما أفضى الملك إلى بروطوس، جعل لهذه المدينة سوراً، ووضع اسمه عليه، ويسمونه العجم هروما، وأصبحت وسط دار ملك بلاد الفرنجة، محيطها حوالى عشرين فرسخاً، وشيدوا ثلاثمائة وستين برجاً على سور هذه المدينة، وشيدوا هذا السور فى شهر آيار الرومى، وهو بعد أربعة آلاف ومائة وثمانين عاماً بعد تاريخ آدم (عليه السلام)، وحكم سبعين بعد روملوس^(٤) من أبنائه على التوالى فى فترة تبلغ مائة وأربعين عاماً، وكان سقراط الحكيم فى زمانهم.

وكان أبناء روملوس بعد ذلك يولون عليهم ملكاً كل عام، ويعزلونه فى آخره، وبعد أربعمئة وثمانية عشر عاماً ظهر بعد ذلك جيلليوس، وبعد جلوسه أصبح تولى الملك جيلاً بعد جيل، وكان الملك يصل الابن عن أبيه، وكان عمر جيلليوس هذا ستة وخمسين عاماً، وبعدهم أفضى الملك إلى أغسطوس^(٥) القيصر الذى كان فى عهد كرسطوس، وأقام القياصرة مدة مديدة فى هذا المكان، والآن هو مكان الباباوات خلفاء المسيح (عليه السلام).

وكانت هذه المدينة فى هذا الوقت معمورة إلى أبعد حد، وتبدأ ولاية الإفرنج من أرض المغرب، وهى موازية مخازية لهذا البحر حتى يصل فى موضع يقترب أحد شاطئيه من الآخر حتى يبلغ خمسة فراسخ، وطول هذا الموضع عشرون فرسخاً، وكانوا يسمونه الزقاق، ويسمون أرض الفرنجة هذه إسبانيا، والطريق إليها شهر، وعليه عدة مدن معروفة على النحو التالى: فالنسيا ومرسية وبريانة وشاطبة وطليلة وإشبيلية وقرطبة وأرأ^(٦)، وعدة جزر أنسا^(٧)، وميورقة ولارده وصقلية.

وفتح المسلمون كل هذه المدن المذكورة فى بداية عهد الإسلام، وكانت فى يد ملوك المغرب، واستولى عليها الملك كسطلونية من المسلمين فى سنة ستمائة وستين من الهجرة، وهم الآن يؤدون الخراج إلى ملك أسبانيا، وأحضروا المسلمين الذين كانوا من سكان جزيرة صقلية حتى مدينة ناجرة، وهى فى وسط بلاد الفرنجة، وأرسلوا قوماً من المسيحيين إلى تلك الجزيرة أخذاً بالحيطة حتى لا يتحدوا مع المغاربة، وفى الوقت الذى استولى فيه المسلمون على مدينة عكا خربوا الكنائس التى كانت فى لبران^(٨) فى عهد سلطان الإسلام غازان خان بن أرغون خان، فقتل فرنجة هذه البلاد من المسلمين ما يقرب من مائتى ألف شهيد مقابل هذا.

ومعظم مدينة طليطلة من بنى إسرائيل من أبناء يهودا بن يعقوب، ومن بداية نقطة المغرب من هذا الطرف، وهو فى الشمال بلد طولها شهر لها ملك عظيم يسمى الملك برتكلية، وله مال كثير وجيش لا حصر له، وتقع بينه أحيانا وبين ملك إسبانيا حروب.

ويحاذى هذه الأرض فى وسط البحر المحيط جزيرتان اسم إحداهما أيرلندا، ومن خاصية ترابها أنها لا يتوالد فيها الحشرات السامة، ولا الفئران وتطول أعمار الناس هناك، وهم حمر الوجوه، طوال القامة، أقوياء البنية وشجعان، وهناك عين ماء جارٍ إذا وضعوا فيه خشبة يبدو بعد أسبوع ظاهرها حجراً، واسم الجزيرة الأخرى وهى أكبر من الأولى إنجلترا، وفيها جبل فيه كثير من المعادن، مثل: الذهب والفضة والنحاس والقصدير والحديد وأشجار الفاكهة الكثيرة، ومن عجائب هذه الأرض شجرة تثمر الطيور وذلك فى الوقت الذى يظهر فيه نورها تبدى كيساً على هيئة التفاحة من هذه الأشجار، وطائر فى هذا الكيس، ومنقار، ويتعلق بالخشب طائر هذا الكيس. ومنقاره ويخرق الطائر الذى ولد فيها الكيس بمنقاره فى وقت نضج الثمرة ويخرج، ويحتفظون به عشرة أعوام حتى يكبر مثل البط، ويأكل أهل هذه البلاد فى الأغلب لحم هذا الطائر، كما توجد الغنم فى هاتين الجزيرتين، وينسجون من صوفها الصوف القبرصى والسقرلاطى، واسم ملك هاتين الجزيرتين سقوط لاند، ويؤدون الخراج لملك إنجلترا.

وبعد ذلك ولاية عظيمة عريضة طويلة للغاية، ومعظمها جاف، وبعضها ذات أبحر بجانب الألمانية، ويسمون الملك هناك ريدافرانس، ويدفع ملك الجزر الخراج إلى ملك إنجلترا وولاية الألمانية، هى مملكة القيصر ريدافرانس ومعه اثنا عشر ملكاً عظيماً، مطيعون ومنقادون ومقدمون الخراج للقيصر.

وبجانب الألمانية مملكة أخرى يسمونها بوهيميا، ويسمون الملك هناك ساقى، وهو موالٍ للقيصر، ولديه مائة ألف فارس، ويتصل بتلك الولاية مملكة أخرى لها ملك عظيم يسمى برلونيا، وفيها جبال مملوءة بالمعادن والجواهر والفلزات، ومات ذلك الملك فى هذه الأعوام؛ فاستولى ساقى على مملكته، وهى الآن تحت تصرفه.

وبجانب ولاية برلونيا ولاية أخرى تسمى سونسيا، وهى جزيرة فى وسط البحر، ويستخرج منها الجواهر الصفراء والبيضاء، ويتصل بتلك الأرض ولاية اسم ملكها كوانداند، ويسمونه باسم تلك الجزيرة التى فى تلك المملكة، وهناك ثمة جزيرة أخرى تسمى نورويك^(٩)، ويسمون الملك هناك باسم تلك الجزيرة أيضاً، ويذكرون أن طولها يمتد

إلى ما تحت القطب الشمالى حيث تتصل نقطة القطب الشمالى بها على شكل الرأس، وجبالها مليئة بالجليد دائماً، ويستخرجون البلور منها، وجميع الحيوانات هناك بيضاء، وذلك لشدة برودة جوها، ويجلب الغرو الأبيض من هناك، ويقولون: يكون الإنسان أبيض الشعر والأهداب والحواجب كذلك، ويومهم فى غاية الطول فى البداية تكون الشمس لمدة ساعتين، والاثنتان والعشرون ساعة الأخرى فجر وشفق حيث يمكن تسميتها بالخطوط الدقيقة، وعندما تصل الشمس إلى أول السرطان يكون الأمر بعكس ذلك، وسبب هذا الأمر أن الفلك هناك يصبح رحوياً، وما وقع فى أفواه الناس ظلمات، ويقول علماءهم: إنهم من بداية هذه الجزيرة حتى نهايتها بخار على الدوام، لدرجة أنه لا يرتفع أبداً ولهذا السبب فهى مظلمة على الدوام، وبناء على ذلك يسمونها الظلمات. والحيوانات هناك قليلة، وأهل هذه الجزر ضخام الأجسام ويشيخون بسرعة.

وفى مقابل أرض المغرب غير ولاية أسبانيا تتصل بها بلاد يسمونها كتلونيا^(١٠)، واسم الملك هناك رى كتلونيا، ويستخرج الزئبق من جبالها والذهب والفضة والنحاس، وهذه الولاية بها ثلاث مدن: فالنسيا ومرسية وميوركة، وأهل هذه البلاد غاية فى الشجاعة لحد أنهم يعتبرون الموت عيباً، ويعنون القتل فضلاً، وإلى جانب كتلونيا بلد على خط المشرق تسمى برونسا، وهى أهلة بالسكان، وفوق هذا على خط المشرق مقابل بلاد ملك فرنسا ولاية اسمها دلوره، ويعدّها مدينة عظيمة تسمى برنس، ويقيم فيها كثير من الناس والغرباء ويميلون إلى تحصيل العلم، ويقال إن المتعلمين الغرباء بها يقرب عددهم من مائة ألف.

وبين برنس وكتلونيا بلد تسمى زدنقرة، وللكها صداقة مع ملك المغرب، وإلى جانبها بلد معمورة على ساحل البحر تسمى جنوة^(١١)، والملك هناك له مائتا مرفأ، وفى كل مرفأ ثلاثمائة رجل محارب، ويركب تجار الفرنجة الذين يذهبون إلى مصر السفن من هذا المرفأ.

وتوجد بعد هذه الولاية على خط المشرق صحراء مساحتها حوالى أربعين فرسخاً، وحولها اثنتان وعشرون مدينة كثيرة النعم، وليس فى هذه المدن ملك أصيل عظيم.

وعظماء وأكابر هذه البلاد، أصلاء حسنو السيرة، ويولون عليهم فى كل عام ملكاً، وفى نهايته يأمرّون منادياً أن يقول: من الذى أصابه ظلم فى هذا العام؟ ولا بد أن يتظلم، ويأتى جميع المتظلمين، ويخلصون أعناقهم من مظالمهم، وبعد ذلك يولون ملكاً آخر، وتتصل بهذه الولاية بلد أخرى تسمى رومانيا إلى جانبها بلد تسمى مادكادو فرنيش، وتوجد الخيول فى هذين البلدين، وبعد ذلك بلاد كبيرة اسم ملكها البطريق ماكليا، وله جيش عظيم، ويستخرج من هناك البلور الصافى، ومن الناحية الشمالية لهذه البلاد توجد ولاية لنبرديه، وهتلان ديه فى جنب بلاد البطريق، كما توجد بلد بسيطة عريضة، وهى متصلة ببلاد القرم والبلغار، وكان توتاي أراوق جوجى بن جنكيز خان يغزو هذه البلاد على الدوام، ويسمونها المجر، ومن جانب لنبرديه من ناحية الجنوب توجد ولاية تسمى مركدنكو وهى بيت البابا، وهم يحمون بحر الجنوب.

وفى شرق ولاية روما ولاية كبتانية، وبعدها ولاية عظيمة طولها شهر، وتسمى كرلود وعلى طرفيها الشمالى والغربى بحر، ويستخرجون منه المرجان الأحمر، وبالقرب منها جزيرة كبيرة من ناحية المغرب، اسم ملكها ربحال، وبها المرجان ومعادن كثيرة، وفى نهايتها جزيرة صقلية، ويتسلم ملك هذه الجزيرة الخراج من ملك ولاية المغرب، وزوج ربحال ابنته إلى بن ريداركون، ومنحه جزيرة صقلية التى تبلغ مساحتها مائتى فرسخ.

وتكثر العجائب فى هذه الجزيرة، منها جبل تنبعث منه النار على الدوام، ويقولون: إنه فى وقت اجتماع، واستقبال النارين تنبعث شعلة النار من هناك إلى عدة فراسخ، وفى ساحل هذا الجبل نهر عظيم يغلونه، وبين تونس وصقلية خمسون ميلاً، وبين خشك الأمانية ونور ومكة، بلاد تسمى دوليسا جبالها ممتلئة بالمعادن، وبين الأمانية وريدافرانس ولاية يسمونها بندر، كما يسمون العاصمة أرس، وعلى بعد خمسة فراسخ مدينة صحراوية، وهناك كنائس غاية فى الفخامة تسمى إيوانس فيها أناس كثيرون وأطعمة نادرة، واقتضت الحكمة الإلهية أنه فى كل عام حينما تصل الشمس إلى أول درجة الجدى، فإن جو هذه الصحراء، يمتلئ بطائر السار، ويأتون وفى منقار كل منهم زيتونة، ويلقونها فى تلك الكنيسة وما حولها، ويكررون ذلك ثلاثة أيام بلياليها، وبعد ذلك

لا يشاهدون هذه الطيور فى موضعها، ويقولون: إنه لا يوجد شجر زيتون على بعد مائة فرسخ، ولا يعلم أحد من أين يأتون به، ويجمع سكان هذه الناحية الزيتون، ويصنعون منه الطعام والإدام، ويأخذون منه الزيت ويشعلونه فى الكنيسة.

ورسم أهل الفرنجة شكل وهيئة الربيع العربى، ويسمونه بباب المنذر، ويتحدث الفرنجة بخمس وعشرين لغة، ولا تفهم طائفة لغة الطائفة الأخرى، إلا لغة الخط والحساب الذى يعرفه الجميع.

الفصل الثالث

فى ذكر القياصرة. وهم ملوكهم، منذ عهد روملوس بانى روما الكبرى، إلى عهد أغسطس القيصر مدة أربعمئة واثنين وعشرين عاماً^(١٢).

أغسطس: ماتت أم القيصر أغسطس أثناء ولادته، وأخرجوا أغسطس من بطنها، ويسمون هذا الشخص بلغة روما القيصر، ولذلك أطلق اسم قيصر على أغسطس، وهو أول القياصرة، وسموه كذلك كيقيانوس، وكان له الملك قبل ولادة المسيح باثنين وأربعين عاماً، واستولى على الإسكندرية، وعاصر المسيح مدة ثلاثة عشر عاماً، وكانت مدة حكمه خمسة وخمسين عاماً.

طلياريوس القيصر: كان صهر أغسطس، وأصبح بعده قيصراً، وأرسل نائبه إلى الشام الذى يسمى إبرونس؛ ليقول يوحنا بن زكريا، وأرسل من يسمى يونسيسوس إلى القدس؛ ليعذب المسيح فى العام العشرين من ملكه، وكانت مدته أربعة وعشرين سنة.

غابريوس القيصر: أصبح قيصراً بعد عام وستة أشهر، حيث كان العرش خالياً من القيصر، وزنى بأخته لأنه كان سبب السيرة فقتلوه، وكانت مدته أربعة أعوام وثمانية أشهر وعشرة أيام.

كليونيس: أصبح قيصراً بعد عام وسبعة أشهر، وكان فاسقاً فاجراً، وفى عهده شاهدوا العنقاء فى مصر، وفتح جراركدس، وكانت مدته خمسة عشر عاماً.

نارون: أصبح قيصرًا بعد عامين وشهر وخمسة عشر يوماً، وقتل كثيراً من المسيحيين ومعلمه وأمه، وكان قيطورس الحواري البابا الأول، وقتل بارلوس الحواري وثار عليه اليهود، وأشعل النار في روما؛ فقتله أهلها، وكانت مدته أربعة عشر عاماً.

كليته؟^(١٣): أصبح قيصرًا بعد خمسة أشهر، وكان من جزيرة لارند، وعاصر كليتوس البابا، وكانت مدة حكمه عاماً واحداً.

أستيانيوس: أصبح قيصرًا بعده، وفي عهده مضى اليهود الذين كانوا قد ثاروا على نارون إلى بيت المقدس، واتفق مع ابنه طيطوس على قتل يهود بيت المقدس، ومات خلق كثير من القحط، وجاءوا بثلاثين ألف عبد، وكانت مدته عشر سنوات.

طيطوس: خلف أباه وكان كريماً، وأحضر جميع أموال بيت المقدس إلى بلاد الروم ووزعها، وكانت مدة قيصرته عامين.

نوميديانوس: كان أخاً لطيطوس، شيد معبد مطنون في روما، وجاء بصنم من كل بلد، ولما أظهروا له العداوة، مضى إلى تلك الناحية؛ ليدفعهم، وكانت مدته ستة عشر عاماً.

نارون: كان القيصر العاشر من القياصرة، وأراد أن يدفع أذى نوميكانس في حق الناس، وصنع الكثير من الخير، وكانت مدته عاماً وأربعة أشهر.

طريانس: أصبح قيصرًا، واستولى على بابل، ومضى حتى بلغ الهند، وقتل كثيراً من المسيحيين، وكانت مدته ثمانية عشر عاماً وستة أشهر.

أدريانس: عمر بيت المقدس التي كانت قد خربت، وسمى القدس التي كانت يسمونها أورشليم أدريانة، ومنع اليهود من دخولها، واعتز بالمسيحيين، وكانت مدة قيصرته اثنين وعشرين عاماً.

طيطوس: كانوا يسمونه أيضاً لمونيانس، وصهر أدريانس من مدينة يرغاموس، وكان في الإسكندرية، وعاصره بطليموس الفولاذي صاحب علم المجسطي، وتوفي في جزيرة صقلية، وكانت مدة قيصرته اثنين وعشرين عاماً وثلاثة أشهر.

مرقوس، وأخوه أنزليوس: خلفا أبيهما فى الحكم معاً، وفى بداية عهدهما خرب ملك الأرض بلاد ملك اليونان، فجعلهم مرقوس يفرّون، ومضى إلى الصقالبة وبلاد الترك، وهزمهم، وكانا معاصرين لسونز البابا الثالث عشر، وكانت مدتهما تسعة أعوام.

قرومطوس: أصبح قيصرًا بعد ذلك، وحارب أهل الأمانية، وجعلهم يخضعون له، وقتل فى حربه مع الصقالبة، وكانت مدته ثلاثة عشر عاماً.

يليوس: أصبح قيصرًا بالمشاركة مع سوريانس، وقتل كثيراً من المسيحيين، وتوفى فى جزيرة إنجلترا، وكانت مدته أربعة وعشرين عاماً.

أنطونيانس: ابن سوريانس، وكان فاسقاً زانياً، تزوج زوجة أبيه، وكانت مدة قيصرته سبعة أعوام وستة أشهر.

مرطينوس: أصبح قيصرًا من بعده، وقتل مع ابنه على يد أعدائه، وكانت مدته عاماً وشهرين.

أنطونيانس: أصبح قيصرًا من بعده، وكان أيضاً زانياً فاسقاً، وكانت مدة قيصرته أربعة أعوام.

أيشندروس: أصبح قيصرًا من بعده، وأنفذ جيشاً إلى فارس واستولى عليها، ودام حكمه ثلاثة عشر عاماً، وهو القيصر العشرون، وعاصر البابا أندريانس بعد جلوسه بثلاثة أعوام واثنى عشر يوماً، كما عاصر البابا يونسطيانوس خمسة أعوام وشهرين، والبابا كوماكوش عاماً وثلاثة أشهر، والبابا أنطروش ثلاثة أعوام وشهراً وخمسة عشر يوماً، والبابا فييانوس خمسة أشهر وثلاثة عشر يوماً^(١٤).

مسيكمناس: أصبح قيصرًا من بعده وغزا بلاد الأمانية، وكان معاصراً للبابا فييانوس البابا الحادى والعشرين، ومدته ثلاثة عشر عاماً.

كرديانوس: قام مقامه وجهز جيشاً وفتح فارس، فقدم روما فقتله فليبيوس بحيلة مع ابنه، ومدته ستة أعوام.

فليبوس: كان أول قيصر اعتنق المسيحية، وقتل مع ابنه في روما بسبب الدين،
وقدم كل الأموال إلى الكنيسة، وكانت مدة حكمه سبعة أعوام.

نوقيوس: أصبح قيصرًا من بعده، وقتل كثيرًا من المسيحيين، وكانت مدة حكمه
عامًا واحدًا.

غالوس: خلفه، وكانت مدة قيصرته عامين وثلاثة أشهر.

اولارينوس: كان قيصرًا لمدة شهرين وقتل.

ولريانوس وابنه كلبيانوس: حكما معًا خمسة عشر عامًا، وقتلها جيش فارس،
 ووضع ملك الفرس قدمه على عنق ولريانوس وركب الفرس.

فليونيوس: أصبح قيصرًا بعده، وفتح ولاية هرينه، وكانت مدته عامًا واحدًا
وشهرًا.

أورلينوس: أصبح قيصرًا من بعده، وبنى لروما سورًا، وأمر الناس بأكل لحم
الخنزير، ومدته خمسة أعوام وستة أشهر.

مطينوس: كان الثلاثين من القياصرة، وعاصر البابا غاييوس التاسع والعشرين
وكان كريمًا، وجهز جيشًا ومضى إلى فارس وتوفي هناك، وكانت مدته ستة أشهر،
والسلام.

لبيوس: أصبح قيصرًا من بعده، وكانت مدته ثلاثة أعوام وأربعة أشهر.

فيلوريانس: أصبح قيصرًا من بعده، وقتل في مدينة طرسوس، وكانت مدته عامًا
واحدًا وعشرين يومًا.

أروس: حكم مع أبنائه كرينوس وزيانوس بعد عامين، وأغار على فارس. وقتلوا
بين النهرين بالبرق.

نيوكلانوس: حكم عشرين عامًا مع ابنه ماكسيميانوس، وكان ظالمًا جدًّا،
وقتل ألف رجل مسيحي، وقتلوه بالسم.

واديوس: حكم عامين بعده، واستولى على مدينة أسبانيا، وتزوج بنت ملك برنيا، وولد له منها قسطنطينوس.

قسطنطينوس: خلف أباه عشرة أشهر وأحد عشر يوماً، وكان مصاباً بالبرص، وعالجه البابا الرابع والثلاثون سلفندروس، واعتنق المسيحية وبنى بيتاً في الكنيسة، ومضى إلى القسطنطينية، وترك مملكة الفرنجة إلى البابا سلفندروس، وكانت مدته ثلاثين عاماً.

قسطنطوس: كان ابنه، ويسمونه أيضاً قسطنطينوس وقسطنطين، وكانت مدته أحد عشر عاماً.

يوليانس: حفيد قسطنطينوس، وحكم عامين وثمانية أشهر وارتد عن المسيحية إلى عبادة الأصنام، وأمر اليهود بتعمير بيت المقدس، إلا أن الزلزال خربها ثانية، وحارب جيش الفرس على شاطئ بجلة، وقتلوه في الخيمة.

أرثيناس: كان حسن السيرة، وعم الرضاء الناس في عهده، ومدته سبعة أعوام. **ليطينانس:** حكم مع أخيه والينس سبعة أعوام، وأتعب المسيحيين كثيراً، وتحارب مع الفرنجة، وقتل منهم ثلاثين ألف رجل.

والينس: حكم بعد أخيه أحد عشر عاماً أخرى، وفي عهده وقعت حرب بين اليهود والمجوس، وتجادلوا كثيراً، وجعل كثيراً من الناس يعتنق المسيحية، وخسر أموالاً كثيرة.

ثاونيوس: حكم ستة أعوام وثمانية أشهر وتسعة أيام.

أوقانيوس: خرج رجل في عهده من ناحية الشمال، واستولى على مدينة روما، وأحرقها وهلك البقية التي بقيت منهم بالبرق، وكانت مدته ثلاثة عشر عاماً.

أنوريوس: أصبح قيصرًا من بعده، وكان مشفقًا رحيماً على الناس جميعاً، وكان القادة يعوذون إليه أن يقتل، فأجاب: إذا ما ساعدتموني أحيى الميت، وكانت مدته أحد عشر عاماً.

ثاووزينوس: كان الثاني والأربعين من القياصرة، خرج فى عهده أصحاب الكهف، وهم سبعة فى جزيرة كريت، وظهر إبليس فى صورة موسى، ووعد الناس بالقدس، وألزمه القيصر بأن يمشى على الماء فلم يستطع وغرق، وكانت مدة حكمه سبعة وعشرين عاماً.

مرقيانوس وفسطينوس: حكما معاً سبعة أعوام، ويعد ذلك حكم الأنطيوخس ستة أعوام.

زينون: استولى فى عهده أهل سكسونيا على جزيرة بريطانيا، وقتلوا كل من يسكنها، واتخذوا لأنفسهم هناك مقاماً ومضى الزمان بها، وكانت مدة حكمه ثمانية عشر عاماً.

أناسطاس: حكم سبعة وعشرين عاماً.

يوسطينيانوس: وقع زلزال عظيم على عهده فى أنطاكية، وتخربت معظم أبنية هذه المدينة وهلك الناس، وكانت مدته تسعة أعوام.

يوسطينيانوس: كان محباً للعلم، وألف كتباً كثيرة فيه وفى السياسة، ووقع فى عهده قحط وشدة حتى كان الناس يأكل بعضهم بعضاً، وكانت مدة حكمه سبعة وعشرين عاماً.

يوسطينوس: حكم أحد عشر عاماً، وخرج فى عهده جيش عظيم من بلاد الأمانية، ومضى إلى إيطاليا، فقتلوا الناس هناك وأقاموا فيها.

يوسطينيانوس: تحارب مع كسرى قباد ملك الفرس على شاطئ نهر الفرات، ثم عاد إلى أنطاكية، واستولى الفرس على روما، وجاءوا بكثير من العبيد، وهناك انتهى حكم الفرنجة وأصبح لليونان، وكان معاصراً لئلكس البابا السابع والخمسين، ومدة حكمه أحد عشر عاماً.

طيبيارونوس: أول قياصرة اليونان، والرابع والخمسون من القياصرة، كان ملكاً خيراً، تصدق بمعظم أمواله، وكان يقول: ما أعطيته فهو لى، وما بقى للعدو. ذات يوم رأى لوحاً من الرخام عند كنس منزله، وكان عليه نقش الصليب، ووجد تحته آخر فرفعه، ورأى ثقباً فأمر فحفروا فوجد كنزاً عظيماً فوزعه بأكمله على الناس، وكانت مدة ملكه سبعة أعوام.

مموريقس: أصبح قيصرًا بعده، وفى عهده وجدوا ثوباً لكرسطوس لم يصبه البلى، وسمع نداء، أنه سوف يقتل فخاف وتاب، وتحارب مع أنوشيروان العادل على باب مدينة الرها، وفى العام الثامن من ملكه كان قد هرب خسروبرويز من بهرام جوبين ولجأ إليه، وعاونوه حتى دفع عنه بهرام، وقتل فى النهاية، وكانت مدة ملكه عشرين عاماً.

قوقاس: تولى الملك تسعة أعوام، ومنح البابا فيكيلوس الذى كان البابا الثانى والسنتين^(١٥)، وشيد كنيسة.

هرقليوس: فتح فى العام الخامس من حكمه بيت المقدس، وتعادل عام تسعمائة وخمسة وثلاثين بالتقويم الإسكندري، استولى على الإسكندرية، ومصر وبعد ذلك بثلاثة أعوام، وفى العام العاشر من حكمه تحرك جيش الإسلام من أرض يثرب بأمر خاتم النبيين (صلى الله عليه وسلم)، وكان هرقليوس ماهراً فى علم النجوم، ووجد طبقاً لسير الكواكب أنه سوف يؤخذ ملكه على يد شخص مختون، وستزول أسرته فأرسل إلى ريدافرانس من أجل أن يقتل جميع اليهود، لأنهم جميعاً مختونون أو ينصرهم، فنصرهم جميعاً، واستولى المسلمون فى العام السابع والعشرين من حكمه على أنطاكية، وقد خرب بيت المقدس، وكان ملوك مصر قد استولوا على صليب المسيح فى سالف الزمان، فمضى هرقليوس إلى أذربيجان واسترده من يزدجرد بن شهريار، وحمله إلى القدس ومضى إلى هناك حافى القدمين؛ ففتحت البوابات ووضعه هناك، وبعد ذلك استولى جيش المسلمين على بلاد الفرس، وتوفى هرقليوس، وكانت مدة حكمه إحدى وثلاثين سنة.

قسطنطينوس: كان قيصرًا أخيرًا، واستولى أمير المؤمنين عمر (رضى الله عنه) على الشام في عهده، وقدم بيت المقدس وبنى مسجدًا، وكانت مدته إحدى وثلاثين سنة وعشرين يوماً.

قسطنطينوس الثاني: كان حسن السيرة تقيًا، رعى جانب المسيحيين، وفي عهده قدمت زوجة ملك الفرس، واسمها قيصرية مع زوجها، وأربعين ألف رجل إلى استانبول وتنصروا، ومدته سبعة عشر عاماً.

يرطينوس: حكم عامين وكان محباً للعلم، وكتب كتاباً في الكياسة، وصالح المسلمين بالاتفاق على دفع المال وقبول الجزية، وثار عليه من يسمى ليو وقطعوا أنفه، وأرسلوه إلى الجزيرة وأصبح قيصرًا.

ليو: حكم ثلاثة أعوام، وبعد ذلك خرج طيباريوس وقطع أنفه قصاصاً، وأصبح قيصرًا.

طيباريوس: حكم سبعة أعوام، وفي عهده كان يوسطانيوس سجيناً في الجزيرة، واتفق مع أهلها على أن يكون قيصرًا، فأرادوا قتله ففر ومضى عند الترك، وتزوج أخت قائدهم، وجعله معيّنًا له واسترد الملك.

يوسطانيوس: حكم ستة أعوام أخرى، وقتل أكثر أهل الجزيرة التي أرادوا قتله وأسر أبناءهم، وبعد ذلك ولي أهل الجزيرة من يسمى فيلسوس ملكاً عليهم، وجمعوا جيشاً وقبضوا عليه وقتلوه.

افسطاسيوس: حكم عاماً وستة أشهر، وقبض عليه ليو، واقتلع عينيه وأصبح قيصرًا، ولما كان شديد الظلم، خشاه قادة الجيش، واختاروا قيصرًا آخر، وكانت مدته ثلاثة أعوام.

قسطنطينس: قبض عليه وجعل قسيساً وأصبح قيصرًا، وكانت مدته عاماً واحداً، وقبض عليه كراوس وابنه وجعله قسيساً، وفي عهدهما حاصر جيش المسلمين استانبول وقتلوا وأغاروا، وقدم جيش أيضاً من المغرب وحاربهم ملك فرنسا، ودامت الفتنة عامين، وكانت مدة حكمهما خمسة وعشرين عاماً.

يوطريكوس: حكم بعد أبيه خمسة وعشرين عاماً مستقلاً، وشاركته أمه فى الحكم بعد ذلك عشر سنوات، وبعد ذلك دبر دسياسة وسمل عين ابنه، واستقل بالمملكة ثلاثة أعوام، واستولى ابنه بعد ذلك، وحكم خمسة أعوام أخرى مستقلاً.

يوطريوس: لما مات ليو، جعل أسطينوس الذى كان البابا الرابع والتسعين، كرلوس ملك فرنسا قيصرًا، وسبب ذلك لأنه عاون البابا فى صد ملك لنبرديه، ومدته أربعة عشر عاماً.

كرلوس: حكم وابنه خمسة وعشرين عاماً.

أونوقوس: حكم بعد أبيه إحدى وتسعين سنة وثمانية أشهر وأربعة أيام، وبعد ذلك أفضى الملك إلى كرلوس، واسترد جزيرة صقلية التى كان المسلمون قد استولوا عليها، وأجلسوه من قبل ملكًا على قلنديه، وفى النهاية دس يهودى له السم ومات، ومدة حكمه عشرون عاماً.

لوطر الثانى: حكم سبعة أعوام وفى عهده وقع قحط فى أنطاكيه، وطلب المدد من ملك فرنسا، وقد أعمل المجوس التخريب فى ولاية بوريكيه، فأجابه ونصرهم جميعاً.

فيكوس: حكم اثنى عشر عاماً، وأصيب بالقمل وعجز الأطباء عن علاجه، وتوفى بنفس العلة.

كاربيوس: بعد ستة أعوام من الحكم أصبح رى كاريوس أخوه شريكاً له، وأقام فى الامانية، وهو فى أنطاكيه، وحكما مدة ثمانية أعوام أخرى مشاركة.

أوكو: حكم وابنه سبعة أعوام، وفى عهدهما قدم جيش خراسان^(١٦)، إلى إسبانيا وخربها، وتنصر ملك بوهميا مع أهل هذه المناطق جميعاً، وبعد ذلك استخلف أوكو أحد قواد جيشه، وكان هذا القائد هو القائد الثامن والسبعون من القياصرة، وحكم إحدى وأربعين سنة وشهرين.

هرتكوس: حكم ثمانية عشر عاماً.

بريكاريوس: كان عادلاً حسن السيرة، وفي عهده عمرت أنتلية، وحكم سبعة أعوام.

لويريوس: طلعت الشمس في عهده حمراء، وظهرت الفتنة والفساد في أثينا ومدته عامان.

بريكاريوس وابنه: حكما أحد عشر عاماً.

أوطو: كان حاكم بلاد الأمانية، جعل كثيراً من المجوس مسيحيين، وكانت مدة حكمه ستة أعوام.

أوطو الثاني: حكم واحداً وعشرين عاماً.

أوطو الثالث: حكم اثني عشر عاماً، وكان الملك في عهده قوياً متوارثاً، وبعد ذلك كانوا يختارون ثلاثة مرحاسيا^(١٧)، وثلاثة من كبار القواد وملكاً للناس، ولما كانوا يتفقون على واحد كان الملك يختاره، ويجلسه على العرش، ويفعلون ذلك إلى الآن.

أفريكوس: كان مفوضاً لهؤلاء السبعة الذين اختارهم القياصرة، وزوج أخته لملك المجر ونصرهما.

كفراطوس: كان يحب الخير للناس، وكان يواسي الرعية، وحكم أحد عشر عاماً.

أفريكوس: كان ابنه، وقيل صهره، حكم ثمانية وعشرين عاماً، ووجدوا في عهده تمثالاً من الرخام في مدينة أيونية، وقد صنع رأسه من النحاس، وكتب عليه: إنه في أول يوم من أيام شهر آيار في الوقت الذي تصل فيه الشمس إلى رأس السرطان تصبح رأسى ذهباً، ولم يفهم أحد معنى هذا، وكان مسلم حاضراً، ففهم وكان أسيراً فقال: في أول يوم من شهر آيار عندما تطلع الشمس وفي الوقت الذي يقع فيه ظلها على رأس هذا التمثال فحضر فوجد كنزاً، فتعجب الناس وخلصوه من الأسر.

أفريكوس الثاني: حكم سبعة عشر عاماً، وفي عهده كان القائد جالساً في الدار، فاجتمعت الفئران حوله فجأة وكانوا يأكلونه ولم يتعرضوا للآخرين، ولم يتيسر صدهم فأجلسوه في سفينة وحملوه إلى البحر؛ ليدفعوهم، ولكنها لم تجد ودخلوا عليه في السفينة هكذا وكانوا يأكلونه، واحتشد في عهده جيش عظيم وتحاربوا مع المسلمين، واستردوا بيت المقدس من حوزتهم، ووجدوا في أنطاكية رمحاً كان كرسطوس ثبته هناك، وامتنحوا سلامته من العيب بالنار لكنه لم يحترق.

أفريكوس الثالث: دام حكمه خمسة عشر عاماً، وحكم يوطوريوس خمسة عشر عاماً، وانقطع الماء في عهده في فرنسا؛ لأن الأنهار والعيون جفت، وتشققت الأرض قطعة قطعة، وكانت النار تخرج منها، ومهما حاولوا أن يزرعوا لم يستطيعوا إلا بعد خمود النار بعامين.

كتراطوس: حكم خمسة عشر عاماً، وكان في عهده شخص محارب يسمى كرلوس أولين، عاش أكثر من مائة عام، ومات في عهده.

فريطريكوس: حكم سبعة وثلاثين عاماً.

فريكوس: حكم سبعة أعوام وخمسة أشهر، وفي عهده استولى الفرنجة على القسطنطينية، وقتلوا الملك وأعملوا السلب والنهب وأسروا كثيراً، وظهر المغول في ذلك الوقت.

أوطو: كان من سكسونيا، لما وضع التاج على رأسه بأمر البابا المائة والرابع والثمانين سلسطينوس، وتحارب مع فرنجة روما، ومضى إلى بلاد عبولية واستولى عليها، فغضب منه البابا ولعنه وعزله، وحكم أربعة عشر عاماً.

فرنرييكوس: وضع البابا سلسطينوس التاج على رأسه، وحكم ثلاثة وثلاثين عاماً وشهرين وخمسة وعشرين يوماً، وفي النهاية تمرد وغضب البابا منه ولعنه، فقبض ابنه عليه من أجل إرضاء البابا، وزجَّ به في السجن حتى مات.

تورنكيه: كان قائدًا اختاره البابا وجعله قيصرًا، وحكم ثمانية وثلاثين عامًا وشهرين وثمانية أيام.

اللمش^(١٨): كان أمير هولندا، اختاروه ونصبوه ملكًا، وفي عهده مضى لودريكوس ملك فرنسا لمصر بجيش عظيم وغزاها واستولى على دمياط، واشتغل بحشد الجيش استعدادًا لفتح مصر، فقدم سلطان مصر وهزمه ووقع في أسر قائد يسمى منفردًا، وافتداه بمال وفير، وأرسل السلطان منفردًا؛ ليستولى على جزيرة صقلية، ويصبح حاكمًا عليها، فأرسل البابا في هذا الوقت ملك فرنسا فقتل منفردًا، واسترد صقلية، وفي هذا الوقت أغار المغول على المجر وبولينيا عن طريق صحراء القبجاق، وقتلوا خلقًا كثيرًا وسلبوا ونهبوا، وظهر في تلك البلاد قحط لدرجة أن الناس أكلوا لحم أبنائهم، ولكن الله شملهم برحمته، وأنزل من السماء شيئًا يشبه الدقيق، فصنعوا الخبز وأكلوا، وانشق جبل في ذلك الوقت، وانتقل إلى مكان آخر، فوق تحت ما يقرب من خمسة آلاف آدمي. وأنشأ يهودى حديقة في عهد ملك فرنسا في مدينة طليطلة، فظهر حجر كبير لم يكن فيه أى ثقب ولا أى شق، فشقوقه، فوجدوا في وسطه كتابًا أوراقه من خشب، وكتب بالخط العبرى والفرنجى والرومى وكلامه مثل كلام الزبور، ووردت فيه حكايتان: أولهما: أن هذا الكتاب ظهر في عهد ملك فرنسا، والثانى: أن المسيح ابن الله، ولد من مريم العذراء لإنقاذ الناس من جهنم، وأنه يتعذب على شر خلق الله، فعرض هذا الكتاب على الناس، وتنصر أهله وعياله.

وبعد ذلك مضى لوطريكوس ملك فرنسا إلى الشام بجيش يفوق الحد والحصر، ولما بلغ تونس أخضعها حتى جعلها تؤدى له الخراج وتصور أنه سيستولى على جميع بلاد الإسلام لكثرة جيشه، وتوفى فجأة، وكانت مدة قيصرته خمسة وثلاثين سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يومًا.

روافس: حكم سبعة عشر عامًا واستولى المسلمون في عهده على عكا وطرابلس وجميع موانئ الشام، وقتلوا كثيرًا من الفرنجة، وبسبب عداوته لملك بوهيميا حاربه وقتل.

أطلقس: كان القيصر المثنوى، وحكم تسعة أعوام وستة أشهر، وقتل ما يقرب من مائتى ألف مسلم كانوا فى مدينة نوحيرة من تلك البلاد، انتقاماً للمدن التى كانت حول الشام، وتخریب كنيسة تبريز، وممالك إيران فى عهد سلطان الإسلام السلطان غازان خان.

أز البرطوس: الملك الواحد بعد المائة للقياصرة، وجلس على العرش فى ذلك الوقت، وهو شهور سنة سبعمائة وسبع عشرة من الهجرة، وكان معاصراً للبابا نطيكطوس، وهو البابا الثانى بعد المائتين من خلفاء المسيح (عليه السلام). والله الباقى.

الباب الثانى

فى معتقدات أقوام النصارى فيما يختص بالمسيح (ﷺ)
وذكر الباباوات وهم خلفاؤه، وهذا يتكون من ثلاثة فصول

الفصل الأول

فى ذكر معتقدات أقوام النصارى فيما يختص بالمسيح (ص ١٤٤)

ينقسم دين النصارى إلى اثنى عشر قسمًا حسب عدد ودعوة الحواريين الذين كانوا أصحاب المسيح، يتفق مرجسيا والبابا والباترك والجاثليق والأسقف والقسيس والرهبان والريان، وهم المقتنون بهم على أن عيسى ابن الله، إذ إنهم يقررون أن للحق تعالى ثلاث صفات، وكل الصفات ضمن هذه الصفات الثلاث: الوجود والحكمة والمحبة، فإن البارى تعالى عبارة عن الوجود المحض، ويسمونه الأب، ويسمون عيسى الحكمة وكلام الله، وباعتبار تأثير الأثر فى المؤثر يسمونه كرسطوس، والمراد من الأب والابن وروح القدس إذ إن ابتداء الكلام والتسمية والعملية الذهبية هى هؤلاء الثلاثة.

ويقول حكماء وفلاسفة النصارى: كان موجوداً أو محسوساً أو معقولاً، والمعقول هو الذى لا يدرك بمظهره، ويسمى النصارى الثانى الآلهة إذ جاء فى التوراة والزبور إله الآلهة، فإذا كان للموجود المعقول تعلق بالأجسام فهم يسمونه النفس والابن، وإذا لم يكن هناك تعليق، فإنهم يقولون عنه أنه مطلق أو واجب الوجود أو ممكن، ويجوز أن يكون الممكن هو العقل، وروح القدس، ويسمونه الواجب، وهو علة العلل الأب وأشرف العلل، ولهذا السبب يسمونه تعالى وتقدس الأب، ويسمون النفس بالابن لهذا السبب، لأنها تتقبل أثر واجب الوجود وروح القدس منزهة عن وسائل تحصيل كماله، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

الفصل الثانى

فى مراتب ملوك ورؤساء الفرنجة

المرتبة الاولى عندهم: البابا ومعناه الأب، ويعدونه خليفة المسيح، المرتبة الثانية: القيصر، ويسمونه بلغة الفرنجة الإمبراطور ومعناه سلطان السلاطين، والمرتبة الثالثة: ريدفرانس ومعناه ملك الملوك، والإمبراطور قيصر وهو ملك ولكن ليست له قوة، ويختارونه على حسب جدارته من بين جماعة ويولونه الملك، وريدفرانس ملك يرث الملك أباً عن جد، وهو الآن معظم ومعتبر وتحت أمره اثنا عشر ملكاً، ولكل ملك ثلاثة ملوك يطيعونه، والمرتبة الرابعة: رى بمعنى ملك، ومرتبة البابا إلى حد أنه كلما أرادوا أن يعينوا قيصرًا، فإن سبعة أشخاص من المعينين من أجل هذا القيصر يتداولون عند البابا، وهم ثلاثة: مرحسيا، وثلاثة أمراء عظام، وملك؛ ليختاروا عشرة أشخاص، ويختاروا واحداً من بين العشرة معروفًا بالزهد والصلاح والجدارة والعفة ومشهوراً بالإمامة والتدين والثبات والوقار وحسن الخلق والشرف وكمال النفس، ويضعون على رأسه، تاجاً من الفضة، ويزعم الإفرنج أن بلاد الأمانية من تلك الولاية تمثل ثلث ربع العالم المسكون، ويمضون من هناك إلى ولاية لنبرديه، ويضعون هناك تاجاً من الفولاذ على رأسه، ويمضون من هناك إلى روما الكبرى مدينة البابا، ويحمل البابا تاجاً من ذهب بقدميه ويضعه على رأسه، وبعد ذلك يطرحه حتى يضع البابا قدمه على رأسه وعنقه وينسحب على جسده، ويصبح فى ذلك الوقت ركاباً حتى يضع البابا قدمه عليه، ويمتطى صهوة الفرس، وبعد ذلك يطلق عليه اسم القيصر، ويدين له ملوك الإفرنج وأهل تلك البلاد بالطاعة، ويسرى حكمه فى تلك البلاد برأ وبحرراً.

الفصل الثالث

فى مولد المسيح (ﷺ)، ونسب أمه مريم مع داود (ﷺ)
وخبّر حادثته وذكر إجلاس الباباوات وهم خلفاء المسيح

عيسى (ﷺ): ابن مريم بنت يوفيم، وهو عمران بن ماثان بن اليعازر بن بليود بن أخين بن صادوق بن عازور بن الياقيم بن زروياويل بن شالتى إيل بن أشير بن يوحينيا والد دانيال النبى، ويسميه اليهود يهوياخين، وهو الابن السابع عشر للنبى سليمان (ﷺ)، ويسمى المسيحيون عيسى كرسطوس، والمسيح، وكلمة الله.

فى العام الثالث بعد الأربعين من حكم الملك أغسطوس القيصر ولد عيسى لمريم العذراء فى بيت لحم ليلة الثلاثاء الخامس والعشرين من شهر كانون الأول سنة ثلاثمائة وتسع بالتقويم الإسكندرى، ومن معجزاته أن تخرب وسقط معبد كان فى روما العظمى نقشت صور جميع أصنام العالم على جداره، وكانوا يسمونه الهيكل، ونبع فى نفس الوقت زيت فى وسط مدينة روما من الأرض وجرى، واندمج فى نهر طيريروس الذى كان فى وسط مدينة روما، وأخبر منجمو ملوك فارس المجوسيين، وخانات التركستان بأنه فى ذلك العام يولد طفل فى بيت المقدس سوف يطيعه وينقاد إليه أهل العالم، وكانت جماعة من الرسل قد وصلوا وأحضروا معهم اللبان والأعشاب العطرية للبخور، وكان أغسطوس يقتل أطفال بيت لحم والقدس، فجاء الوحي ليوסף بن يعقوب بن ناثان وهو ابن عم مريم قائلًا: احمل مريم مع طفلها وتوجه إلى مصر، فهربهما، وتوجهوا إلى مصر، وظلوا هناك عامين، ومن معجزات عيسى فى طفولته، أنه صنع من الماء النبىذ، واستخرج من جرة مزخرفة جميع أنواع الألوان، ولما بلغ الثلاثين من عمره عمده يوحنا

بن زكريا، فصار مسيحياً، وتعميد النصارى هو أن يحمل (الشخص) إلى الكنيسة ويوضع فى حوض ماء ويفسل بماء ساخن، وتصلى بعض الصلوات وتلى بعض الأدعية، ويلقن مذهبه ويدهن بالزيت المعروف بحيث يصل إلى جميع أعضائه، وحينئذ يكون قد أصبح مسيحياً، وإذا كان الشخص طفلاً يجعلون له وكيلاً. والمسيح الذى كان فى بداية العام الأول بعد الثلاثين من عمره كان يونسىوس نائباً عن طيباريوس القيصر فى بيت المقدس، وعذبه اليهود، وانتقل من دار الفناء إلى دار البقاء. ومنذ ابتداء عهد آدم حتى زمان المسيح مضت خمسة آلاف ومائة وتسع وتسعون سنة، وكانت مدة عمره اثنتين وثلاثين عاماً وشهراً واحداً، وعاصر القيصر أغسطوس ثلاثة عشر عاماً كما عاصر طيباريوس القيصر تسعة عشر عاماً وشهراً.

قيطورس الحوارى: كان خليفة المسيح (ﷺ)، والبابا الأول، وأكبر الحواريين، وكان البابا فى أنطاكية لمدة سبعة أعوام، وجلس على كرسى الخلافة، بعد ذلك جاء إلى رومية الكبرى، وشغل كرسى البابوية خمسة وعشرين عاماً وسبعة أشهر وعشرين يوماً أخرى، وتوفى بالتعذيب فى بداية عصر نارون القيصر.

لينوس: أصبح من بعده البابا، وكان من ولاية توسكانا، وجلس على كرسى البابوية مدة أحد عشر عاماً وثلاثة أشهر واثنى عشر يوماً، وكان يظهر الكرامات، وقال للناس: إنه يصنع السحر، ويسببه قطعوا عنقه.

كليئوس: كان من روما، ربي بأمر قيطورس خمسة وعشرين قسيساً، وأصبح البابا بعد لينوس، وقتلوه متهمين إياه بالسحر، وكانت مدة بابويته أحد عشر عاماً وشهراً واحداً عشر يوماً.

كليمس: أصبح البابا بعد أن خلى كرسى البابوية مدة واحد وعشرين يوماً، أصله من روما، ألف كتباً كثيرة فى المسيحية، وطرده القيصر فى ذلك الوقت من الولاية وأرسله إلى جزيرة سوسنة، وقتل هناك، وكانت مدة بابويته تسعة أعوام وشهرين واثنى عشر يوماً.

أنكليطوس: أثناء جلوسه كان قد مضى سبعة أعوام من ملك نوميطيانس الذي كان تاسع القياصرة، وأمر القساوسة بحلق شعورهم ولحاهم، وقتل متهمًا بالسحر، وكانت مدته تسعة أعوام وخمسة أشهر ويومين.

أنوستوس: كان أصله من روما وقتل معذبًا، وكانت مدته عشرة أعوام وثلاثة أشهر ويومًا واحدًا.

اليشندر: أصله من روما وقتل معذبًا، فمدته تسعة أعوام وخمسة أشهر ويومان.

سينسطوس: كان من روما، وأثناء توليه منصب البابوية كان معاصرًا لأدريانس القيصر، وقتل معذبًا، وكانت مدته عشرة أعوام وثلاثة أشهر وواحدًا وعشرين يومًا.

طلسفروس: كان من روما ومات معذبًا، وكانت مدته أربعة أعوام وستة أشهر وخمسة أيام.

إيكنوس: أصبح البابا بعد عشرة أيام، وكان من اليونان من أثينا التي كانت مدرسة أرسطو، ومات معذبًا، وكانت مدته أربعة أعوام وستة أشهر وخمسة أيام.

بيوس: أصبح البابا بعد عشرة أيام من هرقلية، وظهر في عهده ملك لرجل يسمى أزميت، وقال: عندما يصل القمر في شهر آذار ليلته الرابعة عشر، اجعلوا أول يوم أحد عيدًا كبيرًا، وأمر بحلق الشعر حول الرأس، وكان معاصرًا لطيطوس الثالث عشر من القياصرة، وكانت مدته تسعة أعوام وأربعة أشهر وواحدًا وعشرين يومًا.

إينسيوس: أصبح البابا بعد خمسة عشر يومًا، ومات معذبًا ومدته سبعة أعوام وثلاثة أشهر ويومان.

سويش: أصبح البابا بعد خمسة عشر يومًا، وكان من كبتانيا ومات معذبًا، وكانت مدته أحد عشر عامًا وثلاثة أشهر وواحدًا وعشرين يومًا.

الوتريس: أصبح البابا بعد شهر، وكان من روما، ونصر ملك بريطانيا الذي كان وثنيًا، ومات معذبًا وكانت مدته خمسة عشر عامًا وستة أشهر وخمسة أيام.

وكتطور: أصبح البابا بعد عشرة أيام وكان من أفريقيا، وأمر بأن ينصر الناس بالآب والابن وروح القدس، ومات معذباً، وكانت مدته عشرة أعوام وشهرين ويومين.

ديفريئوس: أصبح البابا بعد اثني عشر يوماً، وكان من روما ومات معذباً، ومدته تسعة أعوام وستة أشهر وعشرة أيام.

كلكسطوس: أصبح البابا بعد ستة أيام ، وفي زمانه أبرقت السماء ، وأحرقت يدين لنبي كان في روما ، وكانت مدته خمسة أعوام وشهرين وعشرة أيام .

أريانونس: أصبح البابا بعد شهرين وتسعة عشر يوماً وكانت مدته أربعة أعوام وأحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً.

يونسطيانوس: كان من روما، قتل معذباً في جزيرة سردينيا، وكانت مدته خمسة أعوام وشهرين، وأجلسوا بعده كريكوش مدة عام واحد وثلاثة أشهر، وبعد ذلك مضى إلى كلونيا وهي مدينة في ألمانيا، ولم يعدوه من الباباوات، لأنه لم يمِت في روما، وكان معاصراً لاليشيدروس القيصر العشرين.

أنطروش: مات معذباً، وكانت مدته ثلاثة عشر عاماً وشهراً وخمسة عشر يوماً.

فيبيانوس: من روما ومات معذباً، وكانت مدته ستة عشر عاماً وأحد عشر شهراً وأحد عشر يوماً.

كتطليوس: من روما ومات معذباً، ومدته سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام.

نطسيوس: من روما ومات معذباً^(١٩)، ومدته سنة وثلاثة أشهر وثلاثة أيام.

أسطينيوس: من روما، وكان في تلك الناحية معبد عظيم، فدعا الله فانهار، وبذلك تنصر كثير من الكفار، وقتل في النهاية، وكانت مدته أربعة أعوام وشهرين وعشرة أيام.

سكسطلوس: كان من روما، ونصر القيصر الكبير، ووزع خزانته على الفقراء، وقطعوا رأسه في النهاية، ومدته عامان وأحد عشر شهراً وستة أيام.

ريوتسيوس: مات معذباً، ومدته عامان وثلاثة أشهر.

فالكس: كان من روما، وكانت مدته عامين وشهرين.

إنسيانوس: كان من توسكانا، وقام بأعمال حسنة، ومات في النهاية معذباً، ومدته عشرون عاماً وشهران وأربعة أيام.

غاتيوس: كان من دلفيا، ومات معذباً، ومدته أحد عشر عاماً وأربعة أشهر وأربعة أيام.

مردسليينوس: كان من روما الكبرى، هدم وأحرق الأصنام بأمر القيصر آرام^(٢٠)، وتاب بعد ذلك، وأوصى بأن يضعوه في القبر، وقطع ديوقليطيانس رأسه، وهو الرابع والثلاثون من القياصرة، ومدته سبعة أعوام وشهران وواحد وعشرون يوماً.

مردسلوس: كان من روما، تولى البابوية ستة أعوام واثنين وعشرين يوماً، وأمره قيصر وقته بأن يكون راعياً، فرعى القطعان حتى مات.

أرثينوس: كان من اليونان، ومدته عامان وشهران وعشرون يوماً.

بلكيارس: أصله من المغرب، وأمر المسيحيين بأن يصوموا يومى الأحد والخميس؛ لأن الوثنيين كانوا يصومون هذه الأيام، ومدته ثلاثة أعوام وستة أشهر وسبعة أيام.

سلفسدروس: من روما وكان طبيباً حاذقاً، لأنه أنجى قسطنطينوس من البرص، وجمع مسيحييه حتى اجتمع له ستمائة وثمانية عشر مرحسيا^(٢١) في مدينة مكة، وناظر اليهود وألزمهم بشور ميت، وقال لهم فى آذانهم: والأب والابن والروح القدس، فنهض الثور، وكانت مدته عشرين عاماً وشهرين وأحد عشر يوماً.

مروقوس: من روما، وتولى البابوية عامين وثمانية أشهر وعشرين يوماً.

جليبيوس: من روما، وجد المشقة على يد قسطنطينوس القيصر، ولما مات ارتفعت عنه الشدة وكانت مدته أحد عشر عاماً وشهرين وثمانية أيام.

ليبرنوس: من روما، خرج عن طاعة قيصر عهده، فعزله، ومدته عشرة أعوام وسبعة أشهر وسبعة أيام.

فالكس: من روما، وقتله القيصر عندما كان يتحدث عن ضلاله مع الناس، ومدته عامان وسبعة أشهر وسبعة أيام.

ليبرنوس: ولوه البابوية مدة من الزمان في عهد فالكس، وعزلوا فالكس ثم أعادوه، ولما قتل وأو الليبرنوس مرة أخرى، وكانت مدته ستة أشهر.

طسموس: أصله من أسبانيا، جمع مائة وخمسين مرحسيا^(٢٢)، ولعنوا ليبرنوس حتى قتل، ومدته ثمانية عشر عاماً وشهران ويومان.

شريحوس: من روما، وشكل جماعة في استانبول مع ثلاثمائة من المسيحيين، وفي عهده ولد أرناووش^(٢٣)، وله سرتان، وكان يتفق مع غيره في كثير من الأمور، ومدته خمسة عشر عاماً وشهران وخمسة عشر يوماً.

إيسطاسيوس: كان من روما، وتولى البابوية عامين وستة وعشرين يوماً.

إينوسينسيوس: أصله من بلاد ألبانيا، وتولى البابوية خمسة عشر عاماً وشهرين وعشرين يوماً.

روسيوموس: أصله من بلاد الروم، ثم أصبح عبداً لقسيس، ومدته عشرة أعوام وثمانية أشهر وخمسة وعشرون يوماً.

تبيعايشوش: كان من روما، ومدته ثلاثة أعوام وثمانية أشهر وثلاثة أيام.

سلسطينوس: كان من روما، وأرسل شخصاً إلى جزيرة بولان، ونصر الناس هناك، وشكل جمعية في مدينة أفروس، وجادل أعداء الدين، وكانت مدته عشرين عاماً وشهراً وتسعة أيام.

سكسطوس: كان من روما، صنع خيراً كثيراً وبنى كنيسة، ومدته ثمانية أعوام وثمانية عشر يوماً.

ليون: من توسكانا، شكل الاجتماع الرابع فى عهده، وجلس ثلاثمائة وخمسون
مرحسيا أمام النساطرة، وتحديثا فى المسألة التى يقول فيها النساطرة: إن عيسى
يتكون من شيئين هما: الله والإنسان؛ أى الروح والجسد. وكانت مدته واحداً وعشرين
عاماً وشهرين.

إيلانيوس: من جزيرة سردينيا، وكانت له البابوية ستة أعوام وخمسة أشهر
وعشرة أيام.

سميلجيوس: كان من مدينة تبور، وظهر فى عهده شخص فى جزيرة انجلترا،
وادعى النبوة وقتل، وكانت مدته خمسة عشر عاماً وستة أشهر وسبعة أيام.

فالكس: أصله من المغرب، تولى البابوية ثمانية أعوام وأحد عشر شهراً وأحد
عشر يوماً.

كلاسيوس: أصله من المغرب، وظهر فى عهده جسد أحد الحواريين، كما ظهر
إنجيل بخط متى، وهو من جملة الحواريين، ومدته ثمانية أعوام وثمانية عشر يوماً.

أنسطاطليوس: كان من روما، وتولى البابوية أحد عشر عاماً وأحد عشر شهراً
وأربعة وعشرين يوماً.

سيمسكش: من جزيرة سردينيا، وفى عهده تنصر ملك فرنسا، ومدته خمسة عشر
عاماً وسبعة أشهر وثلاثة وعشرون يوماً.

أورمزد: من كبتانيا، وتولى البابوية تسعة أعوام وثمانية عشر يوماً.

بوخش: من روما، وتنصر فى عهده جميع سكان فرنسا، وازدهر الدين المسيحى
تماماً، وكان معاصراً للقيصر يوسطينوس الثانى والخمسين، وتولى البابوية عامين
وأربعة أشهر.

بنيغاسيوس: من روما، وتولى البابوية عامين وشهرين وستة وعشرين يوماً.

أغايطوس: من روما، وتولى البابوية أحد عشر عاماً وثمانية وعشرين يوماً.

سلفيونوس: من كبتانيا، عذبه قوقا القيصر السادس والخمسون حتى مات، ومدته عام وخمسة أشهر وأحد عشر يوماً.

فيلاكيس: كان من روما، وتولى البابوية أربعة أعوام وعشرة أشهر وعشرين يوماً.

بوحس: من روما، تشكل في عهده الاجتماع الخامس للمسيحيين في استانبول، ومدته سبعة عشر عاماً وسبعة أشهر وستة وعشرون يوماً.

فيلاكيس: كان من روما، وتولى البابوية أحد عشر عاماً وأحد عشر شهراً وأربعة وعشرين يوماً.

نبطلكوس: كان من روما، تولى البابوية ثلاثة أعوام وشهراً وتسعة عشر يوماً، وظهر في عهده قحط وفتنة في بلاد الفرنجة.

بلايكوس: كان من روما، هطل في عهده المطر بكثرة، وارتفع ماء نهر روما حتى ساوى سور المدينة، وحمل كثيراً من الثعابين والحشرات والحيوانات المتعفنة لدرجة أن كثيراً من الناس ماتوا من ننتها، ومات أيضاً، ومدته عشرة أعوام وثلاثة أشهر وعشرة أيام.

كريلوريوس: من روما، تولى البابوية ثلاثة عشر عاماً وثلاثة أشهر وعشرة أيام، وكان محباً للعلم، ألف كثيراً من الكتب وأظهر المعجزات، ونصر أهل جزيرة انجلترا، ووقعت في عهده مجاعة في أوروبا خاصة في روما، مات كثير من الخلق منها.

سبيتانوس: كان من توسكانا، وتولى البابوية عاماً وخمسة أشهر وتسعة أيام.

بنيفاسيون الثاني: تولى البابوية ستة أعوام وثمانية أشهر واثنى عشر يوماً.

طاوس ططات: تولى البابوية ثلاثة أعوام وعشرين يوماً، كان تقياً صالحاً لدرجة أنه قبل إله البرص، فشفى من علته.

بنيفاسيوس: كان من كبتانيا، تولى البابوية خمسة أعوام وثلاثة عشر يوماً.

أنوريوس: كان من كبتانيا، وتولى البابوية اثني عشر عاماً وأحد عشر شهراً وثمانية عشر يوماً.

سفرينوس: كان من روما، تولى البابوية عاماً وأربعة أشهر وثمانية وعشرين يوماً.
بوحيس: من دلماسيا، اشترى الكثير من أسرى المسلمين، ثم حررهم، ومدته عام وتسعة أشهر وثمانية وعشرون يوماً.

شوطروس: من الروم، تولى البابوية ثلاثة أعوام وخمسة أشهر وثمانية أيام.
برطينوس: من روما، تولى البابوية ثلاثة أعوام وشهرين وسبعة وعشرين يوماً.
فيطلبانس: من كبتانيا، تولى البابوية أربعة عشر عاماً وخمسة أشهر وستة عشر يوماً.

ديرماتلوس: من روما، تولى البابوية أربعة أعوام وشهرين وخمسة عشر يوماً.
أكسطلوس: من جزيرة صقلية، اجتمع المجمع السادس للمسيحيين في عهده في القسطنطينية، ومدته عامان وستة أشهر وثلاثة أيام.

ليو: من صقلية، تولى البابوية شهرين وسبعة عشر يوماً.
زيتوت: كان من روما، تولى البابوية أحد عشر شهراً وتسعة أيام.
سركيوس: كان من أنطاكية، تولى البابوية أربعة عشر عاماً وثمانية أشهر وثلاثة وعشرين يوماً.

ليو: من روما، تولى البابوية عامين وتسعة أشهر.
برهنس: من الروم، تولى البابوية ثلاثة أعوام وشهرين وثلاثة عشر يوماً.
أوجنس: من الروم، تولى البابوية عامين وسبعة أشهر وسبعة عشر يوماً.
سزينوس: من روما، وتولى البابوية عشرين عاماً.
قسطنطينوس: أصله من الشام، تولى البابوية سبعة أعوام وثلاثة عشر يوماً.

كريكوريس: من الشام، تولى البابوية ستة عشر عاماً وثمانية أشهر وثلاثة وعشرين يوماً.

كريكوريس الثاني: من روما، حكم عامين وثمانية أشهر وأربعة وعشرين يوماً.

كريكورسيوس: من روما، تولى البابوية خمسة أعوام وثمانية وعشرين يوماً، ووقع فى عهذه بين روما ولنبرديه تعصباً وخلافاً، وفى ذلك الوقت قتل ملك فرنسا ملك لنبرديه، وقبض على ذلك الملك.

كرياس^(٢٤): من الروم، تولى البابوية عشرة أعوام وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً.

باواوس: من روما، تولى البابوية عشرة أعوام وشهراً.

قسطنطينوس: كان من روما، تولى البابوية ثمانية وعشرين يوماً، انتصر عليه المنشقون واقتلعوا عينيه.

أسطينوس: من صقلية، تولى البابوية ثلاثة أعوام وخمسة أشهر وأحد عشر يوماً.

أوريانوس: من الروم، تولى البابوية ثلاثة وعشرين عاماً وخمسة أشهر وثمانية عشر يوماً، وأقام المجمع السابع المسيحى فى استانبول، وجادل المنشقين فى الدين مع ثلاثمائة رجل مسيحى تقى.

ليو: من روما، تولى البابوية خمسة وعشرين عاماً وستة أشهر، انتصر عليه خصومه، وأخرجوا عينيه واقتلعوا لسانه.

كرسطسوس: ظهر للقيصر فى المنام، فجهز الجيش وقهر أعداءه، واستولى جيش المسلمين فى ذلك الوقت على بلاد الروم.

استوليوس: من روما، تولى البابوية ثلاثة أعوام وسبعة أشهر وثمانية عشر يوماً.

سكانش: من روما، تولى البابوية سبعة أعوام وشهرين.

أوجينوس: من روما، تولى البابوية ثلاثة أعوام وشهرين.

فلنطينوس: من روما، تولى البابوية أربعين يوماً.

كريكوس: من روما، تولى البابوية أحد عشر عاماً، ولما وقع بين أهل روما جدال وتعصب طلب مدداً من سلطان مصر حتى استولى عليها، وجعل الكنيسة الكبيرة مركزاً، وبعد ذلك قدم عليه ملك فرنسا وملك لنبرديه وهزمهما.

كريكوس: كان من روما، تولى البابوية ثلاثة أعوام.

ليو: كان من روما، تولى البابوية ثمانية أعوام وثلاثة أشهر وثمانية أيام، وقدم ملك إنجلترا في عهده هدايا، فأتحف كلاً بديرهم من الطوى.

بنطلطوس: كان من روما، تولى البابوية عامين وستة أشهر.

باولوس: كان من روما، تولى البابوية أربعة أيام.

نيكولاوس: كان من روما، تولى البابوية تسعة أعوام وشهرين وعشرين يوماً، وفي عهده وقع الطاعون في مدينة كلونيا، ومضى كل الناس إلى الكنيسة الكبرى، وانقضت الأفاعى كالصاعقة على الكنيسة حتى مات معظم الناس.

أدريانوس: كان من روما، تولى البابوية خمسة أعوام.

أوجنس: كان من روما، تولى البابوية عامين وعشرة أشهر، وفي عهده اجتمع المجمع المسيحي الثامن في اسطنبول، واجتمع ثلاثمائة وثلاثة وثمانون من المسيحيين الأتقياء، وتناقشوا مع الخصوم وجادلوهم.

وطينوس: كان من روما، تولى البابوية عاماً وخمسة أشهر.

أطريانوس: كان من روما، تولى البابوية عاماً وأربعة أشهر.

أسطينوس: كان من روما الكبرى، تولى البابوية ستة أعوام وعشرة أيام.

فرموسسيوس: تولى البابوية خمسة أعوام وستة أشهر.

بنيعاسيوس: كان من توسكانا، تولى البابوية خمسة عشر يوماً.

أسطينوس: كان من روما، تولى البابوية عاماً وثلاثة أشهر.

دومانوس: كان من روما، تولى البابوية ثلاثة أشهر وعشرين يوماً.

تيهوطروس: تولى البابوية عشرين يوماً.

يوخنس: من روما، قام بحروب مع ولاية روما وأهالى المدن الأخرى، وكانت مدة بابويته سنتين وخمسة عشر يوماً.

بنطكلوس: كان من الروم، تولى البابوية ثلاثة أعوام وثلاثة أشهر.

ليو: كان من روما، تولى البابوية أربعين يوماً.

فوروس: تولى البابوية سبعة أعوام، وعزلوه فى النهاية وصار... (٢٥) (٩).

كرستق: كان من روما، تولى البابوية سبعة أعوام وثلاثة أشهر وستة عشر يوماً.

سركيوس: كان من روما، تولى البابوية عامين وشهرين.

أسطاسيوس: كان من روما، تولى البابوية ستة أشهر وأربعة أيام.

أولتيس: تولى البابوية ستة عشر عاماً وشهرين وثلاثة أيام، وحارب المسلمين حروباً، وقدم فى عهده جيش المجر روما، وقتلوا وسلبوا.

ليو: من روما، وتولى البابوية ستة أشهر وخمسة أيام.

سطنيس: كان من روما، وتولى البابوية عامين وشهراً واثنى عشر يوماً.

ليوت: كان من روما، تولى البابوية أربعة أعوام وشهرين وخمسة عشر يوماً، وفى عهده ظهر فى ولاية حيوه^(٢٦) ينبوع، وجاش منها دم خالص على الأرض، وقدم المسلمون فى هذا العام من المغرب وقتلوا ونهبوا.

أسطينوس: من روما، تولى البابوية ستة أعوام وشهراً.

مرطينوس: كان من ألمانيا، وتولى البابوية ثلاثة أعوام وأربعة أشهر وخمسة عشر يوماً.

أغايطوس: كان من روما، وتولى البابوية ثلاثة أعوام وستة أشهر وعشرة أيام.

..... كان من روما وتولى البابوية سبعة أعوام وعشرة أشهر وخمسة أيام.

بوحياس^(٢٧): كان من مدينة مارينه، وتولى البابوية سبعة أعوام وأحد عشر شهراً وستة عشر يوماً، وسجنه أهل روما، وأرسلوه فى النهاية إلى ولاية كبتانيا، فأرسل وطو القيصر جيشاً وقتل خلقاً كثيراً انتقاماً له.

بنطكطوس: كان من روما، وتولى البابوية عاماً وستة أشهر.

معنا: تولى البابوية عاماً وستة أشهر.

سيسوس: تولى البابوية ثلاثة أعوام وشهراً واثنى عشر يوماً.

يوخنوس: كان من روما، تولى البابوية تسعة أعوام وستة أشهر وخمسة أيام.

نرحيس^(٢٨): كان من روما، تولى البابوية ثمانية أشهر، وقبض عليه أهل روما وحبسوه فى القلعة حتى مات جوعاً.

نرحيس^(٢٩): كان من روما، وتولى البابوية ثلاثة أشهر.

نرحيس^(٣٠): كان من روما، وتولى البابوية عشرة أعوام وثمانية أشهر وأربعة أيام.

كريكوريس: من ولاية سكسونيا، وتولى البابوية عامين وستة أشهر.

نرحيس^(٣١): كان من روما، وتولى البابوية خمسة أشهر.

سلفستوروس: من فرنسا تولى البابوية أربعة أعوام وشهراً وعشرين يوماً، وكان ساحراً، وأصبح البابا بمعاونة الشيطان، وارتكب كبائر الذنوب، وقالوا له: يجب أن تمضى إلى أورشليم. وتدعو هناك، وكان فى روما كنيسة كبيرة تسمى مروشيم فمضى إليها وصلى فيها، فغضب الله عليه، فقطع جسده قطعة قطعة، فرحمه الحق تعالى وقبل توبته.

يوخنس: من الروم، وتولى البابوية خمسة أشهر وخمسة وعشرين يوماً.

يوخنس: كان من روما، وتولى البابوية خمسة أعوام وأربعة وعشرين يوماً.

سركيوس: تولى البابوية عامين وثمانية أشهر وثمانية أيام.

بنطكطوس: من يوسقلان، تولى البابوية أربعة عشر عاماً، ولما توفي ظهرت صورته على هيئة شخص تقى رأسه مثل الديك، وذيله مثل الدب، فسأله عن حاله، قال: جعلوني في هذه الصورة كما كنت في الدنيا.

سلوسطرس: تولى البابوية ستة وخمسين يوماً.

كريكوريوس: من روما، تولى البابوية خمسة أعوام، كان رجلاً حسن السيرة ويقهر بها الأشرار، وقامت تلك الطائفة لتقتله، إلا إنهم لم يظفروا به، وأوصى وهو في النزاع أن يضعوه على عجلة يسحبها ثور، وأن يدفنوه في المكان الذي يتوقف فيه، فوقف الثور عند كنيسة عظيمة فدفنوه هناك.

قليمس: من ألمانيا، تولى البابوية تسعة أشهر.

طروس: تولى البابوية شهراً واحداً.

ليبيت: من ألمانيا، تولى البابوية خمسة أعوام وستة أشهر ويومين.

عكطون: من ألمانيا، تولى البابوية عامين وثلاثة أشهر.

أسطينو: من ولاية لورنه، وتولى البابوية تسعة أعوام.

أثوريوس: تولى البابوية ثمانية أشهر.

أثوسسيوس: من تورنكديه^(٣٢)، وتولى البابوية عامين وستة أشهر وخمسة وعشرين يوماً.

سلسطينوس: كان من مدينة ميلانو، تولى البابوية أحد عشر عاماً وستة أشهر وخمسة وعشرين يوماً.

فليمس: من توسكانا، تولى البابوية اثني عشر عاماً وشهراً وأربعة أيام.

كريكوريوس: تولى البابوية عاماً وثلاثة أشهر وسبعة أيام.
أنديانوس: تولى البابوية أحد عشر عاماً وأربعة أشهر، وجاء فى عهده قائد عظيم بجيشه يسمى بريميد، واستولى على بيت المقدس.
لوسيوس: كان من توسكانا، تولى البابوية عشرة أعوام وخمسة أشهر وسبعة أيام.
إيشنر: كان من كبتانيا، تولى البابوية عاماً وخمسة أيام.
أطريانوس: كان من روما، تولى البابوية خمسة أعوام وشهرين وثلاثة عشر يوماً.
أفسطاريوس: كان من مدينة أسبانيا، تولى البابوية خمسة أعوام وشهرين وثلاثة أيام.
لوجياتوس: كان من روما، تولى البابوية ثلاثة عشر عاماً وسبعة أشهر وثمانية أيام.
لوسيتوس: كان من توسكانا، تولى البابوية خمسة أشهر وثلاثة عشر يوماً.
سلطينوس: كان من سانيا، تولى البابوية أحد عشر شهراً وأربعة أيام.
أنوسيسيوس: من مدينة إيبير، تولى البابوية ثمانية أعوام وأربعة أشهر وعشرين يوماً.
أنوسيوس: من روما، تولى البابوية عاماً وأربعة أشهر وأربعة وعشرين يوماً.
كليستوس: من إنجلترا، تولى البابوية أربعة أعوام وعشرين يوماً.
فلاريوس: كان البابا المائة والثامن والسبعين من توسكانا، وقع فى عهده زلزال شديد لدرجة أن تخربت كل من أنطاكية وطرابلس ودمشق، كما تخربت مدينة كبتانيا فى جزيرة صقلية بتمامها، وغرق أكثر من عشرين ألف شخص، وكان معاصراً لفريطريكوس الثلاثين من القياصرة، وكانت مدته واحداً وعشرين عاماً وعشرين يوماً.

سكاس^(٣٣): كان من توسكانا، تولى البابوية أربعين عاماً وشهرين وثمانية عشر يوماً.

أدريانوس: كان من مدينة ميلانو، تولى البابوية عاماً وعشرة أشهر وخمسة وعشرين يوماً، وفي عهده استرد المسلمون بيت المقدس من النصارى، ومات حزناً لذلك.

فكطور: كان من بنه فند^(٣٤)، تولى البابوية شهراً وثمانية عشر يوماً.

كريكوريس: كان من روما، تولى البابوية ستة عشر يوماً.

...^(٣٥): كان من روما، تولى البابوية ستة أعوام وسبعة أشهر.

تيكوباس^(٣٦): كان من روما، تولى البابوية عشرين عاماً.

بنطكلوس: تولى البابوية عشرة أعوام وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوماً، وفي عهده استرد الفرنجة دمياط، ولكن المسلمين دافعوا عنها ثانية، وأسروا ملك فرنسا، واقتدى نفسه بماله.

سلسطينوس: كان من ميلان، تولى البابوية سبعة عشر عاماً.

أنوستيسوس: من جنوة، وتولى البابوية أحد عشر عاماً وستة أشهر.

أيشندر: كان من كبتانيا، تولى البابوية سبعة أعوام وثلاثة أشهر وأربعة أيام، اختار عظماء ألمانيا قيصريين في عهده: واحداً من أسبانيا، والآخر من إنجلترا، وأصبحت المملكة قسمين.

أوريانوس: كان من بونز^(٣٧)، تولى البابوية ثلاثة أعوام وشهراً وأربعة أيام، وقدم من مصر جيش؛ ليستولى على جزيرة صقلية في عهده، وسلم الملك كارلو هذه الجزيرة لأخيه ملك فرنسا، ثم مضى وهزم هذا الجيش واحتفظ بالجزيرة، وفي عهد تورنكيه قيصر فيلمتس من ولاية سرونج، الذي حكم تسعة أعوام وثمانية أشهر، وكان متزوجاً في أول الأمر، ولما توفيت زوجته صار مرحسيا^(٣٨)، ثم صار بعد ذلك البابا، وقدم أحد أقرباء فريديركوس القيصر بجيش عظيم من ألمانيا ليقتل البابا، فقتله الملك كارلو بأمر البابا، وكان معاصراً جلوس القيصر للمش.

كريكوريس: كان من لنبرديه، تولى البابوية أربعة عشر عاماً وأربعة أيام، وأمر بأن يهينوا جيشاً عظيماً لاستخلاص القدس، وتوفي أثناء ذلك.

أنوستستوس: كان من بركديه، تولى البابوية خمسة أشهر ويومين.

أذريانوس: كان من مدينة جنوة، تولى البابوية شهراً وتسعة أيام.

يوانس: كان من أسبانيا، تولى البابوية ثمانية أشهر ويوماً واحداً.

نيكولاوس: كان من روما، تولى البابوية عامين، وفي عهده زادت مياه نهر روما لدرجة أن الانتقال من بيت لآخر كان عن طريق السفن، ووقع العداء بين ملك كونييه والبابا.

مرطينوس: كان من ٢٩^(٢٩)، تولى البابوية ثلاثة عشر عاماً، وفي عهده رفعت كونييه راية العصيان على البابا السابق، ووضعت التاج على رأس القيصر دون إذنه.

أفريوس: كان من روما، تولى البابوية ثلاثة أعوام وخمسة أشهر.

نيكولاوس: كان من مدينة أوبنين، تولى البابوية أربعة أعوام وشهراً وثلاثة عشر يوماً.

سلسطينوس: كان من أبروحية، تولى البابوية ستة أشهر، واعتزل بمحض إرادته.

بنبعاسيوس: كان من كبتانيا، وتولى البابوية تسعة أعوام، واستردوا في عهده جزيرة صقلية التي استولى عليها ملك كونييه، ودان بن ملك كونييه بالطاعة للبابا.

سيطلطوس: البابا الثاني بعد المائتين من مدينة ترفيس، وجلس على كرسي البابوية زمناً يقرب من ثلاثة عشر عاماً، وكان هذا الوقت هو شهور سنة سبعمائة وسبعة عشر من الهجرة، وعاصر القيصر أطفلس ثلاثة عشر يوماً، وبعد ذلك حتى الآن عاصر البرطوس القيصر الأول بعد المائة.

هوامش القسم السادس

(١) هكذا في الأصل.

(٢) هكذا في الأصل.

(٣) ساتورنوس.

(٤) رومولوس: شقيق ريموس التوأم، ومعاً أسسا مدينة.

(٥) الاسم الصحيح أوغسطس، وهو أول الأباطرة الرومان، وبالتالي هو مؤسس الإمبراطورية الرومانية، وأوغسطس هذا لقب فقط لقب به، لكن اسمه الحقيقي "أوكتافيوس" حكم منذ عام ٣٦ ق.م.، حتى عام ١٤ ميلادية.

(٦) هكذا في الأصل.

(٧) هكذا في الأصل.

(٨) هكذا في الأصل.

(٩) نعتقد أنها الترويج الآن.

(١٠) الصحيح: كاتالونيا.

(١١) البندقية في إيطاليا.

(١٢) إن ما ذكر اليناكتي في تاريخه للقياصرة والبابوات، لدليل قاطع على الحياة التي كانت تعيش فيها أوربا بصفة عامة في العصور الوسطى.

(١٣) هكذا في الأصل.

(١٤) اليناكتي في تاريخه للقياصرة، يربط بينهم وبين البابوات الذين كانوا يعاصرونهم.

(١٥) هكذا في الأصل.

(١٦) هكذا في الأصل.

(١٧) هكذا في الأصل.

(١٨) هكذا في الأصل.

(١٩) هكذا في الأصل.

(٢٠) هكذا في الأصل.

(٢١) هكذا في الأصل.

- (٢٢) هكذا في الأصل.
(٢٣) هكذا في الأصل.
(٢٤) هكذا في الأصل.
(٢٥) هكذا في الأصل.
(٢٦) هكذا في الأصل.
(٢٧) هكذا في الأصل.
(٢٨) هكذا في الأصل.
(٢٩) هكذا في الأصل.
(٣٠) هكذا في الأصل.
(٣١) هكذا في الأصل.
(٣٢) هكذا في الأصل.
(٣٣) هكذا في الأصل.
(٣٤) هكذا في الأصل.
(٣٥) هكذا في الأصل.
(٣٦) هكذا في الأصل.
(٣٧) هكذا في الأصل.
(٣٨) هكذا في الأصل.
(٣٩) هكذا في الأصل.

القسم السابع

فى تاريخ الهند وصور الأقاليم

ونكر ممالك الهند وملوكهم من عهد^(١) حتى السلطان علاء الدين

وهما طائفتان : هنود ومسلمون، وعددهم ثلاثة وعشرون، ومدة ملكهم ألف ومائتا عام، وهذا القسم ينقسم لثلاثة أبواب:

الباب الأول: فى حساب الأعوام، والقرون وصور الأقاليم، ونكر ممالك الهند.

الباب الثانى: فى تاريخ ولادة شامكونى، وحالات ومقامات من وضع دين التناسخ من نسخ ومسح ورسخ.

الباب الثالث: فى تاريخ ملوكهم، وهما طائفتان : الهند وأهل الإسلام.

الباب الأول

فى حساب الأعوام، والقرون، وصور الأقاليم، ونكر ممالك الهند

وينقسم هذا لأربعة فصول:

الفصل الأول

فى معرفة الأدوار والقرون وكلب^(٢) وجترجوك وغيرهم .

الرأى السائد أن بلاد الهند وكشمير وزمرة الخطا هى العالم القديم، ولا علم لأحد ببداية الخلق بل إن جميع الموجودات العلوية والسفلية، هى ظل الخالق تعالى وتقدس، وانفصال الذات من ظل وظل عن الذات محال، ومع وجود الكفر والشرك، فالاتفاق على

أن الله واحد وليس له بداية ولا نهاية، وهويلا شبيهه ولا نظير، وكلم وجد من أنبياء وملوك لا يدخلون تحت حصر ، وامتداد القرون والعصور وأكثر من هذا .

رب عصر لفرط طوله يعجز الكلام عن وصفه

وتصوروا أن أيام الزمان تنقسم لأربعة أقسام، وخصوا كل قسم باسم وجعلوا البداية من العصر الأول، ويجمع كل الأنبياء والحكماء ومنجمي الهند وتقرير شامكونى وهو آخر أنبيائهم، أن العصور أربعة، أولها: عصر كريت يوك، أى بمعنى الدنيا ومعنى يوك عصر، ومدة هذا العصر مليار وسبعمائة مليون وثمانية وعشرون ألف سنة، ومعنى لك مائة ألف سنة، وثانيها: عصر تريتا يوك ، ومعنى تريتا ثلاثة أرباع، ومدته مليار ومائتا ألف وست وتسعون سنة، وثالثها: عصر واريوك ، ومعناها نصف مجموع الأول، ومدته ثمانى مائة وأربع وستون ألف سنة، ورابعها: عصر كله يوك ، ومعناها ربع العصر، ومن هذا العصر إلى العصر الذى نحن فيه مدة أربعمائة ألف واثنين وثلاثين ألف سنة، ومن العصر الأخير إلى هذا الحد وهو شهر سنة سبعمائة وسبع عشرة، مضت خمسة آلاف وثلاثمائة وثلاث وتسعون سنة، وعندما يصل هذا العصر إلى نهايته تكون بداية العصر الأول (كريت يوك).

وما جاء فى كتب الحكماء وبراهمة الهند والأستاذ أبو الريحان البيرونى^(٣) الذى كان فى خدمة السلطان محمود الغزنوى، وأقام مدة طويلة فى الهند وتعلم لغتهم واطلع على كتبهم، وخاصة الكتب النفيسة، وهى أفضل وأهم كتبهم، وتشتمل على أفضل العلوم والفنون يسمى بانتكل، وترجمه إلى اللغة العربية، وذكر فى كتاب القانون السعودى تاريخ قديم ، وكتاب تاريخ كمالشرى الذى ألفه بخشى كشمبرى وهو تاريخ جديد.

وذكر أبو الريحان أخذاً من تقارير البراهمة وحكماء الهند: أن الطبيعة الكلية التى يقوم بها خلق العالم، أنها تفتى وتصبح لاشىء بدونها، وواجب الوجود لله تعالى، والطبيعة ممكنة الوجود، ولقبوا الطبيعة برهما، ومعناها المرشد أو الدليل، ويقرر المجوس

أن برهما نبي مثل أى ملك يعيش دائماً، ينظم ويدبر شئون العالم، وهو إشارة إلى هذه الطبيعة ويسمى الحكماء هذه الطائفة بالبراهمة، لهذا السبب لأنهم على مذهب الطبيعة، ويسمون عمر الطبيعة مائة عام برهمنى ، وكل سنة ثلاثمائة وستون يوماً ، وكل يوم يتكون من أربعة ألف ألف وثلاثمائة وعشرون ألف عام، ويسمون اليوم الواحد هذا كلباً، ومن ترجمة أبى الريحان يسمون اثنتى عشر ألف عام جتروجكى، وألف جتروجك يتكون منها كلباً، وهذه هى تلك المدة التى يقول عنها علماء الهند : إنها مجمع الكواكب السيارة والأوجات وتكون فى أول برج الحمل، وفى هذه المدة تكون الكواكب الثابتة قد مرت وتكون اثنتا عشرة ألف مرة على التوالى، وكل يوم ثلاثمائة وستون ألف سنة، وبناء على تقرير كالشرى فإن الجزء من اليوم المذكور يسمى كلباً، والمراد بذلك الأربعة عصور، وبما أن الكلب وهو العصر بالنسبة للبراهمة إذا مضى، فترتاح الطبيعة فى زمن يساويه من تعب الوجود مثل الليل الذى يرتاح فيه الإنسان والحيوان، ويقع الترتب والتركب والفساد من الكون، ولما يمضى هذا الليل البرهمنى يبدأ طلوع فجر يوم آخر، وتعود الطبيعة إلى اليقظة، ويروج الكون والفساد.

وقسموا يوم الكلب إلى ألف قسم، ويسمون كل قسم عصرراً، ومقدار كل عصر أربعة آلاف عام وثلاثمائة وعشرون ألف سنة، كما أنهم قسموا هذا العصر إلى أربعة أقسام: دينار ، وثلاثة أرباع ، ونصف ، وربع، وقسموا يوم الكلب مرة أخرى إلى تسعة وعشرين قسماً : أربعة عشر منها سنة، ويسمون كل واحدة منها نوبة، وخمسة عشر قسماً سنة، ويقولون عن كل واحد منها فصلاً ، ومقدار كل نوبة اثنان وسبعون عصرراً، وكل عصر بمقدار قسمين ونصف من الفصل، وعليه فمدة كل نوبة مائة وسبعون وتسعة آلاف ألف وخمسمائة ألف عام، ومدة كل فصل ألف ألف سنة.

والآن من عمر الملك الطبيعى الذى يسمونه برهما، بناء على قول أكبر حكيم من حكمائهم، ويسمونه برهمكويت^(٤)، مضى ثمانية أعوام وخمسة أشهر وأربعة أيام، ونحن الآن فى اليوم الخامس من الشهر السادس من العام التاسع، وقد مضى من هذا اليوم الخامس ست نوبات وسبعة فصول وسبعة وعشرون يوماً من النوبة السابعة، ومضت

من اليوم الثامن والعشرين ثلاثة أقسام من الأقسام الرباعية، ونحن الآن فى القسم الرابع الذى يسمونه كلكال، ومن بداية عصر كلكال إلى وقت وفاة سكال الذى كان أعظم ملوك الهند، مضت ثلاثة آلاف ومائة وسبعون وتسعة أعوام، ومن وقت وفاة سكال إلى هذا التاريخ، وهو سنة سبع عشرة وسبعمئة من الهجرة، مضى ألف ومائتان واثنان وأربعون عاماً .

ويقول البراهمة ، وهم حكماء الهند : لقد عرفنا هذا من العلم الإلهى، حيث وصلنا كميراث عن الأنبياء العظام، وقد علم لهم من العظماء السالفين.

وفى أول كل عصر ونوبة وقسم وفصل سبق ذكره، تتغير أحوال العالم وتختلف الأوضاع والنواميس، وبناء على هذا ندرك من هذا الحساب أنه من أول عمر برهما إلى يومنا هذا سنة وعشرون ألف ألف وثلاثمئة وخمسة عشر ألف ألف وسبعمئة وثلاثون وألفان وتسعمئة وثمانية وأربعون ألف وثمانمئة وتسعة أعوام.^(٥)

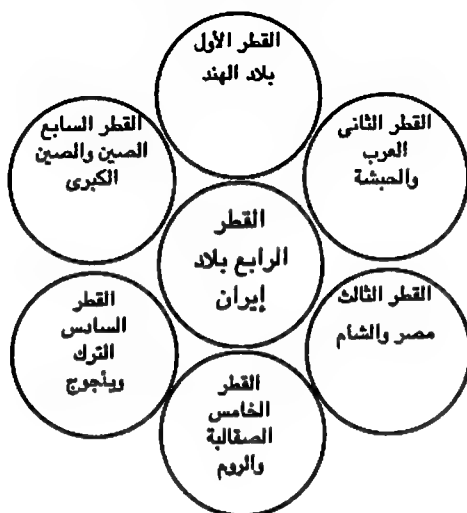
الفصل الثانى

فى معرفة مساحة الأرض المعمورة

اعلم أن الأرض مستديرة كأنها كرة فى السماء، وسطح الكرة الأرضية دائرة المشرق والمغرب، ودائرة نصف النهار، وكل منهما يقوم على زاوية قائمة، وتنقسم الأرض إلى أربعة أقسام : الشرق الشمالى ، والغربى الشمالى ، والشرقى الجنوبى ، والغربى الجنوبى. وتقع الأرض المعمورة فى النصف الشمالى، ونصفه معمور، وهو ربع من أرباع الأرض طویل، ويشمل الأقاليم السبعة وحوله من كل جهة بحر يسمونه المحيط، واستدارة الأرض من خط الاستواء ثلاثمائة وستون درجة طبقاً للزيج المأمونى، وكل درجة اثنتان وعشرون فرسخاً، وكل فرسخ ثلاثة أميال، ويتكون الميل من أربعة آلاف ذراع، والذراع أربعة وعشرون إصبغاً، والإصبع ست شعيرات توضع الواحدة إلى جانب الأخرى.

وبناء على هذا التقدير تكون مساحة البر والبحر مائة وثلاثون ألفاً وأربعمائة وستة عشر ألفاً وثلاثمائة وعشرون فرسخاً، وتكون أربعة وعشرين ألف ألف وأربعمائة وتسعة وعشرين ألف وتسعمائة وستين ميلاً، وهذا يساوى سبعة وتسعين ألف ألف وثلاثمائة وستة وأربعين ألف ألف وخمسمائة وخمس وتسعين ألف ألف ومائة وستين إصبغاً، ويكون هذا أربعة عشر ألف ألف وثلاثة آلاف ألف وستمائة وست وأربعين ألف ألف وتسعمائة وستين ألف شعيرة.

صور الأقاليم السبع وغيرها من البحار والقفار والبلدان^(٦)



الفصل الثالث

فى ذكر الأقاليم السبعة

ذكر فى كتاب الجغرافيا : أن عرض المعمورة تسع وسبعون درجة إضافة إلى الربع والسدس، وقالوا: من جملة ذلك ست عشرة درجة، والربع والسدس من ناحية جنوب خط الاستواء، وثلاث وستون درجة من ناحية الشمال، وقالوا: إن طول الأرض مائة وسبع وسبعون درجة وربع، وأغلب العمران فى الشمال، وجعل بعضهم طول العمران مائة وثمانين درجة، وعرضها ستاً وستين درجة، وكل درجة بقدر عشرين فرسخاً، وعند بطليموس أن بدء العمران من الجزر الخالدات فى بحر المغرب، وكانت من قبل عامرة، وعند بعضهم أن مبدأ العمران من خط الاستواء، وعلى ذلك فإن ما كان فى الجنوب، يقال : إن عرضه فى الجنوب، وما كان فى الشمال، يقال : إن عرضه فى الشمال، فكل مدينة يقل طولها عن تسعين درجة تكون غربية، وكل ما كان أكثر من ذلك كانت شرقية، وكل مدينة نقصت عن ثلاثٍ وثلاثين درجة واثنتى عشرة دقيقة تكون جنوبية، وكل ما زاد عن هذا القدر فهو شمالي.

وقسموا الأرض إلى سبعة أقاليم غير متساوية فى العرض الطولى من المشرق إلى المغرب:

الإقليم الأول:- إنه أدنى من خط الاستواء بثلاث عشرة درجة، وطوله ثلاثة آلاف وستمائة فرسخ، وعرضه مائتان وخمسون فرسخاً، ويبدأ خط الاستواء من جانب

السودان الغربى، ويمر فى الشمال من الجبال المسماة بجبال القمر، وعلى بلاد الحبشة، وبلاد اليمن مثل صنعاء وعدن، ويدخل فى الشمال على بعض من بلاد الزنج فى البحر الأخضر، ويمر بجزيرة سرانديب^(٧) إلى أرض الصين.

ونهاية خط الاستواء فى جزيرة يسميها أهل الهند جمكوت، ومنتصف خط الاستواء قبة الأرض، وكان هناك وسط الأقاليم، ومن المدن التى كانت معروفة فى الإقليم الأول : السودان والمغرب وبعضاً من بلاد البربر واليمن وبلاد الحبشة والزنج وجزر الهند حتى حدود بلاد الصين.

الإقليم الثانى:- طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة فرسخ، وعرضه مائتان وخمسون فرسخاً، والبلاد التى هو فيها بلاد البربر، ووسط بلاد أفريقيا، وأرض المغرب، وجزء من ديار مصر، وبحر القلزم، ومكة، والمدينة، ومعظم بلاد العرب، وبحر عمان، وجزء من السند، ومعظم مدن الهند حتى الصين.

الإقليم الثالث:- طوله ألفان وسبعمائة وثلاثون فرسخاً، وعرضه مائتان وثلاثون فرسخاً، وبعضه فى بلاد طنجة من بلاد المغرب والبربر وأفريقيا والإسكندرية ودمياط وعسقلان وبعض من بلاد الشام والجزيرة والموصل والكوفة والبصرة وبغداد، وبعض من العراق وفارس وكرمان وسجستان والسند والتركستان وبلاد الصين.

الإقليم الرابع:- طوله ألفان ومائتان، وعرضه مائة وثمانون فرسخاً، وهو فى بلاد الأندلس، وبعض من أرض المغرب، وبحر الإفرنج، وجزيرة صقلية، وقبرص، وبعض من الروم، وأرمينيا، وأذربيجان، والسلطانية، وبعض من العراق العجمى، وخراسان، وبخشان، وكاشغر، والتركستان، والخطا، والصين.

الإقليم الخامس:- طوله ألف وثمانمائة وخمسة وثلاثون، وعرضه مائة وخمسون

فرسخاً، ويمر ببلاد الأندلس، وبعض من بلاد الروم، وأرمينيا، وبحر الخزر، وخوارزم،
وبخارى، وسمرقند، وفرغانة، وطراز، وبعض من بلاد التركستان.

الإقليم السادس:- طوله ألف وستمائة، وعرضه مائة وثلاثون فرسخاً، ويمر ببلاد
القسطنطينية، وأكثر بلاد الروم، وباب الأبواب، وبحر الخزر، وبعض من التركستان،
وولايات من الترك.

الإقليم السابع:- طوله ألف وثلاثمائة، وعرضه مائة وعشرون فرسخاً، وهذا
التقسيم وضعه الحكماء فى عصر أفريديون القبطى، والإسكندر اليونانى وهو يمر ببلاد
الصقالبة، وسواحل بحر الروم، والبلغار، وآخر الترك، ويأجوج ومأجوج، وفى بعض هذه
البلاد يجلس الناس ستة أشهر فى الحمامات من شدة البرد ؛ لأن دوران الفلك هناك
رحوى، ولم يعدوا بلاد ما وراء النهر، وما دونها من هذه الأقاليم. والله أعلم بالصواب.

الفصل الرابع

فى معرفة أرض الهند

بناء على تقرير أبى الريحان أن أرض السودان اثنا عشر فرسخاً، وقسموا بلاد الهند إلى ثلاثة أقسام متساوية، وسموا كل قسم منها باسم خاص طبق ما جاء فى كتاب بانتكل^(٨)، مثل ظهر السرطان الذى يبرز من الماء على هذه الصورة.

وتوجد فى هذه الأقسام جبال وصخور كثيرة تمتد من المشرق إلى المغرب، وفى سفوح هذه الجبال بحار من جانب جنوب البحر المحيط، ومشرقه والصين والماجين، ومغربه أرض الهند وكابل، وشماله كشمير وأرض الترك وجبل ميرو^(٩)، وهو جبل شديد الارتفاع موازٍ للقطب الجنوبى، وتسير الكواكب حوله وتطلع وتغرب من هناك، واليوم والليله هناك ستة أشهر، ويعكس هذا جبل مستدير، يقال : إنه من ذهب وفضة، ويقع جبل ميمنة^(١٠) فى جانب شمال بلاد قانوج ، وهو نهاية الأرض المعمورة لشدة الزمهرير والثلج وأرض كشمير فى وسطها، وهى متصلة بأرض التبت والترك، وتنبغ جميع أنهار بلاد الهند من الجبال الشمالية والشرقية.

ويوجد جبل آخر مرتفع لا وجود له فى كل بلاد الهند لجبل أعلى منه، وهو بين التبت والهند، ويبلغ ارتفاعه ثمانين فرسخاً، وتشاهد بلاد الهند من قمته مثل السواد تحت الضباب، وتشبه الجبال الأخرى التى تقع على جانبيه التلال الصغيرة، وتبدو أرض التبت والصين حمراء، والنزول إلى أرض التبت من هذه العقبة فرسخ واحد،

وربما قال الفريوسى الطوسى هذا البيت فى صفة هذا الجبل:

بحيث ترى من السمكة بطنها ومن القمر ظهره

وتقع أرض الهند بين ثلاثة أقاليم : الشرقى منها الإقليم الأول، والغربى هو الإقليم الثالث، ومعظم بلاد الهند تقع فى الإقليم الثانى، كما تقع ولاية قنوج^(١١) فى وسط البحور والجبال، ودار الملك هى عاصمة ملوك معظم بلاد الهند، وتقع أرض السند غربها، وعندما تمر من ديار إيران إلى بلاد الهند، يوجد ممر يمر بأرض كابل، وتقع مدينة قنوج غرب كك، ويأتى لمدينة ترمذ من الجبال الشرقية، وتقع دار الملك شهريار إلى الجانب الشرقى من كك، والمسافة بينهما ثلاثة أيام.

وتشتهر ممالك قنوج بأولاد وأحفاد بايدو، كما أن مدينة مهره معروفة بباسديو، وتقع على شرق مدينة جون، والمسافة بينهما سبعة وعشرون فرسخاً، وتقع مملكة تانين سربين بين النهرين على الشمال هناك، وتبعد عن قنوج بثمانين فرسخاً، وعن ماهورة بخمسين فرسخاً، ويروى نهر كك معظم بلاد الهند.

وإذا أراد مسافر على سبيل السياحة، أن يمر من جزيرة ساحل فارس التى تسمى كيشى إلى بحر الهند، وأن يمضى إلى بحر الصين، فإن المدن تقع على يمين الساحل، وتعرف بتوت الغرب^(١٢) وأولها البحرين، وما هى رويان وحبله وتاوة ولحسا وقطيف، ويمضى هكذا حتى عمان وصنعاء ومدينة عدن التى تعتبر ميناء ساحل العرب، وتمتد من هناك إلى مدينة مقديشيو التى تقع على ساحل الحبشة وزنجبار، ودخلوا فى الإسلام سنة ستين وستمئة، وليس لهم ملك خاص بهم، وفى كل موضع شيخ رئيس، ويجلبون من هناك العنبر والعاج والأبنوس وجلد النمر البرى، وتوجد فى هذه الجزر الفيلة بكثرة، وفضلاً عن هذا ولاية الزنجبار والحبشة وأهلها مسلمون وبعضهم نصارى، واتصل حدها بصعيد مصر الأعلى، وفضلاً عن ذلك فلا وجود لجزر أخرى هناك حتى القطب الجنوبى.

أما البلاد التي فيها كثير من السائحين، فأولها مدينة هرموز، وعلى ممرها ساحل تيزومكران، ويصل السياح من مضافات كرمان من مسافة تقطع في شهر إلى مدينة باي بول^(١٣)، وتقع في منتصف المسافة بين واسطة وممالك إيران والهند، كما توجد بلاد الملطان، وهي من توابع ممالك بلاد دهلي، وفضلاً عن ذلك فتمة طريق على امتداد نهر توي، وطرق أخرى على سواحل البحر وكوجرات وهي بلاد عظيمة، ومنها تصل إلى كنباية وسومونات وكنكن وتانه، ويقررون أن مجموع بلاد الكوجرات سبعون ألف مدينة وقرية كلها معمورة، وأهلها في نعمة وسرور، وتنبت في الفصول الأربعة في تلك الديار سبعون نوعاً من الأزهار المختلفة الألوان.

في شهر دى وبهمن وآذرو ف ترى الأرض ممتلئة على الدوام بالأزهار
الهواء معتدل والأرض ممتلئة بالصور لا حر ولا برد وربيع دائم

ويقطعون الثمار مرتين في العام، ويعبد الناس هناك الأصنام، والصنم الذي يسمى سومونات هناك هو بيت المعبود، ومكان السجود لمعظم ديار الهند، وفضلاً عن ذلك كنكن وتانة، ويمضون من هناك إلى ملبارد ومنها إلى حدود كهور، والمسافة بينها وبين بلاد كولم ثلاثمائة فرسخ، ومعظم شجر التنبول^(١٤) بعضها على البر، وبعضها على الساحل، ومدن السواحل أولها سندابور، وهناك فاكنون ومنجور وبعدها ذلك ولاية دهلي، وبعدها بلاد فندرينا وديار ذات غابات، وفضلاً عن ذلك ولاية كولم، ومعظم أهلها وثنيون، وبعدها ذلك ديار سواك، وتحتوي على مائة وخمسة وعشرين ألف مدينة وقرية، وبعدها ذلك مالو التي كان عددها ألف ألف وثمانمائة وثلاثة وتسعين ألفاً، ومات مالو منذ ما يقرب من خمسين عاماً، وقام النزاع بين ابنه ووزيره، واستولى كل منهما على جزء من هذه الممالك، ووجد الأعداء مجالاً للمداخلة، أما معبر، فساحتها من حد أرض كولم حتى بلاد نيلاور، وتقرب من ثلاثمائة فرسخ، وعلى سواحلها المدن والقرى،

ويسمون ملكهم ديور يعنى رئيس الدول، وطرائف أقصى الصين والماجين وبلاد الهند، فيمضون بسفن ضخام تسمى فى اللغة الصينية جنك^(١٥)، كأمثال الجبال تجرى بجناح الرياح على سطوح المياه، وتصل لهذا المكان، وينبت فى هذه البلاد نبات اللالاسى والعقاقير بأسرها، ويستخرج من بحرها اللؤلؤ الكثير، والمعبر وكأئنه المفتاح، ووجد فى هذه الأعوام ديور ملك السند، وكان الملك تقى الدين عبد الرحمن بن محمد الطيبى أخو الشيخ جمال الدين إبراهيم الوزير، وكان مشيره وصاحب تدبيره قد وهبه حكومة الفتى وبلادها، وتوفى فى ديور فى سنة ستمائة واثنين وتسعين، وترك خزان العالم للأعداء والحساد.

ومما يروى عن الشيخ إبراهيم بن محمد الطيبى أن سبعة آلاف بقرة محملة بالجواهر الثمينة، ومال الخراج آل إلى أخيه وخلفه، وبناء على القرار السابق أصبح تقى الدين نائبه. وبشرة أهل المعبر سمراء، لأنهم قرييون من خط الاستواء، وفيها معبد عظيم يسمونه بوتزر، ويطهون كل يوم ألف لون من الطعام فى ألف قدر ليأكل الناس، ويدأومون على تقديم هذا الطعام، وبعد ذلك يحطمون القدور والكؤوس ثم يحضرون قدوراً وكؤوساً أخرى جديدة، ويقدمون الطعام لأهل الهند على أوراق شجر النرجيل.

ومن هناك ينقسم الطريق إلى قسمين : أحدهما فى بحر هانج على ممر الصين والصين الكبرى. وتقع جزيرة سيلان على ممر وطولها أربعمائة فرسخ وعرضها أربعمائة أو خمسمائة فرسخ، وتوازى خط الاستواء، ويقع جبل سرانديب على سطح جبل جوزى، ويسمى باللغة الهندية سمقادينب يعنى مأوى روضة الأسد، لأن هيئة هذه الولاية تشبه الأسد النائم، ويظهر فيها الياقوت والعقيق، ويكثر فى غاباتها وحيد القرن، والفيل ويشيرون كذلك إلى وجود طائر الرخ، وأهل تلك النواحي كلهم من الوثنيين، وما وراء هذه الجزيرة لاهورى، وما وراء تلك البلاد سومطرة، وما وراءها بندناس من توابع

جأوة، ويخرج من جبال جأوة عود جيد، وتقابل جزيرة لامورى جزيرة لاكوارم، ويستخرجون منها معظم العنبر الأشهب والرجال والنساء فيها عرايا، وتضع النساء على عوراتهن ورق النرجيل، وكلها آيل قا آن، وإذا عبروا من هناك فيوجد طريق برخشك، وولاية اسمها آن جبنة، وكلهم عشرة القا آن، والناس بها حمر وبيض، وبعد ذلك ولاية خثيم، وما وراء ذلك الصين الكبرى، وما بعد ذلك ميناء زيتون الذى يقع على ساحل ديار الصين، وهناك ديوان القا آن المعروف بشنك.

وبالمرور من هناك يمتد الطريق إلى مدينة هنساي، ومن صفات العظمة يوجد فى وسط المدينة بحيرة محيطها ستة فراسخ، والباقي على هذا القياس، ويوجد خان باليق بعد ذلك بأربعين مرحلة، وهى عاصمة القا آن على وجه الأرض.

أما الطريق الآخر الذى يتجه من المعبر إلى ولاية الخطا إلى مدينة كويخوسونجو يتجهون به من قابل فتن إلى ملى فتن، ومن هناك إلى مدينة كرداريا، ومنها إلى مدينة حواريون، ومنها إلى دهلى، ومنها إلى مملكة البنغال، وقد كانت فى القديم من أعمال دهلى، وما وراء تلك المملكة رطبان، وما وراؤها مملكة الأرمن، وما وراء ذلك زردنان، وهم أتباع القا آن حتى حدود البحر، وعندما يعبرون من هناك يصلون إلى ولاية راجان، وهم أكلون للجيف، ويأكلون لحوم البشر كذلك، وهم من أتباع القا آن، ومن هناك إلى حدود التبت، الذين يأكلون اللحوم النيئة أيضاً، ويعبدون الأصنام، ولا يغيرون على نسائهم، ومن عفونة الجو هناك إذا أكلوا الطعام بعد نصف اليوم يخشى عليهم من الهلاك، ويكون دفع العفونة والألم عنهم بحيض النساء، ويغلقون القرفة على الدوام ويشربون قشر الشعير، وولاية أخرى كبيرة يقولون عنها قندهار، وصاروا تابعين للقا آن فى عهد فوبيلاى، وأحد حدودها ولاية التبت، والآخر ولاية الخطا، وأحد الحدود أيضاً ولاية الهند، وقال حكماء الهند: ينسب أهل الممالك الثلاث إلى ثلاثة أشياء : ملك الهند بالجيش العظيم، ومملكة قندهار بكثرة الفيلة، ومملكة الترك بكثرة الخيول^(١٦). والله أعلم بالصواب.

الباب الثانى

فى تاريخ ولادة شامكونى^(١٥) وأحواله، ووضع دين التناسخ

من حيث النسخ، والمسح، والرسخ، والفسخ

الفصل الأول

فى ذكر أنبياء الهند

قال كالمشرى بخش كشميرى: إن أنبياء الهند كانوا كثيرين، لكن أصحاب الشريعة منهم ستة: أولهم : ماهشيور، وثانيهم : وشن، وثالثهم : برهما، ورابعهم : أرمنت، وخامسهم : ناسك، وسادسهم : شامكونى. ولكل منهم دين ومذهب على حدة، وأمهم أصناف : عابدوا الأصنام، وعابدوا النار، ويتعصب بعضهم على بعض، ويزعم المعتقدون فى ماهشيور أنه لم يولد بعد وإن يموت أبداً، وليس له أب وأم، ولكن له امرأة وولد، ويقررون أن له ثلاثة عيون : أحدها : الشمس، والأخرى : القمر، والثالثة : النار. ويكثر أتباعه من الرقص والسماع، وأتباع وشن من أرباب الرياضيات، وأتباع برهما يعبدون النار، والبراهمة هم تلك الطائفة وعقيدتهم فى ماهشيور ووشن وبرهما أن الشمس تشرق فى كل شهر بلون مختلف، وتظهر فى العام اثنتا عشرة شمس كل واحدة منها بلون، ويزيد فى كل عامين ونصف شهر قمرى، ويسمونه الشمس الثالثة عشرة، وبين هذه الطوائف الثلاث جماعة تعبد الشمس الثالثة عشرة.

ويزعم الأرمنيون، أنه سيكون لهم أربعة وعشرون نبياً أرمينياً، وبعد ذلك ينتهى الخلق، وسوف تمضى الدنيا، والأدميون، والحيوانات، والنباتات جميعاً إلى مقر الأخيار، وإن يعوبوا مرة أخرى، ويعتقد الناسكيون أنه ليس للجنة والنار وجود، وإن يكون هناك ثواب ولا عقاب على الخير والشر، وسوف تنعدم جميع الخلائق مثل العشب الذى ينمو ثم يذبل. أما أتباع شامكونى، فهم ثلاث طوائف : يسمون أولها : الأسد، وهم ينحدرون من طبقة نازلة ، ويقولون: أن شامكونى شق طريقاً صعباً، فكيف نبلغ بمجهودنا مقصدنا؟، وكيف نستطيع أن نرشد ونهذى إنساناً؟، فلنجتهد ولنخلص أنفسنا، والثانية : سريتكند، ويزعمون أنهم يخلصون أهل الدنيا من البلايا، والثالثة : سمبك، ولهم المرتبة العليا، وهم يهدون ويرشدون الناس، ويكملون النفوس الناقصة، وهم يقفون ويطلعون على حكم وأسرار رموز شامكونى، وشامكونى كتاب يسمى إيدرم ؛ أى الأول، وهو آخر جميع الكتب، وحكى كمالشرى بخشى عن شامكونى أن جميع الأنبياء واحد فى المعنى ويعوبون كل مدة، ويجددون دينهم، وقال جميع الأنبياء كلمة واحدة، وهى معانى كتاب إيدرم.

الفصل الثانى

فى مولد شامكونى

كان فى الزمن الماضى فى أرض الهند ملك يسمى شدون؛ ومعناها الرجل الطاهر الطوية فى مدينة كيلواس، وله زوجة تسمى ماهايا، وكانت من العظمة بحيث لا يعرفون أين توجد، ورأت هذه المرأة فى المنام ذات ليلة، أنها كانت تأكل الشمس والقمر، وكانت تشرب البحر فى لحظة، وجعلت من جبل قاف وسادة ونامت، ولما استيقظت قصت رؤياها على شدون، فسأل المعبرين، فقالوا: سيكون لها ولد ثابت له ملك الدنيا، وستسجد له.

وبعد ذلك ولما جاء وقت الولادة مضت ماهايا ؛ لتتنزه فى الحديقة، وكانت تلعب بغصن بيدها اليمنى، وولدت الولد فى تلك الحال خارج مدينة مهابد، وهى منشأ ومولد شامكونى وسط بلاد الهند، وفى نفس الساعة تقدمت على الأرض سبع خطوات وظهرت فى كل خطوة وردة، وظهر كنز مخفى، ونظرت من الجهات الأربع، وقالت: إن ولادتى هذه آخر ولادة، وإن ألد مرة أخرى، فليس لى دنيا من بعد، لقد أصبحت روحاً طاهرة أمضى، وأعود إلى عالمى.

وظهر بعد ذلك أربعة من الملائكة الذين يدعون الألوهية، وهم: ماهشيور، ووشن، وبرهما على سبيل المرضعة والقابلة، وأخذوا هذا الطفل وغسلوه بماء المطر الدافئ الذى كان ينزل من السماء فى هذا الوقت، وجاء صوت آلات الطبل وغيره من أعلى إلى أسماع الناس، ونزل الطين من السماء، ثم أحضر هؤلاء الملائكة محفة، وأجلسوا الأم

والابن فيها، وحملوهما إلى الأب. فأمر الملك بإحضار المنجمين ؛ ليستخرجوا طالع المولود، وحملوه إلى المعبد ؛ ليسجدوا لصورة هؤلاء الملائكة الأربعة، فسجدوا لهذه الصور، فاندھش الناس، وقالوا: أتسجد آلھتنا له؟، وسموه سرورات سد؛ يعنى تمام نفس العمل، ولما بلغ الرابعة من عمره، أمر أبوه بأن يعلموه العلوم والفنون، وأظهر له البراهمة عدة خطوط، فقرأها جميعاً، وكتب خطأ ففجزوا جميعاً عن قراءته، فأطاعوه وانقادوا له.

ولما بلغ شامكونى الحلم، زهد قلبه عن الدنيا، وحبسه والده فى قلعة، بقى فيها عدة أعوام، وأخبر الملائكة الأربعة الذين كان لهم الحكم على جبل قاف سرورات الذى كان يتريض عدة أعوام فى الحصن، ولما بلغ التاسعة والعشرين من عمره، قالوا : أن الأوان لإخراجه من القلعة، فقدم الملائكة الأربعة، ومضوا إلى هذه القلعة وحملوا معهم فرساً، وأخرجوه من الحبس، فامتطى صهوة هذا الفرس، وأمسك السيف بيده ومضى، فوصل إلى شاطئ نهر كنك مع رئيس الاصطبل، فرأى كثيراً من الشيوخ يتريضون فى زى المتصوفة، فقص شعره، وطرح السيف فى الماء، وقدم شعرات من شعره لرئيس الاصطبل، وأرسلها إلى أبيه وأمه، وحمل الملائكة الأربعة بقية شعره إلى السماء الثامنة، فعارضه هؤلاء الشيوخ، ومن فرط غيبرته جلس على حجر، وجعل طعامه فى كل يوم حبة ترمس، ويعد ستة أعوام قدم عليه الملك المسمى إنذر الذى له ألف عين، وقال: حان الوقت لتخرج من هذا المكان، وفى الحال جاء نداء من السماء بتسميته شامكونى، وهذا ما يسميه أهل المذاهب الأخرى آدم، وأثر قدمه على حجر فى جبل سرانديب حيث يوجد معدن الياقوت الأحمر، وأسنانه هناك، والذى يسمونه شاريل هو شامكونى، وقدم هؤلاء الملوك الأربعة الذين نزلوا من جبل قاف، وأحضروا أربعة أوعية لإفطار شامكونى، ووضعوا كل إناء لآخر، وهى الآن عند مجاورى جبل سرانديب.

الفصل الثالث

فى حالاته ومقالاته

عاش شامكونى ثمانين عاماً، وقال: جئت الدنيا أربعة وثمانين ألف مرة فى صور مختلفة، وأشكال متنوعة، وكنت أموت فى كل مرة، وذات مرة كنت تاجراً، فاجتزت البحر، فاتجه تمساح إلى السفينة، فذكرت بلسانى كلمة نموداء، أى أسجد لله، فلما وصل صوت هذا الدعاء للتمساح، تذكر أنه كان ذات يوم فى صورة إنسان، وبعد أن ذكر هذا التسبيح لم يهاجم التمساح السفينة، وتخلص من الذنب، ولما مات بقيت عظامه فى الصحراء مكافأة له على ذلك، واتصلت روحه بجسد ابنه الدرويش، وكان من شأن ابنه هذا أنه كان لا يشبع من أى طعام، وهياً له شامكونى شراً، ولما شرب شبع، فسأله قائلاً: أتريد شيئاً آخر؟، قال: لا، لقد زالت عنى شهية الطعام، فقال شامكونى لابنه: تعال لنتنزه، ولما مضيا وصلا لعظام التمساح، فسأله ابنه ما هذه العظام؟، قال: تذكرت بركتك لقد كنت هذا التمساح، وهذه العظام لى، فتمسك بذيل شامكونى، وقال خلصنى من الذهاب والإياب وهذه الصورة. فأوصله شامكونى إلى مرتبة، وخلصه من الدخول والخروج فى الصور المختلفة.

يقول أهل التناسخ : إن أجزاء العالم تتكامل وتتسامى، وإذا لم يتيسر للنفس أن تبلغ الكمال فى مزاجها العنصرى، فإنها تفارق هذه الصورة، وبما أن حالة المفارقة تكون غالباً على الصنعة الإنسانية، فإنها تتعلق بحال مزاج إنسان آخر، ويتعرض لاستكمالها مرة أخرى، وما ضاع عليه فى صورته الأولى من الكمالات، فإنه يحققها فى صورته الثانية إلى أن يرتقى لدرجة الملائكة، وحينئذ تتحقق له جميع كمالاته، ويسمون

هذه العودة في صورة إنسان آخر بالنسخ، وإذا كانت حالة المفارقة الخلقية تغلب عليها الصفة الحيوانية، فإنها تتقمص حيواناً له هذه الصفات والخصائص، ثم تتدرج في درجات المراتب حتى تصل لدرجة الإنسان، وترتقى لدرجة الملك، وتتصل بكمالها الحقيقي، وينبغي مرور وقت طويل لهذه النفس حتى تصل إلى هذا الانتقال، ويسمون انتقال روح الإنسان إلى الحيوان بالمسخ، وإذا كانت حالة المفارقة تغلب على نفس الخلق، أو صفة النباتات، فإن النفس تتخذ صورة النبات ويسمون هذا فسخاً، وإذا ما تقمصت صورة الجماد فإنهم يسمون هذا رسخاً.

ويقررون أن الوجود قائم، وسوف يبقى على الدوام، ويسمون هذا الوكشور، وبالله الصينية كويشى، وعمله أنه يخلص الأرواح من الصور الحيوانية، ويوصلها إلى مرتبة الإنسانية، وقال شامكونى: إن مراتب الذهاب والإياب والتردد في الصور المختلفة ستة: المقام الأول : جهنم، الثانى : الشيطان، الثالث : الحيوان، الرابع : الإنسان، الخامس : بين الإنسان والملك، السادس : الملائكى، وسبعة وعشرون جنة وثمانى نيران، والعمل السيئ عند شامكونى عشرة، ثلاثة من النفس : وهى القتل والمال والغواية فى الفساد، وأربعة من اللسان : وهى الكذب والغيبة والسب الشديد والهرء (اللغو)، وثلاثة من القلب : وهى الحسد والحقد وعدم معرفة العاقبة، وقال: إن كل من يأخذ أطعمة الناس بلا إذن ويقسوة ووقاحة، ويتنازع مع الناس، ولا يعطى الناس شيئاً من ماله يصبح فى التناسخ شيطاناً ويسمى قبتوتن، وطعامه من الدود الذى يأكل الشجر، والآخرى الذين يجمعون المال ولا يأكلون ولا يعطون، ويقولون : إن هذا من أجل الأبناء يصبحون شياطين، وطعامهم عندما يقدمون الطعام للموتى فإنهم لا يأكلون الطعام الذى يتساقط منه، ومن يحب زوجته، فإنه لا يستطيع أن يفارقها بأية حال، وحينما يموت يصبح حيواناً مثل القراد والدود، ويندس فى عنق الحيوانات، وكل من كان قهاراً جباراً شريراً مثيراً للفتن، فإنه يصبح ثعباناً أو عقرباً أو حيواناً ساماً .

يقول شامكونى: تقصر الأعمار لهذه الأسباب، فإن الناس فى الصورة الأخرى يقتلون ويؤذون الحيوانات، وإذا لم يكن الإنسان أضرب أى حيوان، فإن عمره يطول، وإذا أعطى الإنسان غيره نوراً ومصباحاً، فإن عينه وقلبه ينيران. وعلى ذلك فكل راحة وكل مساعدة تبلغ الإنسان فى الصورة الأولى، فإنه يجد الراحة والمتعة فى الصورة الثانية، وعلى ذلك فكل شئ عمله مع غيرك، فإنه فى الحقيقة تصنعه مع نفسك إن خيراً أو شراً.

ومما يروى أن شامكونى جاءه ملك فى معبد زيت ون وسأله، أى سيف أشد بطشاً وهو عار، وأى سم أقتل من أكله، وأى نار أشد إحراقاً للروح من النيران، وأى ظلام أشد من جميع الظلمات ك؟^(١٦)، قال: السيف المسلول هو الكلام السيئ الشديد، والسم هو لقاء الجميل، والنار التى تحرق الروح هى الغضب، والظلام المتركب الدامس هو الجهل، وسأله: أى زاد يمكن حمله، وأى حاصل نتيجته نفع بلا تعب، وأى درع يمكن فصله عن النفس، وأى سلاح لا يفل؟، قال شامكونى: الزاد هو الخير الحسن، والنفع بلا تعب هو الدنيا التى ينالها الإنسان بلا سعى، والدرع هو التحمل والحلم، والسلاح هو العقل، وسأله: من الذى ينعم بالراحة فى الدنيا والغنى والخداع والغشاش؟^(١٧)، قال: كل من كان قانعاً راضياً بالكفاف فهو مرتاح، ومن يقنع بأى شئ هو الغنى، وصاحب الثوب النظيف، ومن يدعى القناعة بالكذب فهو غشاش.

الفصل الرابع

فى وفاة شامكونى

توجد مدينة على حدود الهند تسمى قوشنقر، أهلها جميعاً من الأبطال الشجعان، لما عرفوا أن شامكونى سيمضى إلى تلك المدينة. كان فى الطريق جبل عظيم، فأرادوا أن يمحوه، فنزل شامكونى بالكرامات عن طريق السماء إلى هذه البلد، وقال: أى حاجة بكم إلى الراحة والتعب؟ ولما وصلت حياته نهايتها، خلقت فى هذه المدينة قبة من البللور الصافى، فمضى شامكونى إليها، ونام مثل الأسد، ورآه الناس من خارج القبة من صفاء جوهر البللور، ولم يكن فيها طريق بالداخل، فرأوا نوراً فجأة مثل عمود مضى خرج من أعلى القبة، ووصل شخص من بلد بعيد بعد ثلاثة أيام ! ليستفيد من كلام شامكونى، ولما سمع خبر قصته بكى بكاءً شديداً، وكاد يقتل نفسه، فنظر فجأة وألقى شامكونى نظرة على السماء، ونادى على هذا الشخص من السماء قائلاً: لا تغتم ولا تنتحب، فأنا لم أولد، ولم أمت، ولم أت من مكان، ولم أمض إلى مكان لم أكن، ولن أكون من بعد، فسر الرجل من كلام شامكونى، وجمعوا كلامه ونصائحه فى كتاب سموه نشوزدى، ونعوذ بالله من تلك الخرافات^(١٧).

الباب الثالث

فى تاريخ ملوك الهند، وهم طائفتان : الهنود والمسلمون،

وعدهم ثلاثة وعشرون. ومدة حكمهم ألف ومائتا عام

الطائفة الأولى - الهنود

وعدهم عشرة. ومدة ملكهم تسعمائة عام

يزعم أهل الهند أنه كان فى الزمان الخالى ملك يسمى أودى، وكل ملوك الأرض من نسله، ولا يمكن أن يكون الملك ملكاً ما لم يكن من نسله، وغمره الله تعالى بعنايته، ووعده أن يجعل جميع ملوك الدنيا من نسله، واحتفظ أهل الهند بشجرة نسبه إلى عهد باسديو، ويقال : إن باسديو هذا سيولد فى صورة آدمى فى مدينة ماهودة من إنسديو أخت كنش الذى كان والياً لهذه البلاد، وكان هؤلاء من جنس الجت^(١٨)، وهم من أصحاب المواشى، ومن طبقة الشودرو، وعرف كنش عن طريق التنجيم والتقويم أن موته سيكون على يد باسديو، ووكل قابلة لأخته أثناء الولادة فى الوقت الذى تضع فيه حملها ؛ لتخفى هذا الطفل، وفى تلك الليلة غلبهم النوم، وغفل الحراس فسرق أبوه باسديو وأخفاه وبذله ببنت لندد، لأن وقت ولادتها كان فى تلك الساعة، واستودعهم إياها عوضاً عن باسديو، فأراد الوالى أن يقتلها، فجعلت لها جناحين وطارى فى الهواء، واستودعوا باسديو عند حسو وهى مرضعته، فعرف كنش هذا الأمر، فأراد أن يكيد لهم ففكر فى مكر عاد إليه ومات. وبعد ذلك أجلسوا باسديو على العرش، وهو مع

أولاد بدو ملك قنوج، ودخل فى حروب كثيرة مع جنشتر، وأوجين، وفى النهاية كان صياد يمر ذات يوم، وكان باسديو نائماً تحت شجرة واضعاً قدماً على قدم، وظنه غزلاً فضربه بسهم وقتله. وأصبح أوجين ملكاً بعد ذلك ويعده كنك. وهو آخر ملوك كتورمان. وأصبح بعده سامند الذى كان من البراهمة ملكاً، ويعده كملو ويعده جييال، ويعده أند بال، ويعده نسدجييال، وقتل فى سنة أربعمائة واثنى عشرة من الهجرة، وحكم بعده ابنه بهيم خمسة أعوام ، وانقرضت الملكية فى الهند به، وانقرضت دولة ملوكهم، ولم يبق أحد من هذه الأسرة المالكة.

الطائفة الثانية - المسلمون

وهم ثلاثة عشر، ومدة ملكهم ثلاثمائة عام

قدم محمود بن القاسم بن ميمنة من نواحي سجستان إلى أرض السند قبل السامنيين، وفتحها فاستولى أولاً على مدينة يهنو وسماها المنصورة، واستولى على مدينة الملتان، وسماها المعمورة، ودخل في مدن الهند حتى مدينة قنوج، وأرض قندهار وحدود كشمير، وعاد من هذا الطريق، وهدد أهل الهند، ورضى منهم بالصلح، ولم يتجاوز أحد من الغزاة حدود كابل من بعده، إلا في عهد دولة الترك حين ملكوا غزنة.

وكان نائب هذه الدولة ناصر الدين سبكتكين، الذي وجه غزوات كثيرة إلى حدود الهند، وبعده ابنه السلطان محمود الذي اجتهد كثيراً، وترك أثراً عظيماً خلال ثلاثين عاماً وبضع سنوات، واشتهر بفتح بلاد الهند، وفتحت دهلي بعد موته بعدة سنوات على يد السلطان شهاب الدين محمد بن سام بن حسين الغوري، ولم تكن قد دخلت في حوزة المسلمين في عهد السلطان محمود، وكان مالكا لبلاد ورجال الغور، وكان سورى جدهم الأعلى، وأعظم ملوكهم الذي قتل على يد الجند في عهد السلطان محمود، وأبناء سورى الذين كانوا أجداد السلطان شهاب الدين وغياث الدين، انقادوا لأمر السلطان محمود هم وأولادهم بعد دخولهم في الدين الحنيف، حتى وصل أمر دولة السلاجقة إلى السلطان سنجر. وعاد حسين الغوري أخو سام عند بهرام شاه، وتوجه إلى السلطان سنجر. وطلب جيشاً، وأخذه وحارب السلطان بهرام شاه وهزمه وانهزم بهرام شاه، وتوجه إلى الهند، فترك حسين أخاه سام ؛ للمحافظة على غزنين، وعاد مع الغوري، وجاء بهرام شاه وشنق سام ؛ فعاد حسين، قهرّب بهرام شاه، فأعمل حسين القتل والنهب في غزنين، وقتل سبعين ألف آدمي، فقصدته السلطان سنجر، وتم أسر حسين، فأمر السلطان بأن يقتل، ولكن تشفع له الإمام أحمد الغزالي، فأطلقوا سراحه.

وتسول حسين فى سوق الجيش عامين، واجتاز ذات يوم دكان طباخ أمير جيش خراسان عماد الدولة قىماج، فرأى حسيناً يوقد قدر الطهو، فأدركت قماج الرقة عليه فعرض الأمر على السلطان، فكتب السلطان أمراً بإحضار حسين، فقبل حسين الأرض، فقال السلطان: ظننت أنك لم تبق لك أمتعة وأموال، ولم تبق لك القدرة على الاحتفاظ بكرامتك، فأجاب حسين: فى الوقت الذى كان فيه رأسى مرفوعاً كان فى خدمتى مائتا ألف رأس. واليوم بما أن هذا الرأس لك فأنت تذله، فعفا السلطان عنه، وأرسله مع جماعة إلى ولاية الغور، وقدم الولاء حتى آخر العمر.

ولما انتهت أسيرة السلطان محمود، أصبحت ولاية السلاجقة على شفا الانهيان، وأبناء سام الذين كانوا أبناء أخى حسين استولوا على هرات التى كانت فى حوزة أولاد السلطان محمود، وهم : شهاب الدين محمد الملقب بالسلطان معز الدين، والسلطان غياث الدين. وسيطر شهاب الدين على دهلى، وسمع خبر وفاة أخيه فجأة وتوفى بعده، وأصبح غلامه قطب الدين أيبك سلطاناً، وشايخ ابن شهاب الدين محمد الذى يسمى محموداً، وكان والى غزنين، وقالوا هذا البيت فى شأنه:

سلطان المشرقين وملك المغربيين محمود بن محمد بن سام بن حسين

والشعراء الذين كانوا فى عصره، هم : أبو القاسم الرقيهى، وأبو بكر الجوهري، ونظامى العروضى، وعلى الصوفى، ونظامى منيرى السمرقندى، ونظامى أثيرى النيسابورى^(١٩).

وتوفى أيبك لك بعد ذلك، فخلفه غلامه آيل تتميش فى مدينة دهلى، وتلقب بالسلطان شمس الدين حتى زمان كيوك خان سلطان الهند، وبقي بعده ولدان وبنت: جلال الدين، وناصر الدين، ورضيعة، فكفر نعمته مماليكه، وعبيده ألغ خان، وقتلغ خان، وسنكر خان، وأيبك خطابى، ويوزييك^(٢٠)، وميرداد شمس الدين العجمى، وثاروا على جلال الدين. فهرب جلال الدين وتوجه إلى حضرة منكوخان فى شهر سنة ستمائة وإحدى وخمسين، فخاف قتلغ خان وسنكر خان، وتعبقا جلال الدين ومضيا خلفه،

فأجلس ألغ خان رضية على العرش، ووجد جلال الدين الرعاية عند منكوخان، وأمر منكوخان بأن يقدموا المدد إلى جلال الدين على طول السنين، فعاد جلال الدين واستولى على حدود لها وروكرخه وسودر التي كانت فى حوزة المغول، ورضى الجميع بذلك إلا هو.

ويعد مدة نحى ألغ خان رضية عن العرش، ونعم الختن القبر، وجعل ناصر الدين سلطاناً، وكانت ابنته زوجة له، إلا إنه غدر مرة أخرى، وقتله.

يظلم الفلك فى كل يوم ————— وتجعل الحرفى كل يوم رهين الحزن
إن حسناء الملك عروسة جميلة ولكنها فى كل يوم فى حضن عريس (صهر)

وأصبح ألغ خان سلطاناً، وتلقب بغياث الدين، وتوفى بعد مدة، فخلفه ولده، وأثناء تلك الحال نفذ أمر من حضرة هولاكو خان بإحضار الملك ناصر الدين بن وفا الملك الذى كان حاكم السند، ولما وصل أفهمه الملك شمس الدين كرت، والسيد زاده برغندى، وقتلاه مع عدة من حاشية الملك، وفى تلك الحال عزم الملك فيروز الذى كان أميراً على الخلق من جهة ناصر الدين المضى إلى دهلى، ولأزم ابن السلطان غياث الدين، وتقرب إليه بالخدمات الحسنة، فعينه والياً على المولتان، وهى على الحدود حتى لا يسمح بدخول جيش المغول والغرباء، فواظب على هذا العمل، وجرياً على عادة الحساد، اتهموه واستدعوه من دهلى، فمضى الملك فيروز وكان خائفاً من السلطان، فغضب وزير السلطان، ومضى ليكره على الحضور، فاتصل به فى الطريق، فقضى عليه الملك فيروز فى الحال، وساقه بسرعة إلى قصر السلطان وقتله، وكان له ولد قاصر، أطلقوا عليه اسم السلطان عدة أيام، وجعل الجيش يدين له بالطاعة، وأرسل الابن فى عقب أبيه ليحمل الخبر.

من رسوم الوصل فى محل الأمل لم تبق آثار فى طرفة عين

وأصبح الملك فيروز سلطاناً، وزوج بنته لابن أخيه علاء الدين، وفوض إليه حكم غوص ويدرون، ولما استقل مدة حشد جيشاً عظيماً، وحكوا عنده أن ملك الهند خزائن

كثيرة مملوءة بالجواهر الثمينة واللاكى الفاخرة، فطمع علاء الدين فيها، وأرسل إليه الجواسيس، حتى ذلك الوقت الذى شغل فيه جيش ملك الهند بصد عدو فى جانب آخر، فأعلنوا أن علاء الدين فتح تلك البلاد، فزوجه الملك ابنته وسلمه جميع الخزان، فملك علاء الدين كل المواشى، وحمل كل ما وجده من هذه النعم التى لا تحصى وعاد، ولما بلغ الخبر الملك فيروز، أرسل إليه أمراً بحضوره، إلا إنه كان يتباطئ، فتوهم الملك فيروز أنه أعلن العصيان، فمضى بجيش عظيم، ولما كان على شاطئ نهر جون، ولما كان النهر حائلاً بين الجيشين، تغاضى الملك فيروز عن حقوق الأبوة والبنوة، واتخذ طريق الحزم والاحتياط، فعبر النهر من خمسة رجال، فقبل علاء الدين الأرض أمام عمه جرياً على العادة واستسمحه العذر.

ولما جلسا لحظة وأخذوا بأطراف الحديث بينهما، انتهز علاء الدين الفرصة وأشار لأحد خواصه بقتله وهو يتكلم، وفى الحال أرسل علاء الدين إلى قادة الجيش ذهباً كثيراً، واستمال قلوبهم، فقدموا أعناقهم لخدمته، ومضى من هناك إلى دهلى دار الملك، فتمرد عليه رؤساء القلعة، وأبوا أن يطيعوه، ولم يفتحوا أبوابها، فأمر بنصب المنجنيقات، ورمى القلعة بأكياس الذهب والفضة بدلاً من الأحجار، فاضطر سكان القلعة إلى قبول أكياس الذهب والفضة، وفتحوا القلعة الحصينة، وقبضوا على ولدى الملك فيروز فى الملتان، وحملوها إلى دهلى وسلموها، وجلس السلطان علاء الدين على العرش فارغ البال، وكان موجوداً لهذا الزمان، وهو شهور سنة سبعمئة وسبع عشرة من الهجرة. والله أعلم.

هوامش القسم السابع

- (١) هو فى الأصل واسديو، وهو اسم من أسماء الإله كرشنا (أحد الثالوث الهندوكى).
- (٢) كلب: هو يوم رب الهنادكة ويساوى أربعة ملايين وثلاثمائة وعشرين ألف من السنوات البشرية.
- (٣) أبو الريحان البيرونى من أكبر علماء الرياضيات، ولد فى سنة ٣٦٢ هـ. فى بيرون التابعة لمنطقة خوارزم، رحل إلى بلاط شمس المعالى قابوس بن وشمكير، ألف كتاباً فيه سماه الآثار الباقية، فى سنة ٣٩١ هـ، وافق السلطان محمود الغزنوى فى سفره إلى بلاد الهند، وتعلم اللغة السنسكريتية، كما كان على دراية بعلم الفلك والنجوم والتاريخ والجغرافيا والفيزياء وعلم الأوبئة، أشهر مؤلفاته : (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مردولة).
- زهرای خانلری: فرهنگ ادبیات فارسی، ص ٩٩، ١٠٠
- (٤) لفظ يطلق على كل لاموتى فى الديانة الهندوكية، إلا إن المقصود هنا هو العالم الرياضى الهندى الذى اكتشف رقم الصفر، وكان هذا فى القرن السادس قبل الميلاد.
- (٥) ما ذكره البناكتى أخذاً عن أبى الريحان البيرونى، يدل دلالة على أنه محب لعلم الرياضيات، فقد عهدنا عليه من قبل دقته المتناهية فى تعيين أوقات الأحداث والأعمار، وكل ما يجرى هذا المجرى بالأيام والأعوام، ولكن حشده لهذه الجمهرة من الأرقام للعصور والأيام وغير ذلك، يصعب على القارئ متابعتها، بل وقد يدركه الحال من هذا التفصيل المفرط.
- (٦) نقل مصصح الكتاب خريطة الأقاليم السبعة من كتاب أبى الريحان البيرونى (التفهيم)، لأنها كانت عبارة عن بياض فى النسخ التى اعتمد عليها المصحح فى طبع الكتاب .
- (٧) هى جزيرة سيلان التى تعرف الآن بدولة سيرلانكا.
- (٨) بانانجل: هو أحد علماء الهند، وعاش تقريباً فى ٣٠٠ ق.م.
- (٩) هكذا فى الأصل.
- (١٠) هكذا فى الأصل.
- (١١) قنوج بكسر القاف وفتح النون مدينة فى أقصى الهند، تقع شرق المولتان بحوالى ٢٨٣ فرسخاً، وكانت فى القديم من أكبر مدن الهند. انظر تاريخ البناكتى. ص ٢١٩ ، حاشية ٤ .
- (١٢) هكذا فى الأصل.
- (١٣) هكذا فى الأصل.
- (١٤) التنبول أو التملول شجرة ذات أوراق معطرة، تنبت فى الهند والصين ومدغشقر وشرق أفريقيا.

- (١٥) يبدو على البنائكتى أنه يعرف لغات غير لغته، فهو يذكر أسماء هندية وغيرها، ويفسرها بمبالغة منه فى التفسير والإيضاح، وأن يفهم قارئه ما يقول.
- (١٦) يلحظ على البنائكتى أنه ينقل روايات عن مؤرخين هنود، ولا يعرف بهم، وهذا يدل على أنه أخذ عن كتب كتبت عنهم، أو أنه قرأ هذه الكتب فى لغة الهند، فالاحتمالان قائمان.
- (١٧) يقال : إن شامكونى هو أول مخلوق ينزل على وجه الأرض، وهو ما نعتقد أنه سيدنا آدم بدليل أن أثر قدم آدم (عليه السلام) موجود فى جزيرة سيلان بدولة سيرلانكا الحالية.
- (١٨) هكذا فى الأصل .
- (١٩) هكذا فى الأصل .
- (٢٠) يميل البنائكتى إلى التقصى الدقيق فى عرض المعلومات التاريخية، وأنه يتعرض لشرح عقيدة تناسخ الأرواح عن الهنود، ويعد تأريخه لها مصدراً يرجع إليه، إنه يحرص على جمع كل التفاصيل ويضرب الأمثلة على ذلك، وبذلك يضيف إلى كتابه بعداً جديداً.
- (٢١) جات: طبقة المزارعين فى الهند، وهم من استعان بهم العرب أمام هارون الرشيد، وعرفوا فى المصادر العربية بالجات والزط.
- (٢٢) يعرج البنائكتى على تاريخ الأدب، وذلك لنكره جماعة من الشعراء عاصروا سلطناً وحاكماً، وبذلك يربط التاريخ السياسى بالتاريخ الألبى.
- (٢٣) هكذا فى الأصل .

القسم الثامن

في تاريخ الخطا من عهد نيكو ملكهم الأول، إلى آخر ملوكهم شودي شو وسونام الذي يسمونه التان خان، وحاربه جنكيز خان وأولاده، وهم ست وثلاثون طبقة، وعددهم ثلاثمائة وخمسة، ومدة ملكهم كما يزعم أهل الصين أربعون ألفاً والفان وثمانمائة وخمسة وسبعون عاماً. وينقسم هذا القسم إلى بايين.

الباب الأول

فى ذكر بلاد الصين وحساب عصورهم وأدوارهم ومعتقداتهم.

وينقسم هذا الباب إلى مقدمة وفصلين.

مقدمة الكتاب : لما كان أهل الصين عبدة أصنام، وأرياب أديان، وملل مختلفة وكفاراً، فإن أساس دعواهم تقوم على قدم هذا العالم. وسبب ذلك أن التواريخ التى بدأوها، وقاسوا بمقتضاها ظهور الخلق كثيرة جداً، ولم تكن كتبهم التاريخية عندنا، بسبب بعد بلادهم عنا. ولم يصل حكماؤهم وعلمائهم إلى بلادنا، كما أن ملوكهم لم يكونوا ميالين لبحث وفحص هذه التواريخ، وقدم جماعة من حكمائهم ومنجميهم فى عهد هولاء مع، منهم حكيم يعرف بسينك؛ سينك أى العارف. وعرف خوجه نصير الدين الطوسى بأمر هولاء كوخان من هذا الحكيم قواعد النجوم والزيج الأيلخانى وتاريخهم، وفى عهد ملك الإسلام غازان خان صدر الأمر بأن يؤلفوا كتاب التاريخ الغازانى المبارك، فأمر السيد رشيد الدين الوزير بإحضار ليتاحى ونكيسون، وهما من حكماء الصين اللذين كانا لهما علم بالطب والنجوم والتواريخ، وأحضرا معهما بعضاً من كتب الصين. وقررا أنه على الرغم من أن تاريخ أهل الخطأ وعدد أعوامهم وعصورهم غير متناه، لكن هناك تاريخاً يتضمن أسماء ملوكهم مشروحة، ومفصلة وقد بنوا هذا التاريخ على الحكايات، وكانت له شهرة واسعة فى هذا الوقت بين أهل الصين، واعتمدوا عليه، وهو كتاب ألفه ثلاثة من كبار الحكماء، أولهم : يسمى فوهين خوشانك، فوهين اسم، وخوشانك صفة بمعنى الهبة، وكان من مدينة تاي غانجو، والثانى : يسمى فيخوخوشانك من مدينة نين جرو، والثالث : يسمى شيخون خوشانك من مدينة لادكين.

واختاروا هذا التاريخ من الكتب القديمة، وصححه جميع العلماء والحكماء، وقايسوا بين ما فيه وبين الواقع، وشهدوا على أنه مقابل للكتب القديمة، وليس فيه من شبهة، وصححه بعد ذلك حكيم مرة أخرى، وبناء على عادتهم فقد نسخوا من هذا الكتاب نسخاً ومازالوا، وبذلك لا يمكن أن يكون فيه تغيير ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان، كما تكون أحسن الكتب، وهي كتب صحيحة وخطها جيد، ولا مجال لتبديل ولا تغيير، وقد رعوا هذه الاعتبارات الثلاثة، إذا أرادوا تأليف كتاب استدعوا خطاطاً حسن الخط؛ ليكتب كل صفحة من هذا الكتاب بخط نظيف على لوح، ويتولى العلماء مراجعة ما كتبه، وتصحيحه بعناية، ويثبتون خطه الحسن على ظهر الألواح، ويكلفون في ذلك الوقت خبراء لهم البراعة لينقذوها، وبهذه الطريقة إذا تمت نسخة للكتاب، فإنهم يضعون على كل نسخة رقمها على التوالي، ويقدمون هذه الألواح مثل السكة في دار الضرب، ويضعونها في أكياس مختومة، ويسلموها إلى أيدٍ أمينة، ويسجلونها في دكاكين خاصة، ويضع العمال عليها علامة خاصة، فإذا أراد أحد منها نسخة، مضى إلى هؤلاء العمال، ويقدم رسوماً رسمية خاصة، فيخرج هؤلاء العمال هذه الألواح من الأكياس، ويضعونها على أوراق تشبه السكة الذهبية ويسلمونها إليه، وبهذه الطريقة لا يمكن أن يكون في كتبهم زيادة ولا نقصان، ولهذا السبب يعتمد على كتابهم المذكور، ويستمد منه التاريخ.

الفصل الأول

فى تاريخ الخطا

يتكون تاريخهم من ثلاثة عصور، ولكل عصر اسم معين، العصر الأول : شانك ون، العصر الثانى : جونك ون، العصر الثالث : خا ون، ويجعلون أكبر عصر عشرة آلاف عام، ويسمون هذه المدن ون، ويضعون كل يوم معظم على الأواء الثلاثة، وكل عصر يتكون من ستين عاماً، ولكل عام اسم. فإذا طالت المدة، فإن ضبط الحساب يكون أسهل، ومن المبدأ الذى تصوره فهو معروف عندهم إلى شهور سنة سبعمائة وسبع عشرة من الهجرة، فهى تطابق عام الصعبان سنة أربع وخمسين من عصر شانك ون، ومضى من عصره ثمانية آلاف وثمانمائة وثلاث وستون عاماً وستمائة وتسعة وثلاثون ألفاً وسبعمائة وخمسة وثمانون عاماً، ومجموع هذا ثمانمائة وثمانون ألف ألف وستمائة وتسعة وثلاثون ألف وسبعمائة وخمسة وثمانون عاماً، ومن هذا المبدأ المذكور إلى العام الذى قتل فيه جنكيز خان أرنك خان، وبداية ظهور ملكه كان عام طونقوزيل الذى يوافق شهور سنة خمسمائة وتسع وتسعين من الهجرة، وكان مدة ذلك ثمانمائة وثمانين ألف ألف وستمائة وتسعة وثلاثين ألف وستمائة وسبعة وستين عاماً.

الفصل الثانى

فى ذكر ولايات الخطا

ممالك هذه الأقوام المذكورين عدة قطع ولايات عظيمة، وتختلف أسماء هذه الولايات باختلاف أقوامها، وذلك لكثرة ما لديهم من ولايات عظيمة، كانت فى أغلب الأوقات عواصم للملوك. ويسمون الولاية فى لغتهم خان زجوخون قوى، ويسمونها المغول جاوقوت، والهنود جين، ومشهورة عندهم بالخطا.

وهناك بلاد أخرى شرق البلاد المذكورة، وتقع فى ناحية الجنوب، ويسمونها نيوى، والمغول نيكناس، والهنود مهاجين؛ أى الصين الكبرى، وجعلوا ولاية الصين تعادل عشر الماجين. وروى خواجه رشيد الدين الوزير عن بولاد جنكسانك، أن حساب ولاية الماجين جاءت فى دفتر الحساب بتسعمائة تومان، وفيها مدينة كبيرة يسمونها خنساي، وقطرها من السور إلى الآخر عشرة فراسخ، وجعلوا لهذه المدينة ثلاثة سطوح، وتتكون جميع منازلها من ثلاثة طوابق، ويوجد فى هذا المكان ثلاثة مساجد كبيرة تمتلئ بالمصلين من المسلمين فى يوم الجمعة، وقلما يعرف أهل المدينة بعضهم البعض من كثرة الزحام، وفى وسط المدينة بحيرة محيطها ستة فراسخ، والباقي عظيم على هذا النحو.

وتوجد ولاية أخرى فى جنوب غرب الصين يسمونها راي ليو، والمغول قراجانك، والهنود كندهر، ومشهورة عندنا بقندهار، وتقع هذه الولاية فى وسط الهند والتبت، ونصف سكانها سود والنصف الآخر بيض، ويسمى المغول النصف الأبيض جفان

حایل، ویسکن فی شمال الصین قوم بدو یسکنون الصحراء، ویسمونهم جیدن، والمغول قراختای، وتتصل بلادهم بصحاری المغول، وثار من هؤلاء القوم شخص، واستولى على ملك الصین، وأصبح ملكاً، وحکمت نریته من بعده أجيالاً طویلة، ویسمیهم المغول والأقوام الأخرى جروجیا، وثار منهم شخص اسمه أن یان أوکودای، ولقبه وای کیم، واستولى على بلاد الصین من ملك القراخطائین، ویسمیه المغول أقوره، وكان التان خان فی عهد جنکیز خان. سقط فی عهد أوکتای قا أن كان من نسل وای کیم هذا، و بین بلاد الصین وقراجانک ولایات كثيرة، ولكل منها ملك، منها ولاية من عادة أهلها أنهم یشدون أسنانهم بالذهب، ویخلعونہ أثناء الطعام، ومجموع هذه البلاد فی هذا الوقت إیل قا أن. والله أعلم بالصواب.

الباب الثانى

فى ذكر ملوكهم ، وهم ست وثلاثون طبقة.

الطبقة الأولى

كان ملكهم الأول نيكو، وجعلوا بداية التاريخ به. ولم يكن فى عهده بلاد ولا مدن، وكان الأدميون يتجولون فى الصحارى كالحوانات، وكان العلف طعامهم، ويسترون عوراتهم بورق الشجر، ويتنفسون فى الحر تنفساً شديداً، وبذلك تبرد أجسامهم، وتهب الرياح، وكانوا يسعلون فى ذلك الوقت ويقيئون، وكان يظهر فى الجو ما يشبه الرعد والبرق، وإذا أرادوا أن يكون الجو حاراً صفقوا، وفى ذلك الوقت لم تكن تعرف النساء الشهوة ولا الجماع، وكانوا يمزجون أنفاس بعضهم البعض؛ فتحمل النساء، وبعد ذلك يولد الأطفال.

وجاء بعد ذلك تن خوانكشى الملك الثانى. اسمه تن ولقبه خوانكشى، وكانت ألقاب ملوكهم فى القديم خوانكشى، ويسمونه فى هذا الزمان شى، وكان حجمه كحجم الثعبان، وله عشرة رؤوس كراس الإنسان. وكان له ثلاثة عشر أخاً، وعاش الملك الأول بهذه الكيفية، وعندما كان يحاسب الواحد الآخر فى عهده كانوا يعقنون عقدة على غصن نبات، أو على غصن شجرة، وكانوا يفهمون من ذلك .

وكان دى خوانكشى ملكهم الرابع، وجسده كذلك كجسد الثعبان، وله عشرة رؤوس كرعوس البشر وله أحد عشر أخاً، وكانت عاداتهم جميعاً واحدة. ولأولون كى

وشتى كى، وجه خون كى، وإن كر كى، وسومين كى، وشورن شى، كان لهؤلاء الملوك الستة طريقة واحدة، وظهرت فى عهدهم ثمرة شجرة القرفة، وبدأ الناس يأكلون الفاكهة، وكانوا يتسلقون الأشجار وقت الحر، ويدخلون السرايب وقت البرد، وقد فهموا فى ذلك الزمان أحوال الشمس والقمر، ولم يكن إشعال النار معروفاً، وفى ذلك الوقت كانوا يحكون الخشب بالخشب؛ فكانت تظهر النار. وفى بداية أمرهم كانوا يشربون دم الغزال، وبعد ذلك يسخنون الحجر بالنار. ويضعون على الحجر لحم الغزال، فيشوى ويأكلونه، وكانوا جميعاً يسيرون على هذه العادة، ولم تكن البشرية قد أطلقت عليهم حتى الآن.

الطبقة الثانية

كان نوكى الملك الحادى عشر للخطا، وبدأ ظهور صفات الإنسانية من فهم وذكاء، واخترعوا فى عهده علم الفأل الذى يسميه الخطائيون خوى، وهو مثل الرمل، وألف كتاباً بعد هذا فى هذا العلم، وهو الذى بدأ سنة الزواج والزفاف، ووضع طريقة للخط، واستحدث طريقة المستندات والكتب، وصنع شبك السمك، فاصطادوه وكانوا يأكلونه وصنع جهازاً كان سدى الحرير به خمساً وعشرين خيطاً، وبدلاً من الحرير الذى لم يكن موجوداً فى ذلك الوقت، فشقوا نوعاً من الغاب قطعاً صغيرة، وعقدوه على ذلك الجهاز، وأطلقوا عليه اسم شقيقته نيواشى التى صارت ملكة بعده.

وتولى الملك بعده كون كوشى، وتاعى تايشى، ورن خويس، وجوى يانك، وأولى شى، وخى خوش، وسون يوشى، وخون دون شى، وجويانك شى، وكوين شى، وجوس شى، وهم كانشى، وخواش، وبعد ذلك يتم الانتقال إلى الطبقة الثالثة.

الطبقة الثالثة

يعتبر شان ون الملك السابع والعشرين، وكان جسمه كالأفعى، وله رأس آدمى. وظهرت فى عهده وسائل الزراعة كالثور وغيره، ومارسوا الزراعة، وبدأ علاج الأمراض بتجربة الأدوية، وأصبح مشهوراً بين الناس، وأوجد التجارة، والأسواق فى الصحارى، وأظهر آلة أخرى يقال لها : قوبوزكيم. وحكم بعده دى جينك ديلم، ودى مينك، ودى حى، ودى لاي، ودى ياي، ودى در. ومنتقل إلى الطبقة الرابعة بعد ذلك.

الطبقة الرابعة

كان لشن وت الملك السابع والثلاثين سبعة عشر ابناً. كان الولد الثانى شجاعاً فطناً عاقلاً، وظهر فى عهده الشيطان الذى يسمونه جى، ويتبعه سبعون شيطاناً أقاواينى، وكان جسمه من النحاس، وجبهته من الحديد، وياكل الحجر والرمل، ويؤذى الناس كثيراً، ولم يكن لأحد قدرة على مقاومته، كما كانت له القدرة على الطيران، وحارب هذا الملك الشيطان سبعة أيام بلياليها، ولم يتغلب عليه، وحزن واغتم من هذا الوضع ونام، ولم يكن فى هذا العهد سهم ولا قوس، فرأى فى المنام أنه كان يمضى إلى عتبة الحق تعالى، وكان لبواب جهنم سهم وقوس، فسأله ما هذا؟، فبين له فوائدهما وعلمه كيف يستخدمهما. فخطر ببال الملك أن هذا السلاح يليق؛ ليتخلص به من الشيطان، ولما استيقظ تذكر صورة هذا. فهياً أمره ومضى لمحاربة الشيطان وقتله، ولم يكن فى أيامه الحرير ولا نسج الثياب، وكان الناس يكتسبون من ورق الأشجار، ورأى فى المنام أهل الجنة يرتدون الثياب الحسن، فسأل عن حالهم وعرف، ولما استيقظ اشتغل بعمل هذا حتى صنع الحرير، وحاك الثياب، وخيطه، وعلمه للناس.

وظهر فى عهده شخص يسمى أرنان، وكان أستاذاً ماهراً، وبدأ الأعمال العظيمة،

وصنع السفن والعجلة والطبق والآلات الخشبية، وأرسى أساس المدن من الخشب. واخترع النعش من أجل الموتى، وكان الناس قبل ذلك لا يدفنون الموتى، بل كانوا يرمونهم، فأمر هذا الملك بدفنهم. وواحدة من العقوبات التي فرضها، أن كل ميت يموت من نسل الملوك يخرجونه من بيته بعد سبعة أيام، ويضعونه في مكان في الصحراء، ويترك هناك سبعة أشهر، وبعد ذلك يوضع في القبر.

وطول قبرهم ثلاثة أقدام، وأن يترك الأمر خمسة أيام وخمسة أشهر، وارتفاع قبورهم قلاجان وكسر، ويزرعون عليه شجرة سرو، أما غيرهم من الناس، فيتركون ثلاثة أيام وثلاثة أشهر، وارتفاع قبورهم أربعة أذرع، ويزرع عليهم شجرة صفصاف^(١).

وشيد هذا الملك تسع مدن هي : دى يوجيو، وسنيك جيو، ويوجيو، وبين جيو، ولانك جيو، وجوجيو، ويانك جيو، وعمرها جميعاً، واستودعها ابنه، وبعد انقضاء عصره وأبنائه، وهم ثمانية عشر شخصاً انقرضت دولتهم. والله أعلم.

الطبقة الخامسة

كان شوهوركم بن شى الملك الثالث والخمسين، ويقولون : إنه لم يكن له أب، ورأت أمه نوراً وحملت منه، وولادته، ولم يوجد قبله طائر العنقاء، وظهرت في عصره، وحلق فوق معسكره. وجعل للمدن شوارعاً في هذا الزمان، وكان ملكاً عاقلاً فظناً ومهندساً، وحكم بعده تسعة ملوك من نسله. وانقرضت دولتهم.

الطبقة السادسة

كان جون موكاويانك شى الملك الثالث والستين، وهو من نسل الملك الخامس والثلاثين شن وت. وكان عظيمًا عاقلاً عادلاً. ودعا الحق تبارك وتعالى وعبدته كثيراً. وظهرت في عهده البضائع الجيدة مثل أوقوجا، وانتهت دولتهم بعده بتسعة أجيال.

الطبقة السابعة

كان دى لوكاوشينك شى الملك السادس والسبعين. واخترعوا فى عهده الكهوكه والطبل والجرس، وكان هناك حكيم كبير يسمى جى سون ثرى، فجعله معلماً له، وتعلم منه علماً كثيراً وألف كتباً، وانقرضت دولته بعد ثمانية أجيال.

الطبقة الثامنة

كان دى بوبار مارك شى الملك الثانى والثمانين، ومن أبناء عمومة الملك الخامس والثلاثين، ويقولون : إنه بقى فى بطن أمه أربعة أعوام، وكان لون شعره وحاجبيه يتكون من ثمانية ألوان، وظهر منه ما يشبه الكرامات، وجاء ملكان فى عهده، أحدهما على صورة ثور، والآخر على صورة كبش، وكانا يجلسان على يمينه ويساره، وكل من جاء من الأمراء والمقربين وكان يضممر نية خبيثة للملك، كان الثور يقبض عليه بأسنانه، وينطحه الكبش وبعد مدة مات الكبش ونبتت شجرة فى الموضع الذى كان فيه، ارتفاعها ثمانية أذرع، ومن خصوصياتها أن ينبت فيها ورق كل خمسة عشر يوماً، ويسقط بعد خمسة عشر يوماً أخرى. وبعد مدة مات الثور أيضاً، فاغتم الملك، وبعد ذلك عرف الناس ما يحدث، فظهرت شجرة فى موضع الثور، طولها ثلاثة أذرع، وعلى أطراف أغصانها شوك لأشواك، فإذا جاء خصم للملك كانت تتعلق فى ذيله، وتتحنى الشجرة الأخرى على الأرض، وبذلك عرف الملك أحوال أعدائه، وجاء من الممالك اثنان وثلاثون رجلاً من أصحاب الكرامات، لازموه وتعلموا العلوم، وألفوا كتباً كثيرة، وكانت الطيور تنزل على رأسه، ويلعبون اللعب التى تسمى فى اللغة الصينية جام فى تلك البلاد أيضاً. وعدد بيوتهم ثلاثمائة وستة وستون بعدد أيام السنة، وهو الذى وضعها.

وكان له ولدٌ يسمى أونانجوا، وعندما رأى أباه لا يليق بالملك، أمر بأن ينادى منادٍ

قائلاً: يجب أن يجتمع عنده كل العقلاء والحكماء والعلماء فى البلاد، فحضر إليه من أطراف البلاد ألف شاب عاقل فاضل، إلا أنه لم يجد واحداً منهم يلائم طبعه، وأحضر ألف رجل آخر بعد ذلك، فوضع البخور على النار، وناجى الله تعالى متضرعاً لقد غفرت لى، ولم أجد من ألفى رجل، رجلاً ملائماً لطبيعتى، فاجعل من هؤلاء الألف واحداً لائقاً، ويحدث فى هذا الوقت فوجد واحداً منهم كفء فسأله ما اسمك ؟، قال: يويوشى، وكان ذلك الشخص قبيح المنظر مثل الثعبان، وفى كل عين من عينيه شخصان، وخدم أباه وأمه وأحسن خدمتهما، فاختره. وجعل الملك له فى حياته.

الطبقة التاسعة

كان دى شن يوريوسى الملك الثالث والثمانين حكم تسعة أعوام فى حياته. واستولى فى عهده أربعة عيارين على البلاد، وكان الناس فى مشقة منهم، فقبض على هؤلاء الأربعة وقتلهم، فوجدت الدنيا الراحة، واخترع النعش الخشبى والفخارى وبنى عشر مدن، فاختر ابن شخص يسمى يسار، وأجلسه على العرش فى حياته، وتوفى بعد ذلك.

الطبقة العاشرة

دام المطر فى عهد سيايروت اثنى عشر عاماً، حتى انتهى الأمر بالطوفان، وجرف الماء معظم العالم. وهلك أكثر الخلق، إلا الذين استطاعوا أن يصنعوا سفناً، والذين بقوا على قمم الجبال والمرتفعات، ففكر هذا الملك فى نفسه، وقال: لقد حدث هذا فى عصرى وهلك الخلق، وكان كل ذلك بسبب غفلتى وتفكيرى السيئ، فجمع ما بقى من الناس، وأجرى الماء من المنازل حتى تنصب المياه من كل مكان فى البحر، وجفت

أراضى البلاد، وشقوا فى عهده تسعة أنهار كبيرة فى بلاد الصين، وكان فى عهده رجل طول قامته أربعون ذراعاً، وحكم بعده ستة عشر جيلاً.

الطبقة الحادية عشرة

كان شنك تانك الملك الواحد بعد المائة من نسل رى كوكوشنك شى الملك الثالث والسبعين، ولم يسقط المطر فى عهده سبعة أعوام. وجفت الأنهار والعيون، وعجز الناس عن الزراعة. فقال: إن كل هذا الشؤم ذنبى، فأمر بأن يجمعوا حطباً كثيراً، ويحرقوه حتى يهدأ غضب الله عليه، وليغفر له ذنبه وذنوب الناس، ولما جمعوا الحطب، وظهر أثر استقامته وحاجته، رحمه الحق تعالى، وهطل المطر سبعة أيام بلياليها، ونجا الناس من ضائقة القحط، والحاجة إلى السعة فى النعمة، وحكم بعده تسعة وعشرون جيلاً.

الطبقة الثانية عشرة

كان جورودانك الملك الحادى والثلاثين بعد المائة، وله أب يسمى جيورن حكيماً كفتاً، والقال الذى وضعه من قبل نوكى أول ملك من الطبقة الثانية جعله ثمانية أقسام وفهمه صعب، وقسمه إلى ثمانية فى ثمانية، وجعله فى أربع وستين خانة، ووضحه وأوصله إلى مرتبة الملك، إلا أنه لم يشغل نفسه به أخذاً بالحكمة، وجعل ابنه مكانه وكان أيضاً حكيماً عادلاً، وهو الذى وضع وعين الفرسخ.

وفى ذلك الوقت فى تلك المدينة الخاصة بخانباليق، ظهر من يسمى جيزكوة، وكان ملكاً واسمه وانك، حكم ستين عاماً، منها ثلاثون عاماً، كان فيها عادلاً، والثلاثون الأخرى كان ظالماً، وله زوجة تسمى واكى، وكانت له مدة ليلتين، وله غلام شجاع

اسمه أولى. فأمره أن يجمع له من كل المدن كثيراً من الخمر والطراسون^(٢)، وشيد قصرًا عظيمًا وسماه جنك نيكون، أي قصر الليلة الطويلة، وأغلق جميع نوافذه وثقوبه حتى صار مظلمًا فأضاء كثيراً من الشمع، وكان يشرب فيه الخمر ليل نهار، وكان يقول: هذا مقدار ليلة واحدة، وقصده جورودانك هذا بجيش عظيم، ولما سمع خبر وصوله طرح نفسه في النار خوفاً وهيبة فاحترق، واستولى جورودانك على تلك البلاد، وبعده صار ابنه جينك دانك ملكاً، وبعده ابنه كنك دانك، وبعده ابنه جى دانك الملك الرابع والثلاثون بعد المائة، وكان ملكاً عظيماً مباركاً، وواحدة من جملة الأحداث التي وقعت في عصره، أنه على الرغم مما كان في بلاد الصين وكشمير والهند من مذاهب مختلفة، ولكن لم يكن موجوداً من يدعى النبوة، وله ملة وطريقة. ولكن في عهد هذا الملك كان أقوام الهند وكشمير والتبت والصين وتكوت والأيفور، يعدون شمكونى برخان نبياً واتبعوه جميعاً، وفي العام الرابع والعشرين من مدة حكمه وصل خبر دعوته إلى الصين، وكان لشامكونى خان ثمانية وسبعون عاماً، ومدته منذ ولادته إلى هذا الزمان، وهى شهور سنة سبعمائة وسبع عشرة، ألفان وثلاثمائة وتسعة وثلاثون عاماً.

حكاية: يزعم أهل الخطا أن ولادة شامكونى برخان على النحو التالى : كان لأبيه ملك كشمير، وانكل فى ولاية يوكيا تيلوى السماء أنك فأنك، وكان الملك فى تلك البلاد حاكماً ورئيساً لأربعة وثمانين ألف ملك ومائتين وستين، كما كان رئيساً للمدن والولايات، وله زوجة تسمى نوجين، ويقولون : إنه تزوجها بكرة ولم يتصل بها، وكانت نائمة فى حديقة تسمى لمبىنى تحت شجرة تسمى يوكجة، فحملت من النور والهواء، وبعد ذلك انشق جانبها الأيمن، وخرج منه الطفل، فسألها زوجها قائلاً: لم أتصل بك وكنت بكرة فممن حملتى ؟، قالت: حينما كنت فى الحديقة هبط على نور فجأة فغبت عن وعيى، ولم أعلم من أى شئ حملت، وأثناء ولادته هبطت تسع أفاعٍ من الجو وصبت

عليه ماء من أفواهها، وغسلوه فى طست من ذهب، وبعد ذلك جرى الطفل سبع خطوات وارتفع صوته قائلاً: أرسلنى الله لأكون نبياً حتى يأتى الأنبياء الآخرون، وكان بارع الحسن فصيحاً عالماً كاملاً، ولما بلغ التاسعة عشر من عمره ، مضى إلى الجبل ومكث هناك خمسة أعوام. ولم يكن يأكل شيئاً قط، وبقي فى الجبل ستة أعوام آخر مشغولاً بالعبادة، وادعى النبوة بعد ذلك، وأخذ عن مذهبه وتابعه عليه أهل كشمير وانكل، وأكثر بلاد الهند، والخطا.

وأصبح مودانك ملكاً بعد جى وانك. وكان له قائد يسمى برافر، قام بأعمال مستحسنة، وجلس بأمره على قنقل، وكان يجره ثمانية جياد، ويقطع فى اليوم واليلة مائة فرسخ، وكان يتجول فى البلاد، ويتعرف على الأحوال، ويعود ويبلغ مودانك، ومضى لبلاد إيران؛ ليتعرف على أحوال وطقس هذه البلاد.

وفى عهده كان شخص يسمى خوران. اخترع علم الكيمياء، كما كان يعرف السيميا حتى أنه كان يغير شكله فى كل لحظة، واخترع اللعب باللعب.

وصار كوتوانك من بعده ملكاً، وبعده بى دانك، وبعده سيارانك، وأحضروا له من ولاية كانت ضمن بلاده نمرأ له قدمان، وذنباً له أربعة قرون، وبعده حكم بى دانك، وبعده تميلوانك، وبعده سون دانك العادل، وبعد عشرين عاماً من حكمه احتبس المطر عامين، واشتد الأمر على الناس، فقال لنفسه: لم أظلم الرعية حتى يحدث هذا الشؤم، فلا شك أنى فعلت السوء، ولذلك منع الله عنى ما يسرنى، وبعد ذلك هطل المطر ووجد الناس الراحة، واستخرجوا الخط الذى كانوا يكتبونه فى هذا العصر من الخط المعقلى، ووضعوه فى عهده، واسم واضعه شوجز.

وأصبح سون دانك ملكاً من بعده، وكانت له زوجة غاية فى العفة اسمها يوس لم

تضحك قط، ومهما حاول زوجها أن يضحكها لم تضحك، وكان المعهود في هذا العهد أن يشعلوا النار على قمة جبل إذا قدم عدو، ويقرعون الطبول، ولهذا السبب كان القواد يعلمون بوصوله، فسر لذلك الملك، وأقاموا الولائم فرحاً لذلك، وبعد عامين قدم عدو فعلاً وأشعلوا النار في القاعدة وقرعوا الطبول، واعتبر القواد هذا لعباً فلم يحضروا. فدخل العدو وقتله وعاد.

وبعد ذلك جلس بينك ونك على عرش أبيه، وكان غير مبارك، وبنى مدينة أخرى تسمى لاكين، وكان هناك، وحكم بعده بالترتيب وانك وانك، وجونك وانك، وينز وانك، وبى وانك، وسائك وانك، وكونك وانك، وليك وانك، وكان دين وانك الملك الحادى والخمسين بعد المائة، وولد فى العام الثانى من حكمه أوتائى شانك، وكان قومه يعدونه نبياً أيضاً.

هكاية: كان تائى شانك من ولاية جو، واسم ابيه جن، وهو كذلك مثل شامكونى برخان ظهر من النور تحت شجرة المشمش، وبقي فى بطن أمه ثمانين عاماً، وطول قامته أربعة أذرع ونصف، وعرض جبهته ذراعان، وكان له حاجبان غليظان، وأنف كبيرة، وأذنان عريضتان جداً لدرجة أنهما كانتا تصلان كتفيه، وخرج من الجانب الأيسر لأمه، وكانت له لحية بيضاء عند ولادته، ومن أجل هذا كان الناس يعزونه ويحترمونه وقبلوه نبياً، واسم هؤلاء القوم الذين تابعوه سن شن، وولد بعد شامكونى برخان بثلاثمائة وثمانين وأربعين عاماً، ومنذ ولادته لهذا العصر، وهى شهور سنة سبعمائة وسبع عشرة ألف وتسعمائة واثنان وتسعون عاماً^(٣).

وبعده دين وانك، وكانك وانك، ولينك وانك الذى أصبح ملكاً، وولد من أم ذات لحية، وولد فى عهده كون فرى، واسم أبيه شولنك، وأمّه جوشى، وكان فى هذه الحدود جبل كبير يسمى نيكو سقط فى اللحظة التى وقد فيها الولد من أمه، ولما ولد كان الشعر يكسو جسده كله، وطول قامته تسعة أذرع ونصف، ومحيط جسده واسعاً لدرجة

أنه كان يتحزم بأربعة حبال، وكانت له صورة مخيفة مثل صورة النمر، كما كان عاقلاً كفىً، ولذلك السبب كان معظم الناس من مريديه، وله ثلاثة آلاف تلميذ يأخذون عنه العلم، وصل منهم اثنان وسبعون إلى الملك، وولد له لآكون بعد باى شانك بخمس وخمسين سنة، عمره ثلاثة وسبعون عاماً.

وتولى الملك بعده بالترتيب، لينك وانك وانك، وكن وانك، وون وانك، وجين دين، ونى وانك، وكووانك، وسى وانك، ويل وانك، وعان وانك، وبيله وانك، وهين شى وانك، وسوشين وانك، وتخربت المملكة فى عهد بن وانك، ووقعت خمس وثلاثون مدينة من ولاياته فى يد الثوار، وبعد أن توفى قسم جماعة من الغرياء ملكه إلى أربعة عشر قسماً، واستولى كل ملك بمفرده على واحدة منها، وكانهم كانوا ملوك الطوائف فى تلك البلاد، وبعد مدة من الزمان ظهر سبعة ملوك، واستولوا على الملك من الأربعة عشر، بعضهم بالمشاركة وبعضهم منفردين، وكانت مدة حكم هاتين الطائفتين اثنتى عشرة سنة، وحكمت هاتان الطائفتان مع بعضهما البعض.

الطبقة الثالثة عشرة

بعد ذلك قوى أمر ابن وانك، وهو واحد من الملوك السبع، ويسمى شيخ وانك، واسترد المملكة من أولئك الملوك الستة الآخرين الذين كانوا شركاء أبيه، وصار ملكاً على جميع الممالك، ويشكل مع ولديه رشنى خوخوى، وسامشى زن الطبقة الرابعة عشرة.

الطبقة الخامسة عشرة

كان يانك وانك الملك الثالث والسبعين بعد المائة شجاعاً جداً؛ لأنه كانت له قوة تسعة ثيران، فثار وقتل سامشى زن، وأصبح ملكاً.

الطبقة السادسة عشرة

كان صن كاوان شجاعاً للغاية، وله هيئة وشكل التتين، كان رئيس معلقة فى بداية أمره، وسمع أن تتيناً أبيضاً قد ظهر فى الجبل ويؤذى الناس، فتوجه مع عشرة رجال وقتل ذلك التتين، ولذلك السبب ذاعت شهرته، ووصل إلى الملك، واشتبك مع يانك وانك المذكور فى اثنتين وسبعين معركة وقتله، وكان له ثلاثة أمراء عظام، حيث كان جنائك لانك أستاذاً له، وجين سانك شو وزيراً له، وعهد بالجيش إلى جن سن^(٣).

وأصبح شوفيدى ملكاً من بعده، وظهر فى عهده رجل يسمى جونكيو اخترع العزف على الناي، ولما مات حلت محله أمه كوووتانجو، وطلبت من القوم أن يولوا عليهم ملكاً، ولكن القواد لم يقبلوا هذا وحاربوا، وقتلوا من هؤلاء القوم ثلاثة آلاف رجل، وأجلسوا فيدى أخا شوفيدى على العرش.

وأصبح نودى ملكاً من بعده، واشتهر فى عهده أن هناك نبأً على شاطئ بحر المشرق إذا أكل منه الإنسان عاش أبداً، وإذا أكل ونيته أن يكون ملكاً من الملائكة يصبح ملكاً، وأراد أن يحصل عليه، وكان له منجمٌ بارع يسمى فونك فونك شو، فأركبه سفينة، وأرسله ليحضر هذا النبات، ولما انتظر مدة مضى إلى منجم غير معروف، وقال المنجم: إن الشخص الذى تسأل عن حاله يأتى فى سفينة محطمة، وصفق ثلاث مرات فى هذه الحال وضحك، وقال: سيصل بعد عشرة أيام أخرى، فتعجب الملك وكتب هذا الحكم، وقدم المنجم بعد عشرة أيام، وقال: هبت الرياح بالعكس وتحطمت السفينة ورجعت، فقال الملك: لماذا صفقت فى هذا اليوم ثلاث مرات وضحكت؟، قال: لأن المنجم كان يعلم أمرى منذ عشرة أيام، ولم يعلم الملك.

وكان لهذا الملك ولدان الأكبر يسمى ليوانك، وكان أحد القادة سيئاً معادياً له، فعمل سحراً فماتوا فقراء، وكانت الزوجة حاملاً فحبسها، وتقتل إذا ولدت ولداً، ولما ولدت ولداً وضعت المرأة أختاً أخرى فى موضعه حتى لا يعرفوا، وأرسلت الولد إلى الخارج، ومنحوه الملك على أنه ليوانك أخوه، ومات بعد ثلاثة عشر عاماً، وأخفوا

سوندى بن ليوانك فى دكان خبان، فجعلوه ملكاً، وبعده وندى وجندى وإيدى ويندى الذى دس له قائد السم. وأجلسوا حفيد سوندى الذى كان يبلغ من العمر عامين على الحجر، وكان يحكم، وتوفى بعد ثلاثة أعوام، وأصبح هذا القائد ملكاً.

الطبقة السابعة عشرة

وجمع وانك موانك القواد بعد خمسة عشر عاماً، وأخذوا من لحمه، وهو حى وقتلوه فى ذلة ومهانة، وأجلسوا ملكاً من نسل كيندى على العرش.

الطبقة الثامنة عشرة

كان كينكشين بازهار الملك الثامن والثمانين بعد المائة، ومن الجيل السابع للكيندى، وكان رجلاً جباناً لدرجة عندما يتحدث مع القواد كان جسمه يرتعد من الخوف منهم، فرأوا أنه غير كفء، فأنجلسوا ابنه بدلاً منه، ولما أصبح ملكاً أمر مليون رجل من جنده أن يرسموا حواجبهم باللون الأحمر؛ ليكون ذلك علامة لهم، ولكن القادة لم يقبلوا هذا، وأنزلوه عن العرش، واختاروا واحداً من ذرية هؤلاء الملوك المذكورين.

الطبقة التاسعة عشرة

كان جouxن كون فو الملك التسعين بعد المائة، ولما أصبح ملكاً سر شيوخ عصره أنه من أسرة الملوك الأصليين، وحارب وانك موانك مراراً وصنع السحر لدرجة أن جميع الوحوش والحشرات انضمت إلى جيشه، وكان الناس ينهزمون خوفاً منه، ولكن كلما حارب جouxن بنفسه على أنه الملك الأصلي، كانت الوحوش والحشرات تبعد عنه

وتنضم إلى جيش موانك، وكان شجاعاً لدرجة أن جيشه كان صغيراً، إلا أنه لم يكن يخاف، فكان يهجم عليهم بلا خوف وينتصر دائماً عليهم، إلا مرة انهزم فيها، ووصل به الحال إلى نهر لم يستطع عبوره، ولما عجز تضرع إلى الله تعالى وانتحب، وقال: يا الله إذا كان ملكي بالحق، اجعل هذا الماء ثلجاً حتى يعبر جيشي، وإلا أمتني هنا، فاستجيب دعاؤه، وأصبح هذا النهر في الصيف ثلجاً وعبر جيشه.

وكان له أربعة أبناء، وأجلسوا مكانه ابنه الأصغر بعد ذلك؛ لأنه كان أعقلهم ويسمى خن مندى، وبعد ذلك حكم كل من جندى، وخوارى، وشانك كردى، وموشانك، وخورشيندى، وجونكدى، وكانوا جميعاً أطفالاً رضعاً، ونحتهم أمهم وجلست على العرش وحكمت. ولما بلغ جندى الثامنة من عمره، وبلغ سن الرشد، وأصبح أهلاً للملك. وضع القائد الذى يسمى كنكى السم لها، وقدم الأمير الذى يسمى سوجينك وقتله، وهاجر شنيدى مدة، وبدأت بعده الفتنة، وأبعد شنيدى عن العرش، وبذلك مضى إلى ركن من أركان الممالك، وأصبح هذا القائد ملكاً، وبعد مدة قدم جيش غريب، وقتلوا سوجينك سانك، ولما بلغ هذا الخبر إلى شنيدى ضحك هو وزوجته حتى ماتا، ولما مات أصبح الملك لتلك الجماعة التى ثارت.

الطبقة العشرون

ولما استولت الجماعة التى قتلت الأمير المذكور على البلاد، قسموا هذه الممالك إلى ثلاثة أقسام بينهم وبين أبناء الأمير، وجعلوا لكل قسم اسماً، وأعطوا واحداً لأبناء الأمير، وقسمين للملكين من قومهم، واستولى ملك القسم الأول على نصيب الملك الثانى بعد مدة، واستولى ملك القسم الآخر على القسمين، واستقل بهم ملكاً، وكانت مدة ملكهم واحداً وستين عاماً.

الطبقة الحادية والعشرون

أصبح سن فودى الملك الثامن بعد المائتين، وبعده ابنه قويدى، وبعده خويدى، وأوقعه جيش غريب فى الأسر، فأصبح أخوه مندى ملكاً من بعده، ولما استولى الجيش الغازى أسروه أيضاً، واستولوا على بلاد الصين، وظهر ستة عشر ملكاً، وفرت أسرة قويدى إلى الصين الكبرى، وهم من الملوك الأصليين، وقسم هؤلاء الملوك بلاد الصين إلى ستة أقسام، وأخذ كل منهم شيئاً من هذه الأقسام.

الطبقة الثانية والعشرون

كانت هذه الطبقة مع خمس طبقات أخرى من الملوك الأصليين، الذين كانوا فى الصين الكبرى، وكانوا وحدهم حكامها، وقسم هؤلاء الملوك الست عشر الذين ناروا، ولاية الصين إلى ستة أقسام، وقسموها على بعضهم البعض، ومدة ملكهم مع هذه الطبقات الستة ثلاثمائة وخمس سنوات.

الطبقة الثامنة والعشرون

ثار سوى كاوزفيندى الملك الخمسون بعد المائتين، واستولى على بلاد الصين، وعلى الصين الكبرى أيضاً، وأسقط هؤلاء الملوك، وأصبح ملكاً مستقلاً على جميع البلاد، وحكم من ذريته ثمانية وعشرون شخصاً.

الطبقة التاسعة والعشرون

كان تن كاوزو قائدًا عظيمًا شجاعاً، ثار واستولى على البلاد، وأصبح ملكاً، وحكم من نسله عشرون شخصاً.

الطبقة الثلاثون

كان لن تايزو الملك الخامس والسبعين بعد المائتين أميراً عظيماً، ثار واستولى على البلاد، وقتله ابنه يوكى بعد ذلك، وأصبح ملكاً، وبعد ذلك قتله أخوه وأصبح ملكاً، وثار فى عهد لن تايزو شخص من القراخطاى، اسمه خولنجى أياكى، واستولى على بلاد الصين، وجعل اسمه أى ليو؛ أى الملك الثائر، وهو محيط بالعالم كله، وحكم مع ثمانية أشخاص من نسله مائتين وتسعة عشر عاماً فى ذلك الملك الذى استولى عليه، وبعد ذلك ظهر ملك يسمى جوتجه أكوادى، واستولى على بعض ولايات الصين. وأخذ الملك من آخر أبناء داي ليوندى، واسمه رون آقوة، وقبل ذلك كان يدين ملوك جوتجه بالطاعة ويؤدون الخراج له؛ فمضى إليهم، فمضى إليه أكوادى متخفياً، واستولى على الصين كلها.

الطبقة الحادية والثلاثون

كان بن جون رون الملك الثامن والسبعين بعد المائتين عادلاً، وأصبح منيدى ملكاً من بعده، وبعده مودى، الذى وجدته مندى فى المصاد، ورباه، واستردت أخت مندى الملك منه، وأعطته لزوجها.

الطبقة الثانية والثلاثون

أصبح سن كاوزو ملكاً بعد شوى، ولما مضى ثلاثة أعوام على ملكه، ثار بليتوانك ابن داي ليومن القراخطاى، وأصبح ملكاً؛ لأن سن كاوزو أخذ الملك من مودى بمددهم، وكان يؤدى الخراج، ولم يؤده شوى، وهو فى الطبقة الثالثة والثلاثين.

الطبقة الرابعة والثلاثون

كان حن كاوزو الملك الخامس والثمانين بعد المائتين من قادة الملوك السابقين، وثار وقتل بليتيوانك وأصبح ملكاً، وتربع نيدى من بعده على العرش، وكان له ثلاثة من القادة أسماؤهم : شوخون جو، وكودى، ونيدى، فقتل الأميرين الأولين، فقال للثالث: لقد تلنا الملك، فلماذا تقتلنا؟ فثار عليه وقتله وأصبح ملكاً.

الطبقة الخامسة والثلاثون

أصبح شيرون ملكاً بعد كودى جاتايرو، وبعده أصبح من يسمى شيرون أيضاً ملكاً، وبعد عام ثار قوم يسمونهم سون، واستولوا على الملك، وأصبح من يسمى عنهم جوتايرون ملكاً.

الطبقة السادسة والثلاثون

كان جوتايرون الملك التسعين بعد المائتين، وبعده تايرون، وجيرون، ورترون، وينيك رون، وشيزون، وجرون، وهرترون، وكمزون، واستقل هؤلاء الملوك بجميع ممالك الصين، والصين الكبرى، وثار قوم جوده فى عهد كمزون، واستولوا على بلاد الصين، وأصبح من يسمى أكوداي نوجق ملكاً، ولقبوه بتايرون قرون، وسماه أقوام الترك الثان خان، وحكم أبناؤه : كمزون، وكاوزون، وشاوزون، وكوانك زون، وبك زون، ويزون، وتوزون، وشوجو بلاد الصين، وحكم بعد تايرون قزون، وتايرون فيثله، وتايرون فراوان، وهيزون، وشيزون، ولينك تايرون، وجنزون بلاد الصين الكبرى، وكان كيمشاي وشودى شووسو معاصرين لشوجو، وهو آخر الملوك الأصليين لهذه البلاد، وهو الملك الخامس بعد الثلاثمائة الذين حكموا من عهد نيكو مدة اثنين وأربعين ألف وثمانمائة وخمس وسبعين

على زعم المؤرخين وحكماء الصين، ولما مضى عامان على ملك شوجو، استولى جيش القآن على بلاد الصين الكبرى، وجاء مقدماً فروض الطاعة والخضوع وسلم العرض، وظل يدين بالعبودية للقآن، وكان ولداه تايزون، وقرون ملكين عظيمين، وظهر العداء منذ قديم الأيام بين أجداد جنكيز خان بسبب دم أوكين يوقان، وهميقاي قان.

وولد جنكيز خان فى العام التاسع من عهد هترون الموافق شهور سنة خمسمائة وتسع وأربعين، وأطلقوا عليه لقب جنكيز خان فى سنة خمسمائة وتسع وتسعين المطابقة للعام الخامس من عهد حترون، وفى العام العاشر من عهده الموافق سنة ستمائة وتسع ركب قوين بيل قاصداً بلاد الصين، وخضع له الأقوش تكين القائد وسرور اللذان أقاما جبلاً، وهو سد بين بلاد الصين وبلاد الترك، وخضع له البدو أيضاً وسلموا دربند، وغادر التان خان عاصمة الملك جونكو خوفاً من جنكيز خان الذى كانت فى وسط بلاد الصين وهرب، ومضى إلى مدينة بايانك فو التى تقع على نهر قراموران، واستولى جيش المغول على معظم بلاد الصين، وما لم يتيسر فتحه فى عهد جنكيز خان من بلاد الصين، ركب أوزكتاي القآن لفتح ما بقى، واستولوا على شوبدى فى سنة موريين بيل الموافقة جمادى الأولى سنة ٦٣١ هـ.

ووقع الخلاف فى خاتمة أمره، يقول بعضهم : إنه جاء فى زى القلندرية وهرب، والأصح أنه كان جالساً فى داره، فأشعل جيش المغول النار فى المدينة، واحترقت البيوت واحترق بينها، وانقضى عهد ولاية هؤلاء الأقوام. والله أعلم.

هوامش القسم الثامن

- (١) يصف البناكتي عادات وتقاليد هذه الشعوب. فهو ينتهز الفرصة ليبصر القارئ بهذه العادات، ولكن تأريخه لها مختلطاً بالأساطير. لكنه مستمد من كتب قديمة ومعلوم أن هذه التواريخ تمتزج بالأساطير، فما نسميه اليوم أسطورة كان يعتقد فيه أهله بأنه حقيقة.
- (٢) الطراسون : شراب مُر يصنع من الشعير .
- (٣) يلحظ على البناكتي في الكثير من المواضع عند تأريخه للحوادث والأفراد، أنه يربط بين عصرهم وعصره، بل للعام الذي كان يعيش فيه، وهوبذلك يربط بين الماضي والحاضر في الوقت الذي كان يعيش فيه.
- (٤) هكذا في الأصل.

القسم التاسع

فى تاريخ المغول ونسب جنكيز خان حتى دويان^(١) والآن قوا، وشرح ظهور جنكيز خان، والاستيلاء على بلاد إيران، وشعب أبنائه إلى يومنا هذا، وهو الخامس والعشرون من شوال سنة سبع عشرة وسبعمائة. وهم أربع طوائف من نسل واحد، وعددهم ستة وثلاثون، ومدة ملكهم فى أطراف الدنيا مائة عام وواحد.

الطائفة الأولى

جنكيز خان مع ابنه الثالث أوكتاى قان، الذى أصبح ملكاً من بعده، وأبناؤه جنكيز خان بن يسوكاى بهادر بن نويان بهادر بن قبل خان بن توميته خان بن باى سنقور بن قيدوخان بن دوقوم توجومين بن بوقا بن بويوز نجاريحو^(٢) بن الآن قواخاتوت بويون باما^(٣).

ذكر حكماء ومنجمو ومؤرخو الإيغور والتبت وأقوام الترك فى تواريخهم أن نوحاً النبى (ﷺ)، أرسل ابنه يافث إلى الشرق، ولما تمكن هناك سماه هؤلاء الأقوام أبولجة خان، وكان له ولد يسمى ديب ناقورى، الذى أظهر رسوم الملك وعاداته، وأصبح له أربعة أبناء، أكبرهم كورخان الملك، وانصرفوا عن دين جدهم نوح (ﷺ)، وعبدوا الأصنام، وولد لكور خان ابن يسمى أغور كان موحداً تقياً، فحارب أباه وقتله، واستولى على الملك، وثار، واستولى على جميع البلاد، وتشكل جيشه من أقوام الأتراك، وجعل لكل طائفة منهم لقباً خاصاً، وبعد ذلك أرسل قوماً من أبنائه، وذوى قرياه بجيش كثيف إلى المشرق لتلك الأرض التى كانت تسمى مغولستان (بلاد المغول).

وبعد أربعين ألف عام من ملك ملوك الخطا، غزا هذه البلاد، وعبر نهر قراموران وبيتهم، وقضى عليهم جميعاً، وأسر نساءهم وأبناءهم، وهرب من هؤلاء الأقوام شخصان هما : تكور، وقاتاب^(٤) مع أختهما فى الجبال التى تسمى كنه قون؛ أى العدو بسرعة، وأقامت أسرتهم أربعمئة عام هناك، وكثر عددهم بحيث يمكنهم الخروج معاً، وكان فى سفح الجبل معدن الحديد، فوضعوا كثيراً من المنافيخ، وجمعوا كثيراً من الفحم والخطب، فأذابوا هذا الجبل، وشقوا طريقاً، وخرجوا من تلك المنطقة الجبلية.

وكلمة المغول اسم جنسهم ويشبهونه، ويقال على سبيل المجاز: إن هذا اللفظ أطلق عليهم منذ عهدهم، ويحتفلون بيوم فى كل عام يسمونه بنكلميشى، وهذا اليوم هو الذى خرج فيه المغول من كنه قون، ومنذ ذلك الوقت كانت لهم عادة أنهم يضعون فى النار قطعة من الحديد فى تلك الليلة، ويضعونها على سندان ويطرقونها بالمطرقة، وهذه عادتهم إلى يومنا هذا.

وانقسم المغول بعد هذا قسمين : القسم الأول : مغول درلكين، وخرجت تلك الطائفة من كنه قون، والقسم الثانى : مغول بيرون، وهم شعب دونون يايان^(٥) والآن قوائد، وهم سادة أقوام المغول، وجنكيز خان من نسله، ونحر^(٦) ابن الآن قوا، وولد بعد دونون يايان مع أخوين آخرين بلا أب، وتلك حكاية طويلة.

قصة جنكيز خان بن بيسوكاى بهادر، واسم أمه دالون قوجين من قوم القونقرات، وولد فى قاقايلل الموافق لذى القعدة سنة تسع وأربعين وخمسمائة، ولما بلغ الثالثة عشر توفى أبوه، واسمه تموجين، وانفض من حوله معظم أقاربه وأتباعه، وكان يكابد البؤس مدة ثمانية وعشرين عاماً.

هكاية: فى الوقت الذى كان فيه جنكيز خان شاباً، كان العداء مستحكماً بينه، وبين قوم تايجبوت، وقد انفض من حوله الجيش والأتباع، فركب ذات يوم ومضى لأمر مهم، فرأى فى الطريق حجراً يدور كأن له محركاً يديره، وقدم مواجهاً له، ففكر فى نفسه، وقال: إن هذا الأمر جد عجيب، فلا شك أنه ينبغى لى أن أمضى فى هذا الطريق ومضى، واتفق أن قدم إليه ترغوتى فرنكتوق ملك قوم تاتجبوت خصمه وقبض عليه،

وكان ينظر، ولم تجر العادة فى هذا الوقت بقتل الأسرى بسرعة، وكانت امرأة عجوز من هؤلاء القوم تسمى بايجوايكاجى، وكان فى عهده من يسمى جاورغاي سفير، ورسول القآن، فقدم مع إيكثاي من نسله، وكانت هذه العجوز تمشط على النوام شعر جنكيز خان، وتقوم على خدمته.

وبعد مدة وجد جنكيز خان الفرصة، وهرب مع دوشاخه، وكانا على حدود ناورى^(٧) ومضى إلى هناك، وحمل دوشاخه فى الماء بحيث لم يظهر من جسده إلا أنفه، فتعقبه جماعة من قوم تايجوت وكانوا يطلبونه، وكان سرغان شيرو من قوم سلسوس، وهو أبو حيلادغان بهادر، وهو أبوسودون نويان الذى يعتبر من أمراء اليد اليمنى فى عهد جنكيز خان، وكان له أربعة أبناء: سونجاق نويان، وأراتوا إيداجى، وتودان، وتموريقان، وكان ابن تودان ملكاً، وابن الملك أمير جويان، وجده سرغان شيرو كان بين هؤلاء القوم، وديارهم فى تلك الناحية، وفجأة أدرك أن نظره وقع على أنف جنكيز خان، فأشار فى الخفاء من أجل أن ينزل رأسه أكثر فى الماء، وقال لتلك الجماعة : اطلبوه فى الأطراف الأخرى، واحتاط أنا هنا، وفرقهم، ولما حل الليل أخرجه من الماء، ورفع القرنين من حول عنقه، وحمله إلى البيت، وأخفاه فوق دولا ب تحت صوف كثير، ولأن تلك الجماعة كانت قد تعقبته فى ذلك الموضع، ظنوا أنه فى منزل سورغان شيرو، فبحثوا كثيراً عنه هناك، ووضعوا أسياخاً فى دولا ب الصوف ذلك، ولكنه لم يظهر، وبعد ذلك أعطاه سورغان شيرو فرساً صفراء اللون وبعض اللحم وأسياخ الشواء، وبعض السهام والأقواس وكل آلة يجب استخدامها فى السفر، حيث أعطى البعض ولم يعط البعض الآن، ويقال : إنه لم يعطه زند إشعال النار، وسيره. وكانت هناك حكمة لعل له عذراً وأنت تلوم.

وكان قد انقطع أمل الأم ونساؤه والقوم منه فى هذه المدة، وكان ابنه الرابع تولوى خان طفلاً وكان يقول فى كل لحظة فى أثناء تلك الأيام: إن أبى سيأتى ركباً فرساً، فنهته أمه قائلة: ما هذا الكلام الذى يقوله هذا الولد! حيث يذكرنا به، حتى ذلك اليوم الذى أراد جنكيز خان فوصل، وقال تولوى : هاهو ذا أبى يصل، وقد ركب حصاناً

أصفرأ، وربط فى السرج بوتوريوقان^(٨) وبعد ساعة وصل جنكيز خان على فرس، فسر جماعة لمقدمه ووزعوا الصدقات، وعلا شأن دولته بعد ذلك، ولما أقهر أونك خان ملك كرايت لقبوه جنكيزى؛ أى الملك المعظم، وبعد ذلك قتل جون تايان خان ملك نايمان، وأصبح الملك له مقرأً ومسلماً، ورفع علماً له تسع قواعد بيضاء، وأطلقوا عليه لقب جنكيز خان، وكان واضع ذلك فوق بت تنكرى بن منكىك إيجيه، وكوجو ولقبه بت تنكرى.

وكان لجنكيز خان خمسمائة زوجة وسرية، وعدد الخواتين الذين عظم قدرهن عنده خمس، أولهن : بورتة قوجين بنت وى نويان ملك قوم القنقرات، الثانية : قولان خاتون بنت طراسون رئيس قوم أوزهادمركيت، والثالثة : بيسوكات من قوم التتار، والرابعة : كونجوخاتون بنت التان خان ملك الصين، والخامسة : بيسولو أخت بيسوكات المذكور.

ولجنكيز خان ثمانية أبناء وخمس بنات، أربعة أبناء كبار هم : جوض، وجفتاي، وأوكتاي، وتولوى، والخمس بنات هن : قوجين بيكى التى زوجها لابن نكون بروتوكور كان من قوم إيكبواس، وجيجكان التى زوجها تورايجالى كوركان بن قونوقنه بيكى ملك قوم الإويرات، والأقاي التى زوجها جنكيزى كوركان ابن رئيس قوم أنكوت، وتوبالون التى زوجها إلى بم كوكان ابن ملك القنقرات، والتالون التى زوجها لحادر ساجان بن بياجوكور كان أخا أمه، وولد كل التسعة من بروتة قوجين، والابن الخامس كولاكان من قولان، وينسب إليه مصنع القآن فى تبريز، كما كان له ثلاثة أبناء من زوجة أخرى، وتوفوا فى طفولتهم.

تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك والخواتين والأتابكة وغيرهم الذين كانوا معاصرين لجنكيز خان

كان المقتفى خليفة بنى العباس فى بغداد فى عام ولادة جنكيز خان، وفى مصر كان الخليفة الظافر خليفة الإسماعيلية، وفى خراسان السلطان سنجر بن ملك شاه السلجوقى، وفى خوارزم الشاه أئمز بن محمد بن بيلكاكتين، وفى التركستان كشلوك خان، وفى الخطا هيرون، وفى العراق السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملك شاه السلجوقى، وفى الروم السلطان مسعود بن قليج أرسلان، وفى كرمان السلطان أبوالفوارس محمد بن أرسلان شاه بن كرمن شاه بن قاورد بن جفريك بن داود بن سلجوق، وفى الغور كان السلطان علاء الدين حسين بن الحسن، وفى سجستان نصر بن خلف، وفى مازندران الشاه رستم بن على بن شهريار بن قارون، وفى فارس الأتابك سنقور بن مودود السفري، وفى همدان الأتابك إيلدكز، وفى أذربيجان أقسنقر أحمد الديلمى، وفى الشام الأتابك نور الدين، وفى ديار بكر الأتابك قطب الدين مودود الذى كان والد أتابكة الموصل، وفى بلاد الفرنجة كورنكتيه القيصر، وفى المغرب عبد المؤمن.

ومن الحوادث التى وقعت فى هذا الوقت فى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، غرقت بغداد لدرجة أن غرقت معظم البيوت، وفى شعبان سنة أربع وخمسين وخمسمائة، قدم ثلاثون ألف رجل من جورجيا إلى مدينة دوين من أعمال أذربيجان، وقتلوا أكثر من عشرة آلاف رجل، وحملوا كثيراً من الأسرى، وأحرقوا مسجد المدينة ولما سمع بذلك الأتابك شمس الدين إيلدكز، جمع جيشاً عظيماً فى تبريز، واستمد العون من ملك الأرمن ابن سكرمان قطبى والى الأخلاط، وابن أقسنقر صاحب مراغة، ومضى بخمسين ألف فارس؛ لينتقم منهم، وفى صفر سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، بلغوا كرجستان وحاربوا شهراً، وفى النهاية انتصر جيش المسلمين، وقتلوا كثيراً من

القساوسة، وغنموا غنائم كثيرة، وفي شهر صفر نفسه وقعت الحرب بين قضاة
أصفهان لتعصبهم في المذهب، ودامت الحرب أسبوعاً، وقتل خلق كثير من الجانبين
وخرّبوا بيوتاً كثيرة، وحاصروا ملاحدة قزوين.
واعتلى جنكيزخان العرش في شتاء تونقوزيل الموافق شهر سنة تسع وخمسين
وخمسائة في موضع، يقال له : ثمان كهرة. والله أعلم.

حكاية ذهاب جنكيز خان إلى بلاد إيران قاصداً مالك السلطان محمد خوارزم شاه

فى عام الأرب المطابق لذى القعدة من سنة خمس عشرة وستمائة، ركب جنكيز خان مع أبنائه وأمرائه قاصداً ولاية السلطان، وأقاموا معسكراً فى عام التين فى الشتاء بطريق نهر أرديش، وأرسلوا الرسل إلى السلطان، وأخبروه بأنهم ينوون القدوم عليه، وتحرك بايز واستولى على جميع البلاد الواقعة فى طريقه، ولما بلغ حدود قباليق، قدم رئيس الأمراء هناك أرسلان خان معلناً فروض العبودية، ووجد الإنعام، ومضى لجيش المغول على أنه مدد لهم فى الطريق، وقدم أيغور بخيله من عند باليغ، وقدم سوققان تكين من المالبغ بجيشه، ووصل مدينة أترار فى آخر خريف سنة التين المذكورة.

وقدم السلطان محمد جيشاً عظيماً إلى غاير خان، وأرسل قراجه حاجبه الخاص مع عشرة آلاف فارس مدداً له، وحصن المدينة بسور واستحكامات عظيمة، وأمر جنكيز خان جغتاي، وأوكتاي مع عدة آلاف من الجند؛ لحاصرة المدينة، وأرسل تولوى خان إلى جند وينكى كت بجيش جرار، وجماعة من القواد إلى جخجند ويناكت، وقصد بخانئى بنفسه، واستولوا على أترار بعد خمسة أشهر، وقتلوا قراجه وغاير خان، واستخلص الأمراء، وألقواد بلاداً أخرى، وقدم جنكيز خان فى بداية المحرم من سنة سبع عشرة وستمائة بخارى. ونزل عند بوابة القلعة، وكان جيش بخارى يتكون من عشرين ألف مقاتل، وخرج رئيسهم كوك خان، والقواد الآخرون سونج خان، وكشلى خان مع قومهم من القلعة، ولما بلغوا شاطئ جيحون هجم عليهم جيش المغول، وأفنؤهم جميعاً.

وفتحوا البوابات فى فجر اليوم التالى، وقدم القوم من الأئمة والعظماء معلنين العبودية، فدخل جنكيز خان المدينة، ومضى إلى الجامع، ووقف أمام المقصورة، وترجل ابنه تولوى خان، وصعد المنبر، فسأل جنكيز خان هل هذا بيت السلطان؟، فقال: لا، إنه بيت الله، فنزل عن فرسه واقترب خطوتين من المنبر، وقال: إن السهل خال من العلف فامالوا بطون خيلنا، ففتحوا أبواب المخازن، وحملوا الغلال، وجعلوا صناديق

المصاحف حظائر للخيول، وبعد ذلك خرج جنكيز خان من المدينة، وأحضر جميع أهلها، ومضى إلى منبر مصلى العيد، وبعد أن قرر الخلافة، وذكر غدر السلطان الذي صنعه من قبل، وقتل جنكيز خان الأعيان وسلب أموالهم، وقال: اعلّموا أيها القوم أنكم اجتريحتم ذنباً عظيمة، وعظماؤكم سبب أنى عذاب الله، ولو كانت منكم ذنباً عظيمة، فإن الله لم يرسل عليكم عذاباً مثلى، وأمر جنده بجمع الأموال، وأحرقوا المدينة والقلعة كلها ماعدا الجامع، وجعل الأمراء والنساء والأطفال عبيداً، وأرسل الشباب ليكونوا خدماً فى سمرقند ودبوسيه، ومضى من هناك إلى سمرقند، وفى عام الأفعى الموافق شهور سنة ثمانى عشرة وستمائة استولى عليها بعد نهب وقتل كثير فى فصل الصيف، وقتل سمائ خان، وتقائ خان، وأولاغ خان مع عشرين قائداً من قادة السلطان، وأرسل جوجى، وجغتائى، وأوكتائى لخوارزم، ووقع بينهم خلاف، وقتل كثير من جيش المغول، وبعد ذلك أرسل تولوى، ولما سمع جنكيز خان عن شهرة شيخ المشايخ نجم الدين أبوالجناح أحمد بن عمر بن محمد بن عبد الله الخيوقى الخوارزمى المعروف بالكبرى (رحمه الله)، أرسل إليه رسالة قائلاً: أريد أن أنهب خوارزم وأقتل أهلها، فليخرج هذا العظيم منها، إلا أنه لم يلق لذلك سمعاً، واستشهد فى هذه الغزوة.

وفى نفس العام قبل أن يعبر جنكيز خان نهر جيحون بستة أشهر، توفى الشيخ قطب الدين حيدر بن تيمور بن أبى بكر بن سلطان شاه بن سلطان خان السالوية فى الطريق، وبلغ من العمر مائة عام وعشرة.

وأرسل جنكيز خان جبه نويان من قوم بيسون مع عشرة آلاف مقاتل فى المقدمة، كما أرسل فى عقبهم يقواما داي بهادر من قوم أورما نكفت مع عشرة آلاف آخرين، وأمرهم أن يلحقوا بالسلطان، وإذا وصلتكم إليه أخبرونى، وإذا اختفى اذهبوا وابحثوا عنه فى بلاده، وكل من جاء معلناً الولاء استمليوه، واقهروا كل من يبدى العداء، وأتم كل هذه الأعمال فى غضون ثلاثة أعوام، وعاد من طريق صحراء القبجاق، وقال: إن بلاد المغول هى وطننا الأصلى وليتصلوا بنا.

ومضى جبه، وسوباداي، وتوقاجار مع ثلاثين ألف رجل شجاع إلى معبر البنجاب

متعقبين السلطان. ولما وصل خبر وصولهم نيسابور، مضى السلطان محمد على أنه يصطاد نحو إسفرايين، واتجه ناحية العراق، وأرسل أمه وحريمه إلى قلعة قارن عند تاج الدين طغان، ومضى ليتفقد جبل شيران، وأرسل رسولاً إلى الملك هزارا غسف لور، وكان من أكابر الملوك القدماء، ولما وصل الملك نصر الدين قبل الأرض، وقال أثناء المشاورة: الصواب أن نرحل فوراً، وبين لور وفارس جبل حصين يسمى تنك تكو، وهي ولاية كثيرة النعم ولنجعلها ملجأ، ونجمع من اللور، وشول، وشبانكاره مائة ألف مقاتل ونحارب المغول، وبينما كانوا في هذا الكلام، وصل جبه وسوياداي نيسابور، وأرسلوا الرسل إلى عظمائهم : مجير الدين كافى الرخى، وفريد الدين، وضياء الملك الزوزنى، وطلبوا منهم الطاعة، فأطاعوا، ونصحهم جبه نويان، وأعطاهم التمتع من منشور جنكيز خان، وفحواه كما يلي: فليعلم الأمراء والعظماء والرعية الكثيرة أن الأرض بما وسعت من مغرب الشمس إلى مشرقها انطاعت لى، وكل من يطيع فسوف يرحم وأبناؤه ونساؤه، وكل من لا يدين بالطاعة ويثير الخلاف والجدل لابد أن يهلك مع زوجته وأبنائه، وقدموا الرسالة بهذه الطريقة ومضوا.

ولما بلغ هذا الخبر، وخوفاً من هجوم جيش المغول، هرب هزاراغسف، كما اتجه الملوك الآخرون إلى ركن يحتمون فيه، ومضى السلطان محمد مع أبنائه إلى القلعة، ومضى من هناك نحو جيلان، واستقبلهم صعلوك من أمراء كيل مقدماً فروض الطاعة، ورغبهم فى الإقامة، ورحل السلطان بعد سبعة أيام، ومضى إلى بلاد مازندران، ولجأ من هناك إلى جزيرة بحر قزوين، وتوفى هناك فى سنة ثمانى عشرة وستمائة، ونهب جبه، وسوياراي خراسان ومازندران، وعزما المضى للعراق، واستولوا على خوار، وسمنان، وأغاروا على الرى، وقتلوا أهل قم جميعاً، واستولوا على همدان، وأعملوا النهب والقتل فى زنجان.

ولما وصلوا تبريز، أرسل الأتابك أوزبك بن جهان بهلوان مالاً ودواباً كثيرة، وتم الصلح، واستولوا على مراغة، ومضوا منها إلى مرند، ونخجوان، وأران، وكرجستان، ودربند، ومضوا منها إلى بلاد الروس والقبجاق، واستولوا على تلك البلاد فى الموعد الذى حدوده، وأصبحوا عبيداً لجنكيز خان.

ومضى جنكيز خان فى شهور سنة ثمانى عشرة وستمائة من مر ترمذ عابراً
جيحون، وأعمل القتل والنهب فى مدينة بلخ، ومضى إلى قلعة طالقان، واستولى عليها،
وحارب السلطان جلال الدين على ضفة نهر السند.

حكاية: مضى جنكيز خان فى عام الحصان؛ لمحاربة السلطان جلال الدين
خوارزم شاه، وحث خطاه فى أثره، وأعد السلطان السفن على شاطئ نهر السند؛
ليعبه، وكان أورخان فى كجله، وقاوم طلائع المغول وانهزم، ولما عرف جنكيز خان
الخبر، علم أن السلطان سيعبر النهر فى الفجر، فعجل بالتقدم إليه ومضى ليلاً
فحاصره فى السحر من أمام وخلف، ولما طلعت الشمس، رأى السلطان نفسه بين
الماء والنار، وكان جنكيزخان أمر جنده ناهياً إياهم عن رمى السلطان بالسهم، وطلب
إليهم أن يأسروه، وأرسل كارقلجا، وتوقوز كلجا، ليسحبوه جرياً على الشاطئ، ولما
رأوا جانب جيش السلطان فى النور، وأن جيش المغول على ميمنة الخان الملك هجموا
عليها، وقتلوا معظم الجند، وخان الملك، وهجموا كذلك على الجانب الأيسر، وبقي
السلطان فى القلب مع سبعمائة رجل من الفجر إلى الظهر، وقاوم مثل هذا الجيش
القوى. ولما رفع قلبه من روحه، كان يجرى من اليمين إلى الشمال، ويحمل على القلب،
ولم يكن هناك مفر من الرشق بالسهم، فضيقوا عليه الخناق، وكان يقاتل قتال الأبطال
بكل ما يملك من قوة وقدرة، ولما رأى أنه لا سبيل إلى المقاومة، ركب على جواد هادئ،
وحمل على جيش المغول وصدهم، ثم ارتد ثانية، وألقى الترس خلف ظهره، وأمسك
بمظلته وعلمه، وضرب الجواد بالسوط، ومضى كالبرق وعبر النهر، ونزل بتلك الجهة
فغسل سيفه بالماء، وعجب جنكيز خان، ووضع يده على فمه، وأشار إلى أبنائه، وكان
يقول: لابد أن يكون الولد هكذا مادام الأب هكذا.

لم أر رجلاً على هذه الصفة فى الدنيا ولم أسمع هذا عن مشاهير القدماء

ولما استطاع أن يخلص نفسه من هذا المعترك وتلك اللجة، وبلغ الساحل صدرت
عنه أعمال وفتن كثيرة، وأراد جيش المغول أن يلقوا بأنفسهم بالماء بعده، فنهاهم جنكيز
خان، وقتل جند السلطان جميعاً، وقتل أبنائه الذكور، والأطفال الرضع، وناصر الدين

الوزير، واختطف زينات الحريم، وأمر السلطان بأن تلقى جميعها فى نهر السند فى هذا اليوم، لأنها كانت ممتلئة بالذهب والنقود والجواهر والمرصعات، وأمر جنكيزخان الفواصين أن يغوصوا ويستخرجوا ما يجدونه.

وعاد جنكيز خان فى عام النعجة فى الربيع المطابق لشهر المحرم سنة عشرين وستمائة من على نهر السند، وأرسل أوكتاي لغزين، فقتل أوغار، ودانت مرة أخرى بالعبودية، وفى نفس العام الموافق سنة إحدى وعشرين وستمائة وصل إلى معسكراته، وبعد ذلك عزم على المضى إلى ولاية تنكقوت، وحارب ملوك هذه النواحي فى ولاية شيدرقو، التى تسمى بلغة تنكقوت ليوانك، وقتل كثيراً منهم، وعاد من هناك ومضى إلى الخطا، ووصل إلى مكان يسمى آنقوطالان قودوق فى بداية الربيع من سنة توقاي نيل الموافقة لسنة ثلاث وعشرين وستمائة، وفجأة شعر بدنو أجله، وجعل أوكتاي ولى عهده، وأرسله على رأس الأمة، وقال: لا أريد أن يكون موتى فى دارى، وتوجه إلى ننكياس، ولما وصل ليوشان وهى بين ولايات جورجيا، وننكياس، وتنكقوت، أوصى القواد قائلاً: لا تعلنوا موتى حتى لا يعلم العدو بذلك، وعندما يأتى ملك، وأهل تنكقوت اقتلوهم جميعاً، وتوفى فى اليوم الخامس عشر من شهر الوسط فى عام الخنزير المطابق رمضان سنة أربع وعشرين وستمائة، وكان يبلغ من العمر ثلاثة وسبعين عاماً، وحكم خمسة وعشرين عاماً. وأخفى القواد الأمر بناء على وصيته، حتى جاء هؤلاء القوم فقتلوهم جميعاً، وأوصلوهم إلى المعسكرات.

ورأى جنكيز خان ذات يوم فى مكان الصيد شجرة منفردة، وقال: ليكن هذا موضع دفنى، فدفنوه هناك، وشيدوا له قروفاً، وكان القرقيجان أمراء له فى يانكفت.

تتمة قصة جنكيز خان

قال نصائحاً وحكماً وأمثالاً ونواهيًا، منها: إن القوم الذين لا ينتصح أبناءهم بنصائح آبائهم، وهؤلاء الذين لا يستمعون لكلام السادة، والزوج الذى لم يثق فى

زوجته، والزوجة التى لا تأتمر بأمر زوجها، والحمو التى لا تحب العروس، والعروس التى لا تحترم حماتها، والكبار الذين لا يرعون جانب الصغار، والصغار الذين لم يعملوا بنصائح الكبار، والعظماء الذين لا يرعون جانب العبيد، ولم يقربوا إليهم الخارجين، والناس الذين أعجبوا بالأغنياء، ولم يجعلوا أهل الولاية منهم، ولم يؤيدوهم، ومنعوا العادات والتقاليد، فمن أجل هذا فإن الأعداء وهم اللصوص لم يقبلوهم، وكذلك الكاذبون، والمتمردون فى مقامهم؛ أى إنهم أغاروا عليهم، ولم تجد خيولهم وقطعانهم راحة، ولم يريحوا جيادهم التى يركبونها فى الطبيعة، لدرجة أن هذه الجياد تعجز وتتفق وتبلى وتتمحى، إن مثل هؤلاء القوم الذين لم يربوا، ولم تكن لهم حضارة، وعندما بزغت شمس جنكيز خان، خضعوا له وساسهم بقانونه، وهؤلاء الذين كانوا علماء وشجعان جعلهم أمراء للجيش، ومن وجده جلدًا نشيطًا أمسكه أسرة وأعطى الجاهل سوطًا صغيراً وجعله راعياً، ولهذا السبب كان شأنه يعظم يوماً بعد يوم كالهلال، والنصر يهبط عليه من السماء بقوة الله تعالى، ويظهر الحظ والإقبال من الأرض لمدده، وصارت مصايفه مكان سرور وسعادة، وجاءت المشاتى موافقة ومطابقة، ولما أدركت هذه المعانى بفضل الله تعالى، استتبعت هذه العلوم منها، ولهذا السبب فإن رخاها وأمننا وسعادتنا بلغت هذه الغاية، وإذا احتفظ الأطفال الذين يولدون بعدنا بخمسائة عام أو ألف أو عشرة ويخلفوننا بهذه العادات والقوانين، ولا يغيرونها، فسيأتى المدد من السماء لدولتهم، ويظلون على الدوام فى رفاهية ورخاء، ويسعدهم الله، ويدعو العاملون لهم بالخير، وتطول أعمارهم، ويتمتعون بالنعم من حسنت سياسته دامت رياسته"، وهذه المقولة إشارة لهذا الأمر.

وقال أيضاً: إن أبناء كثيرين للملوك الذين يوجدون بعد هذا، إن لم يأخذ العظماء والأبطال والقواد الذين يوجدون معهم بالقانون، فإن أمر الملك يتزلزل وينهار، ويودون طلب جنكيز خان فلا يجدونه.

والأمراء الآخرون الذين يأتون بعشرات الآلاف، والمئات فى أول العام، وآخره، ويسمعون القانون، ويعوبون، فإنهم إذا استطاعوا تولى قيادة الجيش، وأولئك الذين

ييقون فى معسكراتهم، ولا يسمعون المعارف، فإن حالهم يصبح كالحجر الذى يقع فى ماء غزير وعميق، أو كالسهم الذى يرمونه فى القصباء، فلا يظهر، فمثل هؤلاء الأشخاص لا يليقون للزعامة والرئاسة.

وكل شخص يستطيع أن يقيم بيته، يستطيع أن يقيم الملك، ومن يستطيع أن يسعد عشرة أشخاص بمقتضى الشرط، يجدر أن يقدموا له الآلاف، ويستطيع إسعادهم. ومن يستطيع أن يظهر بيته، يستطيع أن يظهر الملك من اللصوص، وكل أمير لا يستطيع أن يسعد قريته، فعنده وزوجته وأبناءه مذبذبين، ونختار أميراً آخر من قريته، ويصبح أمير الآلاف والمئات.

وكل كلمة يتفق عليها ثلاثة علماء، يجب أن تعاد فى كل مكان، إلا لا ينبغى الثقة فيها، فقس كلامك بكلام غيرك من العلماء، وإذا اتفق عليها قيلت، وإلا لا ينبغى أن يقال. كل إنسان يمضى إلى عظيم يجب ألا يتحدث حتى يسأله هذا العظيم، فيجيب إجابة مطابقة لهذا السؤال، وإذا قال كلاماً أكثر من هذا، فإذا سمعوه فيها، وإلا فقد طرق الحديد البارد، وحينما يركب العظماء الذين لهم الرئاسة على جميع الجنود للصيد، ينبغى أن يقيدوا أسماعهم، ليدعوا لهم بالخير على الدوام.

كن بين الناس مثل العجل ماهرًا ساكنًا، وفى وقت الحرب مثل العقاب الجائعة التى تقاوت فى الصيد. وقال : يجب أن نمضى فى الضجيج، فمضى دراكاى أوها من قوم معينين إلى بلغان، وكان معه خادمًا، فرأى فارسين من بعيد، فقال الخادمان: بما أننا ثلاثة، فلنضرب هؤلاء القادمين، فقال: كيف رأيناها فقد رأونا كذلك، ولا ينبغى أن نضربهم، وضرب الحصان بالسوط وهرب، وبعد ذلك اتضح أن أحد هذين الاثنين تيمور أوها من قوم التتار، وأجلس مائة شخص من خدامه فى كمين، وأظهر نفسه حتى إذا قصده الفرسان الثلاثة، وانهزم مضى إلى خدامه طالبًا المدد، وفهم هذا الأمر وهرب، وكان لديه بالقرب من هذا المكان اثنتان وعشرون خادمًا فأخرجهم معه، والاحتياط واجب فى مثل هذه الأمور.

وقال: لا وجود لشجاع فى أى مكان قط مثل بيونتائى، ولا مثيل له فى أفضاله الأخرى، ولكنه لم يتعب من مشقة السفر، ولا يعرف الظمأ والجوع، فإن من معه من الخدام والجند يعلمون أنهم مثله فى تحمل المشقة، وليس لهم طاقة ولا قوة، لهذا السبب لا نبغى له رئاسة الجيش، وتجدر رئاسة الجيش لمن لا يعرف الجوع والعطش، ويقيس حاله بحال الآخرين، ويمضى فى الطريق بحساب، ويحول بين جيشه وبين الجوع والظمأ، وتضمّر دوابه، سيروا سير أضعفكم، ويشير بهذه العبارة لهذا الأمر.

وقال: إن تجارنا يلبسون الثياب المزركشة، ومعهم سلع ثمينة أملاً فى الربح، وتقوى قلوبهم بهذه الأمتعة والأقمشة الفاخرة، فينبغى لقادة الجيش أن يحسنوا تعليم أبنائهم الرمى بالسهام والفروسية والمصارعة، وأن يدربوهم على هذه الأعمال، فإنهم يصبحون شجعاناً مثل التجار فى حسن حالهم، وسلامة مزاجهم بتلك الفنون التى يعرفونها.

وقال: حينما يسكر الإنسان من الخمر والطراسون، فإنه يصبح أعمى وأصم وأبكم، وإذا أراد أن يعتدل فى جلسته، فإنه لا يستطيع، مثل الشخص الذى يشج رأسه، فيبقى خائفاً حائراً، لاعقل ولا نفع، ولا فضل فى الخمر والطراسون، وليس فيها سيرة طيبة ولا خلق كريم، وإن الرجل من الخير الذى يعرفه، والأفضال التى له عمله، والملك الذى يحرص على شرب الخمر، فإنه لا يستطيع أن يقوم بالأعمال العظيمة، ولا أن يربى الكلاب والخيول، والرجل الذى يحرص على هذا يصاب ببلاء عظيم، والشخص الفقير الذى يدمن الشراب يصبح مفلساً، والخدام الذى يحرص على شرب الخمر، فإنه يقضى عمره فى العذاب والهم إن الخمر والطراسون تعمى القلوب، وتسكّر الأخيار والأشرار، وإذا لم توجد حيلة فى البعد عن شرب الخمر، فليشرب ثلاث مرات فى الشهر، وإذا تجاوزها فقد وقع فى الخطأ، وإذا شرب فى الشهر مرتين كان أفضل، وإذا شرب مرة واحدة، فهذا أحسن، أما إذا لم يشرب أصلاً فلا يوجد أفضل من هذا، وأين النفس التى لم تسكّر؟! (٩)، وإذا كانت فهى عزيزة.

وقال: الرجل شمس نفسه، فيها يظهر نفسه فى كل جانب من جوانبها للناس، ويجب على الزوجة أن تنظم أساس بيتها إذا ركب زوجها للصيد، أو للجيش على نحو كان سفيراً أضيفاً ينزل به، كما يجب عليها أن تحسن طهى الطعام، وأن تهين ما تمس حاجة الضيف له، فلا شك أنها تجعل زوجها حسن السيرة وترفع ذكره، وبذلك يرتفع رأسه فى المحافل، فإن خير الرجل يعرف من خير المرأة، وإذا كانت المرأة سيئة شريرة بلا رأى ولا تدبير، فإن سوء الرجل يعرف منها، فكل شئ فى الدار يشبه صاحب الدار^(١٠)

وقال أيضاً: من بعدنا تلبس العشيرة قباء مخيطاً بالذهب، ويأكلون أطعمة دسمة حلوة، ويركبون خيولاً حسنة، ويحضنون نساءً جميلات، ولا يقولون: إن أباعنا وسادتنا جمعوا هذه الأموال، وينسوننا، وينسون ذلك اليوم العظيم.

وكان لجنكيز خان مائة وتسعة وعشرون ألف جندى، ويختصون بقول براوون قاروجيون قار؛ أى المختصين بالقلب والجناحين، وورث تولوى مائة ألف وواحد، والقول إن هؤلاء الآلاف كانوا مختصين بجنكيز خان، وجميع إيواعلانات كانت أربعة جيوش عظيمة، والمتعلقين بهذه الجيوش ألف شخص، وقائدهم جغان نويان من قوم المنكقوت الذى رياه جنكيز خان كابنه، وبراوون قار بمعنى ميمنة، وهو رئيسهم، وكان بورج نويان من قوم أولات، وسوتكسون أويرغول نويان من قوم هوشين الذى يبلغ عددهم ثمانية وثلاثين ألفاً، وجيون قار يعنى الميسرة، ورئيسهم موقلى كويانك من قوم جلايرازجات، ومعنى كويانك باللغة الصينية الملك العظيم، وكان سيسلون أوناياتويان من قوم بارين، وعددهم اثنان وستون ألفاً، وقسم الباقي، وعددهم ثمانية وعشرون ألفاً على الأم والإخوة والأبناء، ما عدا تولوى خان.

تاريخ الخواقين والخلفاء والسلاطين والملوك والأتابكة

الذين كانوا فى آخر عهد جنكيز خان

كان فى الصين، كيمشان، وشودى، وشو، وسو، وفى الصين الكبرى بينك زون، وفى بغداد الخليفة القاهر لدين الله، وفى خوارزم وخراسان وغزنة وما وراء النهر

والتركستان السلطان محمد خوارزم شاه، وذكرت أخباره فى نفس تاريخ جنكيز خان، وابنه السلطان جلال الدين منذ ذلك الوقت الذى عبر فيه نهر السند، وتخلص من يد جيش المغول، وتوقف يومين فى وسط جيش أبيشه، ولحق به ما يقرب من خمسين رجلاً وهبوا حياتهم له، وعلموا أن جماعة من أشرار الهنود، وهم مشاة وفرسان أعملوا السرقة والفساد، وهم على بعد فرسخين من مقر السلطان، فبيتهم السلطان فجأة، وقضى على معظمهم، واستولى على خيولهم وأسلحتهم، وانضم إليهم جمع آخر من كل صوب، وجاء الخبر بأن أربعة آلاف رجل من جيش الهند قدم هذه الحدود، فشد عليهم السلطان مع مائة وعشرين رجلاً، وقتل معظمهم ورأى جيشه، وقد غنم هذه الغنائم.

ولما بلغ خبر هزيمة السلطان إلى الهند، اجتمع ستة آلاف رجل من جبل بلالة، وبنكالة، ومضوا للسلطان، فتقدم السلطان إليهم فى خمسمائة فارس، وحاربهم وقضى على معظمهم، وجاء بعضهم إليه، وكان جيشه فى ذلك الوقت ثلاثة آلاف، ومضى إلى دهلى، ولما بلغ الحدود، أرسل رسولا إلى السلطان شمس الدين، قائلاً: بما أنه كان لنا سابقاً حق الجوار، وكان بين الجانبين تعاون فى السراء والضراء، وهذا ما يليق بالروءى. وطلب موضعاً يقيم فيه عدة أيام، ولما كان السلطان مشهوراً بشدة البطش، وانتظر السلطان شمس الدين فى الرد عليه عدة أيام، وخاف من العاقبة، فقتل الرسول فى النهاية، وأرسل عظيمًا بهدايا نفيسة وعطايا فاخرة، ومهد للمعذرة، قائلاً: إن الجو فى هذه الحدود لا يناسب مزاج السلطان، وإذا رأى السلطان هذا، فعليه أن يمضى من حدود دهلى حتى يخلص السلطان من يد الطفافة ويسلمه.

ولما سمع السلطان هذا الكلام، رجع ومضى إلى حدود بلالة، وبنكالة، وانضم إليه هناك فوج آخر للجيش، وكانت معظم فرسانه ما يقرب من عشرة آلاف، وأرسل من هناك تاج الدين ملك الخلق بجيش إلى جبل جودى، فأغاروا عليه، وغنموا غنائم كثيرة، أرسل إلى الملك كوكارسنكين وخطب ابنته، فأنجابه إلى طلبه، وأرسل الابن مع الجيش والبنت إلى السلطان، فسمى السلطان هذا الولد قتلغ خان، وكان حاكم ولاية السند أميراً يسمى قباجة، وكان يدعى السلطنة، والنزاع قائماً بينه، وبين الملك كوكارسنكين،

وأقام معسكراً على شاطئ نهر السند على بعد فرسخين من مدينة أوجه، فأرسل السلطان إليه جيشاً يتكون من عشرين ألف مقاتل بقيادة من يسمى أورنك، فبيتهم أورنك بسبعة آلاف رجل فانهزم جيش قباجة، وهرب قباجة فى سفينة إلى قلعة أكروبكر فى الجزيرة، ونزل أورنك فى معسكر قباجة، وأرسل البشرى ليقدم السلطان، ونزل فى بلاطه، ومضى قباجة إلى المولتان منهزماً فى أكروبكر، ولما اشتد الحر مضى السلطان إلى مصيف جبل جودى، وهو على حدود بلالة، وبنكالة، وحاصر فى الطريق قلعة بس رام، وفى تلك الحرب أصاب سهم يد السلطان، فاستولوا على القلعة، وقتلوا أهل تلك المنطقة، ولما عادوا من هناك كان طريقه نحو الملتان، فخرج قباجة للحرب، فماذا وقع له مع السلطان؟، فتقدم أهل تلك المنطقة للحرب، فأشعل السلطان النار فى المدينة، ومضى نحو الهند، وكان فخر الدين السالارى حاكماً هناك من قبل قباجة، ولاجين الصينى قائد جيشه، فخرج لاجين لأورخان الذى كان على مقدمة جيش السلطان وقتله، وجاء فخر الدين بالسيف والكفن، فمضى السلطان إلى المدينة وقضى بها شهراً، ورعى جانب فخر الدين، وأسند إليه حكم إمارة الهند، ومضى إلى دبول، وأرسل أساس مسجد جامع فى مكان القلعة، وأرسل جيشاً مغيراً صوب نهر واله، وفى أثناء تلك الحال جاء الخبر من العراق أن أخا السلطان غياث الدين قد توطد له الأمر فيه، وساق معظم جنود بلاد هواى للسلطان جلال الدين، وحاصر براق الحاجب حاكم مدينة كواشيركرمان، وانطلق من هناك بطريق مكران. ولما بلغ خبر وصول السلطان إلى براق الحاجب أرسل الهدايا واستبشر، ولما وصل السلطان تزوج ابنته، وقدم رئيس قلعة كواشير مفتاحها إلى السلطان، ومضى السلطان فى سنة ستمائة وإحدى وعشرين إليها، وأقيم هناك حفل الزفاف، وولى وجهه قبل فارس من هناك، وأرسل رسولاً إلى الأتابك سعد، فأرسل الأتابك ابنه سلغر شاه مع خمسمائة فارس بالهدايا اللائقة لخدمته، ورغب أن يواصله، وهو الدرة الثمينة التى ربيت فى صدف أسرة الأتابك، ومن هناك عزم السلطان المضى إلى أصفهان، وكان الأتابك علاء الدولة بن الأتابك سام، وهو ابن بنت علاء الدولة كرشاسف بن على بن فرامر بن علاء الدولة من آل بويه، وكان مقيماً فى مدينة بيرر^(١١)، فخرج ومعه الهدايا؛ لأنه كان هراً فسماه

السلطان الأب، وأجلسه بجانبه وعينه السلطان والياً على مدينة أصفهان، وكان له من العمر أربعة وثمانون عاماً، واستشهد في أصفهان سنة أربع وعشرين وستمائة. وجملة القول أن السلطان وصل أصفهان، فعرف أن أخاه غياث الدين في الري مع أركان وأعيان الجيش، فاختار كوكبة من الفرسان رفعت التوق على عادة المغول، وهجمت عليهم فجأة، فتفرق غياث الدين وبعض من أمراء جيشه؛ لأنهم كانوا جبناء، فأرسل السلطان من باب الرحمة إلى أمه شخصاً في الوقت الذي كانت فيه الفتنة قائمة، ولم يكن معظم الأعداء في الحرب منتصرين، فغلب غياث الدين، وقدم مع خواصه إلى أخيه، فأكرم السلطان وقادته، وجعل لكل أمير منهم منزلة، وأرسل العمال لأعمالهم، وأعطاهم جميعاً فرامين ومنشورات، واستقامت أحوال المملكة مرة أخرى بقومه، وكان مدبر ملكه نور الدين، وله قصيدة في مدح السلطان هذا مطلعها:

تعال يا حبيبي فقد عاد للعالم جماله وروعته بنور ملك الآفاق جلال الدين الملك الأعظم
ومضى في شهور سنة ستمائة وإحدى وعشرين إلى تستر؛ ليشتي هناك، ووصل سليمان شاه في ذلك الطريق، وزوج أخته للسلطان.

وتوجه السلطان من هناك إلى بغداد ظناً منه أن الناصر لدين الله سيقدم له المدد؛ لدفع الأعداء، وأرسل رسولاً يخبر بوصوله، ولما كان الخليفة مستاء من أبيه وحده، أرسل قوشتمور، وهو من عبيده مع عشرين ألف رجل؛ ليطردوا السلطان من نواحي تلك البلاد، وأرسل حمامة إلى أربيل ليمضى مظفر الدين كوكبرى مع عشرة آلاف فارس ويعتقلوا السلطان من وسطهم، فمضى قوشتمور قبل وصول جيش أربيل مغروراً بكثرة عدده، وقلة مدد السلطان، ولما اقترب السلطان من المدينة، أرسل رسالة إلى قوشتمور قائلاً فيها: إننا نظن أن مبادرتنا لهذا المكان، وهولجأ السلطان الذي يستظل بظل الخليفة، لأن الأعداء أقوياء، ولا قدرة لأي جيش بهم، وإذا استظهرت بقبول إجابة الخليفة، فإن مهمتى هي دفع هؤلاء المعتدين، ولم يلتفت قوشتمور لهذا الكلام، ووصف المعركة وأصبحت الحرب ضرورية للسلطان، ولم يكن جيشه عشر جيش بغداد، فحشد الجيش، وكانت له جماعة في الكمان، وحمل مع خمسمائة فارس على قلبهم وجناحهم.

مرتين أو ثلاثاً، وأدار وجهه للناحية الأخرى وأحجم؛ لأنه تصور الهزيمة، فمضوا فى عقبه.

ولما بلغوا موضع الكمين، خرج جيش السلطان من الكمان، وقتلوا قوشتمور فى وسطهم، ومضى الجيش منهزماً إلى بغداد، ومضى السلطان بطريق دقوق، وأشعل النار وسلب فى تلك النواحي ومضى إلى تكريت، فوصل الجواسيس قائلين أن مظفر الدين كوكبرى قادم بجيش، وحملوا على الطلائع حتى يغلبوا السلطان بحيلة، وحمل السلطان مع عدة فرسان مبارزين، وأسروه فجأة؛ فأصدر السلطان العفو، واعتذر مظفر الدين عما صدر من أعمال، وأبدى الأسف، وبناء على هذا الاعتذار أكرمه السلطان ورده معزراً، ومضى السلطان من تلك النواحي إلى حدود آذربيجان، وفى هذا الوقت كان الأتابك أوزبك بن جهان بهلوان حاكماً على تبريز، فهرب إلى قلعة النجة، وترك زوجته ملكة خاتون بنت السلطان طغرل السلجوقى فى تبريز.

وفى شهور سنة اثنتين وعشرين وستمائة، نزل السلطان فى ظاهر تبريز، واشتغل بالحصار، وتسلمت ملكة السور ذات يوم، وشاهدت السلطان فعشقتة، وأراد أن يجعلها زوجة له، وادعت أن زوجها طلقها، ولما علم القاضى قوام الدين الحدادى أن هذا الكلام كذباً فلم يستمع، فقال عز الدين القزوينى والد القاضى محبى الدين: إذا كان يأذن لى فى أن أتبوأ منصب القضاء أقبل هذه المصاهرة، فجعلوه قاضياً، فزوج ملكة للسلطان، وسلمه المدينة، فدخلها السلطان، وأقام أهل تبريز مراسم التهنئة.

ولما بلغ هذا الخبر الأتابك أوزبك مات فى الحال حزناً وانتهى ملك الأتابكة، واتجه الخدم والحشم إلى السلطان، فمضى السلطان مع ثلاثين ألف رجل إلى بلاد جورجيا انتقاماً منهم؛ لأنهم سبق أن أغاروا على نخجوان ومرند، ووصل فى الصباح إلى وادى كرنى الواقع على حدود بلاد جورجيا، وسيطر عليه سيطرة تامة، وأخذ معه رؤساءهم شلوه، وإيوانى فى السلاسل والأغلال، وكان شلوه قوى الجسم شديداً، ولما جاؤا به إلى السلطان، قال: أين ذهبت صولتك التى كنت قد تحدثت عنها؟ أين صاحب ذى

الفقار؟، حتى يرى السيف اللامع والسنان الذى ينفث النيران؟، فقال شلوه: إن حضرة السلطان، هو الذى صنع هذا، وأمن فى الحال، وصار مسلماً.

ووصل السلطان المظفر إلى دار الملك تبريز، وأكرم وأعز شلوه، وإيوانى حتى يعاوناه فى فتح جورجيا، وأسند إليهما أمر مرند، وسلماس، وأرميه، وأشنيه، وهيا جيشاً عظيماً من الفرسان، والمشاة، وكان شلوه، وإيوانى قد قالوا كلاماً طبعاً لحالتهم المزاجية فى ذلك الوقت، وتقبلاً ذلك، ولما توجهوا إلى جورجيا، كان قد عبأ جيش جورجيا فى الخفاء، ووضعاه فى كمين، فعرف السلطان هذا وقضى عليهما، وقصد ذلك الجيش، وقتل أكثره، واستولى السلطان على مدينة تفليس وتلك الولايات، وخرب بعض الكنائس وأقام مكانها مساجد، وفجأة أسروا بخبر عن أن المغول يصلون بجيش عبر نهر جيحون قاصداً السلطان، فتوجه السلطان إلى العراق، ولما وصل أصفهان أخرج أكثر من مائة ألف من الفرسان والمشاة من أصفهان لدفعهم، وحشد الجيوش وعهد بالميسرة إلى أخيه الخائن غياث الدين، والميمنة إلى أورخان، ووقف بنفسه فى القلب.

ومن تلك الناحية شاغل الجيش باجى نويان، وياقون نويان، وأسان طوغان، ويايماس، وباينال، وتقابلوا معه، وتحاربوا فى بردجين من توابع أصفهان، وهرب غياث الدين غضباً من أخيه مع إيلجى بهلوان، ومضى منهزماً إلى لرستان، ولما التقى الجيشان رفعت يد المغول اليمنى يد السلطان اليسرى، ومضى إلى لرستان، ورفعت يد السلطان اليمنى يد المغول اليسرى، ومضى حتى الرى، وما كان لأحد خبر عن الآخر، والتقت الجيوش، وبقي السلطان فى القلب وانتزع علمه، وأحاطوا به من كل جانب، وقتل الأتابك ركن الدين أبو الفتح علاء الدولة مسد^(١٢) فى هذه الحرب، وحارب السلطان حروباً عنيفة حتى قفز من وسطهم، ومضى صوب لرستان، وأقام فى الوادى، واتصل به المنهزمون، وكان بعض أهل أصفهان من الذين قضى عليهم السلطان، فقدم المبشرون فجأة قائلين : إن السلطان قادم، فاستقبله أهل أصفهان، وأظهروا الفرح، ولما نزل كان أكثر الحشم غاضبين، وأمر بالشباب وعلى رؤوسهم براقع النساء أن يطوفوا فى المدينة، وكانت هذه الواقعة فى رمضان سنة أربع وعشرين وستمائة، ومضى السلطان بعد ذلك نحو تبريز، ومضى إلى جورجيا استعداداً للمغول.

وكان السلطان عز الدين كيكائوس بن كيخسرو بن قليج أرسلان فى الروم، وتوفى فى هذه السنة المذكورة بمرض السل، وأخرجوا أخاه علاء الدين كيقباد الذى كان محبوساً فى القلعة، وتربع على عرش الملك، وكان له ابن طفلاً، وعمه صاحب أرنزن الروم معادياً له، فإن الملك أشرف صاحب الأخلاط قام بالصلح بينهما، وكان بدر الدين لؤلؤ فى ديار بكر، وحاصر قلعة شوش فى هذه الأعوام ؛ لأن صاحب هناك عماد الدين الزنكى بن أرسلان شاه كان قد مضى إلى تبريز عند الأتابك أوزبك، وأقطعه الأتابك أرضاً وجعله ملازماً له، وجملته القول أنه حاصر القلعة هناك مدة، ولم يتيسر فتحها، فترك بدر الدين الجيش، ومضى بنفسه إلى الموصل، ولما ساء حال أهل القلعة سلموها .

وكان فى سنجار قطب الدين محمد بن عماد الزنكى بن قطب الدين موبور بن أقسنقر الحاكم وتوفى، وأصبح ابنه شاهم شاه خليفة له، وفى المدن الأخرى كان أبناء الملك العادل، وفى الشام الملك المعظم من أبناء الملك العادل، وفى مصر الملك الكامل، وفى فارس الأتابك مظفر الدين بن سعد بن زنكى، وفى كرمان الملك شجاع الدين، ولما مضى براق الحاجب إلى الهند كان يمر بهذه الحدود، فطمع الكرمانيون فى العبيد الصينيين الذين كانوا خدماً وحشماً له فهاجموه، ومهما قال لهم : إنى عابر سبيل، ولا مصلحة لى معكم، إلا أنهم لم يستمعوا إليه، وحارب مع أقوامه حرباً ضروساً، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وقتل الملك شجاع الدين، واستولى على المدينة، وحاصر القلعة حتى وصل السلطان جلال الدين، واستولى أيضاً على القلعة، وأصبح الحاكم المطلق.

قصة أوكتاي قآن بن جنكيز خان

كان أوكتاي قآن ملكاً عادلاً عاقلاً كريماً، ومعنى أوكتاي العروج إلى العلا، وبناء على الوصية، وخلو العرش عامين دعا إلى اجتماع فى مكان يسمى كلوران فى هوركانيل الموافق لشهور سنة ستمائة وست وعشرين، وأمسك جغتاي خان بيده

اليمنى، وتولوى خان بيده اليسرى، وعمه أوتجكين الوسط، وأجلسوه على العرش وسموه القآن. وكان له أربع زوجات عظيمات هن: يوراقجين، وتراكنه، وموكا، وجاجين. وسبعة أبناء هم: كيوك خان، وكوتان، وكوجو، وقراجار، وقاشى، وأم هؤلاء الأبناء الخمسة توراكنه خاتون من قوم أوهان مركست^(١٣). وقدان أغول، وملك واسم أمهما أركنة، وكان لقاشى ولد، وهوقايدو بن سكينه خاتون، وكانت عجوزاً عاشت حتى عصر غازان خان، وربوا قايد وفى معسكر جنكيز خان، ولازم منكوخان بعد أوكتاى خان، ووافق وسعى فى إجلال إريق بوكا فى الخانية، ولما مضى إريق بوكا إلى قوبيلاي قآن وأطاعت أمره، ثار قايدو خوفاً منه، وبدأ يصادق أروق جوجى، واستولى على بعض الولايات بمعاونتهم، فأرسل قوبيلاي قآن نوموغان ابنه مع جماعة من الأمراء والقواد بجيش عظيم لصدّه، وفى الطريق فكر أبناء عمومته نوموغان فى الغدر، واعتقلوه وقائد الجيش هنتوم نويان وأرسلوهما إلى منكوتيمور، وهو من سلالة أروق جوجى خان الذى كان ملك هذه الأمة، وهنتاوم إلى قايدو، وفى شهر سنة سبع وعشرين وستمائة، حارب قايدو بالاتفاق مع ابنى براق جيش تيمورقان وانهزموا، وجرح كل منهما فى تلك الحرب، ومات قايدو من هذا الجرح، وأصبح الابن الأكبر أوجالبار ملكاً مكان قايدو، ويقولون: كان لقايدو أربعين ابناً، وقرر نوروز بن أرغون أقآن أولاده أربعة وعشرون.

تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك والأتابكة

وغيرهم الذين عاصروا أوكتاى قآن

فى بغداد كان الناصر لدين الله، وتوفى فى سنة سبع وعشرين وستمائة، وفى العراق وأذربيجان السلطان جلال الدين، وعاد من أصفهان فى أوائل شهر سنة خمس وعشرين وستمائة، ومضى إلى تبريز، وعزم على المضى إلى جورجيا، واتحد

سلاطين الروم وملوك الشام مع جيش جورجيا والأرمن والقبجاق وحاربوا السلطان، وقتل السلطان بعضاً من جيش جورجيا، ومضى إلى الأخلاط وحاصرها، واستولى على المدينة، وبعد ذلك وصل خبر جرماغون نويان أنه عبر جيحون.

وأقام السلطان في الشتاء في سنة ثمان وعشرين وستمئة في أرميه، وأشنويه. وأرسل جرماغون جيشاً عظيماً بقيادة بايماس متعقباً السلطان، وأعاد السلطان قويرخان؛ ليكون حارساً، ويتفحص حال المغول، ولما بلغ تبريز سمع الخبر بعودتهم، ولكنه لم يهتم بذلك، وعاد وبشرهم بعودتهم، فأنهمك السلطان، وجمهور الأمراء بالطرب، وكانوا في فرح مدة يومين، أو ثلاثة حتى وصل إليهم جيش المغول فجأة في منتصف الليل، وكان السلطان نائماً وهو مخمور، فأيقظه أورخان فولى هارباً، ودخل المغول المعسكر، وقتلوا كل من وجدوه، ووقع الخلاف في مآل السلطان، ففي رأى بعضهم أن الأكراد قتلوه طمعاً في خيله وسلاحه، ويقول آخرون: إنه لبس لباس الصوفية وسافر.

وكان علاء الدين قيقباد في الروم، وبدر الدين لؤلؤ في الموصل، والملك مظفر الدين صاحب أردبيل في ديار بكر، وفي الشام ومصر أبناء الملك العادل بن أيوب الملك المعظم والأشرف، والأتابك سعد بن زنكي في فارس الذي توفي سنة خمس وعشرين وستمئة، وكان خواجه غياث الدين الوزير في البيضا أخفى حادثته، وأرسل خاتمه إلى قلعة سييد، وأخرجوا ابنه الأتابك أبوبكر من السجن وأحضره، ودخل في خيمة كبيرة، وقال لقواد الجيش: إن الأتابك يقول بأن ولي العهد هو أبوبكر فאלقى سلفر شاه، والقواد الحزام في عنقه، وأصبح أتابكاً.

وكان براق الحاجب في كرمان، وطلب أم السلطان غياث الدين وقتله هو وأمه، وأرسل رأسه إلى السلطان، وفي خوارزم عين جينتمور، وهو من القراخانيين أميراً لتلك البلاد، وكان ذلك لأنه في وقت الاستيلاء على خوارزم جعله جنكيز خان رئيساً لشرطتها، وفي عهد أوكتاي قان عندما كان يرسل جرماغون لإيران أمر بأن يمضى السادة، وجباة ضرائب الولايات بأنفسهم إلى حريك^(١٤) روند، وأن يعاونوا جرماغون.

فمضى جنتيمور بناء على الأمر من خوارزم بطريق شهرستانه، وقدم من الجوانب الأخرى أمير من كل ناحية، وعين جرماغون من قبل كل أمير قائداً مع جنتيمور، ولما

أهمل جرماغون أمر خراسان، وكان مثيرو الفتنة والأوباش يثيرون القلاقل والفتن على الدوام، كان قراجة، وتغان سنقر أميرين للسلطان جلال الدين، وكانا يغيران على نيسابور، وهذه النواحي، وقتلا رجال الشرطة الذين تركهم جرماغون في هذه الأماكن، فأرسل جرماغون جنتيمور، وكلبار، ليصدا قراجة عن حدود نيسابور، وعاد كلبار بعد هزيمة قراجة.

ولما بلغ القآن خبر اضطراب خراسان، صدر الأمر إلى طائر بهادر؛ ليسوق الجيش من بادغيس ليصعد قراجة، وأن يغمر الماء في منازلهم ومساكنهم، فمضى بناء على الأمر، فسمع في الطريق أن كلبار هزم قراجة، ولجأ إلى قلعة أوك بسجستان، فمضى طائر بهادر لحصارها، وكابد المتاعب عامين حتى استخلصها، وأرسل رسولا من سجستان إلى جنتيمور، قائلاً: إن شئون أمر خراسان بناء على ما جاء في حكم القآن فوضت إلي، فكف يدك عنها، فأجاب أن عصيان أهل خراسان كان كذبا، وكيف نقضى على سكان عدة ولايات بذنب قراجة، وبذلك نرسل رسولا للقآن؛ لإنهاء هذا الوضع، ونتصرف بناء على ما يأتى.

فعاد رسل طائر بهادر وهم غضاب، وأرسل جرماغون رسولا أيضا حتى يعود الأمراء، وأن ينضموا إليه مع الجيش، وأن يتركوا أمر خراسان، ومازندران لطائر بهادر، وكان كلبار من خواص جنتيمور، فكلفه مع أمراء خراسان، ومازندران بأن يدينوا بالعبودية للقآن، وفي أثناء تلك الحال أرسل الملك بهاء الدين الصعلوك على أن يدين بالعبودية للقآن بشرط أن ينزل من القلعة، وعاد جنتيمور من خراسان، وخضع معظم أهل قلاع خراسان لصيت حال الصعلوك، وحينما وصل جنتيمور أعزه إعزازا خاصا، وعين أصفهيد نصره الدين كبور من مازندران، ومضى كل منهما في صحبة كلبار متوجهين إلى حضرة القآن في شهور سنة ثلاثين وستمائة.

ويما أنه لم يكن أحد من أمراء هذه البلاد قد مضى إلى هناك قبل ذلك، سر القآن بقدمهم، وأمر بأن يقيموا الحفلات، ورعى جانبهم جميعا، وخص جنتيمور، وكلبار بأنواع من الهدايا لهذا السبب، وقال في تلك المدة التى مضى فيها جرماغون واستخلص عدة ولايات، وقدم مع قلة العدد، والمدد فرائض العبودية، ولم يرسل أى ملك إلينا، وقد قبلنا منه هذا.

وأُسند إليه إمارة خراسان، ومازندران، ولم يتدخل جرماغون، والقادة الآخرون في هذا المدخل، وجعل كبار في حكم شريكه، ووهب أصفهبد ملكاً من بداية حدود كبود جام حتى إستراباد، وجعل ملك أسفرايين، وجوين، وبيهيق، وجاجرم، وخورندوا رغيان للملك بهاء الدين، وأعطى كل واحد منهم خلعة من ذهب وفرماناً.

ولما توطد الأمر لجنتيمور بأمر القآن، لقب شرف الدين بالوزير، وعين بهاء الدين محمد الجويني صاحب الديوان، فانتظم أمره، وأرسل جنتيمور بازكوركوز برسالة يعلن فيها العبودية للقآن، إلا إن كبار مانع في هذا، وقال: إنه يغورى ويعمل لصالحه الخاص، فلا مصلحة في هذا، ولكن لم يستمع جنتيمور لهذا، ولما وصل هناك، وسأله القآن عن أحوال الولاية فقد قرر ما قرر بناء على ما يرى، فسر القآن من كلامه ورده بناء على طلبه، وتوفى جنتيمور بالقرب من هذا الوقت.

حكاية عدل وكرم أوكتاي قآن

كان القآن متصفاً بمحاسن الأخلاق ومكارم الصفات، وينعم على الناس باختلاف طبقاتهم بالعطاء، وكان يعترض رجال الدولة، وأعيان الحضرة أحياناً على إسرافه، وكان يقول للناس شيئاً معيناً مقدراً، والدنيا لا تفي لأى مخلوق، ومقتضى الحكمة أن يحيى الإنسان نفسه ببقاء حسن سيرته.

قال الحكماء: "إن الذكر الباقي عمر ثان، وتكفيك هذه الذخيرة على أنها من الباقيات الصالحات".

وكان يذكر في حضرته في كل مرة عادات ورسوم الملوك المتقدمين، ويتحدثون عن الكنوز، وكان يقول: لقد سعوا في هذا الأمر، ولم يكن لهم نصيب من الحكمة، فلا فرق بين الكنز والتراب، فكلاهما في عدم المنفعة سواء، سنضع كنوزنا في زوايا القلوب، وكل ما هو موجود ومعد، وهبناه للضعاف والمحتاجين حتى نترك سمعة طيبة ذكراً لنا.

حكاية: قانون وأسلوب المغول هكذا، ألا يجلس أحد في الماء في الربيع والصيف في بلاد المغول، ولا يحملوا الماء في أواني الذهب والفضة، ففي زعمهم أن هذا يوجب

الرعد والبرق والصواعق، ويخافون من ذلك كثيراً، وعاد القآن مع جفتاي ذات يوم من الصيد، فرأيا مسلماً يغتسل في النهر، فأمر جفتاي بأن يقتلوه، فقال القآن: هذا في غير وقته؛ ليحجز في هذه الليلة، ويسأل غداً ثم يعاقب، وسلمه إلى الحاجب دانشمند، وأمر خفية أن يلقوا كيساً من الفضة في الماء في موضع غسله، وقالوا له أن يقول في المحاكمة أنا رجل فقير، وثروتي سقطت في النهر، وغصت لأستخرجها، وتمسك بهذا العذر في اليوم التالي للمحاكمة، ولما مضوا إلى هناك رأوا الكيس في النهر، فقال القآن: لمن القدرة على ذلك؟ من هذا الذي يستطيع أن يتجاوز القانون؟ إن هذا المسكين لفرط عجزه جعل نفسه فداء لهذا المحقر، فعفا عنه وأمر أن يعطوه عشرة أكياس أخرى، وأخذوا عليه تعهداً ألا يجد في نفسه جرأة ليعود لملئها، ولهذا السبب أصبح أحرار العالم عبيداً له، فإن الروح خير من الكنز العظيم.

حكاية: قدم أحد منكرى الدين الإسلامى للقآن، وهويتحدث العربية، وركع قائلاً: رأيت جنكيز خان في المنام، وقال: قل لابنى أن يقتل كثيراً من المسلمين؛ لأنهم قوم غاية في الخبث والشر، ففكر القآن لحظة، وقال: هل حدثك بواسطة مترجم أم بلغته؟ قال: بلغته، فسأله القآن قائلاً: أتعرف اللغة المغولية؟ قال: لا، فقال: إنك تكذب بلا شك؛ لأننى أعلم تماماً أن جنكيز خان لم يعرف غير اللغة المغولية، وأمر بأن يعاقبوه.

عرض أهل طايغو، وهى من مدن الصين، أن عليهم ديناً مقداره ثمانية آلاف كيس من الذهب، وسوف يكون هذا الأمر موجباً لوقوعنا فى الشدة؛ لأن الغرماء يطالبوننا، فإذا صدر الأمر بمساعدتنا، فسنرده بالتدريج ولن ننكره، فأمر القآن بإلزام الغرماء بالتعاون، إلا إن إلزامهم بالتريث يستوجب خسارتهم، والإهمال يسبب الاضطراب للرعية، فمن الأولى أن ندفعه من الخزانة، وأمر منادياً بأن ينادى على الدائنين لإحضار الحجج، وأن يحضر الغرماء، وينالوا المال من الخزانة، ويأخذوا أضعاف ما طلبوا.

أحضر شخص ثلاث شماعات من موضع الصيد، ولا يوجد شيء من الذهب والثياب، فقال لمونكا خاتون: أن تعطى لهذا الشخص الدرتين الثمينتين اللتين كانتا فى أذنيها، قالوا: إن هذا الفقير لا يعرف قدر هاتين الدرتين، فليحضر غداً، وليأخذ من

الخزانة ما يطلب من مال وثياب، فقال: ليس لهذا الدرويش طاقة للانتظار، وسيعيد هاتين الدرتين إلينا، وأعطى للدرويش الدرتين، فعاد مسروراً، وباعهما في السوق، ففي اليوم التالي أحضر مشتري هاتين الدرتين وتحققاً أخرى للقآن، فقال: ألم أقل إنها ستعود إلينا، ولم يبق الدرويش محروماً، فأرجعهما لمونكا خاتون، وأمر بالهدايا.

في الوقت الذي لم تكن فيه شيراز معلنة الولاء، قدم شخص، وركع قائلاً: أنا صاحب عيال، وديني يساوي خمسمائة كيس من الذهب، وقدمت من شيراز على شهرة القآن بالكرم، فأمر بأن يقدم إليه ألف كيس، ولكنها ترد، فقالوا: إن الزيادة على ما يطلبه إسراف، فقال: جاء هذا المسكين على شهرتنا بالجدود من طريق بعيد، وإن ملتزمه لا يفي بقرضه، وإذا لم يزد عن هذا، فإنه يعود يائساً، ولا يمكن أن نعوق ما أمرنا به من قبل، فأعطوه ليعود مسروراً.

كان يمر ذات يوم في سوق قراقوم، فوقع نظره على عناب فاشتهاه، فأمر دانشمند الحاجب أن يشتري كيساً من العناب من هذا الدكان، فمضى وأحضر بعضاً من العناب، وأعطاه ربع الكيس الذي كان أضعاف هذا، ولما أحضره، قال: إن مثل هذا العناب الكيس منه رخيص، فأخرج دانشمند الحاجب باقى الكيس، وقال: ما أعطيته يساوي أكثر من قيمة هذا ألف مرة، فعاتبه القآن، وقال: من له في كل هذا العمر ليشتري مثلاً؟! وأمر بأن يعطيه عشرة أكياس أخرى.

قدم رجل عجوز من بغداد، وجلس على قارعة الطريق، ولما وصل القآن سألته عن حاله قال: رجل هرم وضعيف وفقير وعندي عشر بنات، ولشدة فقرى لا أستطيع أن أزوجهن، فقال له: لماذا لم تطلب من الخليفة؟ قال: كلما طلبت صدقة من الخليفة أعطاني عشرة دنائير ذهبية، وهذا لا يفي بالنفقة، فأمر القآن بإعطائه ألف كيس من الفضة، فقال: كيف أحمل مثل هذا الثقل؟، فأمر القآن أن يعطوه حملاً وكل ما يسهل له الانتقال، فقال العجوز: الطريق بعيد وفيه بدو وأشرار، فكيف أصل بهذا المال إلى بلادى؟، فأمر عشرة رجال من الخرس المغولى بمصاحبته؛ ليوصلوه إلى بلده بذلك

المال فى أمان، فتوفى هذا الرجل فى الطريق، فأخبروا القآن بذلك، فأمرهم بحمل المال إلى بغداد، وأن يسلموه لأهله، وأن يقولوا: إنها صدقة القآن؛ ليزوجوا البنات.

أحضر رجل قلنسوة، وأمر له وهوفى سكره بمائتى كيس من الذهب، وكتبوا منشوراً وامتنعوا عن ختمه خوفاً من أن يكون قد وهب هذا المال وهو سكران، فوقع نظره فى اليوم التالى على هذا الرجل، فعرضوا المنشور (البراءة)، فأمر بأن يجعلوها ثلاثمائة، ولهذا السبب الذى جعلهم يترددون كانوا يضيفون كل يوم مائة حتى بلغ ستمائة، واستدعى فى هذا الوقت القادة والحراس وسأل، هل سيبقى أى شىء فى الدنيا أم لا؟ فقالوا جميعاً: لا، فاتجه إلى يلواج، وقال: هذا الكلام خطأ؛ لأن الاسم الحسن، والذكرى الطيبة لهما البقاء، وقال للحراس: أرى أنكم الأعداء الحقيقيون لى؛ لأنكم لا تريدون أن تبقى لى نكرى طيبة، وظناً منكم أنى أهب ما أهب فى سكرى، فأنتم تعرفون ما أمر به، وتحرمون منه المستحق، وما دام شخص أو شخصان منكم لا يهتمون بالآخرين جزاء أفعالهم، فلن يفيد من ذلك. وجملة القول أنهم أعطوا ذلك الشخص ستمائة كيس.

أحضر جماعة من الهند سنى فيل، فقال: ما هو ملتسمهم ومطلبهم؟ قالوا: ألف كيس ذهب، فأمر أن تعطى لهم، فاستنكر رجال البلاط ذلك، وذكروا: كيف يمكن دفع مثل هذا المال فى شىء حقير كهذا خاصة أنهم قدموا من بلاد العدو؟ فقال: ليس لى عدو، فأعطوهم حتى يمضوا.

كان من عادة القآن أن يشتغل بالصيد ثلاثة أشهر فى الشتاء كل عام، ويجلس على كرسى خارج البلاط فى الأشهر التسعة الباقية بعد أن يفرغ من تناول الطعام، وكان يخرج كل ما فى الخزانة من أمتعة فى البيدر، ويهبها للمغول والمسلمين، وكانت كثيرة ويأمر أشداء الرجال أن يأخذوا أى متاع أراؤوه بقدر ما كانوا يستطيعون، وذات يوم أمر واحداً من تلك الطائفة، فأخذ ربطة من الثياب الخاصة الفاخرة، وسقطت بعضها فى الطريق، فرجع حتى يأخذها، فقال: كيف تتأذى قدم إنسان من أجل ثوب؟! وأشار أن يأخذ مرة أخرى بقدر ما يستطيع.

لوأن حاتمًا كان حيًا، وشاهد كرم جود كفاك، فليس هناك شك أنه يؤمن على يدك، وإذا ما شغلنا بذكر هذه الحكايات، فإن هذا الكتاب لا يحتمل ذلك، ويمكن قول بعضها. وكان قد أسند أوكتاي قآن مملكة الخطا بأكملها إلى صاحب محمود يلواج، كما أعطى من قبل ولاية يغورستان، وختن، وكاشغر، والماليق، وقباليق، وسمرقند، وبخارى، حتى شاطيء جيحون إلى مسعود بيك بن يلواج، كما فوض الأمر من خراسان حتى حدود الروم، وديار بكر إلى الأمير كوركوز، وكانت أموال جميع هذه البلاد تصل إلى الخزانة.

وتوفى القآن في شهور سنة ثمان وثلاثين وستمئة في هوكاويل ليلاً فجأة من كثرة شربه للخمر، وذكر الخواجه علاء الدين صاحب الديوان في تاريخ جهانكشا، أنه توفى في عام النمر الموافق الخامس من جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وستمئة، وكان للقآن طبيب نظم تاريخ وفاته بالرموز، وأرسل هذا التاريخ إلى صديق في بلاد ما وراء النهر على هذا النحو.

في كل عام أضاف فلان خلطاً إلى الخلط وكان يخبر عن الجهلاء ليل نهار وهو في سكره وأمد أمور مزاجه بمدد عظيم فالمشتري مع الشياطين والمدد يمطر الخمر ودفنوه في قروق الكبرى، وكانت مدة ملكه ثلاثة عشر عاماً.

قصة كيوك خان بن القآن بن جنكيز خان

لما توفى أوكتاي قآن، فلم يأت ابنه الأكبر أوكيوك خان من جيش القبجاق، وسرعان ما توفيت مونكا خاتون، وكانت تواركنه خاتون أم الأبناء الكبار استولت على البلاد بالتأمر مع أقاويني، واجتذبت قلوب الأمراء بأنواع التحف والهدايا حتى جعلتهم جميعاً تحت أمرها، واستقر رأي جتيقاي^(١٥)، والوزراء الآخرين، والنواب، وولاة الأطراف على قرار، وبما أنها قد غضبت في عهد القآن من جماعة منهم، وحملت الحقد في قلبها، وصارت في ذلك الوقت الحاكمة المطلقة، فأرادت أن تكافئ كلاً منهم، وكانت لها حاجة تسمى فاطمة نواقد أسروها عند استخلاص خراسان، وكانت من مشهود طوس غاية في الذكاء والكفاية وموضع ثقة وسر الخاتون، وجعلها حكام الأطراف وسيلتهم، وكانت تعزل الأمراء الكبار بمشورتها الذين كانوا يتولون المهام

الكبرى، وكانت تعين طائفة من الجهال فى أماكنهم، وأرادوا أن يأخذوا جغتای الذى كان الوزير العظيم للقآن، فعرفت ذلك وهربت، ومضت عند كوتان، وكانت لفاطمة عداوة قديمة مع يلواج، فعينت شخصاً يسمى عبد الرحمن بدلاً منه، وقال: أرسلى قورجى حتى يعتقل يلواج، ويأتى به مع الخدم، فهرب يلواج بحيلة من قال، واتصل بكوتان، ولما علم الأمير مسعود بك الذى كان حاكم ممالك التركستان، مضى إلى باتو، وكان قد أرسل قرا أغول وخواتينه الجغتائيين رقية خاتون وغيرها، وقربا إيلجى فى صحبة أرغون آقا إلى خراسان عند كوركوز، ولما قتلوا كوركوز، جعلوا أرغون آقا قائماً مقامه، وأرسلوا فى هذه الفتنة كل شخص من هؤلاء إلى جهة، وتوصل كل شخص من الأطراف بالبراءات والحوالات، إلا من جانب سيور قوقيتى بيكى، وأبنائها الذين داوموا على العقوبات، ولم يتجاوزوا الياسا الكبرى، وأرسلت توراكنه خاتون رسلاً إلى أطراف البلاد؛ لإحضار الأمراء والقواد للمؤتمر الكبير.

وفى أثناء تلك الملابس كانت الساحة خالية، ولم يكن كيوك خان قد وصل بعد، فأراد أوتجكين نويان أخو جنكيز خان أن يستولى على العرش بالقوة، فتوجه بجيش عظيم إلى معسكر القآن، ولهذا السبب اضطرب الجيش كله والشعب، فأرسل توراكنه خاتون رسلاً إلى ماكلبنان^(١٦)، قائلاً: نحن أعوانك ونستظهر بك، فما جدوى القنوم بجيش؟ فإن الشعب كله قد اضطرب، فندم أوتجكين من تلك الفكرة، وتمسك بعلة التعزية، وفى هذا الوقت جاء خبر نزول كيوك خان بجيشه على ضفة إيميل، فزادت ندامة أوتجكين وعاد إلى وطنه، وجملة القول إن العرش كان تحت سيطرة توراكنه خاتون مدة ثلاث سنوات بسبب عدم انعقاد المؤتمر، ولم يتحقق اجتماع الأمراء.

جلس كيوك خان فى عام موريين على عرش القآن الموافق ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وستمائة، وتوفيت توراكنه خاتون بعد ثلاثة أشهر، وكانت فاطمة خاتون قد صنعت سحراً لكوتان الذى أخبر أخاه بذلك، ومات فخطاوا منافذها من أعلى ومن أسفل وألقوها فى لباد وألقوها فى النهر، وحل قرا أغول محل جغتای، ولم يعط بيسكومنكو الذى كان شقيقه إذناً بالدخول عليه، فقال كيوك خان: كيف يكون الوارث إذ

لم يوجد ابن؟، وجعل مكان جغتاي ليسومنكو ورعى جانب جيتقاي، فأُسند إليه الوزارة، وعاقبوا عبد الرحمن، وكان قداق الأتابك مسيحياً، فقوى دين النصارى، ولم يستطع أحد من المسلمين أن يتحدث إليهم بصوت عالٍ. وكان لكيوك خان ثلاثة أبناء: خواجه أغول وناقو، وكانت قيمش خاتون أمهما، وكان لناقو ولد يسمى جابات، فى الوقت الذى قدم فيه براق إلى إيران، أرسل قايدو إليه جابات مدداً مع عشرة آلاف رجل، وكانت أمه هوقو قوية، ولها حفيد يسمى توكنه، كما كان يسمى أبوها توكنه، فإن جابات، وابن قايدو الذى كان ملك هؤلاء القوم كانا يتحاربان، وبعد ذلك عين كيوك خان الجيوش وأرسلها إلى أطراف البلاد، وتوجه بنفسه إلى بلاد الغرب، ولما وصل حدود سمرقند، أدركته الوفاة، وكانت مدة ملكه حوالى عام.

تاريخ الخلفاء والسلاطين والأتابكة الذين كانوا معاصرين له

كان فى بغداد الخليفة المستعصم بالله، وفى الروم السلطان ركن الدين، وفى مصر بدر الدين لؤلؤ، والملك الصالح نجم الدين أيوب الكامل، وفى ديار بكر سيد تاج الدين محمد صلاحية، وفى كرمان السلطان ركن الدين، وفى فارس الأتابك مظفر الدين أبوبكر بن سعد بن زنكى.

الطائفة الثانية – جوجى خان بن جنكيز خان وأبناؤه

أُسند جنكيز خان جميع الولايات والشعوب الواقعة فى حدود أرديش وجمال التاي إلى جوجى خان، وأصدر فرماناً أن يستولى على جميع الولايات المستخلصة من صحراء القبجاق، والممالك التى فى تلك النواحي، وتوفى جوجى خان قبل جنكيز خان وكان له أربعة عشر ولداً، الأبناء هم: باتو، وبركه، وبركجار، وشيبان، وتنكقوت، وبووال، وجيلاقون، وشينكقور^(١٧)، وجيباي، ومحمد^(١٨)، وأودور، وتوقاتيمور، وسينكرم، وكان أورده ابن الخاتون الكبرى التى تسمى سورقان، وهى من القنقرات، وكان له نصف

المسيرة من جيوش جورجى خان ونصف ميمنة باتو، وكان له سبعة أبناء هم: سرتاقباي، وقولى، وقورميشى، وقونك، وقىوان، وجورماقاي، وقويوقنو، وأولاد باتو من أوكى قوجين خاتون، وهى بنت إيلجى نويان من القنقرات، وكانوا يسمونه صاين خان، وكان رجلاً عظيماً خلف جوجى خان فى الملك وعاش طويلاً، ولما مات أبناء جنكين خان الأربع، كان لحفيده أقاى جملة أربعة أبناء : سرتاق، وأوقلاجى، وأبوكان، ونوقان. وتوفى باتو فى سنة خمسين وستمئة على شاطئ نهر آتيل، وكان له من العمر ثمانية وأربعين عاماً.

وخلف سرتاق بناء على أمر، وتوفى فى الطريق، وخلفه أولاقجى بعد أمر منكوخان وسرعان ما مات، وبعد ذلك خلف بركه باتو فى سنة اثنتين وخمسين وستمئة، وحارب هولاكوخان سنة ستين وستمئة، وفى سنة خمس وستين وستمئة تحارب مع أباقا خان على حدود شروان ثم عاد، وعبر دريند، ومات بالقرب من نهر الترك، وخلفه مونكاتمور بن توقان بن باتوالذى حارب أباقا خان عدة مرات أيضاً، ثم تصالحا فى النهاية حتى عهد أرغون خان الذى قدم بجيش عظيم فى رمضان سنة سبع وثمانين وستمئة تحت قيادة تماثوقتا ونوقاي، وحاربا أرغون خان، وقتلوا قائد جيشه بولورتاي مع كثير من الجند، وعاد الباقي منهزمين، ولم يقع بينهم قتال منذ ذلك الوقت، وتوفى منكوتيمور فى سنة إحدى وثمانين وستمئة، وكانت مدة ملكه ستة عشر عاماً.

وأصبح تودا منك بعد أخيه ملكاً، وبعد ذلك أبناء منكوتيمور أَلغو وطغرل بك، وأبناء داربر بن نوقان توله بوقا وكونجك، وعزلوا تودا منكو بعله أنه مجنون، وكان لهم الملك بالمشاركة خمسة أعوام، وقيدوا قونوقباي بن منكوتيمور، فهرب منهم، ولجأ إلى بلخنجى بن كوكجو بن بركجار، وأرسل رسالة إلى نوقاي بن ياقار بن قرول يقول فيها: إن أبناء عمومتى يريدون قتلى، وأنت السيد وألجأ إليك، وتمارض نوقاي بناء على من نصحوه ومضى، وكان يستميل كل أمير وصل إليه، وكان يقول: لقد داهمتنى الشيخوخة، وتركت الجدل والفتنة، ولا أفكر فى أن أتحدث مع أحد، ولا أحارب أحداً، ولكن لدى أمر من صاين خان، وهو إذا ضل أحد فى بلده ويتعسه الشعب فعلى أن أجعل أفكارهم

متوافقة، وبناء على هذا دان له الآلاف بالطاعة، ولما وصل إلى الأبناء المذكورين، تمارض وكان يشرب الدم الطازج ويقى من حلقه، وأرسل فى الخفاء رسالة إلى بوقتا يقول له: ينبغى أن تكون مستعداً، وأن تاتى مع الجيش الذى يؤيدك، وسمعت أم قولة بوقتا بأنه عاجز قليل المطامع، وأنه يقى الدم من فمه، فألزم أبناءه بأن يصحبوا هذا الشيخ الضعيف فى أقرب وقت، فقدم الأبناء برسم الطاعة، والعبودية إلى نوقا، فقال لهم ناصحاً: أيها الأبناء لقد خدمت أباعكم ولكنكم لم تسمعوا كلامى الذى لست فيه مغرضاً حتى أجعل تخالفكم تآلفاً، إن صلاحكم فى الصلح، فشكوا مؤتمراً حتى أصلح بينكم، وكان يقى الدم من لحظة إلى أخرى من حنجرته، حتى وصل بوقتاى فجأة مع الجيش، وقتل هؤلاء الأمراء فى الحال، وعبر نوقان فى الحال نهر أتيل، وولى وجهه شطر وطنه.

وأصبح توقتاى ملكاً، وهو ابن الوجاخاتون بنت كلميش أقا أخت منكوخان، ولما تمكن فى الملك، طلب كرات نوقاى مراراً، ولكن لم يجبه، وكان أبو وأم يوقتاى سالجيداي كوركان من قوم القنقرات، وطلبا يد بنت توقاى التى تسمى قياق من أجل ابنه الذى يسمى بايلاق، وهو ابن السيدة المذكورة، فقبل توقاى وزوجه، وبعد مدة من الزمان أسلمت قياق خاتون، وبما أن بايلاق كان أويغورياً، فلم يتفق معها، فقام بينهما نزاع، وكانوا يحتقرون قياق، فأعلم أباه وأمه وإخوته، فغضب توقاى كثيراً، وبذلك وقع نزاع بين توقاى ويوقتاى بسبب سالجيداي، فحشدا الجيوش وتحاربا، وانهزم توقاى، وحملوا قائدأ يسمى أروس إلى بوقتاى، فمات فى الطريق، وعاد بوقتاى منتصراً إلى معسكره، وكان لتوقتاى ثلاثة أبناء هم: توكل يوقا، وإيل يسار، وبيروس وكانت مدة ملكه ثلاثة وعشرين عاماً، وهذا الوقت كان يوافق شهر سنة سبع عشرة وسبعمائة من الهجرة، وأصبح أوزبك بن طغرل بك بن منكوتور ملك هذه الأمة، وكان ملكاً مسلماً عادلاً والله الباقي.

الطائفة الثالثة

جغتای بن جنکیز خان والخواتین والأبناء

كان لجغتای خان زوجتان عظيمتان، ييسولون خاتون بنت قيانويان بن دارتيای ملك أقوام القنقرات، وتركان خاتون أخت ييسولون، وقد طلبها بعدها، وكان له ثمانية أبناء هم: موجی بيه، ومواتوكان، وبيسونة كان، وبلكسى، وبياجو، وبايدار، وقداقى، وساريان، وكان لموجی بيه ولدان هما: تكودار، وأحمد تكودار الذى جاء إلى هنا مع هولاكوخان، وثار فى عهد أباقا خان، وأسره شيرامون نويان فى غابة كرجستان واستبعده، ثم عفا عنه أباقا خان، وبقي وحيداً مدة حتى توفى، وقتل أحمد فى حرب براق، وكان مواتوكان من ييسولون خاتون، وفى الوقت الذى كان فيه جنکيز خان مشغولاً بمحاصرة قلعة باميان، فقد رشقوه بسهم من القلعة وفارق الحياة. وكان له أربعة أبناء: بايجو، وقراهولاكو، وبيسون، وقراپورى. وكان جغتای بن هولاکو قد جلس مكان أبيه، وجعل مواتوكان والياً للعهد، وكانت زوجته أورغنه خاتون، فولدت مبارك شاه.

ولما توفى قراهولاكو، أصبح الغو بن بايدار الذى كان ابن عمه بحكم فرمان إريق بوكا ملك شعب جغتای، وطلب أورغنه خاتون، ومات بعد مدة، وجلس مبارك شاه، وكان والده. وكان لبيسون ثلاثة أبناء: مومن، وپراق، ويسار. وجاء براق بناء على حكم قوييلای قان، ونحى مبارك شاه، وأرسله إلى مكان؛ لأنه أصبح رئيساً للبارسجيين وصار ملكاً، وحتى ذلك الوقت كان دوالحاى والد براق ملك تلك الأمة، وكان لبياجو ولد يسمى قوران، وبنت كذلك تسمى بيسونجين، أعطوها لقتلغ تيمور كوركان بن قراطا بن قوناي بن دالوجى الذى كان من قوم القنقرات، وولدت إيليورمش خاتون أم الأميرين بسطام، وبايزيد ابني السلطان محمد أولجايتوخان (طيب الله ثراه) وهومدفون فى القبة العلية بالسلطانية.

الطائفة الرابعة - تولوى خان بن جنكيز خان وخواتينه وأبنائه

كان تولوى خان قد تلقب بيكة نويان، وبالع نويان، وكان له عشرة أبناء منكوخان، وقوبيلاي قان، وهولاكوخان، وإريق بوكا، وجوريكغ، وقوتور قتبويجك، وموكة، وسيوكتاي، وسيوكي.

كان جنكيز خان يسمى تولوى خان بالخدم، وكانت له الجيوش والأموال والخزائن والأسرى، وكل ما يتعلق بجيش جنكيز خان، كان تابعاً له، وكان منقطع النظر في الشجاعة والرأى والتدبير، وزوجه أبوه في طفولته بنت جاكمبواخوونك خان ملق أقوام الكرايت، واسمها سيور قوقيتي بيكي^(١٩)، وكانت أكبر نسائه وأحبهن إليه، وهى أم أربعة أبناء كانوا بمنزلة أركان النولة الأربعة.

وفتح تولوى خان معظم ممالك الخطأ، ولكن القآن مرض، وبلغ حالة النزاع، وقدم تولوى خان إلى وسادته، وجعل كهنة المغول يقرؤون عزائم سحرية جرياً على عاداتهم، وغسلوه بماء فى حوض من خشب، وأخذ تولوى خان هذه الكأس لفرط حبه لأخيه، وقال متضرعاً: أيها الإله الخالد تعلم إذا ما كان ذنب فقد ارتكبت كثيراً منها، ففى فتوح الولايات سلبنا أرواح خلق، وأسرنا نساءهم وأبنائهم وأبكيانهم، وإذا ما اخترت أوكتاي قان لفضله وحسنه فأنا أحسن وأكثر فضلاً فاعفوعنه، قال هذه الكلمات، وشرب ذلك الماء، فشفى القآن، وطلب الإذن ومضى، وبعد عدة أيام فى شهور سنة ثمان وعشرين وستمئة مرض ومات.

قصة منكوخان بن تولوى خان وخواتينه وأبنائه

كان منكوخان من سيورقوقيتي بيكي، وزوجته الكبرى كانت قورقويتى، وكان له ولدان منها، هما : القووا، ورنك تاش.

حكاية: لما مات كيوك خان، وجد الاضطراب سبيله إلى البلاد مرة أخرى ودبرت

زوجته أوغول قيمشى مصالح الممالك مع أعيان رجال الدولة، وعندما مات طولوى خان قبل ذلك، أمر أوكتاي قان سيورقويتى بيكى أن تفوض له أمور المملكة والجيش، وكانت أعقل النساء، ولما ابتلى باتو بآلم القدم عند موت كيوك خان، أرسل الرسل إلى جميع الولايات، وطلب قدوم جميع الأبناء، ليعقدوا مؤتمراً ينتخبون فيه من يرون فيه الجدارة بالجلوس على العرش، ولكن تمرد أبناء أوكتاي قان، وكيوك خان، وجغتاي، وقالوا: إن الوطن الأصلي ومقر عرش جنكيز خان وكوران، فلا يجب علينا أن نمضى إلى صحراء القبجاق، فقالت سيورقويتى لمنكوخان: عندما تمرد الأبناء على السيد، ولم يمضوا إليه فامض مع إخوتك وزره، فمضى باتو بناء على أمر الأم، ولما وصل إلى هناك، وقاموا بشروط الخدمة اختاره باتو حتى مضى إخوته: أورده، وشيبان، وبركه، ومضى من أمراء الميمنة قراهولاكو من أبناء جغتاي، وعقدوا مؤتمراً مع الأمراء الآخرين، وكان ذلك فى طالع السعد فى قاقائيل الموافق لذى القعدة سنة ثمان وأربعين وستمائة، وأجلسوا منكوخان على حدود قراقورم التى كانت عاصمة جنكيز خان على عرش القان، وأرسل إخوته قوبيلاي إلى الصين الكبرى، وهولاكوخان إلى أرض إيران، وجعل أريق بوكا قائداً للجيش، وعلى الرغم من أن أمه سيورقويتى بيكى كانت مسيحية، إلا إنه كان يسعى فى الإعلاء من شأن نشر دين الإسلام، وبذل العطاء للأئمة والمشايخ لدرجة أنه أعطى ألفاً من الفضة لشيخ المشايخ سيف الدين الباخريزى (رحمة الله عليه): ليبنى خانقاه، وأمر بأن يشتروا القرى ووقفها عليها، وتوفى فى ذى الحجة سنة تسع وأربعين وستمائة.

وتوفى الشيخ سعد الدين محمد بن أبى المفاخر المؤيد بن أبى بكر بن أبى الحسن محمد بن أبى الفتح عمر بن أبى الحسن على بن محمد بن حمويه بن محمد الحموى فى سنة أربعين وستمائة، والشيخ سيف الدين أبوالمعالى سعيد بن المطهر بن سعيد بن على الباخريزى فى سنة ثمان وخمسين وستمائة.

حكاية تفكير الأمراء فى الغدر

لما أصبح الملك لمنكوخان، كان ينتظر قدوم الأمراء الآخرين، ولم يفكر مخلوق قط أن يقبل القانون القديم، التغيير أو التبديل، وبقي جانب الاحتياط مهملاً، فاقترب كل من شيرامون بن كوجو بن أوكتاى قان، وناقوين كيوك خان، وتوقوق بن قراجار بن القآن ومعهم عجلات محملة بالأسلحة، وفى قلوبهم الغدر والمكر، ومن المصادفات الطيبة أن الدولة عبارة عن ذلك، وهى أنه قد ضاع جمل لصاحب الحيوانات كسك الذى يدعى قنقلى من قوم قوشجيان، وكان يجد فى طلبه، فسقط فى وسط هذا الجيش، فرأى عجلات لاتحصى، وصادف فى طريقه طفلاً، وقد جلس أمام عجلة محطمة، فظن الطفل إن فارساً من هذا الجيش قدم يطلب منه العون لإصلاحها، فترجل كسك ليعاونه، فوقع نظره على الأسلحة وآلات الحرب التى عُبئت فى العجلة، فسأل الطفل قائلاً: ما هذا؟ قال: سلاح موجود فى جميع العجلات الأخرى ففطن كسك، وقطع رحلة ثلاثة أيام فى يوم واحد، ودخل القصر فجأة بلا إذن، وقال: لقد شغلتم باللهو والطرب وقدم الأعداء وذكر ما رأى، فأرسل منقوخان مانكسار نوويان مع ثلاثة آلاف فارس، وقدم شى رامون من هذا الجيش، وأغروق مع خمسمائة فارس، ولما وصل إليهم مانكسار، قال: نقلوا عنكم أنكم جنتم بنية سيئة، ووصل هذا إلى سمع القآن المبارك، صنعوا هذا العداء بلا تفكير أو تردد على العتبة، وإلا فالأمر أننا نقبض عليكم، ونمضى بكم إلى هناك، فاعترضوا على هذا الأمر، وقالوا: أتينا بقلب صادق، واتجهنا إلى الحضرة بعدة فرسان معدودة ولما اقتربوا، أخذ معظم خدامهم أسلحتهم واعتقلوهم، وصدر الأمر بأن يقدم بعض القواد والأمراء الهدايا ومضوا، وأقاموا الحفلات عدة أيام، ولم يسألوهم عن شىء، وحينما قدموا إلى الحضرة فى اليوم الرابع صدر الأمر بأن يمضى كل خادم معهم مع الألف والمائة إلى أجاور، وإذا بقى أحد منهم إلى الليل يعاقب، ومضوا جميعاً بناء على الأمر، وبقي الأمراء وحدهم، وعين جيشاً لحمايتهم.

حكاية قدوم منكوخان في معسكر جنكيز خان ونزاع الأمراء

جلس منكوخان في اليوم التالي على كرسى في معسكر جنكيز خان، وتشاجر بنفسه مع شيرامون، والأمراء الآخرين، وسأل عن هذا الحال، فاعترضوا، وكان شيرامون حاضراً مع باباي كردندي^(٢٠)، وسأله، فأنكر، فأمر بأن يسأله بالعصى، فأقر، وقال: إن الأبناء لا علم لهم، ولكننا نحن الأمراء تشاورنا في الأمر، فألقى بنفسه على السيف ومات، وفي اليوم التالي أمر جماعة من الأمراء، وهم " إيلجيتاي نويان، وترمال، وجيكي، وقلجاي، وسرغان، وطوقان، وميسور بأن يجلسوا مع الأمراء منكسار، وغوجي، وتنازعوا عدة أيام، وفي عاقبة الأمر لم يبق شك في عداوتهم وأقروا جميعاً بذنبهم، وأراد منكوخان أن يعفو عنهم ولكن الأمراء لم يروا في ذلك مصلحة، فأمر بأن يسجنوا جميعاً، ونظر مدة في أمرهم^(٢١).

وكان جالساً ذات يوم في بلاطه، فأمر الأمراء وأركان الدولة أن يتحدثوا في حق هؤلاء المجرمين، فقال كل واحد كلاماً، إلا إن ما قالوه لم يصدقه قلبه، ووقف محمود يلوج في آخر المجلس، وقال: لمانا لم يقل أبركان أى شيء؟ قال: إذا كانت في مجلس الملك أذن مصغية فهذا أفضل، لكن لدى خبر إذا صدر الأمر لى قلته، فقال له قل، فقال: في الوقت الذي فتح فيه الإسكندر أكثر بلاد الدنيا، أراد أن يمضى إلى الهند، ولكن لم يطاوعه على ذلك القواد وأعيان المملكة، وغض كل واحد من قيمة هذا فحار الإسكندر، وأرسل رسولاً إلى صاحب مشورته أرسطاطاليس، وعرض عليه الأمر، وسأله كيف ندبر هذا الأمر؟ فدخل أرسطو مع الرسول في حديقة، وأمر بأن يقتلعوا الأشجار الكبيرة، وأن يفرسوا في مواضعها أغصاناً صغيرة، ولم يجب على الرسول، ولما استاء الرسول مضى إلى الإسكندر، وقال: لم يعط جواباً قط، فسأله الإسكندر: ماذا رأى؟ قال: دخل في حديقة واقتلع الأشجار الكبيرة، وغرس مكانها غصوناً ضعيفة، فقال الإسكندر: إنه أجاب، ولكنك لم تفهم، إنه قتل الأمراء الطغاة وعين أبناءهم مكانهم، فأعجب منكوخان كثيراً بهذا الكلام، وعرف أنه يجب الأخذ على يد هؤلاء الجماعة، وكانوا سبعة وسبعين، فعاقبهم جميعاً، وقذف من هؤلاء ولدان إيلجيتان

بحجر فى أفواههم فقتلوهم، وأرسل أباهم لخدمة باتو ليلحقه بالوالدين، ووصل كذلك ييسونبوقا، وزوجته طوقاشى، وبورى، وأرسل بورى فى صحبة الرسل لخدمة باتو؛ ليعاقبهم بعد ثبوت جريمتهم، وتشاجرت طوقاشى خاتون مع قراهورلاكو، فأمر ييسونبوقا بأن يقتلوه ركلاً، ولما مضى قداق نويان عرف شيرامون، وباتو أنه كان أساس الفتنة، فأشاح بوجهه حتى حضر الموكلون، وقالوا: مضى كل الأصدقاء وبورك الآن، وجاءوا به إلى الحضرة، وضربوا عنقه.

وجملة القول أنه ظهر النزاع بين المغول فى ذلك الوقت، ولما أمن شر هؤلاء الأشرار، استوجب حسن خلقه أن يرعى جانب الأقارب والعشائر، فأمر شيرامون، وناقو، وجغان نويان بأن يمضوا مع قوبيلاي إلى الصين، ورعى جانب الأمراء، والقواد بالعطايا، ومضوا إلى بلادهم، وانطلق منكوخان فى لوثيل الموافق المحرم من سنة أربع وخمسين وستمئة مع ستمائة ألف رجل إلى الصين، واستولى على كثير من المدن والقلع فى هذه النواحي، ومرض فى هذا الجيش، وتوفى فى موغاييل الموافق المحرم من سنة خمس وخمسين وستمئة عند قلعة كبيرة تسمى دولى شانك، وترك أسوناي أغول قداق نويان رئيساً للجيش، وحمل نعش أبيه، وجاء به إلى الجيوش، ودفنوه فى مكان يسمى بولقان قالدون^(٢٢) الذى يسمونه قروق إلى جانب جنكيز خان، وكانت مدة ملكه ستة أعوام وشهرين.

تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك والأتابكة

الذين عاصروا منكوخان

كان المستعصم بالله فى بغداد، وكان السلطان عز الدين كيكائوس فى بلاد الروم، والأمير أرغون قا فى خراسان، وبدر الدين لؤلؤ فى الموصل، وكان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل سلطاناً فى مصر، ولما توفى خلفه ابنه الملك المعظم توران شاه سنة ثمان وأربعين وستمئة، واستولى أيك التركمانى على مصر فى سنة اثنتين

وخمسين وستمائة، وقتل الأمير أقطاي جامعة دار، وكان السلطان قطب الدين فى كرمان، وكان الأتابك مظفر الدين أبوبكر سعد بن زنكى فى فارس.

قصة قوبيلاي قان بن تولوى خان بن جنكيز خان وخواتينه وأبنائه

كان لقوبيلاي قان أحد عشر ولداً: دورجى، وجيمكيم، ومينفكان، وينبوغان، وهؤلاء الأبناء الأربعة من جابون خاتون بنت إيلجى نويان من القنغرات، والخامس قوريداي من قوروقجين خاتون بنت قود، وكان شقيق الملك مركيت بوقيابيكي، والسادس هوكاجو، وإياجى، وأغروقى، وكوكجو، وفوقوقيتمور، ونوقان، وهؤلاء الأبناء الستة كانوا من زوجة أخرى.

ولما توفى منكوخان، غير إريق بوكا قلبه، وأجلسه جماعة من الأمراء، والقادة الذين كانوا متفقين معه على عرش السلطنة فى موضع بايلاق والتاي، ولما سمع الأمراء والقادة الذين كانوا فى خدمة قوبيلاي هذا الخبر، اتفقوا جميعاً فى عام بيحين أيل الموافق سنة ثمان وخمسين وستمائة فى وسط الصيف فى مدينة مينككو على أن يجلسوا قوبيلاي قان على العرش، وكان يبلغ من العمر فى ذلك الوقت السادسة والأربعين، ووقع بينهم نزاع، وفى هذا الصيف أرسل كل منهم إلى الآخر كثيراً من الرسل، ولم يتم الاتفاق، وأشاعوا بعد ذلك أن هولالكوخان أعطى جومغر، ووقراجار بن أورده جيشاً مع عدة أمراء آخرين، وأرسلهم للحرب، وكان منقلاى، وييسونكة، وتارين فى جيش القان، وتحاربوا فى أرض صخرية، وانهزم جيش إريق بوكا، وهرب جومغر وقرارجار مع عدة، ووقع الرعب لأريق بوكا وجيشه وانهزم وتشنت ودخلوا بلاد قرقيو، وكان طعام وشراب هذه البلاد من الصين، فمنع قوبيلاي قان الطعام والشراب عنهم، فوقع القحط فيهم، فقلق إريق بوكا، ورأى أن المصلحة أن يلزم ألغو بن بايدار بن

جفتاي، لأنه يعلم كل طريقة وأسلوب، وليمضى إلى عرش جده، ويخبر الأمة أن يرسلوا لنا الزاد، فرعاه وأرسله.

حكاية: لما بلغ ألو بلاد التركستان، التف حوله مائة وخمسون ألف فارس، وكانت أورغنه خاتون حاكمة لبلاد الصين، فتوجه إلى الحضرة، وأرسل ألو بيكي أغول مع خمسة آلاف فارس، وأوجار وسليمان بيك بن حبش عميل السلاجبة، ومن يسمى أبشقا إلى سمرقند وبخارى وبلاد ما وراء النهر، ودافعوا عنه حتى حدود هذه البلاد، ونفذوا أحكامه، ولما وصلوا إلى تلك الحدود قتلوا جميع أفراد أسرة، وخدام بوكاي لدرجة أن استشهد الشيخ جلال الدين بن شيخ الإسلام سيف الدين البخارزي لذلك السبب، وحملوا أموال هؤلاء القوم، وأرسلوا بعضاً من النفائس إلى سكبي أغول، ومضى أوجار إلى خوارزم، وفي ذلك الوقت وصل رسل إريق بوكا، ورئيسهم بوريبا بتكجي، وسادي بن بشموت إيرمالون، ونفذوا الأوامر، وأخرجوا الأموال والأسلح والخيول، وتحصل لديهم أموال كثيرة في مدة قصيرة، فطمع ألو في هذا المال، فانتحل الأعذار وأوقفهم، حتى نقلوا ذات يوم إلى ألو أنهم قالوا: إننا نلنا هذه الأموال بحكم فرمان إريق بوكا، فأى مصلحة في هذا لألو، فقال وهو غاضب اقبضوا عليهم، واستولوا على هذه الأموال، فقال أمراؤه: بما أنك أقدمت على هذا الأمر، فلا شك أن إريق بوكا أفلت من يدنا، والمصلحة بما أننا تمردنا عليه؛ فليهاجر القان، واتفقوا جميعاً على هذا، وقتل هؤلاء الرسل.

ولما سمع إريق بوكا هذا الأمر، اضطرب كثيراً ومضى إلى ألو، وهزم الغومنقلاي، كما هزم راستونياي الذي كان من قبيلة إريق بوكا، وفي سنة اثنتين وستين وستمائة، أصيب جومغر بمرض بسيط، وأستأذنه في أن يفارقه، وقتل إريق بوكا، أولوس القان بلا ذنب، فغضب منه القواد، ولما عرف ألو ضعف حال إريق بوكا مضى إليه، فأعاد إريق بوكا أورغنه خاتون في صحبة مسعود بيك، وأرسلها إلى ألو، فتزوجها ومجاملة لها رعى جانب مسعود بيك، وجعله صاحب ديوان ممالكه، وأرسله إلى سمرقند وبخارى، وتوفى ألو بعد عام، واتفقت أورغنه خاتون مع الأمراء والوزراء

على إجلال ابنه مبارك شاه مكانه، وفي النهاية حينما انفض القواد والجيش عن إريق بوكا، دان لشدة عجزه إلى القآن في قوليه ييل الموافق سنة اثنتين وستين وستمائة.

ولما وصل الجيش، صدر الأمر أن يحضروه إلى القآن، واعترف بالجرائم التي كانت سبباً في إغراء أرباب الأغراض، وبمقتضى عدالته التي فطر عليها، وخشية أن يصيب أخاه ضرر عفا عنه، وبعد يارغو ضربوا أعناق عشرة قواد من قادة إريق بوكا، وبعد ذلك توفي إريق بوكا في عام النمر الموافق سنة اثنتين وستين وستمائة، وبنى قوبيلاي إلى جانب مدينة خان باليق التي يسمونها ختاي جونك مدينة تسمى دايد، محيطها سبعة فراسخ، وكانت عامرة إلى أبعد مدى في هذا الوقت، وبعد أن حكم قوبيلاي قآن خمسة وثلاثين عاماً، توفي عندما بلغ الثالثة والثمانين في عام مورينيل الموافق شهر سنة ثلاث وستين وستمائة.

تاريخ السلاطين والملوك والأتابكة وغيرهم الذين كانوا معاصرين له في أطراف البلاد

كان السلطان عز الدين كيكافوس بن السلطان عز الدين كيخسرو الذي هزمه بايجونويان في كوشه داع، وحكم مع أخيه ركن الدين، ولما كان معين الدين بروانه مدبر مملكة ركن الدين، ووقع الخلاف بينهما، عاد السلطان عز الدين إلى أخيه، ومضى إلى حاكم إسطنبول، ولما وصل جيش موكاى إسطنبول، مضوا به إلى بركاى، وأسند إليه حكم مدينة قوم، وتوفي هناك، واستشهد أخوه ركن الدين في سنة أربع وستين وستمائة على يد الكفار، وأصبح ابنه غياث الدين كيخسرو قليج أرسلان سلطاناً، وقتلوه شهيداً في آذربيجان.

وآلت السلطنة بعد ذلك إلى غياث الدين مسعود بن كيكافوس، وكان بدر الدين لؤلؤ في ديار بكر والموصل، وغلب التركمانى على الشام ومصر، ووقعت بينه وبين صاحب حلب ودمشق حرب، وتصالحا في النهاية، وخرج قدوز على التركمانى وقتله، واستولى على مصر والشام، وبعد أن استولى هولاكوخان على حلب ودمشق وعاد، حارب قدوز

كتبوقانويان بالاتفاق مع أمراء مصر والشام وخانات خوارزم، وهم بقية جيش السلطان جلال الدين، وكان الملكان : ناصر الدين، وصلاح الدين يوسف من أمراء الشام قد قدما ودانا بالولاء لهولاكو خان فضرب عنقهما في صحراء موش^(٢٤).

وفى كرمان كان السلطان قطب الدين، ولما مات، كان له ولدان: مظفر الدين حجاج، وجلال الدين سيور غتمش، وكان اسم السلطنة للسلطان حجاج، وكانت ترکان خاتون تقوم بالحكم المطلق، وزوجوا ابنة الملكة ترکان لأباقا خان، وتوجه السلطان حجاج إلى الهند عند السلطان شمس الدين دهلي، وبقي هناك مدة خمسة عشر عاماً ثم مات في النهاية. وكانت ترکان قد جاءت في عهد السلطان أحمد إلى المعسكر، وماتت عند حدود تبريز، وحملوها إلى كرمان، وبقيت السلطنة لجلال الدين سيور غتمش، وفي عهد كيخاتو توجهت الملكة خاتون التي كانت زوجته إلى كرمان، وأسرت أخاه سيور غتمش، وحبسته في القلعة، فهرب من القلعة، ودخل في طاعة كيخاتو، فأرسله كيخاتو ثانية إلى الملكة خاتون فقتله، وعندما ثار بايدو، وكانت شاه عالم ابنة سيور غاتمش زوجة له، فأرسل رسولاً، وأسرت كوردوجين خاتون ابنة منكوتيمور التي كانت زوجة سيور غاتمش الملكة خاتون، وأحضروها إلى المعسكر، وقتلوا في حدود شیراز بحكم القصاص.

وكان في فارس الأتابك مظفر الدين أبوبكر بن سعد، وتوفى، وهو في السبعين من عمره في سنة سبع وخمسين وستمائة، وكان ابنه الأتابك سعد في المعسكر، وعاد مريضاً، وسمع في الطريق خبر وفاة أبيه، وتوفى هو أيضاً بعده باثني عشر يوماً.

بعد ذلك أجلسوا ابنه الأتابك الذي كان في الثانية عشرة من عمره على العرش، وسموه السلطان عضد الدين، وأمّه ترکان خاتون بنت الأتابك قطب الدين محمود شاه كانت تدير شئون المملكة، ومات هذا الولد بعد مدة قصيرة، وأصبحت أمّه الحاكمة، وتزوج ابن أخيه الأتابك مظفر الدين أبوبكر محمد شاه بن سلغر شاه ابنته سلغم^(٢٥) فأصبح ملكاً، وكان أخوه سلجوق شاه حبيباً في قلعة اصطخر، فكتب إلى أخيه على سبيل الحكمة والموعظة.

لقد طال ألمي وغمّي وسجني ومتعتك وهناءتك بلغت المدى
لا تعتمد عليهما فإن الفلك الدوار له خلف الستار ألف حيلة

وجملة القول أن النزاع بدأ بين محمد شاه وحماته، وقتلوه فى النهاية، وكانت مدة حكمه أربعة أشهر، وأصبح الملك للأتابك سلجوق شاه، وتزوج ترکان، وأمر ذات ليلة بأن يقتلوا ترکان، وحبس ابنتيها فى قلعة سبيد، فعرضوا هذا الحال على الملك، فأرسل الأمير التجو بجيش بالاتفاق مع ركن الدين علاء الدولة أخى ترکان خاتون؛ ليحضروا سلجوق شاه، ولما وصل الجيش برقوه، قدم ستة آلاف شيرازى، فحمل عليهم أتابك علاء الدولة بخمسمائة فارس، ودفعهم حتى باب شيراز، فلجأ سلجوق شاه إلى كازون، ومضى الجيش إلى هناك، وحاربوا واستولوا على المدينة وقتلوا وسلبوا، وأسروا سلجوق شاه وقتلوه تحت قلعة سبيد فى سنة إحدى وستين وستمائة، وأرسلوا ابنه إلى شيراز.

وأصيب هناك الأتابك علاء الدولة، وتوفى بعد عدة أيام، وأخرجوا البنيتين من القلعة، وأحضروا إلى الحضرة جدتهما ياقوت ترکان، وهى ابنة قتلغ السلطان بن براق حاجب كرمان، وأرسلوهما إماء إلى الحضرة، وزوجوا أبش خاتون لمنكوتمور، وصارت أتابكية شيراز باسم أبش خاتون، وزوجوا الأخت الأخرى بيبى سلغر إلى الأتابك يوسف شاه وكانت ابنة خالته، وقتل السيد عماد الدين فى سنة ستمائة وثلاث وثمانين، وتوفيت أبش خاتون فى عهد أرغون فى سنة ستمائة وخمس وثمانين، وحملوها إلى شيراز، ودفنوها فى المدرسة العضدية التى أقامتها أمها، وورث الأمير كوردوجين^(٢٦)، وكانت مدتها اثنين وعشرين عاماً، وعلى الرغم من أن ملك شيراز كان للتجار، فقد كانوا يعزفون النوبة فى قصور الأتابكة. والله أعلم بالصواب.

قصة تيمور قان بن جينكيم بن قوبيلاي قان

أصبح الملك لتيمور قان بناء على الوصية بعد قوبيلاي قان فى شهور سنة ستمائة وأربع وتسعين، وكانوا يسمونه كذلك أولجايتو، وهو ابن الخاتون الكبرى جينكيم كولجين خاتون التى تولت شئون الدولة لمدة عام بعد القان، وبعد جلوس تيمور

القآن بأربعة أعوام هجم دوين براق بجيش على الأمراء والقادة الذين كانوا على حدود المملكة، وتحارب لوكوزداداء مع تيمور قان، واعتقله وقتله لأنه أهمل الآخرين، وكانوا يسمون الخاتون الكبرى لتيمور قان بنولون قآن؛ وله منها ولد اسمه تايىسى طايشى، وأصبح خيشنك بن ترمه من بعده قآن، لأن تيمور قان كان بلا أخ، وبعده أصبح تاجويرمه قآن، وكان ذلك الوقت فى شهور سنة سبع عشرة وسبعمائة من الهجرة، وكانوا يسمونه بايانتوقان، ولقد نظمت فى مدحه قصيدة، أرسلها الأمير يوسف وعبد الله إلى حضرته مع الرسل الذين كانوا قد قدموا من عند حضرة القآن؛ لخدمة ملك الإسلام السلطان محمد أولجايتو خان (نور الله مضجعه)، وها هى القصيدة.

فى مدح ملك الصين بايانتوقان بن كملا بن جينكيم بن قوبيلاي قان

بن تولوى خان بن جنكيز خان (خلد الله ملكه)

قصة هولاكوخان بن تولوى خان بن جنكيز خان وخواتينه وأبنائه

فليكن لعرض الملك بايانتوقان الحظ السعيد	وليبق خالداً بايانتوقان مانح التيجان
وصل منه عرش جنكيز خان إلى كزاوكاناكيرك خان	وأصبحت الدنيا فى أمان منذ أن أخذه بايانتوقان
ونفى سيجن خان وخشينك من تيمور	وكتب على رأس بايانتوقان أنه الملك السعيد
إنه ملك ملوك الزمان فى الدنيا بعون الحق	فإن بايانتوقان أحيا رسوم الملك أنوشىروان
سيد أولاد جنكيز خان وأصل نيرون	وزبدة الآن فرادويون وبيان بايانتوقان
إنه ملك الأقاليم السبعة ابن كملان	ابن جينكيم بن قوبيلاي قان بايانتوقان
لفرط عظمته يضع فى كل وقت	الأرض قائم عرشه على السماء بايانتوقان

وجد الطمانينة التامة واستانس
 وثمانية دليل ماطع على دوام تلك الدولة
 ومن كثرة ما يهب لأهل الملك والشعب من ذهب وفضة
 ما أعظم الفرق بينه وبين الملوك !
 إنه في صورته ملك ولكن قللك روحه كل العالم
 وليكن بايانترقان إلى يوم القيامة فليسعد وليامن
 ليكن بايانترقان سعيداً على عرش الملك وفي يده كأس جمشيد
 وليكن بدر عدوه في خسوف على الدوام
 ولوان فخر بناكت بعيد عن حضرته
 وليحقق مراده على عرش البلاد
 وجعل عنان جواد القلك تحت فخده بايانترقان
 العطاء والإحسان وعدل بايانترقان الموفق
 فإن بايانترقان مجرد من ممتلكاته وأخلى البحر والمعدن
 ويبلغ بمفرق رأسه الفرقدين بايانترقان
 ومن الحق إن بايانترقان صورة المعنى في العالم
 بعرضه العظيم وحظه السعيد في الدنيا
 وليكن له الحكم مثل سليمان على الأنس والجان
 وليكن بايانترقان كالشمس على سرير السلطنة
 فإن القش جى موصل عنا عند بايانترقان
 وليكن جيشه في راحة وأمان

قصة هولاكوخان بن تولوى خان بن جنكيز خان وخواتينه وأبنائه

كان لهولاكوخان كثير من النساء والأبناء، واسم زوجته الكبرى دوقوز خاتون من قوم كرايت ابنة إيقوبن أوتك خان، توفيت بعد هولاكوخان بأربعة أشهر وأحد عشر يوماً، وسلم أباها خان جيشه لابنة أخيه توقيتى خاتون، وتوفيت فى عام لوييل الموافق الخميس آخر صفر من سنة ستمائة وإحدى وتسعين، وسلموا هذا الجيش إلى كوكاجى خاتون؛ لأنهم جاؤا بها من عند القآن، وتوفيت فى شعبان سنة خمس وتسعين وستمائة، وبعد ذلك أعطى غازان هذا الجيش إلى كرامون خاتون بنت قتلغ تمور بن أتاباى نويان، وتوفى فى يوم الثلاثاء الثانى عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعمائة، وكانت تملك هذا الجيش فى هذا الوقت؛ أى فى شهر سنة سبع وسبعمائة قتلغ شاه خاتون ابنة أمير إيرانجين زوجة ملك الإسلام السلطان محمد أولجايتوخان،

وأخرى كويك خان من الأويرات بنت بورالجي كوركان التى ولدت من أخت جنكيز خان جيجال، كما أن أولجاي خاتون ابنته كذلك لكن من أم أخرى، وأخرى قوتوى خاتون من القنقرات، ولما توفيت كويك خاتون فى بلاد المغول تزوجها، ووهبها جيشه، وأخرى أولجاي خاتون من الأويرات، وأخرى ييسونجين خاتون من سلدوس، وكان لهولاكوخان أربعة عشر ولداً.

الأبناء : أباقا خان ولد من ييسونجين خاتون فى بلاد المغول، وجومغر بن كويك خاتون، وكان له ولدان هما جوشكاب وكينشو، وابنتان هما : أرغوداق من يولون خاتون وزوجوهما إلى سادى كوركان بن سونجاق، وله منها ولد يسمى حبش وبنتان أحدهما : كونجشكاب خاتون السلطان محمد، والآخرى طوغراجاق، التى كانت خاتون السلطان أحمد، وكان يشموت من قوم بوقاجين ويسمى إيكاجى، وله ثلاثة أبناء : قرانوقاي، وزينوسوكاي، وزنبوميش الذى توفى بعد توقيتي خاتون بشهر واحد، وبعد ذلك قتلوا سوكاى بسبب سخطهم عليه، وتكشين من قوتوى خاتون، وكان له ولد يسمى توبوت، وطرقاي من قوماى ويسمى بورقجين^(٢٧)، وله ولد يسمى بايدو، وأصبح ملكاً بعد لنجاتو، وقتله غازان خان، ولقوبشين ولد من أم شموت يسمى سانى، وتكودار من قوتوى خاتون، وأصبح ملكاً بعد أباقا خان وسمى السلطان أحمد واجاي من قوماى ويسمى إريقاق إيكاجى، وكان له ولد يسمى ايلدو، قتل فى عهد غازان خان، وقنقورتاي من قوماى، ويسمى خواجه إيكاجى، وله أربعة أبناء : إيساتيمور وايلداى وجونكتمور وطاشتومور، وقتلوا فى عهد غازان خان، وييسودار من قوماى ويسمى ييشجين^(٢٨) ومنكوتمور من أولجاي خاتون، وله ثلاثة أبناء أكبرهم أنبارجى، وكان له ولدان إيساتيمور من كوجوكى خاتون بنت قورغاجى، والآخر قونجى من قوماى ويسمى أبالون من بنت نوجكون أنجكه، والابن الثانى طايجور، وقتل فى عهد غازان خان، وكان له ولد يسمى بولاد من أبالون المذكورة، وأعدم بولاد هذا بعد إعدام إيساتيمور وقونجى فى كوه بناء على حكم السلطان محمد بعد عام فى تبريز فى جمادى الأولى سنة سبعمائة وإحدى عشرة وسبعمائة، وتوفى الابن الثالث كراى فى عهد كيخاتو.

وكان هولاجومن قومای ويسمى إيل أنكاجى وهومن قنقرات، وأعدم مع قرابوقای فى عهد غازان فى كرده كوه، وكان له أربعة أبناء : سليمان وقتل بعد أبيه، وتوفى كوجك وخواجه وقتلغ بوقا، وكان شيباوجى من أم هولاجو، ومات قبل أباقا خان، وطوغای تمور من قومای، وله ولدان : قورمشى وحاجى وتوفيا، والبنات تولوقان من لوبك خاتون، وزوجوها لجومة كوركان بن جوجى من قوم التتار الذى كان أبا توكدان خاتون أم كيخاتو، وكان جوجى قد قدم إلى هنا مع هولاكوخان، وتزوج بنت أوتجى نويان ابن جنكيز خان، ومن تسمى جييجكان أم جومة كوركان، وحمى من الجای خاتون، وتزوجت جومة كوركان بعد تولوقان، ومنكلوكان من الجای خاتون، وزوجوها إلى جابوكوركان بن توقاتيمور، وهو من أويرات، وأخوالجای خاتون، وزوجوا كاج إلى تنكيز كوركان من أويرات، وبعده تزوجها ابنه سولاميش، وبعده جييج كوركان، وتوفى فى رجب سنة سبع عشرة وسبعمائة، وكانت طرقای من إيقاق إيكاجى، وزوجوها الموسى كوركان من القنوقرات بنت أخى جنكيز خان أخى مرتى خاتون، وقيلوقان من منكلياج إيكاجى وتزوجت يسوبوقا كوركان بن درعتونويان من قوم نورمان، وبعده تزوجها ابنه توكال، وبابا من الجای خاتون، وزوجوها إلى لكزى كوركان بن أرغون إقار.

خبر توجه هولاكوخان إلى إيران، وبداية تربيته على عرش الخانية

عندما أرسل القائد بايجونويان من قوم بيسوت بجيش إلى إيران، وشكا من الملاحدة وخليفة بغداد، أرسل منكوخان أخاه هولاكوخان بجيش عظيم من حدود توران إلى بلاد إيران، وقال:

امضي من توران منطلقاً إلى إيران وارفع إلى الشمس اسمك المشرق

والزم عادات وحدود جنكيز خان، وأحسن إلى كل من نفذ أوامرك ونواهيك وانقاد لك من حدود جيحون حتى أقصى البلاد في مصر، وكل من عصاك فاخذله واقهره، وابدأ من قهستان وخراسان وخرم القلاع.

اقتلع كرده كوه وقلاعها جميعاً واجعل رأسها أسفل وجسدها أعلى

لا تسراخ قط حتى لا يكون في الدنيا قلعة ولا أن يكون فيها كومة من تراب

واتجه من هنا إلى العراق، والزم الطريق الصحيح مع اللور والأكراد الذين ينحرفون دائماً، وإذا بادر خليفة بغداد بالخدمة، فلا تتعرض له بأية حال، وإذا تكبر وأجرى على لسانه ما ليس في قلبه ألحقه كذلك بالخدم، وأرسله بعد أن توصيه وتنصحه.

حكاية: في خريف عام النمر الموافق لذي الحجة سنة إحدى وخمسين وستمائة، اتجه إلى تلك الديار بجيش جرار بناء على ذلك الأمر، ونزل على باب سمرقند في شعبان سنة ثلاث وخمسين وستمائة، ورفع خيمة مزرکشة في مرعى كان كل وسعود بك، وأقام هناك ما يقرب من أربعين يوماً في لهو، وأنس، وتوفي الأمير سوناي في هذه الأيام، واستعد الملك شمس الدين كرت في تلك الرحلة نفسها قبل سائر ملوك إيران لشرف استقباله، وأصبح موضع رعاية خاصة، وبعده قدم إليه ملوك وسلاطين الروم وفارس والعراق وإيران وأذربيجان.

وعبر نهر جيحون في غرة ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وستمائة، وكان كتبوقا نويان في مقدمة جيشه، وهوفي طريقه إلى بلاد الملاحدة بعد أن عبر النهر في المحرم

سنة إحدى وخمسين وستمائة، وأغار على تلك البلاد، ووصل هولاكوخان في العاشر من شعبان سنة ثلاث وخمسين وستمائة إلى خرقان وبسطام، وأرسل شحن هرات موكتاي مع بيكميز برسالة إلى ركن الدين خور شاه وأعداً متوعداً، وكان عنده في ذلك الوقت الخواجه نصير الدين الطوسي، وأصيل الدين الزوزني، ومؤيد الدين، وجماعة من الفضلاء، فرغبوه في الإذعان والطاعة، إلا إنه أهمل، ونزل خور شاه في رفقة خواجه نصير الدين الطوسي، وأصيل الدين الزوزني، ومؤيد الدين الوزير من القلعة بعد تخريب القلاع في يوم الأحد الموافق غرة ذي الحجة سنة أربع وخمسين وستمائة ووصلوا إلى حضرة هولاكوخان، وسلمه جميع القلاع والذخائر، وقال خواجه نصير الدين الطوسي في ذلك الصدد:

لما أصبح عام العرب ستمائة وأربعة وخمسين في فجر يوم الأحد الأول من ذي القعدة
نهض خور شاه ملك الإسماعيلية عن عرشه ووقف أمام عرش هولاكو

ولما رأى هولاكوخان، خور شاه، عرف أنه طفل لا تجربة له، فلاطفه ووعده وعوداً حسنة، وأعطوا الخور شاه منشوراً وخلعة، وزوجه فتاة مغولية في يوم الخميس العاشر من شهر المحرم سنة خمس وخمسين وستمائة، وبعد ذلك أرسلوه إلى حضرة القآن، وفي قصته روايات مختلفة، وما لا شك فيه حينما بلغ الخبر منكوخان، قال: لم يحضره، وأرسل رسولاً؛ ليقتلوه في الطريق، وبعد ذلك غادر هولاكوخان ضواحي قزوين في ربيع الأول سنة خمس وخمسين وستمائة، وتوجه إلى همدان، ووصل بايجونويان من حدود أذربيجان، فردّه وأرسله إلى الروم.

حكاية توجه هولاكوخان إلى ناحية بغداد

أرسل رسولاً إلى الخليفة من همدان بالوعد والوعيد في رمضان سنة خمس وخمسين وستمائة، فحواها: لقد أرسلنا إليكم الرسل أثناء فتح قلاع الملاحدة، وطلبنا منك مدداً من المقاتلين ذوي الجرأة، وقلت في الرد علينا: أنا طوع أمرك، ولم ترسل

جيشاً. ونصحتك كثيراً قبل ذلك، والآن أقول: كف عن الحقد علينا، ومخاصمتنا،
وانهض وأقدم، وإذا كنت لا تريد أن تأتي، فعليك أن ترسل الوزير سليمان شاه،
والدواتدار حتى يقدم إليك رسالتنا بلا زيادة ولا نقصان، وإلا فعين ساحة الوغى،
ولتعلم أنى قادم إلى بغداد، ولو اختلفت في السماء، أو في الأرض.

سأتى بك من الفلك الدوار وسأرفعك من أسفل إلى أعلى مثل الأسد
ولن أبقى على شخص حياً من دولتك وسألقى في النار منك ولؤذك من داخلها وحتى سواحلها

ولما وصل الرسل إلى بغداد وسلموا الرسالة، أرسل الخليفة ابن الجوزى، وبدر
الدين محمد درنكى النخجوانى فى صحبة الرسل، وقال: أيها الفتى اليافع، ما تدلك
بمساعدة الحظ والإقبال لك لعشرة أيام.

كيف ترسل بالراى والجيش والحيلة وكيف تستطيع أن تأتي بالنجم إلى القيد

لا شك أن الأمير لا يعلم أن من المشرق إلى المغرب، والملك والشحاذ يعبدون الله
جميعاً، ومن أهل التقوى جميعاً عبيد هذه العتبة، وعندما أأمر فإن المتفرقين يجتمعون،
وأنتهى عمل إيران، وأولى وجهى منها إلى بلاد توران، وألزم كل واحد مكانه، فاستمع
لنصحي وعد، وإن كنت تعزم على الحرب.

لا تاتخر ولا تجر ولا تتوقف وإن كنت ترى الحرب قابق لحظة

ولما وصل الرسل وعرضوا الرسالة، تعجب هولاكوخان من هذا الكلام، ورد
الرسل، وقال:

امض إلى المدينة واصنع لها سوراً من الحديد وارفع من الفولاذ برج برج البدن
واجمع الجيش من الشياطين والجن وبعد ذلك أقدم على وانتقم منى
فلرأى أنزلتك من الفلك فأطرحك فى فم الأسد وأنت بائس

وأمر بقدوم جيوش جورماغون، وبايجونويان التي كانت في الروم، وأن تدخل في ميمنة الجيش من ناحية أربيل والموصل، وأن يأتي أيضاً الأمراء بلغا، وتوتار، وقولى، والقادة توقاي تمور وسونجاق إلى الميمنة أيضاً من ناحية كريوه سونياى، كما يأتي كتبوقانويان، وقل سون، وإيلكاي إلى الميسرة من ناحية خوزستان، وفي الحادى عشر من جقشباط أى من موغاييل الموافق المحرم من سنة ست وخمسين وستمائة قدم بايجونويان، والقادة في الموعد المحدد عن طريق دجيل، وعبروا نهر دجلة، ووصلوا نهر عيسى، وتحارب مجاهد الدين أيبك دواتدار، وفتح الدين بن والک، وقراسنقور الذين كانوا قادة للجيش مع ثلاثين ألف رجل على حدود الأنبار على باب جوسق المنصور أعلى المزرقة^(٢٨) على بعد تسعة فراسخ عن بغداد مع سونجاق توقا تيمور، فانعطف جيش المغول، وقدموا بشيرية من ناحية دجيل، ولما وصلوا إلى بايجونويان فردهم، وكان في تلك الحدود نهر كبير، ففتح المغول سد هذا النهر حتى غرقت المنطقة الصحراوية التي كانت خلف جيش بغداد بالماء، فأغار عليهم بايجو، وتوقا تيمور في فجر يوم الخميس الموافق العاشر من المحرم، وهزموا جيش بغداد، وقتل فتح الدين بن والک، وقراسنقر مع اثني عشر ألف رجل غير الذين غرقوا، وفقدوا في الماء والطين، وهرب دواتدار مع عدد محدود إلى بغداد، ووصل بايجو والقواد إلى بغداد في منتصف المحرم الموافق يوم الثلاثاء واستولوا على الجانب الغربى، وقدم كتبوقانويان والآخرين من ناحية النحاسية وصرصر، ونزل هولاکو خان في الخامس عشر من المحرم بالجانب الشرقى، وبدأوا الحرب في يوم الثلاثاء الموافق الثانى والعشرين من المحرم سنة ست وخمسين وستمائة بطالع الحمل، وكان هولاکو خان في القلب من طريق خراسان على يسار المدينة المقابلة للبرج العجمى، كما كان إيلکانويان وقويا على بوابة كلوداى، وكذلك بلغا وتومار وقولى وقادة شيرامون وأرقنونو أمام المدينة على بوابة سوق السلطان، واتفقوا جميعاً على الحرب من جميع الجهات، واشتغلوا بالقتل والنهب اثني عشر يوماً، وقتلوا سليمان شاه قائد الجيش، وممدوح أثير الدين الأومانى مع جميع أتباعهم وأشياهم، وقتلوا أميرحاج بن دواتدار الاكبر، وأرسلوا رؤوسهم إلى الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ في الموصل، وبعد ذلك رأى الخليفة أن الأمر خرج عن

يده، فخرج مع ولديه: أبى الفضائل عبد الرحمن، وأبى المناقب مبارك فى يوم الأحد الرابع من شهر صفر سنة ست وخمسين وستمائة، ورأى هولالكوخان وأسرهم بالنيابة.

وبعد ذلك طلب هولالكوخان الخليفة فى يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر المذكور، ففزع فزعاً شديداً، وقال للوزير: ما الحيلة فى أمرنا؟، فقال رداً عليه: لحييتنا طويلة، وكان مراده من ذلك أنه فى أول الأمر دبر تدبيراً بأن يرسل عتاداً كثيراً للجيش؛ ليدفع هذه المشكلة، وكان دواتدار قال: لحية الوزير طويلة، ومنع هذا الأمر، ولم يستمع الخليفة إلى كلامه، وأهمل تدبير الوزير، ويئس الخليفة من حياته، واستأذن فى أن يمضى للحمام ليجد غسله، فأمر الأيلخان بأن يمضى مع خمسة من المغول، فقال: لا أريد صحبة خمس من الزبانية، وقرأ بيتين أو ثلاث من قصيدة مطلعها:

وأصبحنا لنا دار كجنت وفردوس وأمسينا بلاداً كان لم تغن بالأمس

وفى آخر يوم الأربعاء المذكور قتلوا الخليفة مع ابنه الأكبر، وخمسة خدام فى القرية، وفى صباح اليوم التالى، وضعوا الشمس على الأفق، وطوت يد المشعوذ أنوار الكواكب من على السجاد الفضى، وجعل جيش المغول يشعل نار الذهب والسلب فى بغداد، فاقتلعوا السور فى البداية، وردموا الخنادق، ثم اندفعوا إلى المدينة، وهم مطلق العنان، مخلوعو العذار، وأفرطوا فى القتل حتى انصب من دماء القتلى فى نهر من ماء البقم كأنه نهر النيل يصب فى دجلة، وانتهت دولة بنى العباس، وفى اليوم نفسه أرسلوا إلى بغداد وزير الخليفة مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الملك العلقمى للوزارة، وفخر الدين الدامغانى ليكون صاحب الديوان، وعلى بهادر ليكون شحنة، وعاد هولالكوخان.

وفى أثناء فتح بغداد أرسل مجد الدين محمد بن الحسن بن طاوس الحلى، وسديد الدين يوسف بن المطهر رسالة مع رسول إلى الملك فحواها أنهما يقرأ بالطاعة، فقد عرفنا من أخبار أجدادنا خاصة أمير المؤمنين على (كرم الله وجهه)، أنك ستصبح مالك هذه البلاد حيث قال: إذا جاءت العصابة التى لا خلاف لها لتخوين والله يا أم الظلمة ومسكن الجبابرة وأم البلايا، ويل لك يا بغداد ولدارك العامرة التى لها أجنحة كأجنحة

الطواويس ثمانين، كما يذاب الملح فى الماء، يأتى بنوقطور^(٢٩)، ومقدمهم جهورى الصوت، لهم وجوه كملجان المطرقة وخراطيم كخراطيم الفيلة لم يصل ببلد إلا فتحها ولا براءة إلا نكسها.

فأمر هولاكوخان بإحضارهما وأنعم عليهما، وأرسل تكلة علاء الدين العجمى ليكون الشحنة هناك، ولهذا السبب لبس أهل الحلة حلة السلامة.

وفى يوم الأربعاء الحادى عشر من ربيع الآخر توفى مؤيد الدين الوزير، وعينوا ابنه شرف الدين مكانه، وأرسل هولاكوخان خزائن وأموال بغداد إلى ناصر الدين بن علاء الدين صاحب الرى فى آذربيجان، ورمم بهذه الأموال قلاع الملاحدة والروم والكرج والأرمن واللور والأكراد، وأمر الملك مجد الدين التبريزى أن يبنى قصرًا عظيمًا على رأس جبل على ساحة بحيرة أرمى وسلماس، وصهر كل هذه النقود وجعلها فى حمل ووضعها هناك.

وفى هذه السنة وصل بدر الدين لؤلؤ إلى حدود مراغة عند الحضرة، وكان قد تجاوز التسعين، ووجد التكريم، ووصل فى السابع من شعبان سنة ست وخمسين وستمائة الأتابك سعد بن أبى بكر السلغرى، وكذلك السلطان عز الدين الرومى فى الرابع من شعبان المذكور، ووصل فى أثره السلطان ركن الدين فى الثامن من شعبان، وقد غضب هولاكوخان من السلطان عز الدين بسبب عدم احترامه لباجونويان، ومحاربتة له، وأراد السلطان أن يخلصه من ورطة هذا الذنب بكل ماله من حيلة، فأمر أن يخطبوا نعلًا يليق بالملوك كل اللياقة، وأن يرسموا صورته فى أسفله، وسلمه للملك فى إجلال وإكبار وسط احترام وتفخيم، ولما وقعت عينه على هذه الصورة، قبل السلطان الأرض، وقال: المأمول أن يعظم الملك رأس هذا العبد بقدمه المباركة، فأدركت هولاكوخان الرقة له، فقدمها إلى زوجته دوقور خاتون ليعفو عنه.

وبعد مضى سبعة وخمسين عاماً على تربع جنكيز خان على العرش، أمر الخواجه نصير الدين الطوسى بالتعاون مع الحكماء الأربعة مؤيد الدين الغوضى، وفخر الدين

المراعى، وفخر الدين الأخطاى، ونجم الدين دبيران القزوينى، أن يبنوا مرصداً للنجوم فى مراغة.

خبر توجه هولاكوخان إلى بلاد الشام

أرسل سلطان حلب وزير مزين الدين الحافظى إلى القآن معلناً عبوديته له بتحف، وهدايا كثيرة، ومنحه منشوراً وسلطة ملكية، ولهذا السبب دهمه الشوام، فهرب ومضى إلى حضرة هولاكوخان، ويقومه قوى عزم الملك على فتح حلب، فأرسل رسولاً إلى بدر الدين لؤلؤ يأمره أن يرسل ابنه الملك الصالح؛ ليلتحق برايات فاتح الدنيا؛ ليفتح ديار الشام، فأرسله امتثالاً للأمر، ولما وصل إليه وهبه بنت السلطان جلال الدين خوارزم شاه؛ ليتزوجها، وأرسل كبتوقانويان على رأس جيش جرار، وجعل على يمينته بايجو، وسونجاق، كما جعل الآخرين على اليسرة، وكان بنفسه فى قلب الجيش، ومضى إلى ديار الشام فى يوم الجمعة الموافق الثانى والعشرين من شهر رمضان سنة سبع وستين وستمئة فى طالع العقرب، ولما وصل ديار بكر، استولى على الجزيرة أولاً، وأرسل يوسموت وسونتاي إلى ميافارقين، والملك الصالح إلى آمد، ومضى بنفسه إلى دينسر^(٣٠) ونصيبين وحران، وأعمل القتل والسلب وعبر نهر الفرات، وحاصر حلب، واستعان أهل تلك الناحية بحصانة القلعة، وحاربوا، وكان على بوابة باب اليهود درعتونويان، وعلى باب الروم كبتوقا، وعلى باب دمشق سونجاق، ونزل الملك على باب أنطاكيه، وحاربوا أسبوعاً، واستولوا عليها فى نهاية الأمر فى ذى الحجة سنة سبع وخمسين وستمئة من جانب باب العراق.

ولما استولوا على قلعة حلب، سلمها هولاكوخان إلى فخر الدين الساقى، وعين توكال بخشى^(٣١) شحنة عليها، ولما مضى من حلب جأر أهلها بالشكوى من فخر الدين، فأمر بقتله، وأسندوا حكومتها إلى زين الدين الحافظى، ولما قدمت طلائع جيش الملك إلى دمشق سلموا المدينة، وفى أثناء تلك الحال قدم شكتورنويان معلناً فروض الطاعة للملك من هناك، وأخبره بموت منكوخان، فتأثر تأثراً عميقاً، وترك لكبتوقا تدبير شئون الشام، وعاد من حلب، وتحارب كبتوقا مع سلطان مصر البندقدار فى عين

جالوت، فانهزم وأسرو وقتل: ولما بلغ خبر كبتوقا لهولاكوخان، أظهر الحزن على وفاته ورعى جانب من بقى من أسرته، وأرسل إيكانووان بجيش عظيم إلى الشام، ولما وصلها، كان البندقدار ملكاً على مصر قبله الخبر فخرج لصدده، فمضى إيكانووان إلى الروم، وذكروا اسم البندقدار فى الخطبة، وعلى السكة فى دمشق، وفى نفس التاريخ توفى الأمير بلغا حفيد شيبان بن جوجى خان طرطوى بفحاً^(٢٢)، وبعد ذلك اتهم بوقا وأغول بالسحر وتغيير النية بعد ثبوت ذنبهما، فأرسلهما بصحبة سونجاق إلى بركاى، وقتلهم فى السابع عشر من صفر سنة ثمان وخمسين وستمئة، وقتل صدر الدين الساوجى أيضاً؛ لأنه كتب حجاباً تعويذة له، وبعد ذلك مات قولى، وهرب حشمتهم ومضوا بطريق البحر والمضيّق إلى صحراء القبجاق، وتوفى الملك الكامل فى مدينة أوقوت بعد حروب كثيرة مع إيلكانووان ويشموت طيلة عامين، وبعد أن اعتقلوا الرجال الواحد بعد الآخر، جاءوا به إلى هولاكوخان؛ ليقطعوا لحمه، ويضعوه فى فمه حتى مات.

خبر مضى الأمير يوشموت نحو قلعة ماردين والاستيلاء عليها

ولما فرغوا من أمر ميافارقين، أرسل أرقتونووان إلى الملك سعيد صاحب قلعة ماردين؛ قائلاً له: اهبط من القلعة وأقر بالعبودية لملك الدنيا، حتى تدم عليك الحياة وأسرتك.

سأرفع بابك ولو أنه صعب ولا تعتمد بقوة ساعدك فى إغلاقه

فأجاب لا ثقة لى فيك، وتحاربوا ثمانية أشهر، وظهر الوباء فى القلعة وقحط من فيها، وكان له ولدان: الأكبر مظفر الدين، فقال لأبيه: إن المصلحة فى تسليم القلعة، فلم يستمع إليه فأعطاه سماً فمات، وأرسل إلى أرقنتو قائلاً: إن من عداك فقد مات، وإذا أمرت الجيش أن يكف عن القتال فسنسلم القلعة، فأمر أرقنتو الجند بالكف عن القتال، ونزل مظفر الدين مع أخيه وأسرتهم وسلموا القلعة، فحملوه إلى الحضرة، فسأله الملك عن دم أبيه، فقال: صنعت هذا من أجل المصلحة العامة، فعفا عنه الملك، وأسند إليه مملكة ماردين، ودامت له السلطنة حتى سنة خمس وتسعين وستمئة، ولما توفى خلفه

ابنه شمس الدين داود، ويعدده ابن السلطان نجم الدين الملقب بالمنصور، ونال من السلطان غازان المظلة (الحماية) والتاج.

وتوفى بدر الدين لؤلؤ في الموصل سنة تسع وخمسين وستمائة، وكان قد بلغ السادسة والتسعين من عمره، وتولى الملك خمسين عاماً، ومنح هولاكوخان سلطنة الموصل إلى ابنه الملك الصالح، وبعد مدة ترك الموصل، ومضى إلى مصر، وأعلنت زوجته ترکان خاتون ابنة السلطان جلال الدين الحضرة، وأكرمه البندقدار ورعى وقادته، ورده مع ألف فارس من الأكراد؛ ليحضر الخزائن والدقائق التي جمعها، فصدر الأمر للجيش الموجود في ديار بكر؛ ليسد عليه الطريق، وأرسل سنداغون نويان مع جيش مكون من عشرة آلاف جندي في إثره، وكذلك صدر الدين التبريزي مع عشرة آلاف من الجنود الفدائيين، ولما وصل الملك الصالح إلى مدينة الموصل، سد المغول كل الطرق عليه، ووقعت الحرب بينهما، ولما بلغ البندقدار، أرسل أغوش إيلور جيشاً لمعاونته، ولما وصل سنجار كتب رسالة يخبر فيها بإعلان وصوله، وربطها في جناح حمامة وأرسلها، فجاءت الحمامة بالصدفة، وحطت على رأس منجنيق المغول، فأمسك جندي المنجنيق بالحمامة، وحمل الرسالة إلى نويان، ولما قرأها عرف أنها من إمارة دولته، فأطلق الحمامة وأرسل على الفور جيشاً يتكون من مائة وعشرة آلاف جندي لدفعهم، ففرق شملهم، وقتل معظمهم، ومن هناك ارتدى ثوب الشوام مثل الأكراد، وتوجه إلى الموصل، وأعلموا سنداغون بأنهم انتصروا في الصباح قائلين لقد انتصرنا في الصباح، وسنصل بغنائم كثيرة على هذه الهيئة.

ولما وصلوا في اليوم التالي، فإن أهل المدينة ظنوا أنهم شاميون خرجوا لاستقبالهم، وأبدوا سرورهم، فأحاط بهم جيش المغول من كل جانب، ولم يتركوا واحداً منهم حياً، وبعد ستة أشهر قضوها في حروب، تم الاستيلاء على مدينة الموصل في رمضان سنة ستين وستمائة، ووضعوا السيوف في بقية المدن، واعتقلوا الملك الصالح، وأرسلوه إلى الحضرة، فأمر الرسل أن يقيدوه في لبة، وأن يثبتوه باللباد والحبال، وطرحوه في شمس الصيف، وسخنن اللبة بعد أسبوع، وجعلوا ياكلونه، وأسلم الروح

بعد شهر فى هذا العذاب والبلاء، وكان له ولد فى الثالثة من عمره، فأرسلوه إلى الموصل، وهناك شطروه شطرين على شاطئ نهر دجلة، وعلقوا كل شطر من شطريه على ضفة حتى بلى وسقط، وأصبح البقية عبيداً من هذا العذاب.

لقد بلى وسقط من هنا ولم يشبع الجيش من هذا الأمر
لقد ربيت هذا الجميل ودلته وأعطيته ثانية لأسنان الدود

خبر حرب هولاكوخان مع بركاى

حينما مات بركاى بلغا، ويوقار، وقولى، وقع العداء بينهم، وكتب بركاى إلى هولاكوخان مهدداً معنفاً، وأرسل بوقاى قريبه يطلب دمه بجيش يتألف من ثلاثين ألف جندي، فاجتاز المضيق، ونزل فى ظاهر شيروان، فأرسل هولاكوخان شيرامون نويان إلى منقلاى مع سماغار، وأباتاى نويان، ووصلوا شماض فى ذى الحجة سنة ستين وستمئة، فأغار جيش بركاى على شيرامون وقتل قتلاً شديداً، وأغرقوا السلطان جوق فى النهر، ووصل أباتاى نويان فى يوم الأربعاء آخر ذى الحجة، وهاجم جيش بركاى على بعد فرسخ واحد من شابران، وقتل كثيراً منهم، وهرب بوقاى.

وركب هولاكوخان فى السادس من المحرم سنة إحدى وستين وستمئة من حدود شماض متجهاً لمحاربة بركاى، وفى هذا الوقت اتجه جماعة من الندماء قاصدين سيف الدين البيتكجى الوزير الخاص للقآن، وخواجه عزيز اللذين كانا فى ولايات كرجستان، وخواجه مجد الدين التبريزى، واعتقلوهم ومضوا بهم إلى شابران، وبعد قتال قتلوا هؤلاء الثلاثة، وتخلص الملك صدر الدين التبريزى وعلى ملك حاكم العراق وخراسان كل منهما بعدة عصى.

وتحارب هولاكوخان مع بركاى خان فى يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر المحرم على باب الأبواب، واستولى على دربندهما ولحقت بهم الهزيمة، وداموا فى القتال إلى آخر يوم السبت، ومضى بوقاى مع الجيش منهزماً فى غرة صفر، وانتصر جيش هولاكوخان، وتتبع أباقا خان الجيش الثائر عليه، ونزل فى ديارهم، وهاجمهم بغتة

بركاي بالجيش؛ فانهزموا، ولما تجمد ماء الترك، تحطم الثلج أثناء العبور، وغرق كثير من الجند، ونزل أباقا خان في شابران سالماً، ووصل هولاكوخان في الحادي عشر من جمادى الآخرة إلى تبريز، واكتأب من هذا النحس.

خبر إسناد الولايات إلى الولاة، ووفاة هولاكوخان

أسند جميع ممالك العراق وخراسان ومازندران إلى ابنه الأكبر أباقا خان، وأسند ليشموت أران وأذربيجان، كما أسند ديار بكر، وديار ربيعة للقائد قوران، وممالك الروم إلى معين الدين بروانة، وتبريز إلى الملك صدر الدين، وكerman إلى تركان خاتون، وفارس إلى القائد أنكيانو، وصاحب الديوان لشمس الدين محمد الجويني، ولما حل عام الثور الموافق لربيع الآخر سنة ثلاث وستين وستمئة مرض، وفي ذلك الوقت ظهرت نوبة مثل الأسطوانة كانت تظهر في كل ليلة، ولما انمحت هذه النوبة توفى المذكور في ليلة الأحد الموافق التاسع عشر من ربيع الآخر.

لما مضى هولاكوعن مراغة في الشتاء قـدر الإله نهايته
في سنة ستمئة وثلاث وستين ليلة الأحد كانت الليلة التاسعة عشرة من ربيع الآخر
وكان عمره ثمانية وأربعين عاماً، وحكم إيران تسعة أعوام وثلاثة أشهر، ودفنوه في جبل شاهو المواجه لدهخوار قان، وتوفيت أمه ارتقاق خاتون بعده بتسعة أيام، كما توفيت بيسونجين خاتون أم أباقا خان في يوم الخميس الخامس من جمادى الآخرة، كما توفيت دوقوز خاتون في غرة رمضان سنة ستمئة وثلاث وستين.

قصة أباقا خان بن هولاكوخان وخواتينه وأبنائه

كانت زوجته الكبرى أودجين خاتون، ولما توفيت تزوج توقدان خاتون من قوم التتار، وجعلها في مكانها، ولما توفيت جعل إيلتورميش خاتون بنت قتلغ تمور كوركان التي كانت من القنقرات مكانها، وبعد ذلك تزوج الملك خاتون بنت السلطان قطب الدين محمد خان الكرمانى، وجعلها في منزلة أمه بيسونجين خاتون، وبعد ذلك تزوج يرتى

خاتون، وبعد ذلك تزوج بلغان خاتون التي كانت قريبة لبوقاي يارغوجي، وتزوج زوجة أخرى، هي تسينا خاتون بنت الملك أنطينون، وكان لها كثير من الأقارب، وكان له ولدان، وسبعة بنات، الأبناء: أرغون خان وأمه قايميش أنكاجي، وكى خاتون وأمه توقداي خاتون، والبنات: يولتغ وأمها توادي خاتون، وزوجها إلى إيلجيتاي قوشجي، وبعدها بايليا سمييس طغاي وأمها أيضاً توادي خاتون، وملكه من بلغان خاتون، وزوجها إلى طوغان بن توقاي يارغوجي، وطووغا نجوق، وزوجها إلى نوروز بن أرغون آقا، وإيلقتغ من بولجين، وزوجها لداود ملك كرجستان، وكانت في ذلك الوقت زوجة أقسنقر ملك مصر، ويوجين من موتاي خاتون.

خبر جلوس آباقا خان

لما توفي هولاكوخان، كان آباقا خان في مازندران، ونزل بالمعسكر في جغل توفي هوكانيل الموافق التاسع عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وستمائة، وأقام رسوم التهنية والتعزية، وأجلسوا آباقا خان على العرش في يوم الجمعة الخامس من شوى أى هوكانيل الموافق الثالث من رمضان سنة ثلاث وستين وستمائة بطالع السنبلة في جغان ناور على حدود فراهان، وقدموا وأقاموا الشرائط والرسوم الخاصة بذلك، وبعد الاحتفالات أرسل الملك أخاه يوشموت إلى شروان ودريند، وعين نفسه على خراسان، وأرسل طوقوز بيتكجي بن إيلكان نويان، وتودان أخوى سونجاق الذى كان جد أمير جويان، وابنه ملك إلى الروم، ودرماي نويان، لديار بكر، وأسند كرج لشيرامون بن جورماغون، وأرسل إينجوها إلى التاجونويان، وأسند ممالك بغداد وفارس إلى سونجاق، وعين أرغون آقا على مقاطع الممالك، ومنح منصب الوزارة بناء على المنهج السابق إلى صاحب الشهيد شمس الدين محمد الجويني، وجعل تبريز عاصمة البلاد وداراً للملك، وعين صاحب علاء الدين عطا ملكاً على بغداد نائباً عن سونجاق، وأسند وزارة خراسان إلى عز الدين طاهر، ومقاطع فارس إلى شمس الدين تازيكو، وكرمان لركان خاتون، وتبريز إلى الملك صدر الدين، وديار بكر إلى جلال الدين طره، ورضى الدين بابا، وأصفهان إلى الخواجه بهاء الدين محمد الجويني، وقزوين وبعض

من العراق للملك افتخار الدين القزويني، وديار ربيعة للملك مظفر الدين قزل أرسلان، ومملكة نيمروز للملك شمس الدين كرت، وكرجستان لداود الملك بن صارون، واتخذ له في هذا العام مشتي على حدود مازندران، وعاد في الربيع سنة أربع وستين وستمئة إلى دار الملك تبريز.

خبر حرب جيش أباقا خان مع بوقاي، وبركاي خان

في أوائل عهد أباقا خان خرج بوقاي من ناحية دربند بجيش جرار، وركب الأمير يوشموت في الرابع من التلح أي هوكايل الموافق الثالث من شوال سنة ثلاث وستين وستمئة بناء على الأمر لمواجهةهم، وعبر نهر كر، وتحارب معه بالقرب من أقسو، وقتل خلق كثير من الطرفين، وقتل قوتوبوقا، والأطفا جار في هذه الحرب، وأصيب بوقاي بسهم في عينه، وولى جيشه منهزماً إلى شاوران، وعبر أباقا خان نهر كر، وقدم بركاي من هذا الجانب مع ثلاثمئة ألف فارس، وقدم أباقا خان مع جيشه من هذا الجانب من النهر، وأمر بأن يقطعوا الجسور، والتحم الطرفان على ضفتي نهر كر وتراشقا بالسهام، وأقام بركاي خان على ضفة النهر أربعة عشر يوماً، ولما كان العبور متعذراً، سافر إلى تفليس؛ ليعبر النهر من هناك، فمرض في الطريق وتوفي، وحملوا نعشه إلى قصر باتو، ودفنوه، وتفرقت جيوشه.

وأمر أباقا خان في سنة أربع وستين وستمئة أن يستولوا على جانب كر من دالان ناور حتى صحراء كردمان^(٢٣) المتصلة بنهر كرسية، وأن يحفروا خندقاً عميقاً، وكلفوا جماعة بحراسته، وترك هناك الأمير منكوتمور مع سماغار نويان، والجاي خاتون، وسافر إلى خراسان في شتاء سنة خمس وستين وستمئة، وأمر بإقامة مشتي له في مازندران، وقدم مسعود بك بن محمود يلواج حاملاً رسالة من قايدو، وبراق، وطلب رفع محاسبة إينجوهاي.

ولما وصل إلى الحضرة، لبس برقاي قبای^(٢٤) جنكيز خان، وجلس على منصة جميع القادة الإيكانويين، وصدر الأمر على أن يقوم الخواجه شمس الدين حسين العلكاني بهذه المحاسبة، وأن يسلمها خلال أسبوع، وبما أنه لم يأت بقلب صافٍ، فكان

يعجل بالعودة، ومنح الإذن بالانصراف بعد أسبوع حاملاً الخلع والهدايا، وبعد يوم جاء الخبر بأن جيشاً متمرداً ظهر على ضفة نهر جيحون، فأدرك أباقا خان أن مسعود بك أعمل حيلة، وأن براق جاء متجسساً، فأرسل الرسل على الفور في أثره؛ ليعيدوه، ولكنه كان قد أخذ للأمر حيلته، وهياً في كل منزل مبعوثاً، فمضى الرسل إلى ضفة نهر جيحون، واتفق أن صادف وصولهم عبوره فعادوا.

وبعد ذلك جاء خبر وصول أغروق بن هولاكوخان، فاستقبله على حدود كبود جامه ومعه قوتى خاتون، وولديها تكسين، وتكودار، وأبناء جومغر: جوشكاب، وكينشو، وطرقای، وابنه بايدو، وبيسونجين أم أباقا خان في التاسع عشر من جمادى الأولى سنة ست وستين وستمائة.

خبر وصول براق إلى خراسان، وحره مع جيش أباقا خان

عبر براق نهر جيحون في شهور سنة ثمان وستين وستمائة، وتحارب مع تويشين^(٣٥) وأرغون آقا، وسافر أباقا خان من حدود أذربيجان إلى خراسان، وكان يمضى بسرعة، ولما عبر الرى، أعلن ييشين أغول، وأرغون آقا العبودية في قومش، وتحارب السلطان حجاج الكرمانى، والأمير أرغون، آقا، ومضى من هناك أباقا خان لمرعى رادكان، وأعطوا الجيش كثيراً من الدراهم والدنانير، وأرسل أباقا خان يشموت إلى الميسرة، وجعل آباتاي نويان في القلب، وأرسل ييشين إلى جانب جسر جيحون الذي كان وطن مرغاول، ولما وصل هناك، هجم على حراس مرغاول وقتل بعضاً منهم، واستولى على أمتعتهم، فمضى مرغاول إلى براق، وأطلعه على الأمر، فقال براق: إذا حارب تويشين، وأرغون آقا مرة أخرى، فكأننا جربنا حربهم، أما إذا حارب أباقا فامض، واقطع عليهم رأس الطريق حتى يهين الجيش.

ولما وصل أباقا خان بادغيس، أرسل رسولاً إلى براق، قائلاً: لقد قدمنا من العراق إلى خراسان، وخففنا عنك المشقة، ووعتاء السفر، فاعلم أنه لا يمكن الاستيلاء على ملك العالم بالظلم، والجور إلا باستمالة الرعايا ورعاية الرعية.

أضرمت النار وحرقت المدن فمن علمك أن تمتلك العالم!

ومع هذا فإذا أردت أن ينتهى العداء بيننا، فاختر واحداً من ثلاثة : أولهما : السلام حتى أهيك غزنين وكرمان حتى ضفة نهر السند، وثانيهما : أن تمضى إلى ديارك سالماً آمناً، وثالثهما : الحرب.

إن جوهر السيف يقطر دماً أوترتفع نار الإقبال
فاندهش براق مدة، وعلى ذلك قال للأمرأ:

وضع أمامى ثلاثة طرق مهدداً والحقود يحسن النصيح

فما اختياركم من هذه الطرق الثلاث، وكان ييسور يتميز عن القادة برأيه وتدبيره، فقال: المصلحة فى الصلح، لنمض نحو غزنين حيث لا نعود إلى محاربة الترك، فغضب مرغاول من هذا الكلام، وقال: لا ينبغي التشاؤم فى حضرة الملوك، كما لا ينبغي أن نجعل للخوف سبيلاً علينا، فقال جايرتاي: لقد جئنا لنحارب، فأعجب براق بكلامهم واتفقوا على الحرب، وأرسلوا الجواسيس، وأمر أباقا خان القائد طوغور، ليختار ميداناً جيداً للحرب، فاختر صحراء فراخ الواقعة على سفح جبل، وأمامها نهر يسميه المغول قراسو، ووجد هناك ثلاثة جواسيس، وجاء بهم إلى أباقا خان، فأمر بتقييدهم على أعمدة القصر، وسألهم مهدداً، فقال أحدهم: أقول الحق على كل حال، لا علم لبراق بقدوم أباقا خان، وقواده فى شك، وأرسلونا لنتحقق من الأمر، فخرج أباقا خان من الستار، وطلب مغولياً جلدأ فصيحاً، واتفق معه حتى يدخل القصر بطريقة الرسل، وأعاد الكلام الذى قاله وعاد، وطبقاً للعادة تربع على العرش، واشتغل باللهو والأنس مع القادة.

ولما مرت ساعتان من الليل، كان الملك، والقادة فى حديث عن براق، وقدم فجأة ذلك المغولى المسلح، ودخل القصر وقبل الأرض، وقال: منذ أن فارق الملك الجيوش مدة ثلاثة أشهر، ظهر المتمردون والأعداء فى أطراف البلاد، وقدم جيش مثل النمل والجراد من دربند والقبجاق، وأغاروا على المعسكرات، وديار القادة، ولم يبقوا على أحد فى هذه

الديار بقتلهم ونهبهم، وكان الجيش متمرداً من دربند حتى بلاد الأرمن، وديار بكر، فإذا لم تسرع بالعودة فلن تجد الجيوش، ولا الشعب ولا الرعية.

ولما سمع القادة هذا الكلام اضطربوا جميعاً، فقال أباقا خان: لقد أحسنا صنعاً، فإننا نحافظ على مدينة هراة من التمرد، وقد تركنا الولاية والرعية والجيوش في يد المتمردين، فالرأى أن نعود في هذه الليلة حتى ندرك نساءنا وأبنائنا، وعندما نفرغ منهم، نعود ثانية إلى هذه الجهة، وقرعوا الطبل الكبير في الحال، ورحلوا عن طريق مازندران، وكانت تلك الصحراء ممتلئة بالخيام والسراقات، ومضوا هكذا على مسمع من الجميع، وأمر قائد أن يقتل هؤلاء الجواسيس الثلاث، وقال في الخفاء بأن يطلقوا سراح أحدهم، واستوجب ذلك أن تقدموا، ورحلوا عن ذلك المكان. ونزلوا في اليوم التالي في ذلك المكان الذي كانوا قد اختاروه للحرب، وفي تلك الأثناء امتطى الجاسوس الذي كانوا قد أطلقوا سراحه فرساً وولى هارباً، ودخل قصر براق، وأخبره بالخبر، فسر براق كثيراً وبادر مرغاول وجلايرتاي بالتهنئة، وامتطوا جيادهم في الصباح جميعاً، ولما عبروا نهر هراة، ورأوا الصحراء ممتلئة بالخيام والسراقات فأغاروا على هذا كله ونزلوا في الجانب الجنوبي لهراة، واتفق أباقا خان مع جميع القادة على المكوث على هذا الحال، ولما رأى براق ذلك غضب، وقال: لقد أخطأنا الظن، وصفوا الصفوف على الجانبين، وكان يدفع مرغاول من اليسار واليمين، وفجأة رشق رام ماهر سهماً من قوس قوى إلى صدره الممتلئ بالحقد.

ولما قبلت أصبعه النصل فإن هذا النصل اخترق ظهره
فقال الملك : بارك الله في هذه اليد جنداً ثم حبس هذا الوتر

وحزن براق والجيش على قتل مرغاول، وقدم جلايرباي فروض الطاعة، وقال: سأقحم نفسي في هذا الجيش، وأطلق العنان مع فرسانه، وضرب على الناحية اليسرى، وقتل كثيراً من جيش أرغون آقا، وشكتورنويان، والقادة الآخرين، وعاد الباقون منهزمين، ومضى جلايرباي في إثرهم حتى بوشتك هرات نحو أربعة فراسخ، وحينما أراد أن يعود لم يستطع، فهرب، ويئس براق وعبر نهر جيحون منهزماً، ووقع النزاع في جيشه، ومرض براق، وتوفي في سنة ثمان وستين وستمائة، وكانت مدة ملكه ستة أعوام.

ولما عاد أباقا خان فى غرة ربيع الأول سنة تسع وستين وستمائة، نزل فى مراغة، وفى نفس التاريخ قدم الرسل بالعبودية من عند القآن، وأحضروا المنشور والتاج والخلة، وفى الثالث والعشرين من صفر سنة تسع وستين وستمائة كان أباقا خان يصطاد فى ضواحي جفاتو، واتفق أن أصيب حلقه من قرن ثور جبلى وفتح شريانه، ولم يتوقف نزيف الدم، فأخذ قورجان آقا والد مويدايداجى القوس، وجعل يضرب موضع الجرح حتى تورم والتأم الجرح، فرعى أباقا خان جانيه، وكان الكحال سلاحه مربوطاً فى ذلك اليوم، وكان قد قدم خدمات جليلة، فأغدق عليه العطاء، وامتلا الجرح بالقريح وساء حاله، ولم يستطع شق الجرح، وتعهد الخواجه نصير الدين الطوسى أنه لن يصيبه منه أذى، وأمر أبا العز الجراح أن يشقه وينظفه، فسكن الألم فى الحال، وتخلص من هذه الشدة.

وتوفى الأمير يوشموت ليلة السبت الثامن من ذى الحجة سنة تسع وستين وستمائة، كما توفى تويشين أغول فى الرابع من صفر سنة سبعين وستمائة، ودان بالولاء من يسمى أقبك الذى كان حارس قلعة أمويه من قبل براق فى رجب سنة إحدى وسبعين وستمائة، وقرر أن الجيش الأجنبى الموجود بجوار هذا النهر يتلقى المدد من بخارى، فيستحسن تخريب هذا الموضع، فأرسل أباقا خان نيكى بهادر، والأدووجارد ومع عشرة آلاف مقاتل معهم، فأعملوا القتل والنهب فى بخارى، وحملوا كثيراً من الأموال والأسرى وتخربت عن آخرها، وكان أقبك بن امرأة هندية بنت ابن تاج الدين، ولما اغتنم هذه الغنائم، أراد أن يهرب، ويمضى إلى قاينو، فقبضوا عليه، وجاءوا به إلى أباقا خان وقتله.

وفى نفس العام وقع زلزال عظيم فى الشتاء فى مدينة تبريز حتى سقطت رؤوس المنارات، وتخربت ديار كثيرة، وقتلوا الملك صدر الدين فى ذى الحجة من تلك السنة، وتوفى فى التاسع عشر من هذا الشهر جنكلا، وبخشى، كما توفى فى ذى الحجة سنة ثلاث وسبعين وستمائة أرغون آقا فى مرغزار راد كان يطوس، ودفنوه فى ذلك الموضع،

وتوفى فى سنة إحدى وسبعين وستمائة فى الثامن والعشرين من رجب سيدى شمس الدين محمد بن عبد الرحيم بن الرفاعى، كما توفى فى الثالث عشر من المحرم سنة اثنتين وسبعين وستمائة سيدى قطب الدين أبوبكر بن حسن الزاهد التركذرى، كما توفى الخواجه نصير الدين الطوسى فى بغداد يوم الإثنين السابع عشر من ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين وستمائة عند غروب الشمس.

خبر قدوم البندقدار إلى جانب الروم، ومضى آباقا خان لهذه الجهة

فى سنة أربع وسبعين وستمائة مضى ضياء الدين بن حظير، وابن بروانة مع مائة رجل من بلاد الروم إلى جانب الشام، وحث ركن الدين البندقدار على المضى إلى بلاد الروم، فمضى البندقدار فى سنة خمس وسبعين وستمائة بجيش جرار إلى ديار الروم، وخرجوا من جبل إيلستان، وكان فى تلك الحدود من أمراء المغول طوقو بن إيلكاى نويان، وأخوه درعتو وتودان بن سودوم أخو سونجاق، ومع كل منهم جيش يتكون من عشرة آلاف مقاتل، وتحاربوا فى يوم الجمعة العاشر من ذى الحجة سنة خمس وثمانين وستمائة، وانهزم جيش المغول، ونجا منه عدد قليل.

ولما بلغ آباقا خان الخبر، مضى إلى بلاد الروم فى سنة ست وثمانين وستمائة، ولما بلغ إيلستان ورأى هؤلاء القتلى استاء كثيراً، وأمر بقتل جماعة من التركمان الذين أثاروا الفتنة، وجماعة من أعيان الروم وعاد، ولما وصل البندقدار إلى دمشق، كان قد رأى الرسول (ﷺ) فى المنام، وقدم إليه سيفاً، وأن السلطنة كانت له فى هذا الأسبوع، ورأى النبى (ﷺ) فى ذلك الوقت مرة ثانية فى المنام وطلب منه السيف، وقدمه إلى الملك منصور سلطان سيف الدين الفلاتونى المعروف بالآلفى، ولما استيقظ من نومه عرف أن عمره قد انتهى، وأن الدولة ستكون للآلفى، فطلبه، وقال: عندما تصبح سلطاناً احفظ أبنائى جيداً، وتوفى فى دمشق فى ذى الحجة سنة ست وسبعين وستمائة، ودفنوه فى مدرسة أقامها هناك، وحكم ثمانية عشر عاماً.

وأُسند آباقا خان بلاد الروم إلى الأمير قونقراتاي، وأمر بتخريب قلعة توقات وحصن كوغانيه التى كانت منزل بروان الحاكم، وقدم فى هوكاوتيل الموافق سنة ست

وسبعين وستمائة إلى الأناغ، وأمر بإعدام معين الدين بروانة، وتوفى الملك شمس الدين كرت فى حبسه فى تبريز فى نفس العام.

وأغار على فارس عشرة آلاف من التكواريين فى سنة سبع وسبعين وستمائة، وكان محمد بك متصل النسب بمحمود يلواج ، وقتله طويناق، وأغاروا مرة أخرى على كرمسيرات فارس فى سنة ثمانين وستمائة، وتوفى الملك افتخار الدين القزوينى فى سنة ثمان وسبعين وستمائة، كما توفى فى نفس السنة الخواجه بهاء الدين، وقال الخواجه شمس الدين صاحب الديوان فى مائمه:

الفلك عبد لك يا ابن محمد وشعرة منك تساوى سوق الزمان
كنت عماد الأب من سلالة هذا الأب وانحنى مثل حاجب الجميلات بلا وجهك

وقال أحد الفضلاء فى تاريخه:

وفاة صاحب الآفاق بهاء الدين الذى كان زحل حارس إيوانه والقمر بوابه
الماضى من هذه الدنيا الفانية إلى الدنيا الباقية فى ليلة السبت يز(٢٥) من شهر شعبان
فى عام ستمائة وسبعين وأضف إليها سبعا فى أصفهان التى كانت منه مزدهرة عامرة

وتوفى أباقاي فى سنة تسع وسبعين وستمائة، وفى ربيع العام نفسه صدر الأمر بتنفيذ الأمر بأن يكون مجد الدين اليزدى مشرفاً على جميع الممالك من ضفة نهر جيحون حتى ديار مصر، وأن يكون صاحب الديوان مشاركاً له، وأصبحت عتبة مجد الدين ملجأ وملاذ الكبار والصغار، وتدهور شأن صاحب الدين، ولم يكن له رونق عظيم، وأرسل مجد الملك هذا الرباعى إلى صاحب:

سوف أغوص فى بحر حبك فإما أغرق وإما أستخرج الجواهر
إن قصصك خطر وأريد هذا فإما أجعل وجهى بهذا أحمر أو عنقى

وأرسل الصاحب شمس الدين ردًا على هذا، ذلك الرباعي:

بما أنه لا يمكن رفع المنشور إلى الملك فينبغي أن يأخذ ناشد يد الحزن من الزمان
ذلك الأمر الذى لك نصيب فيه تجعل الحمرة فيه لوجهك وعنتك على السواء

وقصد مجد الملك علاء الدين صاحب الديوان، وصدر الأمر بالقبض عليه، وأخذوا منه ثلاثمائة تومان من الذهب، وقيدوه بالسلاسل، وجاءوا به إلى بغداد، وعذبوه بكل أنواع التعذيب، حتى أعطاهم كل ما يملك، وباع أبناءه أيضاً، وساءت أحواله كلها، وسمت مرتبة مجد الملك، ومضى أباقا خان، وهو يصطاد إلى رحبة الشام فى سنة ثمانين وستمائة، وأرسل منكوتمور فى المقدمة، وعاد إلى سنجار، ووصل إلى المعسكرات فى منتصف رجب، والتقى بالجيوش فى يوم الخميس الرابع عشر من رجب فى حدود حمص، ودفع عليتاق ميسرته، وكان الأمير منكوتمور طفلاً، ولم يشاهد الحروب الشديدة، فخاف وطولاداي يارغوجى، وأشاح عنهم، وانهزم الجيش، وقتل منه خلق كثير.

ولما بلغ هذا الخبر أباقا خان، غضب غضباً شديداً، وعبر نهر دجلة فى السابع عشر من شهر رجب، ونزل بكشان، ونزل فى الثانى من شعبان فى محول بغداد.

وفاة آباقا خان

مضى فى الثالث من ذى القعدة سنة ثمانين وستمائة من بغداد إلى همدان، ووصلها فى يوم الأربعاء السادس من ذى الحجة، ونزل فى قصر الملك عماد الدين، وخرج فى منتصف ليلة الأربعاء الموافق العشرين من ذى الحجة؛ لقضاء حاجته بعد إفراطه فى الشراب، فإن محول الأحوال، ومقدر الآجال خيل لأباقا خان طائراً أسود، فصاح قائلاً: ما هذا الطائر الأسود؟ فأمر القرعيين أن يضربوه بالسهم، وعلى الرغم من اهتمامهم بالأمر، فلم يكن هناك شىء، وأطبق جفنيه فجأة، وأسلم الروح، وهو جالس على الكرسي.

وضعوا تحته عرشاً من ذهب بدياج مزركش ومنطقة ذهبية
وزينوا جسمه الملكي وكانوا يطلبون الرود والمسك والكافور
فاقتلموا شعورهم وجرحوا وجوههم ولسانهم يقول الملك والروح تبحث عنه
وامتلات رؤوس العظماء بالتين والتراب وعيونهم ممتلئة بالدماء وثيابهم مقدودة

وقالوا فى تاريخه: /

آباقا خان الذى كان من إنصافه وعدله كانت الدنيا سعيدة مثل جنات عدن
مضى من الهجرة ستمائة وثمانون وواحد ومن شهر ذى الحجة لم يكن هناك زيادة أو نقصان
فمضى إلى دار البقاء وقت الأسفار من دار الفناء هذه، والله أعلم
وكانت مدة ملكه سبعة عشر عاماً وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوماً، وتوفى
منكوتور يوم الأحد السادس عشر من المحرم سنة إحدى وثمانين وستمائة فى بقعة
من توابع الموصل، ودفنوه عند الأيلخان الأعظم.

قصة السلطان أحمد تكودار بن هولاكوخان وخواتينه وأبنائه

لما توفى آباقا خان، أجمع واتفق الأمراء سيم قونقراتاي، وهولاجو، وجوشكاب،
وليشو، والقادة شينكتور نويان، وسونجاق، وعرب، وأسيق^(٢٧)، وقرباقا على أن يكون
الملك لأحمد، وعاد الأمير أرغون بعد ثلاثة أيام ومضى إلى خراسان، وفى يوم الأحد
الثالث عشر من ربيع الأول من السنة المذكورة كان قونقراتاي قد أمسك بيد أحمد
اليمنى، وأمسك شينكتور نويان بيده اليسرى، وأجلسوه على العرش، وأقاموا مراسم
التهانى جرياً على عادة المغول، ولقبوه بالسلطان أحمد.

ذكر خواتينه وأبنائه

كانت الخاتون الكبرى له تكوز خاتون من القنقرات، وبعدها أرمنى خاتون^(٢٨)
وهى من القنقرات أيضاً، وبعدها مايكتن بنت حسين آقا، وتودا كو خاتون بنت
مورينى^(٢٩) لوركان، وإيلقتلغ بنت كنيشوام طوغاجاق، وفى النهاية تزوج توداي خاتون،

وكان له ثلاثة أبناء، وست بنات، الأبناء: قبلابجي، وأرسلانجي من أرمني خاتون، ونوخانجي من قوماي التي تسمى قرقجين، والبنات: كوجوك من تكوز خاتون، وزوجها إلى اليناك، وكونجك من أرمني خاتون، وكانت في هذا الوقت زوجة الأمير إيرنجين بن ساروجة، وجيجاك من أرمني خاتون أيضاً، وزوجها إلى توراجو بن درباي الذي كان أمير ديار بكر، كما كانت مايتومنها وزوجها إلى حندان بن كراي باورجي، وسايلون من توداكوخاتون وزوجها إلى قراجة وإيوا غلنان من أروك خاتون، وككتورمش من قوماي وتسمى فوفورججين، وكانوا قد زوجها إلى شادي بن طوقو أمير نويان، ويعدّه تزوجت أخاه طوغان، وفي هذا الزمان كانت الخاتون بنت الأمير جويان تمورتاش.

حكاية: لما أصبح أحمد سلطاناً، أمر بإحضار الخزائن التي كانت معدة في شاعوتله، وقسمها على الخواتين والأمراء والقادة، وأعطى كل واحد من الجند مائة وعشرين ديناراً، وطلب علاء الدين صاحب الديوان الذي كان قد صادر أمواله مجد الملك، وحبسه في همدان، وأنعم عليه، وأسند إليه بغداد، وقتلوا مجد الدين في ليلة الأربعاء الثامن من جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وستمائة، وأرسلوا أعضاءه إلى أطراف البلاد، وقال صاحب علاء الدولة في حقه هذا البيت:

وقع التزوير في الدفتر في يومين أو ثلاثة وكنت تبحث عن المال والجاه والتوفير
واستولى كل إقليم على عضو من أعضائك وأصبحت مالكاً للعالم في أسبوع واحد
وفي التاسع عشر من هذا الشهر أرسلوا مولانا قطب الدين الشيرازي برسالة إلى مصر بأمر الشيخ عبد الرحمن، والصاحب شمس الدين، وتوفي علاء الدين عطا ملك في الرابع من ذي الحجة من نفس العام، ودفنوه في تبريز، وقال الصاحب شمس الدين في رثاء أخيه:

كاننا كنا شمعتين معاً انطفأت إحداهما وأخرى تحترق

وتوفي الشيخ تاج الدين أبو الفضل محمد بن محمد بن داود البناكتي في بستر في صفر سنة اثنتين وثمانين وستمائة صاحب كتاب الميسور في شرح المصابيح، وكتاب مصباح الضمير من صحاح التفسير والد هذا الضعيف^(٤٠).

خبر وفاة قونقراتاي، ومضى السلطان أحمد إلى خراسان، لمحاربة أرغون خان، أرسل السلطان أحمد من الأتاغ الشيخ عبد الرحمن برسالة إلى مصر، وسجنوه في دمشق سجنًا مؤبدًا، وتوفي في حبسه هذا، وطلب السلطان أحمد قونقراتاي باسم قوريلتاي، ولما كان متفقًا مع بعض قادة أرغون، وعلم أحمد الخبر، أرسل اليناك قبل مواعدهم بيوم واحد؛ ليعتقلوا قونقراتاي، وجاءوا به إلى أحمد في السادس والعشرين من شوال سنة اثنتين وثمانية وستمئة، وفي اليوم التالي عند الفجر، أو في الصباح أتموا أمر بيجين في رأس السنة في قراباغ أران، وأعدمو كوجوك أنقرجي، ونادي أفتاجي.

وأرسل السلطان أحمد اليناك بجيش؛ لمحاربة أرغون، والتقى الجيشان في حدود آق خواجه من توابع قزوین في يوم الخميس السادس عشر من صفر سنة ثلاث وثمانين وستمئة، وتحاربا، وانهزم تبرت واليناك، وعاد أرغون، وسحب السلطان أحمد الجيش ثانية، وتوجه إلى خراسان، وتوجه أرغون إلى قلعة كلات كوه، فمضى اليناك، وأنزل أرغون من القلعة، ومضى به إلى السلطان أحمد أرغون، واحتضنه وقبل وجهه، وسلمه إلى اليناك، وقال: احتفظ به حتى عندما نصل إلى قوتى خاتون، نعرف كلامه هناك.

وعاد السلطان إن بوقا، وييسويوقا، وأروق، وقورومشى الذين كانوا أقرباءه واتفقوا، وكانوا متفقين معه، وتوجهوا إلى هولاجو، وجوشكاب، وأخرجوا أرغون في الليل وتوجهوا إلى اليناك، وكان قد نام ثملًا، فقطعوا رأسه، وألقى القائد على بغاجي تبريز الذي كان من ملازمي بوقا رأسه خارج الخيمة في ليلة الثلاثاء الثامن عشر من ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وستمئة، وفي نفس الليلة أرسلوا أوقسون هولاجو، وتكنا إلى شيركوه قائلين لهما: إننا قتلنا اليناك، وتيتاق، ويجب عليكما أن تقتلا ياسا أرغول، وأبوكان، وكان هولاجو مستاءً من ياسا، فخنقه بوتر القوس واحتفظ بأبوكان، وقبضوا في تلك الليلة على درابوقا بن الناجور مع تيناك، وقتلوا بعضهم، وأرغون الذي كان سجينًا في الليل أصبح ملكًا في الصباح.

سميت الأرض مع قائم عرشه التراب الساكن وكان الدنيا بالنسبة لركن تاجه الفلك العالى
ولما وصل الخبر السلطان أحمد، فر هارباً فى التاسع عشر من ربيع الآخر نحو
ضواحى أسفرايين، فأرسل أرغون قائد الجيش، قونقراتاي حريك بأربعمائة فارس فى
أثره، وأرسل بعده طولاداي بجيش قوامه أربعمائة فارس آخرون، ووصل أحمد فى يوم
الاثنين الثانى من جمادى الأولى إلى جيوشه فى سراة، ووصل فجأة جيش قزاونة،
ونهب هذه الجيوش، وقتلوا أحمد فى ليلة الخميس السادس والعشرين من جمادى
الأولى سنة ثلاث وثمانين وستمئة، وكانت مدة ملكه عامين وشهرين وثلاثة عشر يوماً.

قصة أرغون خان بن أباقا خان بن هولاكو خان وخواتينه وأبنائه

كان لأرغون كثير من الزوجات والجوارى، وتزوج قبلهن قولنوق خاتون بنت تنكيز
كوركان، ولما توفيت تزوج أولجتاي خاتون بنت أخيها بنت سولاميس، وكانت من
توداكاج، ولما كانت طفلة فلم يجمعها، وبعد ذلك تزوج أروك خاتون بنت ساروجة أخت
الأمير إيرانجين من قوم كرايت، وكان ساروجة أختا دوقوز خاتون، كما تزوج سلجوق
خاتون بنت السلطان ركن الدين، وبعدها تزوج بلغان خاتون الكبرى التى كانت زوجة
أباقا خان، ولما توفيت تزوج بدلاً منها بلغان خاتون بنت أريمان بن أتاباي نويان،
وبعدها تزوج درتوداي خاتون من قوماسى، وأتبعها بمرتاي خاتون، وبعد ذلك قولتاق
إيكاجى، وأخرى من تسمى قوتى بنت قتلغ بوقا بن حسين آقا، وأخرى أركنه إيكاجى.

وكان لأرغون خان أربعة أبناء، وأربع بنات، الأبناء : غازان وأمه قولتاق إيكاجى،
وييسموتور، وخربنده وأمه أروك خاتون، وختاي أغول وأمه قولنوق خاتون، والبنات:
أولجاي من أورك خاتون وكانت مخطوبة فى البداية لقونجوقتال، وبعد ذلك زوجها
لأقبوقا، وكانت فى ذلك الوقت لابنه القائد حسين، وأولجاي تمور كانت كذلك منها،
وزوجوها إلى توكال، وبعده للقائد قتلغ شاه، وماتت قبله، وقتلغ تمور من أورك خاتون
وتوفيت وهى بكر، ودلانجى من بلغان خاتون، وماتت هى الأخرى بكرًا.

خبر جلوس أرغون خان

بعد وفاة السلطان أحمد، وبالاتفاق مع الأمراء أمسك هولاجو يد أرغون اليمنى، والأبنارجى يده اليسرى، وأجلساه على عرش الملك فى يورت شوكتوالموافق يوم الجمعة السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاثٍ وثمانين وستمئة الموافق التاسع والعشرين من التنج أى أقنقوثيل بطالع برج القوس، وألقوا جميعاً المناطق فى أعناقهم وركعوا وقرعوا الطبل، وأرسل الملك المنشورات إلى أطراف البلاد، وبعد ذلك شكلوا محاكمة لأبوكان بن شيرامون بن جورماغون وقتلوه، وأمر بتعيين كلاً من جوشكاب، وبايدو من الأمراء، وأروق من القادة على بغداد وديار بكر، وأرسل هولاجو وكىخاتو إلى الروم، وأسند جورجيا إلى عمه أجاي، وسلم ممالك خراسان إلى ابنه غازان، وأرسل القائد كينشو، لمساعدته، كما عين نوروز على خراسان، وأمر يوغاميشى أن يهاجر من هناك، وأن يتوجه إلى سنقولوق، ونفذ أمر الوزارة باسم بوقا.

خبر حال شمس الدين صاحب الديوان واستشهاده

عندما انهزم أحمد، هرب صاحب الديوان من حدود جاجرم، وقد ركب ناقه، وقدم أصفهان عن طريق الصحراء، ومضى من هناك إلى قم، فقال ملازموه: الصواب أن يمشى الخواجه إلى ميناء هرمز، فقال: الأبناء أسرى فى يد المغول، وليست المصلحة أن أمضى إلى الحضرة، فإذا كان يتيسر لى أن أنال رضا أرغون وذلك بمعاونة القائد بوقا، وهو صديق قديم فهذا هو المراد، وإلا فقد رضيت بقضاء الله تعالى وأسلم به، وفجأة قدم الملك إمام الدين القزوينى من عند الحضرة؛ لتفحص حال صاحب، وبعد ذلك بشره الأتابك يوسف شاه اللورى بأن أرغون خان قال: إن الله تعالى منحنى تاج، وعرش أبى فقد عفوت عن ذنوب المجرمين جميعاً، وإذا بانر صاحب بالخدمة فسوف أكرمه، ووصل فى يوم الجمعة العاشر من رجب سنة ثلاثٍ وثمانين وستمئة بأمر شيره^(٤١)

ونزل عند بوقا، وحمله بوقا فى اليوم التالى عبداً، ولكن لم يلتفت إليه الملك، وكان القائد على تمغاچى قد ذهب، واعتقل ابنه يحيى، واستولى على أموال وأملاك الصاحب، وكان هو، وفخر الدين المستوفى، وحسام الدين الصاحب القزوينى من أصفياء الصاحب، واتفقوا على قتله، فأخبروا بوقا بهذا، وقصدوه فى عبودية الملك، ونفذ الأمر فى موضع أوجان حتى ينالوا من الصاحب ألفى تومان، فأرسله إلى بوقا قائلاً: ليس لدى نقود فلو كنت أخفيت المال فى الأرض كالجهال، فكل ما كان يدخل يدي كنت أنفقه على أملاكى، ومثل هذه الأسباب موجودة الآن، وكان يتحصل كل يوم ألف دينار كنت أرسلهم إلى طولادى يارغوجى، وقدان، فتنازعوا فى هذا، ولم يتم الاتفاق على أى نقد، فضربه تغلقق قراوند من الجلائر بالعصى ضرباً مبرحاً، لكن دون جدوى فصدر الأمر بإعدامه، واستشهد على ضفة النهر فى يوم الاثنين الرابع من شعبان سنة ثلاث وثمانين وستمئة بعد صلاة العصر على باب مدينة أهر من توابع أذربيجان.

وقتلوا فى نفس السنة السيد عماد الدين العلوى فى شيراز وسط سوق صانعى القلانس، وأرسل بوقا القائد على إلى تبريز، وتصرف فى أملاكه وأمتعته، وبعد مدة قتلوا ابنه يحيى فى الميدان، ودفنوه إلى جانب أبيه فى جرنداب تبريز.

خبر مقدم بولاجنيك سانك وأردوقيا من عبودية القان

وإحضار المنشور الخاص بملك أرغون

ولما وصل أرغون إلى قصر المنصورية بأران، قدم القائد بولاجنيك سانك، وعيسى كلجى، وأردوقيا من عبودية القان، وأحضروا المنشور بأن يكون أرغون خلفاً لأبيه، وأن يتلقب ببوقا جينك سانك، وفى العاشر من صفر سنة خمس وثمانين وستمئة، جلس أرغون مرة أخرى على العرش، وقدموا إليه الرسوم والتقاليد، وتوفيت بلغان خاتون على شاطئ نهر كر فى يوم الجمعة الثالث والعشرين من صفر، وحملوا نعشها إلى جبل سحاس.

وقدم أرغون خان فى الربيع إلى تبريز، ثم مضى منها إلى سورلوق، ولحق به فى هذا الموضع القائد أروق، وكان الخواجه هارون بن صاحب الديوان ملازماً له، وقتل أروق بتمكنه وشجاعته أخاه بوقا، ومجد الدين بن الأثير، وسعد الدين أخا فخر الدين المستوفى، وعلى جكيان دون استئذان من الملك، ولما كان مجد الدين بن الأثير قريب كيخاتون خان غضب منه، فقال جماعة لكيخاتون: إن أروق تصرف هذا التصرف بأمر هارون، فمضى إلى الروم وصحب معه هارون، وقتله فى الأتاغ، ومات ييسوبوقا نوركان بالقرب من هذا المكان، وقتلوا الخواجه وجيه بن عز الدين هارون فى العشرين من ذى القعدة سنة خمسٍ وثمانين وستمئة، وتوفيت قتلغ خاتون بنت تنكركوركان فى السابع من صفر سنة سبعٍ وثمانين وستمئة.

ووصل رسل من عند بوقاي فى السابع من ربيع الأول، وكان على ضفة النهر، وأحضروا شاريل، وهو عند عباد الصنم، وعندما أحرقوا شكمونى، كان أمام قلبه عظمة شفاقة مثل الخرزة لم تحترق ويسمونها شاريل.

وأُسندوا إمارة بغداد للقائد أردوقيا، ولما توفى تونسكا عينوا بايدو، وسكورجى شحنة لبغداد، وشرف الدين السمنانى على الملك، وسعد الدولة مشرفاً عليهم.

حكاية: لما عظم أمر بوقا كان ينظر بعين الحقارة إلى طغاجار، وقويجوقتال، وطولاداي إيداجى، والسلطان إيداجى، وطوغان، وجوشى، وأردوقيا، فساء ما بينه وبينهم، وتحدثوا عنه على أنه زير نساء، وكان أروق يعيش فى بغداد عيشة الملوك، وسقط بوقا من نظر الملك، واتفق بوقا مع جماعة من القادة، مثل: أروق، وقورمشى بن هند، وقونويان، وأوجان الذين كانوا من قادة الجيش وقدان إيلجى، وزنكى بن نايانويان، وبايجو وقازان أخوا شك تغعلى، وتوقلوق قراوند، وتلك الجماعة من الجاليريين، ومنهم موجلكا سند الذى كتب بخط يده إلى جوشكاب ودعاه إلى الملك، فدان جوشكاب بالولاء للملك، وعرض هذه الرسائل، فأمر أرغون خان الجيش والقادة أن يعتقلوه، فجذب جوشكاب من شعره من خلف ثم ضرب عنقه بالسيف، وحشا جلد رأسه بالتبن وعلقوه فى بول جفان على رأس السوق فى يوم السبت الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة سبعٍ وثمانين وستمئة.

وفى اليوم التالى بدأوا الاحتفالات، وأعدموا بعض القادة الذين كانوا متفقين معه، وعفوا عن قدان إيلجى، وبيان تبكجى، ومنكونتاي بشفاة القادة، وقتلوا من التاجيك القائد على تمغاجى، وحسام الدين القزوينى، وعباد الدين منجم، وشمعون المعروف بروم قلعه، وبهاء الدين أبوالكرم النصرانى، وفى نفس اليوم أرسلوا ياتيمش قوشجى، وناموادرى أقتاجدى، وشادى بن دوقوز مع خمسمائة فارس للقبض على أروغ، وأتباعه فى ديار بكر، وجاءوا به مقيداً، وفى التاسع والعشرين من المحرم قتلوا أروق وأوجان.

وبعد ذلك أمر الأمير بالإنعام على جوشكاب، وأعاده فى آخر صفر، وعرف أن قلبه ليس صافياً له، فأرسل جماعة من القادة فى عقبه ليعيدوه، وكان قد سافر إلى الشام، ووصل إليه أرتسون نويان، وياتيمش قوشجى، وغربناى، وبورجو بن درباى على ضفة نهر تومان بين أرزان، وميفارقين، فتحارب معهم، وقبضوا عليه، وأعدموه فى الحادى عشر من جمادى الأولى.

وبسبب ذلك ثار نوروذ فى خراسان، واتهموا الأمراء هولاجو، وقرابوقاى على أنهم موافقين له، وبناء على قول مقبل أخوار دوقيا الذى كان قريب قرابوقاى أنهم اعتقلوه فى الثامن من جمادى الأولى، وأرسلوه إلى قلعة كردكوه، وقتلوه فى العشرين من رمضان فى دامغان، وأرسلوا فى السابع والعشرين طوغان بجيش؛ ليكون مدداً للأمير غازان فى خراسان.

وفى العام نفسه أحضر أردوقيا، وسعد الدولة مال بغداد كله فى مصيف قنقور أولانك، فسر الملك، فقال سعد الدولة: لولم يمنعنى الحراس لكان أضعاف هذا، فصدر الأمر بإعدام تلك الجماعة، فقتلوا أريبب أوجى، وقتلغ شاه، وأرسلوا رأسيهما إلى بغداد، وجاءوا بمجد الدين الكتبى، ومنصور بن علاء الدين عطا ملك من بغداد، وقتلوهما على رأس الجسر، وأسند أرغون خان الوزارة إلى سعد الدولة بن صفى الدولة بن هبة الدولة بن مهذب الدولة الأبهري فى أوائل جمادى الآخرة، وهو فى مصيف سقورلوق، وقتلوا أخا الملك شرف الدين الملك جلال الدين السمنانى فى الثامن عشر من رجب بقصر المظفرية على الجبل الأسود، وقتلوا مسعود، وفرج الله ابنى الصاحب

شمس الدين فى ميدان تبريز فى الثالث من رجب، كما قتلوا على بن الخواجه بهاء الدين فى أصفهان، وعظم شأن سعد الدولة، وأرسل إخوته فخر الدولة، ومهذب الدولة، وجمال الدين اللاستجردانى حكماً على بغداد فى السابع من شعبان، وأسند مملكة فارس إلى شمس الدولة بن منتخب الدولة المنجم، وديار بكر إلى أخيه الآخر أمين الدولة، كما أسند لابن عمه مهذب الدولة أبى منصور الطبيب الإشراف على تبريز^(٤٢).

خبر وفاة أرغون خان

عبر أرغون خان نهر كر فى الرابع والعشرين من المحرم سنة تسعين وستمائة، ونزل فى حديقة أران، ولشدة مرضه ينس القادة من حياته، وغضب طغاجار، والأمراء الآخرون بعضهم من بعض، وساعت الأحوال بينهم وبين سعد الدولة، فاقسم طغاجار، وقوبجو قتال باتوكال، وإيلجيداي فى الرابع من صفر، واتفقوا على أن يواجهوا الأعداء، فأعدمو السلطان إيداجى فى البداية فى غرة ربيع الأول، وفى نفس اليوم اعتقلوا أربوقيا، وأرسلوا طوغان؛ ليقبض على قوجان، وسعد الدولة، وفى تلك الليلة قتلوا جوشى، وقوجان، وقتلوا فى اليوم التالى سعد الدولة، وأربوقيا فى بيت طغاجار، وسلبوا حظيرة خيول سعد الدولة، وتوفى أرغون خان يوم السبت السابع من ربيع الأول سنة تسعين وستمائة، وحملوا نعشه إلى جبل سجاس، ودفنوه هناك، وكانت مدة ملكه سبعة أعوام وتسعة أشهر وعشرين يوماً، وقال فى تاريخه:

سيد سادة الدنيا ملك الأرض وحيد كل الآفاق الملك أرغون خان
كان فى اليوم السابع من ربيع الأول فى سنة ستمائة وتسعين فى سربول جغان
يا أسفاً لقد مات مثل هذا الملك فمضى عن هذه الدنيا وكل من عليها فان

خبر كيخاتوخان بن آباقا خان وخواتينه وأبنائه

سماه الكتاب إيريجين دوزخى، وكان له كثير من النساء والسرارى، تزوج فى البداية عائشة خاتون بنت طوغو بن إيكاتويان، وبعدها إيلبتوزمش خاتون بنت قتلغ

تمور كوركمان، وبعد ذلك ملكة خاتون كركمان، وبعدها أروك خاتون، وبعدها بولغان خاتون، ودوندى خاتون، وكانت له جارية وتسمى بنى، وأخرى تسمى الش بنت بيكلاميش أخو أوجان من قوم أولات، وله ثلاثة أبناء: الإفرنك من دوندى خاتون، وإيران شاه منها أيضاً، وجينك بولاد من بولغان خاتون وسموه تيرى، وأربعة بنات: أولاقتلغ، وأراقتلغ، وإيل قتلغ، والثلاثة أمهن عائشة خاتون، وقاتلغ ملك من دوندى خاتون، وكانت فى هذا الوقت زوجة القائد محمد من الأويرات، وهى أخت حاجى خاتون أم السلطان أبى سعيد.

خبر تريغ كيخاتو

أجلسوا كيخاتو على العرش الخانى فى يوم الأحد الرابع والعشرين من رجب سنة تسعين وستمئة الموافق الخامس والعشرين من التنج أى قوينيل على حدود مدينة أخلاط، واعتقلوا جميع القادة بعد الاحتفالات، والمآذب فى بداية شعبان، وبدأوا الاحتفالات، وأمر بالإنعام على القادة بعد الانتهاء من المحافل، وكان طوغان محبوساً، فأرسل أقبوقا كوركمان بن أردوقيا، فاعتقلوا طوغان وقتلوه.

وعزم كيخاتون على العودة فى يوم الجمعة الرابع من رمضان، وأسند النيابة المظالقة عنه إلى شينكورنويان على هذه الممالك، وجاء الخبر أن جيش الشام قد وصل، وأن الملك الأشرف حاصر قلعة الروم، وفى شهر رجب توجه منكوتمور، وطفاجار، وروزغداى أختاجى، وتماجى إيناق بجيش؛ لمحاربته، واستولى الملك الأشرف على قلعة الروم فى رجب، وقتل بعض أهالى تلك الناحية، وسلم القلعة إلى كوتوالان وعاد، وعين صدر الدين الزنجانى فى وظيفة صاحب ديوان الممالك فى السادس من ذى الحجة، وهو فى طريقه إلى مشتى آران ولقبوه صدر العالم، وأخوه قطب العالم، وابن عمه قوام الممالك، وتوفى فى الثالث من جمادى الأولى سنة اثنتين وتسعين وستمئة فى دكنة تنغاول فى آران، وأعدمو قتلوق بوقبا، وصارون كرجى فى أواخر شعبان فى أسكير^(٤٣)، وتوفى فى السابع من رجب من السنة المذكورة كراى بن تنكوتمور.

وتداولوا العملة الورقية فى يوم السبت التاسع عشر من شوال سنة ثلاث وتسعين وستمائة فى مدينة تبريز، ووقع الناس فى شدة فالفوها، وتداولوا العملة الورقية (جاو) ثانية، وتوفى الأمير إبنارجى فى يوم الجمعة الثانى من ذى القعدة سنة ثلاث فى حدود نخجوان.

حكاية عصيان بايدو فى بغداد، والخلاف بين القادة

لما كان كيخاتو قد أمر بقتل الأمير بايدو بن طوقاى قبل ذلك، ووجد العفو والخلص بشفاعة نورامجين إيكاجى، بدأ العصيان مع جماعة من قواده فى بغداد، وقتل محمد سكورجى الذى كان أمير بغداد بحكم قرار كيخاتون خان، فأخبر عويباى كوركان كيخاتو، وقال: إن القادة طولاداي، وقوبجوقتال، وتوكال، وإيلجيداي، وبوغداى متفقون معه، فاعتقلهم كيخاتو وسجنهم وسلمهم إلى قبقاق أغول، ثم أرسل بايدو إلى سجن تبريز، وهرب جميع القادة، ماعدا توكال الذى كان فى جورجيا، وفى يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ستمائة وأربع وتسعين أرسل أقبوقا طغاجار، لمحاربة بايدو، وكان طغاجار قد أرسل رسالة فى الخفاء إلى بايدو وحرضه على العصيان، ولما وصلوا إلى ضفة نهر جغاتو، قال أقبوقا ضمن كلامه مع طغاجار: أنت رجل وبعد ذلك تنتظر موضع الهرب، وليس لديك خبر عن أى عمل تفعله!، ولست عالمًا على ما جاء فى رسالته إلى بايدو، ولما سمع طغاجار هذا الكلام تحسّر أن أقبوقا عرف سره، واتفق مع القائد هزارة على أن يمضوا فى وسط الليل؛ لمحاربة بايدو، ولما رأى أقبوقا هذا فر، ووصل إلى كيخاتو فى حدود أهر، فحار كيخاتو من هذا الأمر، وأراد أن يرحل إلى الروم، ولم يرَ بعض ملازميه أن المصلحة فى هذا فعاد، ومضى إلى بله سوار، وكان القائد حسن بن طوغو ملازمًا له من المهدي، فهرب مع أصحابه فى منتصف الليل، وولى وجهه شطر بايدو.

ولما بلغ هذا الخبر طولاداي، وقوبجوقنتال وكانا سجينين فخرجا، واتفق إيرنجين، وبايجاق مع جماعة أخرى، وأخرجوا قبجاق بن بايدو الذي كان محبوساً في السجن وحملوه إلى أبيه، وفي يوم الخميس السادس من جمادى الأولى تحارب تاتياق، وطغر يلجة على الحدود مع باشماق أغول، وقراجة صهر السلطان أحمد، وكان النصر لتاتياق، وقدم توكال من جورجيا وأرسل رسولاً إلى تبريز لقواد السجناء قائلاً لهم: لقد قدمت بجيش كبير لأعين الأمير، وأريد أن أمضى إلى أران قاصداً كيخاتو، وينبغي أن تنضموا إلى في أسرع وقت، فمضوا في الحال، ووصلوا توكال على ضفة نهر كر، فاعتقل كيخاتو وسلمه لهم فقتلوه في يوم الخميس السادس من جمادى الأولى سنة أربع وتسعين وستمائة، وكانت مدة ملكه ثلاثة أعوام وتسعة أشهر واثنى عشر يوماً، وقتلوا معه تماجي إيناق، وايت أغول اللذين كانا من المقربين إليه.

وراسل القادة القائد رمضان من جفاتو؛ ليلحق بخدمة الأمير غازان في يوم الأربعاء التاسع عشر من جمادى الأولى؛ ليخبره بموت كيخاتو، وأرسلوا رسولاً إلى بايدو؛ ليأتي على وجه السرعة؛ ليتربع على العرش، ولما سمع بايدو هذا الخبر طاب نفساً، ومضى إلى تلك الديار، وتأتى هذه الحكاية في قصة غازان خان.

قصة غازان خان بن أرغون خان بن أباقا خان بن هولاكو خان بن تولوي خان بن جنكيز خان وخواتينه وأبنائه

ولدت قولتاق خاتون غازان خان في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة سبعين وستمائة، في وقت السحر الموافق الأول من بيرنكر مينج أي قويننيل في أبسكون على حدود مازندران في طالع السعد ببرج العقرب، وسلموه إلى مرضعة على خلق حسن تسمى موغالجين، وجاءت امرأة صينية تسمى إيشنك مع قولتاق خاتون، وأخذوه منها وأعطوه والده حسن الذي كان قائد توقجيان من قوم سلدوس، وبعد ذلك وفي شهور سنة ثلاث وسبعين وستمائة، أدخل أرغون غازان في عبودية أباقا خان في قونقور أولانك، وسلمه إلى بلغان خاتون، فقال أباقا خان: ليكن جيشي من بعدى لغازان خان، ولما أصبح أرغون ملكاً، جعل غازان خلفاً له في خراسان.

ذكر خواتين غازان خان

تزوج في البداية بندي قورقه بنت منكوتور كور كان من قوم سلدوس، وكانت أمها طوقلغ شاه خاتون أخت مبارك شاه بن قرا هولاكو، وبعدها تزوج بلغان خاتون الخراسانية بنت القائد تسو، وكانت أمها بنت أرغون آقا، وبعدها أشيل خاتون بنت توق تمور قائد نويان بن نوقاي يارغوجي، وبعدها كوكاجين خاتون، وهي من أقرباء بلغاي خاتون الكبرى، وجعلها مكان بوقوز خاتون، وقوقيني خاتون، وبعدها بلغان خاتون بنت أرغان سراباتاي نويان، وولدت ولدًا يسمى الجو، وتوفى طفلاً في سنة سبعمائة، ولها بنت تسمى الوجاء قتلغ، وهي خاتون خواتين السلطان أبي سعيد، وبعدها دوندي خاتون، وبعدها إكرامون خاتون بنت قتلغ تمور بن أتاباي، وجعلها في مكان كوكاجي خاتون.

خبر ركوب غازان خان قاصداً آذربيجان، وما وقع من أمور له مع بايد وقان

ولما وصل غازان خان بطالع السعد مع قادة الدولة، وأركان الحضرة إلى خيل دك^(٤٣) وصل أراي تمور أنداجي من عند بايدو، وذكر موت كيخاتو، وقال: اتفق القادة طغاجار، وطولاداي، وقويجو قتال على أن يكون الملك لبaidu، ويرون أن الفتنة شيء تافه، فتشاور غازان مع نوروز، والقادة الآخرين، وأرسل الرسل إلى بايدو قائلين له: لم يكن معهوداً في قوانين جنكيز خان القديمة أن أمراء قراجولا يعرضون للأسرة بدلاً منهم، فينبغي أن ترسل إلى هنا الجماعة التي قتلت كيخاتو حتى نسمع أقوالهم، ويحكم عليهم بمقتضى قانون الياسا.

ولما وقف قادة بايدو على مضمون الرسالة، أجلسوه في الثامن من جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين وستمائة على العرش، وأرسل غازان عملاً بمشورة نوروز قتلغ شاه مولاي، وياغميس إلى بايدو، قائلين له: نحن نصل متعاقبين فأين يرى بعضنا بعضاً؟ فطلب أروكلوك، وكان بايدو في هشترود مراغة، فأعلن ناقلو الأخبار أن غازان اقترب بجيش جرار، وأن القائد نوروز أرسل بوغداي أفتاجي في خدمة بايدو لاستقبال

واستطلاع الأمور والأحوال، والتحدث فى كل شىء، وصلوا صلاة العصر قبل وصول مداد الحرب، وأشار نوروز لغازان من بعيد على تل عالٍ بإصبعه قائلاً: نصل غداً إلى قمة هذا التل قبل أن يصل المتمرّد إليه، فيكون الظفر والنصر لنا.

والتقى الجيشان على حدود توبان شيرة فى فجر يوم الخميس الخامس من رجب سنة أربع وتسعين وستمائة، واعتلى نوروز، وغازان قمة هذا التل، ودبر الفتح والنصر، وقال نوروز: لم تجتمع بعد جيوشهم، وصلاح الأمر أن نبادر بالحرب، وكان القائد قتلغ شاه على ميمنته، ويقابله إيلدار، وتوكال، وإيلجيداي، ولم يكن كهوركاي قد اقتحم قلب الجيش، ولم يكن الجيش قد دخل المعركة بعد، فهزموا جيش إيلدار، وأغار عليهم جيش قتلغ شاه، وسقط إيلدار عن صهوة جواده، وأصاب سهم عين نائبه طغاي فمات، وقتل فى لحظة واحدة ثمانمائة فارس جرار، وجرح وهرب فوج منهم، وجاءوا بأرسلان كوون ماشياً وفى عنقه حبل، ودخل القواد من الجانبين إلى الوسط، وسعوا فى الصلح، وتحدثوا فى هذا حديثاً طويلاً قائلين: يخرج كل ملك من قلب الجيش بخمسة فرسان، فمن طرف بايدو، طغاچار، وطولاداي، وقوبجوقتال، وإيلجيداي . ومن طرف غازان، ونوروز، ونورين، وقتلغ شاه، وسوناي من وسط الصفوف فى المكان المتفق عليه، وتعانقا أقا، وإيني وتعاهدا على ألا يتعدى أحدهما على الآخر، وأن يشتركا معاً فى الملك متفقين، واستقر الرأى على أن يقدموا جيوش أرغون بتمامها إلى الملك مع طغاچار، وتومان قرار، وناس، لأن هذا الملك خاص بأرغون، فقال بايدو: يعلم غازان أن أباقا خان مثل أبى، ومنحنى ضيعة بجانب بغداد مع طغاچار تقدر بعشرة آلاف، وإذا كان يقرر ذلك بموجب الأمر فهو حاكم، ويسلموا بقية الأشياء حتى يعود الأمير، وقال قوبجو قتال لبایدو فى هذا اليوم: إن أقبوقا سجين فإذا كان النصر للخصم، فإنه يسعى فى قتلنا سعياً حثيثاً، فأعدموه.

وفى هذا الوقت كانت الجيوش تصل من بغداد، وموغان على الدوام حتى يعظم أمر بايدو، وتعزز شوكته، وغير القادة جلد الميثاق، وكفوا عن العداء والخلاف، ولكن بايدو لم يرض بهذا، ففارقه توكال غاضباً منه، ومضى إلى جورجيا، ولما عرف غازان

بمقدم الجيش سلك طريق سياه كوه ومضى، وأقسم القواد بعضهم لبعض، فأقسم بورين وقتلغ شاه، وبعض القادة بالشمس، ونوروز، وبورالقى، ومولاي مع القادة الآخرين بالقرآن الكريم، وفي أثناء هذا قال نوروز: لى التماس إذا وجدت شرف الإذن منكم فأقوله لكم، فوجد الإذن، فقال: إذا أسلم الملك فإن الناس جميعاً يسلمون ويدعون له، ويستوجب أن ينصروه ويظاهروه، فوضع غازان يد القبول على صدره، وأجاب قائلاً: إذا تم الخلاص من هذا الحرج، فأتا أتم هذا، فأخرج نوروز من كيسه الكبير قطعة من الياقوت المصقول اللامع وزن عشرة مثاقيل، وركع، وقال: ولو لم يكن لقراجو الحد فى أن يعطى المعرفة للأسرة، أما من حيث الكرم الشخصى، فإنى أقدم هذه الياقوتة على أنها منشور ملكى إلى عبيد الحضرة حتى أدين بالعبودية، فسلم غازان خان هذه الياقوتة إلى أحد المقربين منه، وفى ليلة الثلاثاء الثامن من رجب سنة أربع وتسعين وستمائة، ركب وتوجه إلى سياه كوه، واتصل بجنوده، وترك نوروز، وتوَقَّمتور بن بوقايا غوجى فى نفس الموضع حتى يأخذ منشور حكم ممالك فارس والعراق، وأن ترحل جيوش خواتين عمه وأبيه والجيش الخاص بأباقا، وأرغون، واطلع على أحوالهم وعرف أنهم سوف يأتون خلفه. ولما مضى غازان، عذبوا نوروز، وتوَقَّمتور مدة أسبوع فى الحبس، وكان قوبجال يريد قتل نوروز، فعرف نوروز أنه لاسبيل إلى الخلاص، إلا بالخداع والحيلة، فبدأ يتملق، فأحضره بايدو فى خلوة ومدحه كثيراً وأثنى عليه، وقال: إذا أردت الخلاص؛ فاعقد معى عهداً وميثاقاً، وعدنى بآنك ستسلمنى غازان، وأقسم بآنك لن تخالفنى، فسرعان ما أقسم نوروز بأنه سوف يأتى بغازان مقيداً وأسلمه لك.

حبذا الرجل العالم فى وقت الشدة يثير الهياج من الفلك الدوار
وإذا سححت له الحيلة فإنه يطلق بالمحرر روحه

فانخدع بايدو بخدعته، وأنعم عليه، وفى يوم الثلاثاء الخامس عشر من رجب مضى نوروز، وتوَقَّمتور فى أربعة أيام بلياليها من حدود مراغة إلى فيروز كوه، ووصلا إلى العبودية فى السابع والعشرين، وشرحا الأحوال، ونفذ نوروز ما أقسم عليه، وأرسل غازان إلى بايدو مقيداً، وتعجب القادة، وقالوا:

ذلك الأسد الذى أوقعته فى الشرك أطلقته من الشرك وساءت الحال

خبر إسلام غازان خان

تشاور غازان خان مع القادة فى تدبير دفع التمرد، وقهر الأعداء، وقال كل قائد كلاماً حسب مرتبته، وبما أن القائد نوروز بحكم أنه قدم منشوراً ملكياً من قبل، فقد ركع على ركبتيه، وقال للملك: يروى عن علماء الإسلام، وأصحاب النجوم، أنه بين عام ستمائة وتسعين يعظم الإسلام بملك عظيم بعد أن اضمحل، فتعود إليه نصرته وقوته وازدهاره، ويزدان التاج والملك به أعواماً، وأنى أنكر أن هذا الملك هو غازان، وأن أمارات وعلامات من شمائل صورة الحالة، وصفحة آثار جبينك تبو واضحة جلية، وإذا تقلد الملك قلادة الإسلام، لاشك أن العهد سيكون لأولى الأمر، ويجب على المسلمين جميعاً أن يعاونوه، ويظاهروه بقلوبهم وأيديهم، ويهبه الله بيمن همتهم النصر.

ولما نور الحق تعالى فى الأزل قلب غازان بنور التوحيد، فاستمع إلى كلام نوروز، وطلب ذلك الحجر الذى كان قد استودعه إياه، وفى الرابع من شعبان سنة أربع وتسعين وستمائة أقاموا حفلاً على باب جوسق كان فيه عرش أرغون فى مقام لاردماوند، واغتسل غازان خان فى الحمام، ولبس ثياب الشيخ سعد الدين الحموى، وصعد إلى أعلى القصر، ووقف على قاعدة العرش بتواضع فى الحضرة الإلهية، ولقنه الشيخ صدر الدين إبراهيم الحموى كلمة الشهادة، وبدأ الأمير يقول كلمة الإخلاص وأمن، وأسلم جميع رجال الجيش مجاملة له، ونثروا الأموال، وكانوا يقولون: مال وحال وسال وفال واصل ونسل وعرش وحظ ليكن كل ذلك مستقراً فى ملكك على الدوام

خبر حال بايدو، وعداء القواد له وقتله

من هذه الناحية أصبح طغاجار حزيناً من دولة بايدو، وأصبح صدر الدين الزنجانى بسبب وزارة جمال الدين المستجردانى ذليلاً مبعداً، فأظهر طغاجار العداء

لبايدو، وأرسلت بلغان خاتون الشيخ محمود مع خادم يسمّى قتلغ شاه إلى غازان، ليعرض سر القواد، وهرب صدر الدين بعد ذلك، واتصل بغازان، وقال على لسان طغاجار متحدثاً عن ولاء، وإخلاص، وميل القادة الآخرين، وضعف بايدو.

انطلق غازان إلى الري في يوم الجمعة الموافق منتصف شوال سنة أربع وتسعين وستمائة، ومضى نوروز مع خمسة آلاف فارس إلى منقلاي، وكان معه صدر جهان، وبعد ذلك هرب القائدان جويان، وقورومشى، وانضما إلى غازان، وفي العاشر من ذي القعدة انضم طغاجار مع ساريان بن سونجاق، وبوغداي أكتاجي إلى نوروز، ولما بلغ الخبر بايدو، ثارت ثائرتة وهرب، ووصل نوروز إلى دار الملك تبريز في غرة ذي الحجة، وطبق ما قد جاء في المنشور في يوم الثلاثاء الثامن من ذي الحجة، فقد شرع في تخريب المعابد والبيع والكنائس، وأرسل نوروز، وقورومشى مع شادي بن طوغور أربعة آلاف فارس في أثر بايدو، عملاً بهذا الحديث الذي قال فيه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) : (خير الأصحاب أربعة، وخير السرايا أربعمائة، وخير الجيوش أربعة آلاف)^(٤٤) ، فوصلوا إلى بايدو وقبضوا عليه وأحضروه أمام نوروز وبشروا غازان، فأمر بأن يتوجه سوتاي أكتاجي، لإتمام أمر بايدو، فأمر بأن يمضى سوتاي أكتاجي؛ لينجز أمر بايدو، ووصل سوتاي مع المقربين لكيخاتوخان إلى حديقة بيكش عند باب تبريز إلى بايدو، وفرغوا من أمره في ليلة الأربعاء الثالث من ذي الحجة سنة أربع وتسعين وستمائة، وهرب إيلدار إلى ناحية الروم، وتوكل إلى جورجيا، وأعدموا قبيجاق أغول بن بايدو في منتصف ذي الحجة على حدود مراغة.

ودخل الملك دار الملك تبريز في يوم الأربعاء الثالث من ذي الحجة، ونزل في القصر المبارك بالشام^(٤٥) ، وجلس على عرش المملكة، وأسند حكومة تبريز المحروسة إلى شرف الدين عبد الرحمن، وسافر إلى مشتى آران، وفي يوم الأحد الثامن والعشرين من ذي الحجة تربع على عرش السلطنة عند حدود "أبوكير مرغان" .

حكاية جلوس السلطان محمود غازان خان

لما ازدان التاج، والعرش بذاته الشريف، رفع الأمراء والقادة قلانسهم، وجعلوا المناطق فى الأعناق، وركعوا وباركوا وهنئوا العرش والتاج بجلوسه، ونشروا الأموال، وبعد إقامة الولائم والحفلات انشغلوا بتدبير أمور الملك والرعية، وأرسل الملك المنشورات إلى أطراف البلاد، وبعد ذلك أمر بتعيين سوكاى بن يشموت والياً على إقليم خراسان، كما أسند ديار بكر إلى مولاي، وفى غرة المحرم سنة خمس وتسعين وستمئة، أرسل طغاجار إلى بلاد الروم، وفى يوم الخميس الثالث عشر من صفر توفيت أروك خاتون فى قرا باغ، ووصل الرسل من ناحية خراسان، وذكروا: أن دوا بن براق أعمل النهب والسلب فى مازندران، وسوكاى بدأ فى العصيان هناك. فأرسل غازان خان فى العاشر من ربيع الآخر هورقوداق بجيش جرار فى إثر نوروز إلى خراسان، واعتقلوا سوكاى على حدود خرقان، وأعدموه، وقبضوا على إيلدر فى آخر ربيع الأول بعد معركة على حدود أرزان الروم، وأعدموه، وأعدموا يورالقي قياتى سكورجى بن مبارك شاه فى يوم الأحد السادس من ربيع الآخر، وتوفى فخر الدين إيداجى فى نهاية يوم الأربعاء الثالث والعشرين من ربيع الآخر، وأعدموا يستمور، وجريك ابنى قونقير اتاي، وقورمشى فى ليلة الجمعة آخر ربيع الآخر، واعتقلوا أرسلان كوون فى يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى، وأعدموه مع الخدام، وفى نفس الوقت اعتقلوا توكال، وجاعوا به من جورجيا، وأعدموه مع غازان بن طايجو، وقتلوا ابنه بك فى ميدان تبريز، وأعدموا خمسة أمراء وثمانية وثلاثين قائداً فى مدة شهر واحد، وأرسلوا خرمنجى إلى بلاد الروم؛ ليقتل طغاجار، وأعدموا ابن إيلدار وييسوتاي بن طاشمنكو فى ديار بكر فى يوم الخميس العشرين من رجب، واستشهد حسام الدين فى يوم الأربعاء الثالث عشر من شوال فى يوزاغاج، وقتلوا ياقوت بن شيرامون فى السابع من ذى القعدة، وأعدموا فى الرابع من ذى القعدة إيلدار أغول بن قونقير اتاي، وسافر الملك إلى بغداد فى يوم الثلاثاء السابع من ذى القعدة، وعزلوا شرف الدين السمنانى من الوزارة فى يوم الخميس السابع والعشرين من الشهر

نفسه، وأسندوها إلى جمال الدين المستجردانى فى يوم الجمعة، واستشهد فى يوم الأربعاء التاسع من المحرم سنة ست وتسعين وستمائة فى حدود قرية سبندان، وألت الوزارة إلى صدر الدين الزنجانى، ونزل الملك فى يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر فى دار السلام بغداد.

حكاية: لما وقع الشر بين نورين ونوروز، وتخوف صدر الدين من القائد نوروز بسبب من يسمى قيصر الذى قدم من مصر برسالة، فأعمل الخبث والخديعة، وقدم رسالة مزورة على لسان نوروز، ووضعها فى كيس أخيه حاجى عندما كان جالساً بجانبه، وأخبر الملك بعصيان نوروز، فأمر الملك بالقبض على أفراد أسرته، وفى غرة جمادى الآخرة سنة ستمائة وست وتسعين، بدأوا بقتل ابن نوروز أردوبوقارا، ونائبه ستلميش، وابنه قتلغ تمور فى مكان واحد مع أفراد أسرهم وذوى قرياهم، واعتقلوا فى نفس اليوم كمال كوجك فى بغداد، وجأوا به إلى المعسكر، وقتلوا على الساكن فى بغداد، وكان معهم فى يوم الخميس الخامس من جمادى الآخرة منشور يارغوى حاجى، وكمال كوجك فى حدود خانقين، ولم تثبت عليهما أية تهمة، ووجدوا هذه الرسالة فى كيس صدر الدين الخاص فعرضوها عليه، فاندھش، ولهذا السبب قتلوه مع كمال كوجك، ونهبوا أمتعته وخيوله وقبره فى تبريز، وفى السابع من جمادى الآخرة أعدموا أخا حاجى لكزى كوركاز فى الميدان، وبعد ذلك اتهموا أبناء هندوقورنويان، وشيدون، وعمر، وإيلبوقا بارتكاب ذنب وقتلهم.

خبر حال نوروز واستشهاده

أرسل غازان خان قتلغ شاه بجيش جرار إلى خراسان فى يوم الاثنين الثانى عشر من شعبان سنة ست وتسعين وستمائة، وبعد ذلك أرسلوا خربنده من ييستون؛ ليكون حاكماً على خراسان، وقبض أمراء الروم والعرب على ابن سماغار، وبالتوبين تانجى فى يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من رمضان، وجأوا به إلى الحضرة، ولما وصل قتلغ شاه خراسان، دعاه الملك فخر الدين بن شمس الدين كرت إلى القلعة، ولم

ير الأمراء فى ذلك مصلحة، فقال نوروز: لا حذر من الموت، كل من جاءه الموت فى هراة، فلا يمكن رده إلى مكان آخر.

وقال: يحكون أن ملك الموت حملق فى شخص فى حضرة سليمان (عليه السلام)، فخاف ذلك الشخص، ولما غاب أبو يحيى طلب من سليمان (عليه السلام) أن يأمر الريح أن تحمله إلى بلاد الهند، ولما عاد ملك الموت سأله سليمان (عليه السلام)، لماذا دقت النظر فى هذا الرجل؟ قال: أمر الله تعالى أن أقبض روحه فى الهند بعد ساعة، فوجدته هناك فتعجبت، كيف سيكون هذا!

ولما سمع القادة هذا الكلام مضوا جميعاً حاملين أرواحهم، وبما أن أجل نوروز قد جاء فقد تحصن فى القلعة، ووصل قتلغ شاه على أثره كالظل، وأحاط بالقلعة كأنه حلقة حول نقطة، فقال حاجى رمضان فى الخفاء لنوروز: إن المصلحة فى أن نقيّد ونسجن حفاظاً على الملك، فلم ير نوروز مصلحة فى هذا، فسمع القائد هذا الكلام، فأخبر الملك، فاستشار أعيان هراة من خوفه، فاعتقله بحيلة، وأرسله إلى قتلغ شاه، وقتلوه على باب هراة فى الثالث والعشرين من شوال سنة ست وتسعين وستمائة، وأرسلوا رأسه إلى الحضرة على يد بولادقيا؛ ليحملها إلى بغداد، وعلقوها على باب نولى، وأعدم القائد قتلغ شاه قادة نوروز: توكال فرا، وبوراجار، وقراوسون، والنوجاق فى مرعى شوران، وأعدموا بالتوابنة فى ميدان تبريز فى يوم السبت الخامس والعشرين من ذى القعدة، وأنعم على صدر جهان، وهبه ضيعة فى يوم الإثنين، وأقام فى وسط حديقة العادلية بتبريز قبة عالية فى السادس عشر من ذى الحجة الموافق أقتونيل، وعاد القائد قتلغ شاه من خراسان فى الثامن عشر وأنعم عليه، وتوفى أمير الصين أغول فى دالان ناوور فى التاسع من ربيع الآخر، وتوفيت دوندى خاتون فى بازايه فى يوم الأحد الخامس والعشرين، وحملوها إلى تبريز، ودفنوها فى سرخاب، وأعدموا طانجو أغول مع أربعة من الخدم فى يوم الثلاثاء الثانى من رجب على ضفة نهر نواردالان، وفى يوم الأحد الحادى والعشرين من رجب أمسك صدر جهان يدي القائد سوتاي فى وقت الضحى، وشطروه شطرين، وأعدموا قطب جهان وقوام الملك

على بوابة تبريز فى يوم الاثنين الحادى والعشرين من شعبان، وتوفى ساريان بن سونجاق فى ليلة التاسع من ذى القعدة فى تبريز، كما توفى بورالتاى أغول فى الخامس والعشرين، وتوفى القاضى محبى الدين بتبريز فى يوم الأربعاء الثانى من ذى الحجة، ومات قبله بيوم القاضى تاج الدين المسكين.

وارتحل غازان من تبريز إلى أران فى يوم الخميس، وهب منصب وزارة هذه الممالك إلى الخواجه سعد الدين محمد الساوجى، وتوفى إيسن بوقاكوركبان بن بوقايار غوجى فى المحرم سنة ثمان وتسعين وستمئة، وأعدمو إقبال فى الثامن والعشرين من شعبان، وكانوا قد أعدمو قادة الروم كوزه، وجركس مع سولاميش بن أروك بن بايجونويان يوم الأربعاء الرابع والعشرين من رمضان، وأمر بإنزال الأعلام الملكية فى دار الملك تبريز فى يوم الجمعة الرابع من ذى الحجة، وقبض على سولاميش، وأحضره من الروم، وقتلوه فى يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ذى الحجة فى ميدان تبريز بطريقة شنيعة، وأضرموا النار فى جثته.

خبر مضى غازان خان إلى ديار الشام

لما سمع غازان خان خبر عصيان المصريين، خرجت الأعلام الملكية من تبريز فى سبيلها إلى الشام فى يوم الجمعة التاسع عشر من المحرم سنة تسع وتسعين وستمئة، وعبر النهر، ونزل أمام قلعة كشاف فى الخامس عشر من صفر، ووصل فى الخامس والعشرين إلى حدود نصيبين، واستعرض الجيش، وأرسل قتلغ شاه فى السابع والعشرين بجيش فى الطليعة، وعبر نهر الفرات فى يوم الثلاثاء الثانى عشر من ربيع الأول محاذياً لقلعة جعير^(٤٦)، ووصل إلى مدينة حلب فى يوم الأحد الموافق السابع عشر، وتجاوز مدينة حماة فى الخامس والعشرين، ونزل فى محاذاة مدينة السالمية، وظهر هناك يزك الثائر، ونزل على بعد ثلاثة فراسخ من مدينة حمص على ضفة نهر باريك فى يوم الأربعاء الموافق السابع والعشرين، وجاء الثائر، فصلى ملك الإسلام غازان مع جميع الجيش ركعتين، وركب وواجه الثائر بما كان معه من جنود، وكان على

ميمينته القائد مولاي، وبعده القائد زاده، وبعده القائد قتلغ شاه، وبعده وموتدو، وكان مع كل منهم عشرة آلاف من الجند، وكان الملك فى القلب، وفى المقدمة جويان، والسلطان يسوول، وكان أمام الملك فى القلب طغرلجيه بن مانجوسكورجى، وعلى ميسرته إيل باسميش، وبعده جيجاك وبعده قومشى بن اليناك، وكان آخرهم كوربوقا الذى كان على الساقة، ونشب القتال قبل أن يركب جميع الجيش، وحارب الشوام بعددهم وعدتهم.

وأمر قتلغ شاه بإقامة خيمة كبيرة، فظن المصريون أنه الملك فحملوا عليه جميعاً، وكانوا يصلون فوجاً بعد فوج، وحطموا صفوفهم، وجعلوا يغيرون عليهم، وأوقعوا الشجعان، وقتلوا عدداً كبيراً كما جرحوا، ولحق القائد قتلغ شاه مع فوج من الفرسان بالعبودية، وكما جرت العادة فى ذلك الوقت جعل المصريون منكوتومر مع خمسة آلاف فارس من العرب فى كمين، فعرف الملك ذلك، وأمر كوربوقا، أن يغير عليهم فشنت جمعهم، وحمل الملك بنفسه على جيش المصريين، وصرع عدة أبطال منهم، وفى النهاية لحقت الهزيمة بالمصريين وعادوا فارين، فتعقبهم الملك، ونزل على بعد فراسخ من مدينة حمص، وخضع له أهلها ومن فى القلعة.

وسلموه خزينة سلطان مصر فى يوم الأحد الثانى من ربيع الآخر، ونزل فى التاسع من الشهر بمرج راهط تحت دمشق، ويادر أهلها جميعاً بعرض الولاء، فسألهم الملك قائلاً: من أنا؟ فقالوا جميعاً فى صوت واحد:

الملك غازان بن أرغون بن آباقا بن الملك هولاكو خان بن تولوى بن جنكيز خان

وسألهم بعد ذلك قائلاً: من أبو ناصر؟ قالوا: ألقى، قال: ومن والد ألقى؟ فسكتوا جميعاً، وعرف الجميع أن سلطانهم اتفاقى، وليس بسلطان استحقاقى، وأن جميع العبيد وأبناء العبيد من أروق المشهور جد ملك الإسلام، وقال الملك لهم: لا خير فى الحياة فى وجودكم، ولكن الخير والبركة الكثيرة فى الموتى، ولقد عفوت عن ذنوبكم أيها الجهلاء من أجل هؤلاء الموتى، فاستبشر أهالى دمشق بهذا، واستظهروا ودعوا للملك وطلبوا الشحنة، فعين قتلغ شاه شحنة لدمشق، وعاد منها فى يوم السبت الموافق

الثالث عشر من شهر جمادى الأولى، وترك الأميرين جويان، وقتلغشاه للحراسة هناك، وعبر نهر الفرات فى يوم الأربعاء الرابع والعشرين من جمادى الأولى ولحق بأغروق، ومن ذلك المكان أرسل سيد نظام الدين البناكتى، أخو هذا الضعيف إلى تبريز؛ لينال الخلعة، وطلب منه البركة، وانتقل سيد نظام الدين إلى ربه فى الحادى والعشرين من شهر رجب، وقال هذه القصيدة، وهو فى حالة النزاع، وأمر هذا الضعيف، حتى يتيح لها من يسمعها، والقصيدة هى:

أيها الملك صاحب الفضائل	خلد الله لك العمر والدولة
أنت روح الدنيا ولقد تحقق	لك السلطان على الدنيا بأسرها
إن أقل عبيد صذر بناكت	جعلته ينزوى عن الدنيا
جاء الأمر من حضرته أن ارجع فارجع	إلى دار البقاء من هذه الدنيا الفانية
فى الساعة التى جاء فيها هذا الأمر	انتهى دور هذا الزمان عليه
لقد حطموا هذا الطلسم وطاروا	ومضوا إلى مقر جيش الفضائل
لقد افتديت طلعتك الملكية	من أعماق القلب والروح والشباب
ألا أيها الملك صاحب السعادة	يا من أنت سلطان سلاطين الدنيا
عندما تأتى إلى تبريز المباركة	فأنت تتربع على العرش الملكى
يقبل ملوك الأرض جميعاً الأرض أمامك	وتضع على مفارقك التاج الملكى
تذكرنى وتذكر كلامى	وتغنى بها بصدق قلبك
واعلم أن هذه الدنيا لا تبقى لأحد	وتراف بأهل الدنيا
بما أنك تعلم أن الدنيا لا ثبات لها	فلا تضيع الفرصة بقدر ما تستطيع
خذ الحسن من كل شيء، وأعط منه	ولتكن الحياة على ما تهوى

انت مع جميع النساء والأمراء والقادة ليكون لك ولجميعهم العز والسرور
لقد تلوثنا وتصفيننا ووجدن الراحة وتعرف هذا الكلام لأنك روح

وقال هذا الضعيف فى تاريخ وفاته هذين البيتين:

توفى فى شهر رجب سنة ٦٩٩ هـ فى ثلث الليل ومضت روح هذا الولي الطاهرة من الدنيا إلى العقبى
فخر أهل بناكت قطب أولياء الزمان الملك المتربع على عرش السلطنة سيد نظام الدين على
وعبر غازان خان دجلة بغداد فى يوم الجمعة غرة شعبان، ووصل إلى مراغة فى
الخامس عشر من رمضان، وقدم أوجان من هناك، وتوفى الأمير جواغول فى يوم
السبت الثالث من ذى الحجة سنة تسع وتسعين وستمائة، وسافر إلى الشام مرة أخرى
فى المحرم سنة سبعمائة، وأرسل القائد قتلغ شاه فى الطليعة، ومضى بنفسه فى أثره،
وفجأة اشتد المطر والبرد، ومات بعض الجنود؛ فعاد الملك فى الثانى والعشرين من
جمادى الأولى، وتوفى القائد زاده ساتميش بن يورالغى، وهومن أقارب التاجونويان
على حدود كشاف فى آخر ربيع الآخر، وعبر الملك دجلة فى يوم الأربعاء آخر شعبان،
ونزل بمدينة الإسلام أوجان فى الرابع والعشرين من رمضان.

خبر الإنعام على الخواجه سعد الدين، وإعدام حساده

فى السابع والعشرين من شهر ذى القعدة سنة سبعمائة أنعم على الخواجه سعد
الدين الساوجى، ومنحه ضيعة، وفوض إليه أمور صاحب الديوان، وتشاور فى هذا
المشئى مع أعضاء الأسرة، وأصحاب الديوان مثل : صائن القاضى، وشيخ المشايخ
محمود، وسيد قطب الدين الشيرازى، والخدام الآخرين فى خلع السادة، وكانوا فى
انتظار الفرصة، وذات ليلة كان الملك يشرب فيها الخمر، ويذكر القادة، فكان سيد قطب
الدين حاضراً، وقال: إن ياتيمش رجل حسن السيرة، فقال الملك: تحدث عن حسن سيرته؛
لأنك كنت قد توجهت معه إلى شيراز، وكان سبب كسبك ونفحك، وحصلت مالا كثيراً

من هناك، ثم قال: كنت تسعى على الدوام فى الشر والفتنة، فقال سيد قطب الدين، وهوفى سكره: إن الملك يأمر بالكرامات، وكأنه كان معنا فى المداولات، وقد شعر الملك بأمرهم بالحدس والفراسة، وأمر فوكلوا الشيخ محمود فى تلك الليلة، وفى الصباح قبضوا على صائن القاضى، وسيد قطب الدين، ومعين الدين الطغارجى، وأمير الدين قانجى، وسعد الدين حبش، وقدموهم للمحاكمة، وأعدموا صائن القاضى، وسيد قطب الدين يوم السبت الثانى والعشرين من ذى الحجة فى موضع دول، وفى ذلك الحال ذكر الملك غازان خان محاوره السيد نظام الدين البناتكى.

حكايه: وكان ذلك أن سيد نظام الدين على بن مولانا تاج الدين البناتكى أخو هذا الضعيف، كان درويشاً أعزب صاحب نوق، وجميع الملوك منذ عهد أباقا خان إلى غازان خان كانوا معه على مودة ووفاق، وأحبوا حديثه ومحاورته، وحدث أن كان قد جلس ذات يوم فى مدينة أوجان فى مجلس الملك، وفى أثناء المحاوره كان الحديث يدور عن الطامات والفواجع، فقال الملك: لا تكذب، فقال مجيباً: الملك يكذب، وإذا قلت فلا عجب، فقال الملك: أى كذب قلت؟، قال: كذب الملك كذبتين، ولا يمكن أن يقال مثلهما، أولهما: أن صاور^(٤٧) القاضى أسميته صائن القاضى، وثانيهما: أنهم قالوا عن الشخص الذى لا يعلم الفرق بين الاستبراء، والاستنجاء شيخ المشايخ، وأطلق سراح شيخ المشايخ محمود بشفاعه بلاغان خاتون فى يوم الأربعاء منتصف المحرم سنة واحد وسبعمائة، ومضى إلى آران فى الشتاء، وعاد فى الصيف إلى أوجان، وكان الملك قد أمر بأن يقيم الأساتذة العظماء، والمهندسين المهرة خيمة ذهبية وعرشاً بأدوات جميلة، فأقاموا هذه الخيمة فى قرون أوجان فى القصر فى أواخر ذى القعدة سنة واحد وسبعمائة، ودعا قبل الحفل العظماء، والأئمة والمشايخ والقضاة والصلحاء، وبعد ذلك وضع قدمه المباركة فى الخيمة، وأسند ظهره، وأمر بأن يحضروا نقوداً وثياباً لا حصر لها، وكان يتصدق بها بيده شاكراً، بحيث نالت عموم الطوائف نصيباً من هذه الصدقات، وكان كاتب هذه التواريخ من دعاة هذه الحضرة، وهو أبو سليمان داود الملقب بفخر البناتكى، ونظر إلى حاله بعين الرحمة والرأفة، وأمر بالإنعام على بلقب ملك الشعراء، وأنشدت هذه القصيدة فى المعسكر الذهبى، ووجدت الإنعام، وهامى القصيدة:

فى مدح سلطان الإسلام غازان خان (نور الله مضجعه) و(طاب ثراه):

أظهر منطق تلك الببغاء التى تنثر السكر
ومى ذات متقل مثل العنبر مثل الليل على وجه صبح من البيان
وألقت السكر من جناح الغراب فى الماء الجارى
إنها تنثر الدر بلا فم من المعانى والبيان
يصبح نبع الحياة ظاهراً عياناً فى عين العلم
الذى مضى إلى بحر الصين وله من علمه شراع
فى علم الرياضة والإلهيات الكم والكيف وهذا وذاك
واستقر مركز التراب فى مكانه من هذا السواد
مع عرض المفارق حين جاء إلى الدنيا
فظهر لى فى هذا شيخ العقل الذى يعرف الدقائق
لماذا بقيت فى بحر الحيرة فاعلم هذا السر
بلا تعب من هذه المراتب ما ظهر منا وما بطن
ملكاً له صفات الملوك وهو سلطان العالم غازان خان
ملك الربع المسكون الملك السعيد
ماء المعدن ودم قلب البحر والمعدن
حينما كان أفريدون يرى عمارات الدنيا
ولا يجد إنسان فى الدنيا أثراً لمثله
وورده روح الدنيا فى عين أوجان خان خان
إذ إن معسكر الخان أصبح غرفة ملكية للسماء
لأن الغفل فى حيرة من عظمة معسكره
فى كل مكان طرب من الولدان كأنها مائة روح تسير
وقد أظهر الملك من ذلك فى جميع أطراف الدنيا مائة مثلاً
والقصر فى وسط الحديقة والبساتين والمروج
فتعجب كيف جاءت من العقبى إلى الدنيا جنة الخلد

البارحة من بحر المعانى ومن البنان الذى له در البيان
أى ببغاء أنت التى تنثر الكلام من اللطف
تمتلى مقرها فى روضة الدنيا بحواصل الطيور
ليس كالببغاء السمكة الذهبية التى فى بحر الفضة
إنها مثل النار التى تهب هبوب الريح التى من طريقها
ليست كزورق يشبه القمر من فيض فضل ذى الجلال
إنه زورق وجد من العلم الطبيعى
وبرز من هذا مدار الفلك الدوار
لديه مئات الآلاف من الجنس والفضل والنوع والذات والخاص والعام
أوجدت فى الحيرة من غرق فى بحر الفكر
قال : يا من أنت فى أصل الفطرة معدن فى الوجود
لقد قدر خالق الأرزاق لكل نفس نصيبها
ولقد أصبحت الدنيا اليوم من عدل الملك
الأيلخان الخاقان الأعظم المحارب البطل الفاع
ذلك الذى تفيض كفه عطاء فى المحافل
وذلك الذى أصبح عدله سوار ساعد الملك
لم ير إنسان قط عمارات مثلها فى الدنيا
وصارت مدينة الإسلام أوجان روح عين المملكة
بلاط الملك مع خيمته الذهبية جنة
إن معسكر الملك خير من روضة رضوان
إنها روضة الفردوس وكل طرف من أطرافها تمتلئ بالحدود العين
إنهم كانوا يعدون بالفردوس فى العقبى
إن صفوت دكاكين السوق متصلة حتى تبريز
لقد اندهش رضوان فى تبريز على أنها جنة الخلد

ووجدت الجنة في هذا الزمان منذ أمر بها الملك
الناس في حيرة من أمر قبة السلطان
لستار قصره ملك من الفلك في كل ليلة
أيها الفلك إن قدر من له سيرة الملك قد تحقق
أيها الملك أنت مهدي آخر الزمان
لقد عمرت العالم بسخائك وعدلك
أنت ملك ملوك الدنيا وسلمت لك
وبما أن فخر بناكت أدنى مداحي الملك
لقد أصبح ثرياً من عطاء وبذل ملك الدنيا
بما أن المعجز والإلهام والدولة من أصل واحد
بارك الله على دولتك المباركة أيام العيد
ولتزد دولتك كل يوم من الهام الله
السعادة واليمن على عتبتك ليل نهار

بالسور والبرج والقلعة والخذق والماء الجارى
وحاروا وقالوا عنها سلم إلى الفلك
يسدل حريراً أخضر مرصعاً عليها
فأصبحت بناء على قول النبي ملكاً وصاحب الزمان
ويشهد على أسد الله أن لك النصيب الوافر
وإن مائة مثل كسرى عبيد أو خدم على بابك
دولة الدنيا والدين بملكك الموفق
فاتفنى ليل نهار شرعاً وغفلاً بمدحك من روى وقلبي
فكيف يجسوز أن أحرم بينهم
وهي للملك وما دام العمر فلديك ودولتك الأمان
وليكن عيدك مائتي عيد من فيض المستعان
وليكن لك من اقتران زحل الحظ السعيد
فأصبحت حارساً من أظاف الحق على عتبتك

وكانوا يشغلون أنفسهم ثلاثة أيام بلياليها بختم القرآن، وأداء العبادات، كل طائفة
على طريققتها، ووضع في إحدى الحفلات ذات يوم على رأسه تاجاً لم ير له أحد نظيراً
قط، وتمنطق بحزام جميل ولبس ثياباً مرصعة غالية، وأمر الخواتين والأمراء والقواد أن
يتزينوا بكل أنواع الزينة، وبعد الانتهاء من ذلك اشتغل بتدبير أمور المملكة، ولسان
حاله يقول في بخيلة نفسه:

لما تصنع بيت من زخرف وينبغي إليك الرأي الذهبي
أنت صاحب عرش وقلنسوة
إذا كنت تزوج عروس السلطنة
كن متفقاً مع مصائب الفلك
ضع وجهك على وجه الترس واجعل عينك على الراية

فأقم العدل في الملك إن كان الملك ينبغي إليك
فلا تفعل مثل قباء في الصين إن كان لابد لك من الشام أو الصين
فينبغي أن تترك خاتمك من أجر مهرها
إذا كان لابد لك من أن يكون لك وسادة ناعمة على العرش
إن كان لابد لك أن تنظر إلى الوجه الجميل والشعر الجمعد

وفى غرة المحرم سنة اثنتين وسبعمائة، عزم السفر من أوجان إلى الشام، إلا أنه عرج على همدان، وأعدمو نظام الدين يحيى بن خواجه وجيه ودولت شاه بن أبى بكر الداغابادى على حدود هشتى فى يوم عاشوراء، وفى اليوم التالى عرب شاه بن حفيد السلطان حجاج الكرمانى، ومضى من هنا إلى بغداد، وأنفذ جيشاً إلى ديار الشام، ومضى القائد قتلغ شاه فى الطليعة، واستولى على قلعة رحبة، وتحاربوا مع جيش الشام فى الثانى من رمضان فى موقعة مرج الصفر، وقتل خلق كثير من الطرفين، وعاد قتلغ شاه، واتصل بالحضرة فى صحراء كشاف فى التاسع عشر من رمضان.

ونزل الملك فى مدينة الإسلام أوجان فى يوم الخميس العاشر من ذى القعدة، وبدأوا فى العصيان فى الثانى عشر، وانتهى فى غرة ذى الحجة، وأعدمو أغوتاي ترخان بن جينيك ترخان، وطوغور تيمور من قوم منكقوت، ونزل بدار الملك تبريز فى القلعة فى يوم الخميس الخامس والعشرين من المحرم سنة ثلاث وسبعمائة، وأصيب بالرمد، ودامت مدته، وكان الوقت وقت السفر إلى المشتى، ووصلت من خراسان فى يوم السبت الرابع من صفر إيلتورمش خاتون مع الأمراء بسطام أغول، وبايزيد، ولم يصلوا إلى حضرة الملك، وأقام غازان خان فى قلعة تبريز حفلة غاية فى الروعة، وزوج ابنته أولجاي قتلغ إلى الأمير بسطام، وأنشد هذا الضعيف هذه القصيدة فى هذا الحفل على سبيل التهنئة:

فى مدح السلطان محمود غازان (طاب ثراه)

وجدت العافية الذات الظاهرة للملك السعيد الموفق
الملك الكريم المعطاء الذى له قوة الفلك
الملك هولاكوخان بن تولوى خان بن جنكيز خان
كسرى الثانى غازان محمود سلطان الدنيا
قامع أعداء الدين ومهدى آخر الزمان
مائة مثل كيكافوس وفغفور وجم وأردوان

الشكر لله فمن تأييد دورة السماء
ملك الربع المسكون الملك فاتح الآفاق
الملك غازان بن أرغون بن أباقا بن
الملك العادل الذى زمانه زمان سليمان وعصره عصر جمشيد
مالك ملوك السبعة أقطار ذلك الذى
ذلك الذى عقد منطقة الخدمة على عتبته

إنه كالشمس وغيره من الملوك كالنور
هو شمس بالعدل وسماء بالفضل
أصبحت ذاته نفس الأمان فإذا كنت لا تصدق فانظر
لم تشهد عين الزمان فاتحاً مثله
وعلى باب حجرة قدره مائة حارس مثل القمر
يا من حفلك حربك نسيت قصة حاتم
لم يأت في العالم مثلك مزين للتاج والعرش
منذ أن رأت الشمس أساس عدلك وأصول سياسة ملكك
إن سيفك له أثر القضاء على عدوك
وكذلك يرسل لخدمتك الخاقان من الصين
الأسد والبير والفيال الحربى مع النمر والفتان
فى مدحك كلام فخر بناكت الببغاء
لقد تزين سقف هذه القلعة الزرقاء كل ليلة
جعل الله عمرك بلا حد وكنزك وجيشك
وليعلـى مسندك الملك والحكم

وجسم الدنيا وهو فيها روحها
ويقاس فضله وعدله بالإسكندر وأنوشيروان
فإن الممالك لا تجد الأمان من الحوادث والمصائب
ولم تلد أم الأيام مثله غازیاً
وعلى رأس إيوان جاهه مائة مثل نجم زحل من الحراس
وتزيد عن ألف بحر ومنجم بيدك وقلبك
ولم تر السماء سلطاناً مثلك على وجه الأرض
وقد وضعت بنان الحيرة فى فمها
إن حكمك مثل القدر وثار على كل الآفاق
كما يرسل إليك ملك الهند فيلاً حربياً
صاروا بعد لك قرناء وأصدقاء وأحباء
تنثر السكر من روضة المعانى والبيان
وتأخذ من الليل الطيلسان بجرح السيف
ودولتك بلا نهاية ولطفك وعطاءك بلا حد
الملك والشعب تحت يديك وجواد الدولة تحت فخذيك

وخرج من مدينة تبريز على ظهر فيل فى يوم الجمعة التاسع عشر من ربيع الأول
حتى دخل الميدان، ووصل قصر الضاحية فى الرابع من ربيع الآخر، وأمر بإقامة
مشتى على ضفة نهر هولان موران، وأعدموا الشيخ يعقوب التبريزى، وحبيب مريد
الشيخ رشيد، وسيد كمال الدين، وناصر الدين.

وتوفيت كرامون خاتون فى ليلة الجمعة الثانى عشر من جمادى الآخرة، وحملوا
نعشها إلى تبريز، ولما كانت فى ريعان الشباب، ولم تتمتع بعمرها، اشتد عليه موتها
وتألم وبكى كثيراً، وبعد ذلك التفت إلى الحاضرين، وقال: أى شىء فى هذه الدنيا
أصعب، وأشد من هذا؟ ، فقال القادة: أن يكون الضعيف عدواً، والأسير متمرداً، فقال
الحاضرون: الفقر، وقالت جماعة أخرى: الموت، فقال الملك: أصعب شىء هو الولادة
والمجئ إلى الدنيا، إذ إنها كلها شذائد، ومصاعب ومشقات تحت اسم الحياة،

ولم لم يكن الوجود لما كان شىء صعب، ولا توجد راحة فى الدنيا للإنسان مثل الموت بدليل إنه إذا مضى رجلان فى طريق يعدو أحدهما، ويمشى الآخر، فأيهما أكثر راحة؟ قالوا: ذلك الذى يجلس، فقال: إذا جلس واحد، ونام الآخر، فأيهما أكثر راحة؟ قالوا: النائم، فقال: وبناء على ذلك، فشان الميت أكثر راحة من النائم، وخلاص النفوس والفائدة الكلية فى التخلص من مضايق الطبيعة، وما من سجن وجحيم وعذاب أشد من الجهل وحب الدنيا، فمما لاشك فيه أن الجاهل يتخلص من سجن الطبيعة، وغاية الجهل أن يعرف أن الميت هو الروح، وأن الحى هو الجسم، ولا يعلم أن الحال على خلاف هذا، ويفخر ويتباهى بالحقايق والجهالات، ولا يعلم أن الموت حالة مرغوب فيها والعدل حق، فإذا لم يمت الآباء، فكيف تصل الأموال والمناصب والعظمة إلى الأبناء؟، وإذا كان موت الآباء صعباً، لكنه يكون مرضياً بالنسبة إلى النوبة الأخرى، وما من فضل فائدة فى طول العمر، إلا لمن جعل الكمال نصب عينيه، وهذا أولى بمن يرضى بما قدر الله له، وفضلاً عن هذا فقد قال كلاماً قيماً، وماجر فى أواخر شعبان سنة ثلاث وسبعمائة من هولان موران إلى ناحية ساوه، ومنها إلى الرى، وقد أصابته وعكة هناك زادت عليه.

خبر وفاة غازان خان

لما وصل نهر بيشكله على حدود قزوين، استدعى الملك فى أواخر شهر رمضان جميع القادة والخواتين وأعيان الدولة، وجعل كلاً منهم خليفاً بأن يوعظ وينصح، وجعل ولاية العهد إلى أخيه بنده خان، وانتقلت روحه المطهرة من دار الغرور إلى دار السرور، فى يوم الأحد الحادى عشر من شوال سنة ثلاث وسبعمائة، وأرسلوا نعشه الشريف إلى تبريز، وكانت مدة عمره اثنين وثلاثين عاماً وستة أشهر واثنى عشر يوماً، وتولى الملك ثمانية أعوام وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوماً.

على نعش هذا الملك العادل التقى أخذ البكاء الزمسان والأرض
وكان كل شخص يقول : يا أسفاه يا أسفاه فقد أصبح شمس الدنيا تحت السحاب

وقد قال هذا الضعيف في تاريخ وفاته، هذا الرباعي:

وقد مضى أحد عشر يوماً من شوال فسلطان الدنيا
إلى دار الملك الباقي من هذه الدنيا الدنيا الفانية

وكست الأرض المأذن بلباس الحداد فى جميع مدن ممالك إيران، ونثروا فى الأسواق والشوارع والميادين التبن والتراب، وفرق الناس صغاراً وكباراً رجالاً ونساءً ثيابهم، ولبسوا ثياب الحداد، وأقاموا العزاء سبعة أيام، ودفنوا نعشه الشريف فى موضع شم تبريز فى العتبة العالية، وأنشد هذا الضعيف فى مآتمه فى ذلك اليوم هذه المرثة:

والصفت إلى أمر الله ونهيهِ فما الدنيا بخالدة
هم أغيار فانتبه ولا تشبه بهما في هذه الدنيا
وانظر في الباطن بعين أحد هذا وذاك
في كل قدم من النظر أفكار لا حد لها
والشرط أن تمضي القافلة عن الرباط جارية
وإن فكر في أعماق نفسه بأن روحه سوف تفارقه
وتكون عند موتك فقيراً معدماً
فضع قدمك في طريق الله واسلك الطريق السوي
فاصنع من العلم سفينة ومن الزهد شراعاً
ومن ليس له زهد سواء أكان ذنباً أم راعياً
اسمًا بلا مسمى على أهل هذا الزمان
ومن له منزلة ومن له سلم
من قبل أن لا يجد أحد أثراً لك بعد موتك
فهنا لا يعطون أحداً كثيراً من الأمان
وطفل رضيع وشيخ كبير وشاب
من موت ملك الدنيا الملك السعيد

أيها القلب اعتزل الخلق في هذه الدنيا
لا تحسبن أن الدار دار قرار أيها القلب فإن الخلق والأمر
افتح عين رأيك فمن العقل يستفاد
واعلم أنك مسافر ولك
واعلم أن الدنيا رباط والناس يمرون به
إن العاقل في هذه الدنيـا
وا حسراته فعلى رأسه مائة كثر من ذهب وقضة
إذا كنت مفلساً ولا تريد الهوان في يوم الحشر
فهذا وادٍ للمخاطر وبحر بعيد العمق
فمن ليس له علم فهو عار في هذا الطريق
ولأن في هذا الزمان من العلم والمعرفة
وذلك الذي فما صاحب المال والمفلس
لا تنظر إلى الخلق واسلك طريق الله
انهض بعثق ودع نفسك وتعال
الكل أمام قبور الموت سواء ملك أو شحاذ
لن يبقى في هذا فخذ مني هذا عبـرة

سلطان الملوك غازان الشهير
سلطان الربع المسكون غازان المعادل
الدنيا جنة وجمالته مثل رضوان
لقد خلى المسند والعرش والتاج من الملك
قمر فلک الدنيا بهذا الملك المشهور
كان ذلك الملك روحاً للدنيا بلطفه وحسن خلقه
ولم تضر حديقة الشباب في الربيع النظر
أصبح العالم أسود مثل الخلق في ثياب الحداد
عجباً ما ذلك الخطب الذي رمانا به الفلك
صعدوا زفيرة بألم من قلب مخزون
يا أسفاه فما حيلة لنا إلا احتراق القلب من فراقه
ما الذي يتأتى من الفلك الذي يدور في عوج
ليسبق الملك المعيد العظيم
أمراء العصر والفرد والمشاهير
لقد استغلوا في الدولة ومادة الحق

الملك فاع الدنيا والملك الذي يولى الملوك
الذي كسرى خادمه ودارا حارسه
ورضوان جنة الخلد وخرج من الدنيا
وخرج بغتة ملك الدنيا من الدنيا
وخلت الأرض من النور عندما ذابل البدر السماء
وأصبح العالم من عدله كالحديقة والبستان
وتساقط أوراقها من الموت كما في الخريف
منذ أن اختفت شمس الدنيا وراء الستار
وأيضاً مضى الملك غازان وهو ميزان الزمان
واذكروا عصر غازان من أعماق أرواحكم
وما الجدوى من الاحتراق إلا أن نتحدث في المناسبة
من أضعاف الحوادث في آخر الزمان
خداينده خان وجميع الخواتين السعيدات
مع مائة الدهر والوزراء المهنكون
ولكل منهم على ما يهوى العمر السعيد

خبر السلطان محمد أولجايتو خان بن أرغون خان بن آباخان وخواتينه وأبنائه

ولد السلطان محمد من أروك خاتون ابنة ساروجة، من قوم كرايت أخت دوقوز
خاتون، في أفضل وقت من الأوقات، وفي أسعد ساعة من الساعات، وذلك في يوم
الثلاثاء الثاني عشر من ذي الحجة سنة ثمانين وستمائة بطالع برج الجوزاء السعيد
بين مرو وسرخس في موضع جذب لا ماء فيه، وفي الحال انهمر المطر الغزير حتى غمر
الماء الصحراء كلها، فأقاموا سبعة أيام، ولم ينقطع المطر، ولذلك السبب كان مسعود
المقدم مبارك المجيء، ولذلك سموه الجايتو، وبعد مدة، وطبق عادة المغول، أنهم يسمون

الأبناء الأعزاء بعد مدة فقد سموه تمودر منعاً للعين الشريرة، وبعد مدة سموه خدبنده التى ينبغى أن تكتب (خدابنده).

وكان للسلطان محمد كثير من الخواتين والجوارى، وتزوج قبلهن نوطوغان خاتون بنت لكزى كوركاز بن أرغون آقا التى ولدت من ماما بنت هولوكوخان، وبعد ذلك تزوج كويخشكات خاتون بنت شادى كوركاز بن سونجاق، وبعدها إيلتورمشوخاتون بنت قتلىغ تموركوركاز، وبعدها حاجى خاتون بنت كوركاز، وبعدها أولجى خاتون بنت سولاميش أخت حاجى خان، وبعدها قتلىغشاه خاتون بنت القائد إيرنجين، وهى بنت كتلىجك خاتون بنت السلطان أحمد، وكان يحبها ويؤثرها على غيرها من الخواتين، وبعد ذلك دنيا خاتون بنت سلطان ماردين، وبعدها سيور غاتميش خاتون بنت القائد حسين، وبعد ذلك تبسينا خاتون بنت الملك استانبول، وبعدها قوتوقباى خاتون التى أحضرها له من قان، وبعدها عطا ملك خاتون بنت مجد الدين البرهانى.

وكان للسلطان محمد عشرة أبناء، ستة أبناء، وأربع بنات، الأبناء: بسطام، وبايزيد، وطيفور، وأمهم إيلتورميش خاتون، وماتوا فى طفولتهم قبل أمهم، وتوفيت إيلتورميش خاتون فى سنة خمس وسبعمائة فى يورت، وراقان من توابع تبريز، وجاءوا بنعشها إلى السلطانية، ودفنوها أمام أبنائها فى القلعة فى العتبة العالية، وولد لأولجى خاتون أبوسعيد، ومات طفلاً كذلك، ودفنوه فى جرنداب تبريز، وولد سليمان شاه من عادل شانام بنت مرتاق، وتوفى فى طفولته أيضاً، ودفنوه فى السلطانية فى قبر الشيخ براق، وولد أبوسعيد سلطان جهان بهادر خان من حاجى خاتون، كما ولد وليدى من أرتوجوغان خاتون، وزوجوها إلى القائد جوبان، وتوفيت فى شهر سنة سبعمائة وسبع فى آران، وولدت ساقى بك من إيلتورميش خاتون، وكانت خطيباً للقائد جوبان، وفاطمة خاتون من قتلىغ شاه خاتون، وتوفيت فى طفولتها، ودفنوها فى السلطانية فى قبر أمها، كما ولدت مهر قتلىغ من جارية واسمها عائشة خاتون، وتوفيت فى طفولتها بعد أمها، ودفنوها إلى جانبها.

ووصف جلوسه على العرش فى ذلك الوقت بحكم الوصية، والمواكب الملكية بعون التأييد الإلهى من خطة ممالك خراسان حتى مخيم عساكر المنصور، ومقام الجنود

الذين لا يحصون، وكان ذلك فى السفر صوب العراق، وأذربيجان، وهما مقر عرش السلطنة.

السعادة من أمام والنصر من خلف والعصمة فى القلب والنصر فى الجناح

ووصل إلى المعسكر المعظم فى يوم الاثنين الثانى من ذى الحجة سنة ثلاث وسبعمائة بجانب مدينة الإسلام أوجان، ولحق جميع الخواتين والأمراء بشرف عبودية الحضرة العليا، وصاح هاتف السعد من وراء الغيب قائلاً:

أبشر أيها الدهر فقد عاد فلك الملك وبلغت الشمس ثمانية ألقى العظمة
لقد ظهر بطلان ظلم من يحسد الإسلام ووصل برهان الملك فاعى الدنيا
عرفت الفتنة الدنيا والدين والدولة وزوال الفناء وصل للفطنة
كانت شجيرة ورد الإقبال ذابلة فأصبحت نظرة حتى جاء ماء عدله فنبئت وترعرعت

وكان ينظر عدة أيام فى جميع المهام، ويتأمل فى مصالح البلاد، وبعد ذلك عقد مؤتمراً عظيماً، وذلك فى أحسن يوم فى فجر يوم الاثنين من منتصف ذى الحجة سنة سبعمائة وثلاث.

بالفال الميمون والنجم السعيد وبالحظ الموفى والسعد الموفر

وتربع السلطان محمد خدابنده على العرش، وأدى القادة جميع شروط المراسم التى كانت معهودة فى هذا الصدد.

وبعد إقامة مراسم السرور والبهجة، بسط بساط السعاة، ويحث أمر ياساق ويوسون، وهما أخوا السلطان سعيد غازان (نور الله مضجعه)، وجعل فراديس الجنات مأواه، ورأى من الصواب فى حق أخيه لفرط محبته له وإخلاصه أن يكون لجميع القادة وعظماء دولة غازان، ما كان لهم من قبل من رفعة المنزلة، وأن يشغل كل منهم منصبه.

وبعد ذلك فإن جماعة أسرة جنكيز خان، الذين كانوا منذ خمسين عاماً فى نزاع، دانوا بالطاعة، وأرسلوا الرسل، ورفعوا الفتنة والنزاع من بين الناس، فعد الناس

جميعاً مقدمه مقدماً سعيداً مباركاً، وقالوا: بحكم الله تعالى سيبقى اسم السلطان محمد أولجايتوخان ملك الإسلام؛ أى الملك المعظم المبارك، وتقرر الأمر بذلك. وبنى مدينة السلطانية فى شهور سنة أربع وسبعمائة، وجعلها فى طالع العقرب مقراً لعرشه، وتوفى سيدى تاج الدين محمد الرفاعى فى نفس السنة، وأنفذ جيشاً نحو جيلان فى عام الخروف الموافق شهور سنة ست وسبعمائة، وقتل القائد قتلغ شاه فى هذه المعركة، وحملوا نعشه إلى تبريز ودفنوه هناك.

واستشهد الشيخ براق فى سنة سبع وسبعمائة فى جيلان، وحملوا نعشه إلى السلطانية، وضربوا السكة، وقرأوا الخطبة فى بغداد فى سنة ثمان وسبعمائة، وأعدموا يستمور، وقونجى ابنى أبنارجى فى كرده كوه فى شهور سنة عشر وسبعمائة، وحملوا نعشهما إلى تبريز، وتوفى مولانا قطب الدين الشيرازى فى نفس العام، وقال هذا الضعيف فى تاريخ وفاته:

فى يوم الأحد فى عصر سنة سبعمائة وعشر توفى فى السابع عشر من رمضان فى تبريز وفاضت روح قطب الدين محمود الشيرازى إلى الفردوس مع كل إجلال وإعظام وأعدموا بولاد بن قوجى فى تبريز فى جمادى الأولى سنة سبعمائة وإحدى عشرة، وتوفيت فى نفس السنة بلغاتى خاتون، كما توفى فى السنة نفسها سيدى سيف الدين على بن محمد الرفاعى ودفن فى السلطانية، وفى يوم السبت فى وقت صلاة المغرب استشهد الخواجه سعد الدين محمد الساوجى، مع نوابه: شهاب الدين مبارك شاه، ويحيى بن جلال طره، وزين الدين الماسترى، وداود شاه فى محول بغداد فى العاشر من شوال سنة إحدى عشرة وسبعمائة، وأسند منصبه إلى خواجه تاج الدين على شاه جيلان، كما توفى خواجه أصيل الدين بن خواجه نصير الدين الطوسى فى سنة سبعمائة وأربع عشرة، وأعدموا بوجير^(٤٨) بن ساريان بن قيدوخان فى السلطانية فى ليلة الجمعة فى الحادى عشر من صفر سنة خمس عشرة وسبعمائة، وتوفيت أولجاى خاتون بنت سولاميش فى قوروق السلطانية فى ليلة السبت الرابع من رجب من السنة المذكورة، وحملوا نعشها إلى تبريز، ودفنوها إلى جانب ولدها.

واتخذ ملك الإسلام مشتي له فى السلطانية فى سنة ست عشرة وسبعمائة، وخرج للصيد، وفى أثناء ذلك مرض بمرض عارض، فعاد السلطان محمد، وفى يوم الخميس من شهر رمضان سنة ست عشرة وسبعمائة، استجاب صقر روحه المطهرة من الروضة السلطانية لنداء "يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية" (٤٩) ، فغادر قفص الجسد واتخذ له عشاً فى غرفات الخلد العلية وشرقات أعلى عليين فى مقعد صدق عند مليك مقتدر" (٥٠)

بما أن قدره كان أعلى من قدر الدنيا فأصبح جناب القدس الأعلى مكاناً له لتكون روحه ألف روح فى كل نفس من أنفاسه ليكون عليها سلام من الحضرة الإلهية

وحملوا نعشه فى يوم العيد، غرة شوال من الروضة إلى القلعة، ودفنوه فى القبة العالية، وعاش خمسة وثلاثين عاماً وتسعة أشهر وثمانية عشر يوماً، وحكم اثني عشر عاماً وشهرين ونصفاً، وغمر الحق جلّ وعلا هذا السلطان السعيد بفيض رحمته، وجعل الله ملك الإسلام السلطان علاء الدين إلى سعيد، وارث الأعمار حتى تقوم الساعة وحقق له الآمال.

وتوفى قاضى القضاة الشهيد نظام الدين عبد الملك المراغى فى نفس السنة.

خبر السلطان علاء الدنيا والدين أبى سعيد^٦

ابن السلطان غياث الدنيا والدين محمد أولجايتوخان بن أرغون خان بن أباقخان بن هولاكوخان بن تولوى خان بن جنكيز خان (خلد الله ملكه).

ولد السلطان أبوسعيد من حاجى خاتون بنت سولا ميش بن تنكيز كوركمان من أويرات فى أفضل ساعة من الساعات، وأسعد وقت من أوقات ليلة الأربعاء الموافق الثامن من ذى القعدة سنة أربع وسبعمائة من الهجرة، وكانت الشمس فى الدرجة الخامسة من برج السرطان، وذلك فى حدود أوجان من أعمال تبريز فى طالع برج

الحوث المسعود، ورصد جماعة النجمين، الذين كانوا حضوراً أثناء ولادته الكواكب،
ولما وجبوا طالع مولده سعيداً، قالوا:

نظرنا فى طالعك ورأينا أن نصيبك سرف يكون مائة ألف روح

واتفقوا جميعاً أنه ملك جدير بالملك وعادل، واتفقت كلمتهم على أن:

إن حظـه سـعيد ويصل عرشه إلى الشمس المشرقة

وجعلوه عند مرضعة حسنة الخلق تسمى مريم؛ لتربيته فى حجر الرحمة، كما أنه
نطق فى صغره بالكلام الفصيح بحيث أخذ العجب زملاءه.

المهد. ينطق عن معادة جده أنـر النجـابة ساطع البرهان

خبر ركوب سلطان الإسلام أبى سعيد من خراسان.

وقدومه إلى العراق ودار الملك السلطانية

أرسل السلطان محمد أولجايتو خان فى شهر المحرم من سنة أربع عشرة
وسبعمائة، الأمير أبا سعيد مع أمه حاجى خاتون إلى خراسان، ووهبه هذه الممالك
والجيوش العظيمة، وكان القائد سونج بن ششى بخشى ملازماً له، وكان يسعى،
ويجتهد فى أمر الجيش والإمارة، ولما وصل خبر وفاة السلطان سعيد (طاب مثواه)،
أصبح وارث عرش الملك، والتاج وحكم العالم، وبعد وصول الرسل وصلت المواكب
الميمونة الملكية بعون التأييد الإلهى فى شهور سنة سبع عشرة وسبعمائة من ممالك
خراسان إلى دار الملك السلطانية.

النصر والإقبال فى ركابه والسعادة والفضل معه فى عنان

وكانت أولجاى قتلج خاتون، قد تربت فى العز الغازانى، وفى صدف الأسرة
الأيخانية، وتزوجت السلطان أبا سعيد (خلد الله ملكه)، وأقيمت الولائم وأعلنت
المسرات والأفراح عدة أيام، وتريع على عرش الملك فى يوم الإثنين الثالث من ربيع
الآخر سنة ثمانى عشرة وسبعمائة فى طالع السعد برج الأسد فى قرون السلطانية.

اعتلى الملك العرش مثل جمشيد وقام على الخدمة أمام الجن والإنس
جلسوا في خدمته واصطفوا واقفين القادة المحنكون والملوك السعداء
وأعطاه الفلك بناء على أمره دورانه وجعل علامة سيطرته توقيعته

وقدم القادة وأركان الدولة المعهودة في المراسم والشرائط في هذا الشأن، وكان
هاتف الإقبال يردد على لسان الخاص، والعام في الصباح والمساء هذه الرسالة:

أيها الملك أقر الله دولتك على الدوام ولتكن رؤوس حسادك على الدوام في أسفل الأعواد
وجد العالم القرار بسيفك الذي ليس له من قرار ولتدم سلطنتك إلى يوم الحشر
لقد كان التوفيق لخنجرك في كل الديار ولتكن دولتك موفقة في كل ما تريد
إن جـوملكك قد وافقنا وليكن هواء ملك مـوافق لك
الحظ عبدك لك والفلك مطيع والنصر قريبك وليكن النجم معيناً لك وكذلك الجبار

ويسطت عواطفه الرحمة على المتظلمين، وفتحت ألطافه أبواب الرأفة، والنعمة على
المظلومين، فقد أرخ التقويم الملكي بتاريخ هذا الملك، وزينت جريدة الإنصاف بقلم
عدله، وأدام الحق سبحانه وتعالى على الناس جميعاً ذاته الشريفة، وعنصره اللطيف
أعواماً لا حصر لها في السعادة والتوفيق والعدل والملك بمحمد (صلى الله عليه
وسلم وآله).

ليجعل الله العرش والسعادة مكانك على الدوام وليكن الحظ والإقبال لك دليلاً
وكل سمادة باقية في الدنيا لتكن كلها من أجلك على الدوام
وعون الحق في أي موضع حللت فيه ليكن حارسك في قصرك
وكل ما تريده من خالق الدنيا ليكن حاصله كله وفق هواك
الظفر والعز والسعادة والإقبال لتكن دليلك بالفضل على الدوام
ولأنه لا وجود لنعمة أفضل من العمر فليكن بقاؤك حتى فناء الدنيا

هوامش القسم التاسع

(٢٨) من أعظم علماء إيران فى القرن السابع الهجرى، عندما سقطت قلعة (الموت) فى يد هولاكوخان، اصطفاه لملازمته ومشاورته، فزين له أن يسقط الخلافة العباسية فى بغداد، وفى عام ٦٥٧هـ، أمره هولاكوخان بإقامة مرصد فى مدينة مراغة، وكان فضلاً عن علو كعبه فى شتى العلوم، من رجال السياسة العارفين ببواطن الأمور، فأفاد منه هولاكوخان، ومن بعده ابنه أباقاخان، وله مؤلفات فى شتى العلوم : كتحرير إقليدس فى الهندسة، والتذكرة النصيرية فى علم الهيئة، وشرح إشارات ابن سينا فى الفلسفة، وتجريد العقائد فى علم الكلام، وله أكثر من مائة رسالة فى الفارسية والعربية.

(٢٩) المزرفة على حد قول ياقوت الحموى قرية كبيرة أعلى بغداد، تقع على ضفة نهر دجلة، وتبعد عن بغداد ثلاثة فراسخ.

(٣٠) هكذا فى الأصل.

(٣١) هكذا فى الأصل.

(٣٢) هكذا فى الأصل.

(٣٣) هكذا فى الأصل.

(٣٤) هكذا فى الأصل.

(٣٥) هكذا فى الأصل.

(٣٦) هكذا فى الأصل.

(٣٧) المقصود بها هنا حساب الجمل.

(٣٨) هكذا فى الأصل.

(٣٩) هكذا فى الأصل.

(٤٠) هكذا فى الأصل.

(٤١) يقصد والده؛ أى مؤلف الكتاب.

(٤٢) هكذا فى الأصل.

(٤٣) البنائكى يسوق الكثير من المعلومات، فتختلط بعضها ببعض، ولايدرى ماذا يأخذ، وماذا يترك، فيخلطها معاً فى مزيج مختلط، وبذلك يضطرب سياق الموضوع الذى يتحدث عنه، فهو ينتقل من خبر إلى آخر، ومن معلومة إلى أخرى، مما يحدث فجوة فى تأريخه.

- (٤٥) هكذا في الأصل.
- (٤٦) الحديث رواه أبو داود، وابن ماجه، والدارمي.
- الحافظ عبد الله الدارمي السمرقندي: مسند الدارمي، دار القاهرة، ١٤٠٧ هـ، ج٢، ص٢٨٤
- (٤٧) هكذا في الأصل.
- (٤٨) هكذا في الأصل.
- (٤٩) هكذا في الأصل.
- (٥٠) هكذا في الأصل.
- (٥١) سورة الفجر: الآية ٢٧، ٢٨ .
- (٥٢) سورة القمر: الآية ٥٥ .

المؤلف فى سطور

هو أبو سليمان داود بن أبى الفضل محمد المشهور بالبناكى، نسبة إلى مدينة بناكت التى تقع فى بلاد ما وراء النهر فى المشرق الإسلامى، تبدل اسمها، وهى الآن مدينة طشقند السوفيتية .

ولد وعاش البناكى فى مسقط رأسه ، إلا أن مرحلة الطفولة، وصباه يكتنفها الغموض ، كان والده من العلماء المشهورين فى العلوم الشرعية فى ذلك الوقت ، وله عدة مؤلفات منها على سبيل المثال لا الحصر (مصباح الضمير فى صحاح التفسير) .

فرض البناكى نفسه، على أنه مؤرخ وشاعر للمغول ، فقد أرخ كتاب «روضة أولى الألباب فى معرفة التواريخ والأنساب»، والمشهور بتاريخ البناكى . كما أنشد فيهم المدائح والقصائد ، ولقبه غازان خان - الذى لقب بعد إسلامه بالسلطان محمود غازان، والذى جلس على العرش فى سنة ستمائة وأربع وتسعين ، بلقب ملك الشعراء .

عاش معظم حياته فى البلاط المغولى مقرباً من السلاطين الذين عاصروهم شاعراً ومؤرخاً ، ولقبه الكثير من كتاب التذاكر بلقب «إمام المؤرخين»، وتوفى فى عام سبعمائة وثلاثين من الهجرة .

المترجم فى سطور

محمود عبد الكريم

من مواليد مركز كفر صقر محافظة الشرقية - التحق بالتعليم الأزهرى ، وتخرج فى كلية اللغات والترجمة - جامعة الأزهر - ثم عمل معيداً بها، وحصل على درجة الماجستير ، ورشح للسفر إلى ألمانيا على بعثة إشراف مشترك للحصول على درجة الدكتوراه فى الأكاديمية الإسلامية - بجامعة كلن - له أبحاث عديدة فى اللغة، والأدب الفارسي، والحضارة الإسلامية من أبرزها الشاعر أثير الدين الأخسيكى، ومدحه لسلطين الدولة السجلوقة، وقضايا لغوية عند الكتابة باللغة الفارسية، وكنوز الفن الإيرانى فى ألمانيا من خلال متاحف برلين وغيرهم .

يعمل أستاذاً مساعداً بكلية اللغات والترجمة - جامعة الأزهر .

المراجعة اللغوية معتز العجمي
الإشراف الفني : حسن كامل